لُبابُ التفاسير

تأليفُ الإمامِ المُفسِّرِ

تاجِ القُرّاءِ الكرمانيّ

بُرْهانِ الدّينِ أبي القاسمِ محمودِ بنِ حمزةَ بنِ نصرٍ الكرمانيِّ

المُتوفّى بعدَ سنةِ ٥٠٠هـ

يُطبع أوّلَ مرّةٍ محقّقاً على ثلاثِ نُسَخٍ خطّيّة

تحقيقُ وتعليقُ

محمّد عبد الحليم بعّاج

المجلّد الأوّل

دار اللُّباب

لباب التفاسير

(١)

الطبعَة الأولىٰ
١٤٤٣هـ ـ ٢٠٢١م

9 789933 930271

دار اللُّباب
للدِّراسَاتِ وتَحقِيق التُّراث

DAR-ALLOBAB
Lubab Yazma Eserleri İhya ve İlmi Araştırma Yayınları

اسطنبول ـ تركيا
00902125255551
00905454729850

دمشق ـ سوريا
00963993151546
info@allobab.com
Www.allobab.com

بيروت ـ لبنان
009615813966
0096170112990

İskenderpaşa mh. Kıztaşı cd. No:7 D:5 Fatih (Özel Fatih Hastanesi Karşısı)

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة التحقيق

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ١ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾ [الكهف: ١ ـ ٢].

والصَّلاةُ والسَّلامُ على مَـن أرسلَه الله مبشِّراً ونذيراً، ﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٦].

ورضوانُ الله على أهلِ بيتِه الطَّيِّبين، وأصحابِه الغُرِّ الميامين، سكَّانُ القِمم، وهُداةُ الأُمم، مَن أجابوا داعيَ ربِّهم، واتَّبعوا هديَ رسولهم، فكانوا غرسَ مولاهم، وغيظَ مَن عاداه وعاداهم.

أمّا بعدُ:

فإنَّ كتابَ الله هو حبلُ الله المتين، وهو الذِّكرُ الحكيم، وهو الصِّراطُ المستقيم.

وقد كان العربُ قبلَ إسلامِهم أُمّةً أُمّيّةً، ليسَ لها كتابٌ تدرسُه، أو علمٌ تتداولُه، اللَّهمَّ إلّا ثقافةً شفهيّةً لا تصلحُ أن تكونَ منارة، ولا يمكن أن تقومَ عليها حضارة، فلمّا أنزلَ الله ـ سبحانه وتعالى ـ هذا الكتاب، وآتى نبيَّه محمَّداً ـ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ ـ الحكمةَ وفَصلَ الخِطاب، واختارَ هذه الأمّةَ لتحملَ رسالةَ السَّماء، وجعلها أمّةً وسطاً لتكونَ شاهدةً على أهلِ الأرض؛ اتَّبعت هذه الأمّةُ نورَ ربِّها، واستنارت بهديِ نبيِّها، ومع نزولِ الكتابِ بالأمر الإلهيِّ ﴿ٱقْرَأْ﴾ تعلَّمتِ الأمّةُ القراءة، ولمّا شرعَت

هذه الأمّةُ الأميّةُ بالكتابةِ بدأت رحلةُ الحضارةِ العربيةِ الإسلامية، رحلةٌ رافقَتها حركةُ تَدوينٍ لم يعرف لها التّاريخُ مثيلاً، وليسَ لأمّةٍ أخرى لمثلِها سبيلاً؛ لأنَّ هذه الحركةَ كانت تنهلُ من نبعٍ واحد، وتدورُ في فَلَكٍ واحد؛ إنَّه كتابُ الله.

وهكذا كان القرآنُ زادَ العلماء، وإمامَ الأصوليِّينَ والفقهاء، ونبراسَ اللُّغويينَ والنُّحاة والبلغاء، وهذا ما جعلَ كثيراً من الباحثينَ يرونَ أنَّ عطاءَ الفِكرِ العربيِّ الإسلاميِّ وإبداعَه ما هو إلّا انعكاسٌ لنورِ الكلامِ الرَّبّانيِّ، وأنَّه إنَّما نشأ أساساً من خلالِ تعاملِه المباشرِ مع النَّصِّ القرآنيِّ، ذلك أنَّ فهمَ القرآنِ الكريمِ كان هو المقصودَ بذاتِه، وكانت سائرُ العلومِ أدواتٍ تُعينُ عليه، أو تتعلَّقُ به، أو تتفرَّعُ عنه، وقد تنوَّعَتِ التَّآليفُ حولَ القرآنِ الكريمِ وتحتَ رايتِه، فمنها ما هو مهتمٌّ بمعانيه وأحكامِه، ومنسوخِه وناسخِه، ونَقْطِه ورَسْمِه، وقراءاتِه وأحرفِه، وغريبِه ومُشْكِلِه، وإعرابِه ولُغتِه، وإعجازِه وبلاغتِه، حتَّى ازدهرَت في الثَّقافةِ الإسلاميّةِ ضروبٌ من العلومِ والفنونِ ما كانَت لتُبصرَ النُّورَ لولا العنايةُ بكتابِ الله.

وقد بلغَ علمُ التَّفسيرِ في القرنِ الخامسِ حالةً من النُّضجِ والتَّطوُّرِ والزَّخمِ ليست مسبوقةً، فظهرَ عددٌ من العلماء أفرغوا جهوداً عظيمةً في تفسيرِ القرآنِ وعلومِه، فلم يعد البحثُ عن المشهورِ المعروفِ كافياً، ولكنَّ طلبةَ العلمِ راحوا يتطلَّعون لغيرِ ذلك؛ فصارَت الغرائبُ والعجائبُ طِلبةَ الطَّلبةِ، وهذا ما نجدُ الشَّيخَ الإمامَ تاجَ القُرّاءِ محمودَ بنَ حمزةَ بنِ نصرٍ الكرمانيَّ يصرِّحُ به، فقد وقفَ تاجُ القُرّاءِ الكرمانيُّ على هذا الكمِّ الهائلِ من التَّفاسير، وحاولَ أن يجمعَ أقوالَ المفسِّرينَ ويُهذِّبُها، ويلتقطَ من كتبِ التَّفاسيرِ كلَّ غريبٍ وعجيبٍ، وقد تركَ تفسيرين:

التَّفسيرَ الموسومَ بـ«غرائبِ التَّفسيرِ وعجائبِ التَّأويل»، وقد طُبعَ في مجلَّدين.

والأصلَ الذي أخذَ منه الكَرمانيُّ ذلك الكتاب، وهو: «لُباب التَّفاسيرِ»، وهو هذا الكتاب الذي يُطبَعُ لأوَّلِ مرّة، وها نحن نضعُه بين أيدي طلبةِ العلمِ راجين من الله أن يعمَّ به النَّفع، ويَكتبَ له القَبول.

وتاجُ القُرّاءِ الكرمانيُّ إمامٌ كبيرٌ محقِّقٌ، ذو شخصيّة متميِّزة، ونظرة متفرِّدة، ورؤية مستقلّة، وكانَ عجَباً في دقّةِ الفَهمِ، وحُسْنِ الاستِنباطِ، وكان من أهلِ التَّدقيق والتحقيق، وكانَ رأساً في العلمِ يُسألُ ويُقصد، ويُلتمَسُ عنده حلُّ المشكلات، وكشفُ المعضلات، وكانَ هذا الإمامُ داعيةَ تفكيرٍ واجتهادٍ وتدبُّرٍ، وليسَ داعيةَ تعصُّبٍ، فهو متحرِّرٌ في عقلِهِ وفكرِه، غيرُ متقيِّدٍ في آرائه، وأظهرُ دليلٍ على هذا حاجتُنا للبحثِ في مذهبِه.

وكان تاجُ القُرّاءِ الكرمانيُّ إماماً في استحضارِ الآيات، إماماً في القراءات، إماماً في النَّحو، إماماً في اللغة، بالإضافةِ إلى مشاركته في شتى علوم عصره، وقد ظهر هذا في كتابه «لبابِ التَّفاسير»، فهو تفسيرٌ لغويٌّ اشتقاقيٌّ تأصيليٌّ، وهو موسوعةٌ لزخمٍ من الرِّواياتِ ومعاني القراءات، وقد جمعَ فيه تاجُ القُرّاء بين التفسيرِ بالمأثورِ والتَّفسير بالرأي، وضمَّنه توجيهات تربويّة إيمانيّة، ولطائف بيانيّة بلاغية، فجعلَه تاجُ القُرّاء للتفاسيرِ في عصره تاجاً.

وقد كان الكرمانيُّ في «لُباب التَّفاسيرِ» صاحبَ نظرةٍ شموليّةٍ للأسلوبِ القرآنيِّ؛ فهو يرى أنَّ القرآنَ كلَّه كأنُّه سورةٌ واحدة، وهو يتعاملُ مع القرآن على هذا الأساسِ، فهو يقارنُ بين كثيرٍ من الآياتِ وما يُشبهُها في مواضعَ أخرى من القرآنِ الكريمِ مبيِّناً في ذلك خفايا من أسرارِ التّكرارِ، ولمحاتٍ من لطائفِ الإعجاز،

ويمكنُ أن نعدَّ هذه النَّظرة من بوادرِ التفسير الموضوعيِّ الذي يثارُ في هذا العصر حوله الاهتمام.

وقد تميَّزَ تاجُ القرّاء في «لبابِ التَّفاسير» باهتمامِه بصياغةِ تعاريفَ دقيقة، كما تميَّزَ باهتمامِه بالفروقِ اللُّغويّةِ، وذلك كثيرٌ جدًّا في «اللبابِ»، من مثلِ تفريقِه بين المسِّ واللَّمسِ، والسرعةِ والعَجلةِ، والطاعة والإسعاف، والمجادلة والمناظرة، والغمرة والغفلة والنسيان والسَّهو، وهذا جانبٌ طريفٌ وممتعٌ مما تميَّز به «لبابُ التَّفاسير».

ولكنَّ «لبابَ التَّفاسير» اشتملَ على جانبٍ آخرَ، وهو الغرائبُ والعجائبُ، وهو من مُلَحِ العلم، والغايةُ منه سبرُ أغوارِ العقولِ وإثارةُ التَّفكير، وقرعُ طبولِ الخطرِ وجرسِ التَّحذيرِ.

وتكمنُ أهمِّيّةُ هذا النَّوعِ في رأينا من ناحيةٍ أخرى، وهي: أنَّه يعكسُ توسُّعاً في البحث، وسَعةً في الاطِّلاع، فهذا النَّوعُ لا يمكنُ جمعُه إلّا لمن كثرَت مطالعتُه، وتنوَّعَت مشاربُه، وكان ممَّن لا يهابَ أن يُقحِمَ يدَه في خليّةِ النَّحل؛ رغبةً في اجتناءِ العسل، وهذا ما يظهرَ جليّاً عند تاجِ القُرّاءِ الكرمانيِّ.

وثمَّةَ جانبٌ في «لبابِ التَّفاسير» لا يجوزُ إغفالُه، وهو الجانبُ الإبداعيُّ فيه؛ فكان تاجُ القُرّاءِ يبذلُ جهدَه في إضافةِ أقوالٍ جديدةٍ إلى الأقوالِ التي بذل جهداً في جمعها وترتيبِها، وكان يوردُ مثلَ هذه الأقوالِ بصيغة الاحتمال، وكأنَّه يريدُ بذلك أن يميِّزَ لنا ثمارَ اجتهادِ المطالعةِ والتَّنقير من ثمارِ اجتهادِ التأمُّلِ والتَّفكير.

وبين هذين النَّوعين يظهرُ الكرمانيُّ في اجتهادٍ دائم، وهو مع ذلك يخفي جهدَه، ويستحي من المباهاةِ بكثيرٍ منه، ولكنَّ المطالعَ لـ«لباب التَّفاسير» لا يعدمُ

عباراتٍ صريحةً تشيرُ لهذا الجانب؛ فيجده يقول: هذا القولُ لم أُسبَقْ إليه، وهو حَسَنٌ، ويجده يقول: كنتُ سُئِلْتُ عن هذه الآيةِ فاستخرجْتُ لها عشرةَ أوجُهٍ سوى ما حكيتُ عن الأئمَّةِ. ويلفتُ الانتباهَ أنَّ تاجَ القراءِ يبدأ مثل هذه الآراءِ التي ابتكرها بكلمةِ (يحتمِلُ)، ويختمُه بكلمة (والله أعلمُ)، فلله درُّه!

وقد عكسَت أقوالُ تاجِ القُرّاءِ الكرمانيِّ في التَّرجيحِ أسساً وقواعدَ هامّة، منها مبدأ تفسيرِ القرآنِ بالقرآن، فقد تميَّزَ بإيرادِه الآياتِ المشابهةَ للآيةِ التي يفسرُها، واستحضارِه لها، وقد صرَّح بهذا المبدأ، ووسَّعَ تطبيقَه، فكان ينقلَ اختلافَ المفسِّرين ويقارنُ بينها معتمداً أنَّ أحسنَ الأقاويلِ ما وافقَ القرآن، فإن لم يجد نصًّا قرآنيًّا يوافقُ القولَ بحث عمّا يوافقُ الأحاديثَ وكلامَ الصحابةِ والتَّابعين، وكان مع ذكرِه الغرائبَ والعجائبَ يؤكِّدُ دائماً أنَّ قولَ الجمهورِ أولى بالاتباعِ.

وقد اتَّبعَ تاجُ القُراء الكَرمانيُّ أسلوباً يقومُ على الإيجازِ والاختصارِ، وكان ذا مُكنةٍ في اللغة واطلاعٍ على غرائبها، ولكنَّه لم يتركْ لمعرفتِه بالغريبِ العنان، وهذا ما جعلَ أسلوبَه وسطاً بين السُّهولةِ والصُّعوبة، فليست عباراتُه ساذجةً مباشرة، ولا عسِرةً مستغلقة.

ويمكنُ أن يخلصَ الباحثُ في «لباب التَّفاسير» إلى أنَّ هذا الكتابَ خلاصةُ جهودٍ عظيمةٍ أفادها الكرمانيُّ ممَّن سبقَه وتقدَّمَه، وزادها فوائدَ تدلُّ على سَبْقِه وتقدُّمِه، وهو دليلٌ مشاهَدٌ على أنَّ الجولاتِ بين السُّطورِ والأسفار، قد تغني أولي الألبابِ والأفكار، عن رحلاتٍ كثيرةٍ وأسفار.

وقد نالَ هذا السِّفرُ ما يستحقُّه من اهتمامِ العلماء؛ فأكثروا عنه النُّقول، واستودعوه القلوبَ والعقول، وكانَ أبو عليٍّ الحسنُ بنُ الخطير الفارسيُّ المعروفُ

بالظَّهيرِ (ت: ٥٩٨هـ) يحفظُ في كلِّ فنٍّ كتاباً، فاختارَ في هذا الفنِّ «لبابَ التَّفاسير»، فاستودعَه قلبَه وعقلَه، وكان يحفظُه عن ظهرِ قلب.

لكنَّ اهتمامَ العلماءِ بالكرمانيِّ وكتابِه «لبابَ التَّفاسير» تبدَّدَ وتلاشى مع تطاولِ الزَّمان، وأصبح مَن يعرفونَ الكرمانيَّ يعرفونَ أنَّه صاحبُ «الغرائبِ والعجائب» أو «البرهانِ في متشابهِ القرآن»، أمّا الأصلُ العظيمُ لهذينِ الكتابينِ ـ وهو «لبابُ التَّفاسير» ـ فقد طواه النِّسيان، ولم يعد صاحبُه الكرمانيُّ يُذكَرُ في كتبِ التَّفسيرِ إلّا في القليلِ من الأحيان، وقد استمرَّ التَّجاهُلُ لهذا السِّفرِ وما فيه من الفوائد، والإهمالُ لما أودعَ فيه مصنِّفُه من الفرائد، فبقيَ حبيسَ رفوفِ المكتبات، مدفوناً بينَ رُكامِ المخطوطات، حتَّى أذنَ الله لشمسِه أن تسطعَ بعد طولِ غياب، وأرادَ لجناه أن يدنوَ من أولي الألباب، فحرَّكَ سبحانه وتعالى لإخراجِ «اللُّباب» همّةَ صاحبِ (دارِ اللُّباب)، فوجَّهَ أخونا الكريمُ الأستاذُ أبو عبدِ الله محمَّدُ خلوف العبد الله لهذا السِّفرِ كلَّ اهتمامِه، وحرَّكَ لإحيائِه جهودَ أعوانِه، وهِممَ إخوانِه، فقدحَ بجهودِه المباركةِ وهمَّتِه العاليةِ هِمماً، وبعثَت فينا عزيمتُه عزماً.

وقد أذكى هذه العزيمةَ أنَّ صِلتَنا بالكرمانيِّ كانت في بدايةِ الطَّلب، فرأينا في «برهانِه» ما أثارَ فينا العجب، فبقيَت له في القلبِ ذكرى يفوحُ بين الحينِ والحينِ شَذاها، ورغبةٌ في الاطِّلاعِ على مزيدٍ من لفتاتِه ولطائفِه يشعُّ بعدَ سِناتِ السِّنينِ سَناها، فكان لذاك ولهذا بعد عونِ اللهِ وتوفيقِه أثرٌ في انطلاقِ الرِّحلة، فابتدأ مركبُ تحقيقِ هذا السِّفرِ الجليلِ المسير، وكانَت غايتُه إحياءَ «لبابِ التَّفاسير»، وقد علمنا أنَّ المرادَ غيرُ يسير، فالطَّريقُ طويل، والحِمْلُ ثقيل، ولكنَّ لذّةَ العبادةِ تهوِّنُ القيامَ على النّاسك، وغنائمُ الرِّحلةِ تدعو المغامرَ لاجتيازِ المهالك، فجدَّدنا العزمَ وحرَّرنا النِّيَّة، وطلبنا من الله عونَه وتوفيقَه؛ فعونُ الله لمَن ابتغى وجهَه خيرُ رفيق، وتوفيقُه

خيرُ دليلٍ في مجاهلِ الطَّريق؛ فقد آنَ لـ«لبابِ التَّفاسير» أن يبصرَ بعد الظَّلامِ نوراً، ويُنشَرَ بين النّاسِ بعد أن كان في ضيقِ المكتباتِ محشوراً، وحُقَّ له أن يخرجَ بعد أن يُنفَضَ عنه الغبار، وتُهتَكَ دونَ نفيسِ معدنِه الحُجُبُ والأستار، علَّه يكشفُ عن مكانةِ مصنِّفِه، ويرفعُ الظُّلمَ الَّذي ألحقَه الجهلُ والوهمُ به وبمؤلِّفِه.

وقد بذلنا ما استطعنا من جهدٍ لإخراجِ هذا الكتابِ في صورةٍ تُرضي صاحبَه، وتسرُّ طالبَه، وتضعُه في المكان الذي يليقُ به بين كتبِ التَّفسير والتَّأويل، والموضعِ الذي يستحقُّه بين أسفارِ تراثنا الجليل.

وأخيراً فلا يَفوتُنا أن نتوجَّهَ بالشُّكرِ الجزيل لكلِّ مَن ساهمَ في إخراجِ هذا الكتاب، وهم الأخوةُ الكرامُ في (دار اللُّباب) الذين عملوا على نسخِه ومقابَلَتِه وإخراجِه، ولم يدَّخروا جهداً في مساعدتِنا على تجاوزِ محنٍ وصعوباتٍ رافقَت عملنا فيه، ما كانَت مراتُها تزيدُ على ما رافقَها من حلاوةِ جميلِ لطفِ الله الكريمِ الوهّاب، وكريمِ وفاءِ الأهلِ والأحبابِ، وما كنّا لنَجوزها وصولاً إلى هذه المرحلة في إخراج الكتاب، لولا عونُ الله المنان، ثمَّ مساعدةُ هؤلاءِ الإخوان، وما استخدامي لضمير الجمع أحياناً إلا تعبيراً عن إقراري بأنَّ جهدَهم لا يقلُّ عن جهدي، فنحن جميعاً شركاءُ هنا في هذا الفضل، ونسألُ الله أن يجعلنا شركاءَ هناك في الأجر، وأخصُّ بالشُّكر أيضاً الأستاذ أبا مالك أنس عبود، والأستاذَ والأخ أبا أسامة ماهر حبوش، والأخ الأستاذ أبا محمد جمال فارس، والأخ الأستاذ خالد ياسين علوان على حسن إخراجه للكتاب، فقد كان كلٌّ منهم لي يداً تنفعني وجناحاً يرفعني، ثم الشكرُ موصولٌ لدارِ اللُّبابِ، وصاحِبها الذي كان لي أخاً لم تلده أُمِّي؛ أبي عبد الله محمد خَلُّوف العبدالله.

واللهَ نسألُ أن يرزقَنا في هذا العملِ الإخلاصَ لوجهِه الكريم، ويُعظمَ لكلِّ مَن ساهمَ فيه الأجرَ والثَّواب، وينفعَ به مَن طالعَه من أهلِ العلمِ والطُّلّاب، ويكتبَ له عنده وعندهم القَبول، إنَّه أكرمُ مسؤول.

وصلِّ اللَّهمَّ على نبيِّنا محمَّد وآلِه الطَّيِّبين، وأصحابِه الغُرِّ الميامين، وآخرُ دعوانا أنِ الحمدُ لله ربِّ العالمين.

وكتبه

محمد عبد الحليم بَعّاج

دمشق الشام

٤/ ذو الحجة/ ١٤٤٢هـ

١٣/ ٧/ ٢٠٢١م

***

لمحةٌ عن تطوُّرِ علمِ التَّفسيرِ قبلَ تاجِ القرّاءِ الكَرْمانيِّ

أنزلَ اللهُ تعالى كتابَه على رسولِه، وتكفَّلَ له بحفظِه وبيانِه، فقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، وقال: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٧ ـ ١٩]، وكلَّفَه سبحانه وتعالى بتبيينِه للنّاسِ فقال: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤].

فكان كتابُ الله سبحانه وتعالى بيِّناً عند نبيِّه ـ صلوات الله عليه ـ بما عرفَ من لسانِ قومِه، وبما أكرمَه الله من بيانِ كتابِه، وكان الصَّحابةُ ـ رِضوانُ الله عليهم ـ يفهمونَ القرآن؛ لأنَّه نزل بلغتِهم، ولأنَّهم سمعوا بعضَ بيانِه من نبيِّهم، فقد كان القرآنُ الكريمُ ينزلُ في هذا الشَّأنِ أو ذاك، فيُتبعُه رسولُ الله ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ ببيانٍ قوليٍّ أو فعليٍّ يوضِّحه، فحينَ نزل قولُه تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢] شقَّ ذلك على أصحابِ رسولِ الله رِضوان الله عليهم، وقالوا: أيُّنا لم يظلمْ نفسَه؟ فقال رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ مبيِّناً مرادَ ربِّه في كتابِه: «ليسَ كما تَظنُّونَ، إنَّما هوَ كما قالَ لُقمانُ لابنِهِ: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]؟»[1].

وعن عقبةَ بنِ عامرٍ قال: سمعتُ رسولَ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ يقولُ

---

(١) رواه البخاري (٦٩٣٧)، ومسلم (١٢٤)، والإمام أحمد في المسند (٤٢٤٠).

وهو على المنبرِ: «﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠]؛ ألا وإنَّ القُوّةَ الرَّميُ»[1].

وقد أفردَت كثيرٌ من كُتبِ السُّنّةِ بابًا للتَّفسيرِ المرويِّ عن النَّبيِّ صلوات الله عليه، وشاعَ في عصرِنا مصطلحُ (التَّفسيرِ النَّبويِّ)[2].

وقد كان رسولُ الله ـ صلواتُ الله عليه وسلامُه ـ حريصاً على بيانِ كلِّ ما يدخلُ في صميمِ الحياةِ العمليّةِ لأصحابِه، ويتوقَّفُ عليه تسديدُ خُطاهم في هذه الحياة؛ ليكونُوا النَّموذجَ الأسمى للأجيالِ القادمة، لكنَّ العقلَ البشريَّ له استفساراتُه وتساؤلاتُه، فيما يراه ويَغيبُ عنه، وفيما يدركُه وما يعجِزُ عنه، وفيما ينفعُه ويضرُّه، وكثيراً ما يدفعُه الفضولُ أو الرَّغبةُ في الاطِّلاعِ على مجهولٍ إلى أسئلةٍ لا خيرَ له في معرفةِ الإجابةِ عنها، ولقد نزلَ القرآنُ موجزاً مُجملاً حمّالَ أوجهٍ، ففتحَ لهذا العقلَ أبوابَ التَّساؤلات، وتركَ له أن يكتشفَ مع تطوُّرِه ومرورِ الزَّمنِ الإجابات، لكنَّ الله

---

(١) رواه مسلم (١٩١٧)، والإمام أحمد في المسند (١٧٤٣٢).

(٢) قدَّم الدكتور خالد بن عبد العزيز الباتلي رسالة دكتوراه في جامعة الإمام بالرياض بعنوان: «التَّفسير النَّبويُّ مقدِّمة تأصيليّة مع دراسة حديثيّة لأحاديث التَّفسير النَّبويِّ الصَّريح»، وقد طبعت في دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع في الرياض عامَ ١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م. وقد استخدم هذا المصطلح كثير من الباحثين المعاصرين مثل: د. مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار في كتاب: «مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر»، و د. عبير بنت عبد الله النعيم في دراسة بعنوان: «قواعد الترجيح المتعلقة بالنص عند ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير ـ دراسة تأصيلية تطبيقية»، وأحمد عمر أبو شوفة في كتاب: «المعجزة القرآنية حقائق علمية قاطعة»، د. عبد الرحمن بن معاضة الشهري في دراسة بعنوان: «الشاهد الشعري في تفسير القرآن الكريم أهميته، وأثره، ومناهج المفسرين في الاستشهاد به».

ـ سبحانه وتعالى ـ نهاه أن يلقيَ نفسَه في غياهبِ المجاهلِ والظُّلمات، فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ وَإِن تَسۡـَٔلُواْ عَنۡهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلۡقُرۡءَانُ تُبۡدَ لَكُمۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهَاۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ [المائدة: ١٠١].

وقالَ رسولُ اللهِ صلَّى الله عليه وسلَّم: «ذَرُوني ما تَرَكتُكُم؛ فإنَّما أهلَكَ مَن كانَ قَبلَكُم كَثرةُ سُؤالِهِم، واختِلافُهُم عَلى أنبيائِهِم»(١).

ولقد تأدَّبَ الصَّحابةُ ـ رِضوانُ الله عليهم ـ بما أدَّبَهم به ربُّهم، وانتصحُوا بما أرشدَهم إليه نبيُّهم، فتمسَّكُوا بكتابِ ربِّهم، وتركُوا أمرَ بيانِه لنبيِّهم، وأعرضُوا عن المسألةِ التي يمكنُ أن تكونَ سبباً في عَنَتٍ وتشديدٍ، فعن أنسٍ ـ رضيَ الله عنه ـ قال: كُنّا نُهِينا أن نسألَ رسولَ اللهِ ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ عن شيءٍ، وكانَ يُعجِبُنا أن يَجيءَ الرَّجلُ من أهلِ الباديةِ العاقلُ، فيسألَه ونحنُ نَسمعُ(٢).

فلمّا التحقَ رسولُ الله بالرَّفيقِ الأعلى كانت مواقفُ علماءِ الصَّحابةِ من تفسيرِ كتابِ الله مُتبايِنةً؛ فمنهم مَن كان يُعظِمُه ويتوقَّفُ عنه تورُّعاً، ويدلُّ لذلك ما رُويَ عن أبي بكرٍ الصِّدِّيقِ رضيَ الله عنه: أنَّه سُئلَ عن آيةٍ فقال: أيُّ أرضٍ تُقلُّني، وأيُّ سماءٍ تُظلُّني، إذا قلتُ في القرآنِ ما لا أعلمُ(٣)؟

وقال عُبيدُ اللهِ بنُ عمرَ: لقد أدركتُ فقهاءَ المدينة، وإنَّهم ليُعظِمونَ القولَ في التَّفسيرِ(٤).

---

(١) رواه مسلم (١٣٣٧).

(٢) رواه مسلم (١٢)، والإمام أحمد في المسند (١٢٤٥٦).

(٣) رواه الإمام مالك في «الموطأ» (٢٠٧٩).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٧٩).

وكان سعيدُ بنُ المسيَّبِ إذا سُئلَ عن الحلالِ والحرامِ تكلَّم، وإذا سُئلَ عن التَّفسيرِ سكتَ؛ كأنَّه لا يسمعُ(١).

وكانَ مسروقٌ يقولُ: اتَّقوا التَّفسيرَ؛ فإنَّما هو الرِّوايةُ عن الله عزَّ وجلَّ(٢).

وكانَ الشَّعبيُّ يقولُ: واللهِ ما مِن آيةٍ إلا قد سألتُ عنها، ولكنَّها الرِّوايةُ عن اللهِ(٣).

وكان من علماءِ الصَّحابةِ مَن يتكلَّمُ في كتابِ الله بما تستدعيه الحاجة، ويتوقَّفُ عليه العملُ، وينهى عمّا سوى ذلك، وكان على رأسِ هؤلاءِ عمرُ بنُ الخطّاب رضي الله عنه، فعن أنسِ بنِ مالكٍ: أنَّه سمعَ عمرَ ـ رضيَ الله عنه ـ يقول: قال الله: ﴿وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾ [عبس: ٢٨ ـ ٣١]، كلُّ هذا قد علمناه، فما الأبُّ؟ ثمَّ ضربَ بيدِه، وقال: لعمرُكَ إنَّ هذا لهو التَّكلُّفُ، اتَّبعوا ما يتبيَّنُ لكم في هذا الكتابِ... وما لا فدعُوه(٤).

وكان في الصَّحابةِ في المقابلِ مَن رأوا أنَّ مِن تعظيمِ القرآنِ فهمَ معانيه، وبيانَ مَراميه، وكشفَ المكنونِ من علومه، وتسليطَ الضَّوءِ على المخزونِ من فنونه، وكان عبدُ الله بنُ مسعودٍ ـ رضيَ الله عنه ـ يقول: مَن أرادَ العلمَ فليُثوِّرِ القرآنَ؛ فإنَّ فيه علمَ الأوَّلينَ والآخِرين(٥).

وقد استجابَ كثيرٌ من العلماءِ في عصرِ الصَّحابةِ ـ رضيَ الله عنهم ـ ومَن بعدهم لهذه الدَّعوة، فكان علمُ التَّفسيرِ أوَّلَ علومِ القرآنِ ميلاداً، وأسبقَها عهداً،

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٨٠).

(٢) رواه أبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص: ٣٧٧).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٨١).

(٤) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣/ ٣٩٣)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٢٣).

(٥) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٨٦٦٦)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٢٣).

وكان لعليِّ بنِ أبي طالبٍ ـ رضيَ الله عنه ـ فيه قَصَبُ السَّبق؛ فهو القائلُ: لو أردْتُ أن أُمليَ وِقرَ بعيرٍ على الفاتحةِ لفعلتُ[1].

وكان عبدُ الله بنُ عبّاسٍ ـ رضيَ الله عنهما ـ حبرَ الأُمّة وبحرها، الذي اختصَّ بالتَّفسيرِ وعلمِ التَّأويلِ فيها[2]، وقد قال فيه عبدُ الله بنُ مسعود: نِعمَ ترجمانُ القرآنِ عبدُ الله بنُ عبّاس[3].

وقال الإمامُ المفسِّرُ ابنُ عطيّةَ (ت: ٥٤٢هـ): فأمّا صدرُ المفسِّرينَ والمؤيَّدُ فيهم فعليُّ بنُ أبي طالب، ويتلوه ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما، وهو تجرَّدَ للأمرِ وكمَّلَه وتتبَّعَه، وتَبِعَه العلماءُ عليه؛ كمجاهدٍ وسعيدِ بنِ جُبيرٍ وغيرهما[4].

وهكذا صارَ تفسيرُ كتابِ الله تعالى عِلماً له قواعدُه ومختصُّوه، وأصبحَ الغايةَ التي يطمحُ لها كثيرٌ من العلماء، وقد وقفَ كثيرٌ منهم دونَ هذه الغاية؛ لأنَّهم قيَّدوا أنفسَهم بضوابطَ متينة، جعلوها حِصناً يُبعدُ مَن لا يجدُ في نفسِه الثِّقةَ والعزيمةَ عن الخوضِ في كتابِ الله، فقد عدَّ الإمامُ أبو القاسمِ محمَّدُ بنُ أحمدَ؛ ابنُ جُزيٍّ الكلبيُّ

---

(١) انظر: «البرهان في علوم القرآن» للزركشي (١/ ٨)، و«إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري» للقسطلاني (٧/ ٤٥٩).

(٢) وقد جمع العلاّمة مجد الدين الفيروزآبادي ما رُوي عن ابن عبّاس ـ رضي الله عنهما ـ في كتاب سمّاه «تنوير المقباس من تفسير ابن عبّاس»، وهو مطبوع متداول، ولكن ينبغي التَّنبُّه إلى خطورة الاعتماد عليه؛ فالفيروزآبادي ـ رحمه الله وغفر له ـ اعتمد على رواية محمَّد بن مروان عن الكلبيِّ عن أبي صالح عن ابن عبّاس، وقد قال السُّيوطيُّ في «الإتقان» (٤/ ٢٣٩): إنَّ أوهى الطُّرق عن ابن عبّاس طريق الكلبيِّ عن أبي صالح عنه، فإن انضمَّ إلى ذلك رواية محمَّد بن مروان السُّدِّيِّ الصَّغير فهي سلسلة الكذب.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٨٤).

(٤) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (١/ ٤١).

(ت: ٧٤١هـ) اثني عشرَ فنًّا من العلومِ يستدعيها الكلامُ على كتابِ الله[١].

أمّا تدوينُ التَّفسيرِ فقد بدأ في أواخرِ عهدِ بني أُميّةَ وأوائلِ عهدِ بني العبّاس، إذ كان بابًا من أبوابِ الحديثِ التي حظيَ تدوينُها باهتمامِ العلماء، ولكنَّ التَّفسيرَ في هذا العصرِ لم يُفرد له تأليفٌ خاصٌّ يُفسَّرُ فيه القرآنُ سورةً سورة، وآيةً آية، من مَبدئِه إلى مُنتهاه.

ثمَّ جاءَ مَن أفردَ التَّفسيرَ بالتَّأليف، وجعلَه عِلمًا قائمًا بنفسِه منفصلًا عن الحديث، ففسَّرَ القرآنَ حسبَ ترتيبِ المصحف، ويُعدُّ تفسيرُ الإمامِ سُفيانَ بنِ سعيدٍ الثَّوريِّ (ت: ١٦١هـ) من أقدمِ التَّفاسيرِ التي وصلَت إلينا، وتفسيرُه محاولةٌ لجمعِ الرِّواياتِ المتعلِّقةِ بتفسيرِ بعضِ الآيات، وقد اشتملَ على (٩١١) رواية، ويظهرُ منهجُه في التَّفسيرِ فيما رُويَ عن عبدِ الرَّحمنِ بن مهدي أنَّه قال: كان سُفيانُ يأخذُ المصحف، فلا يكادُ يمرُّ بآيةٍ إلّا فسَّرها، فربَّما مرَّ بالآية؛ فيقول: أيُّ شيءٍ عندكَ في هذه؟ فأقول: ما عندي فيها شيء، فيقول: تضيعُ مثلُ هذه، لا يكونُ عندكِ فيها شيء[٢]!

وقد سارَ الإمام عبدُ الرَّزّاقِ بنُ همّامِ الصَّنعانيُّ (ت: ٢١١هـ) على هذا المنهج، وتركَ تفسيراً واسعاً[٣].

وقد حاولَ العلماءُ في هذه الطَّريقةِ أن يُفسِّروا القرآنَ اعتماداً على ما أُثِرَ عن السَّلفِ من روايات، وقد سُمِّيت هذه الطَّريقةُ التَّفسيرَ بالمأثور، وصارت منهجاً

---

(١) انظر: «التسهيل لعلوم التنزيل» لابن جُزي (١/ ١٥).

(٢) انظر: «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (١/ ١١٦).

(٣) وهو مطبوع بتحقيق أ. د. مصطفى مسلم، وصدر عن مكتبة الرشد بالرياض عام ١٤١٠هـ.

واضحاً سارَ عليه جملةٌ من العلماءِ فيما بعدُ، ولا يزالُ لهذه الطَّريقةِ حضورُها في عصرنا هذا[1].

وقد تميَّزَت هذه الطَّريقةُ في بدايةِ الأمرِ بالإسناد، ولكن جاء بعد ذلك جماعةٌ من المفسِّرينَ لم يتجاوزوا حدودَ التَّفسيرِ بالمأثور، ولكنَّهم اختصرُوا الأسانيدَ، وجمعُوا شتاتَ الأقوالِ دونَ أن ينسبُوها إلى قائليها، وبهذا التبسَ الأمر، ولم يتميَّزِ الصَّحيحُ من السَّقيم.

وفي مقابلِ هذه الطَّريقةِ ظهرَت طريقةٌ أُخرى أرادَ فيها جملةٌ من العلماءِ أن يفسِّروا القرآنَ انطلاقاً من اللُّغةِ العربيّة، وممّا وصلَ إلينا من هذه التَّفاسيرِ «معاني القرآن» لأبي زكريّا يحيى بنِ زيادٍ الفرّاءِ (ت: ٢٠٧هـ)، و«مجازُ القرآنِ» لأبي عُبيدةَ معمرِ بنِ المثنَّى (ت: ٢٠٩هـ).

وقد اعتمدَ العلماءُ الَّذين سلكُوا هذه الطَّريقَ في الأساسِ على اللُّغةِ العربيّة، واللُّغةُ علمُ روايةٍ، لكنَّها سوَّغَت لما عُرفَ فيما بعدُ بالتَّفسيرِ بالرَّأي.

ثمَّ جاء شيخُ المفسِّرينَ الإمامُ أبو جعفرٍ ابنُ جريرٍ الطَّبريُّ (ت: ٣١٠هـ)، فجمعَ كثيراً من الرِّواياتِ بالإسنادِ إلى رسولِ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وإلى الصَّحابةِ والتَّابعينَ وتابعيهم، مع النَّقدِ والتَّرجيحِ أحيانًا، لكنَّه جمعَ إلى ذلك ما أفاده من كلامِ أئمّةِ اللُّغةِ وأصحابِ المعاني، وأضافَ إليه استنباطَ بعضِ الأحكام، والإعرابَ عندَ الحاجة، فكان كتابُه موسوعةً لعلوم شتَّى، وأصبحَ إماماً لـمَن بعدَه.

---

(١) وقد قام أ. د. حكمت بن بشير بن ياسين بجمع الروايات ودراستها في «موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور»، وطبعت في دار المآثر في المدينة النبوية، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م. وانظر: «بحوث في أصول التفسير ومناهجه» لفهد الرومي (ص: ٧١ و٨٦).

وقد قال الدكتورُ محمَّد الذَّهبيُّ (ت: ١٣٩٨هـ): هذا الكتابُ أعظمُ الكتبِ المؤلَّفةِ في التَّفسيرِ بالمأثور، كما أنَّ ما جاء في الكتابِ من إعراب، وتوجيهاتٍ لُغويّة، واستنباطاتٍ في نواحٍ متعدِّدة، وترجيحٍ لبعضِ الأقوالِ على بعض، كان نقطةَ التَّحوُّلِ في التَّفسير، ونواةً لما وُجِدَ بعدُ من التَّفسيرِ بالرَّأي[١].

ثمَّ كثرَتِ المصنَّفاتُ في علمِ التَّفسيرِ، فلا تكادُ تدخلُ تحتَ حدٍّ وحصر، منها ما طُبعَ في عصرنا، ومنها ما يزالُ مخطوطاً، ومنها المفقود، وقد بلغَ بعضُها من الاتِّساعِ حدًّا يصعبُ تصوُّرُه، فقد ذُكرَ أنَّ تفسيرَ الحافظِ أبي حفصٍ بنِ شاهين (ت: ٣٨٥هـ) في ألفِ جزء، وأنَّ تفسيرَ «أنوار الفجر» لأبي بكرٍ ابنِ العربيِّ (ت: ٥٤٣هـ) كان في ثمانينَ ألفَ ورقة[٢].

وكانَ العلماءُ يُدركونَ عظمةَ كلامِ الله، ومقدارَ عجزِهم عن الإحاطةِ به، فكان سهلُ بنُ عبدِالله (ت: ٢٨٣هـ) يقولُ: لو أُعطِيَ العبدُ بكلِّ حرفٍ من القرآنِ ألفَ فَهمٍ لم يبلغْ نهايةَ ما أودعَه الله في آيةٍ من كتابِه؛ لأنَّه كلامُ الله وكلامُه صفتُه، وكما أنَّه ليسَ لله نهايةٌ، فكذلك لا نهايةَ لفهمِ كلامِه، وإنَّما يفهمُ كلٌّ بمقدارِ ما يفتحُ الله عليه، وكلامُ الله غيرُ مخلوقٍ، ولا تبلغُ إلى نهايةِ فهمِه فُهومٌ محدَثةٌ مخلوقةٌ[٣].

وقد اتَّسعَت في القرونِ الثّالثِ والرّابعِ والخامسِ العلوم، وتمَّ تدوينُها، وتشعَّبَت فروعُها، وكثُرَ الاختلاف، وأُثيرَت مسائلُ الكلام، وظهرَ التَّعصُّبُ المذهبيُّ، واختلطَت علومُ الفلسفةِ العقليّةِ بالعلومِ النَّقليّة، وظهرَت الفِرَقُ الإسلاميّة، وحرصَت كلُّ فرقةٍ

---

(١) انظر: «التفسير والمفسرون» للدكتور محمَّد الذهبي (١/ ١٥٩)، ويُنظر مفهوم التفسير بالرأي ومنهجه في: «بحوث في أصول التفسير ومناهجه» لفهد الرومي (ص: ٧٨).

(٢) انظر: «التفسير والمفسرون» للدكتور محمَّد الذهبي (٢/ ٣٣٠).

(٣) انظر: «البرهان في علوم القرآن» للزركشي (١/ ٩).

منها على دعمِ مذهبِها، فأصابَ التَّفسيرَ من هذا الجوِّ غبارُه، وأصبحَ بعضُ المفسِّرينَ يعتمدونَ في تفسيرِهم على فهومٍ شخصيّة، ويتجَّهونَ اتِّجاهاتٍ متعدِّدة، وأثَّرت في بعضِهم الاصطلاحاتُ العلميّة، والعقائدُ المذهبيّة، والثَّقافةُ الفلسفيّة، واهتمَّ كثيرٌ منهم بحشوِ تفسيرِه بما برزَ فيه من العلومِ الأخرى، وحمَّلَ آخرونَ آياتِ القرآنِ ما لا تتحمَّلُه انتصارًا لمذهبِهم، وردًّا على خصومِهم، وفَقَدَ التَّفسيرُ عند بعضِهم وظيفتَه الأساسيّة؛ فلم يعد يقرِّبُ قارئَه من كتابِ ربِّه، وإنَّما أصبحَ عِلماً يعكسُ جانباً من التَّرفِ الفكريِّ الذي كانت تعيشُه الأمّة، وهكذا أصبحَت كتبُ التَّفسيرِ تحملُ في طيّاتِها الغثَّ والسَّمين، والصّالحَ والفاسد، والنّافعَ والضّارَّ.

كما أنَّ بعضَ التَّفاسيرِ خرجَت إلى أغراضٍ أخرى، وأصبحَت أقربَ إلى فروعٍ أخرى من العلمِ؛ فمسائلُ النَّحوِ في «معاني القرآنِ» للزَّجّاجِ (ت: ٣١١هـ) لا تقلُّ عن أيِّ كتابٍ في النَّحو، وهو رغمَ أنَّه كتابٌ في معاني القرآنِ، لكنَّه مصدرٌ من مصادرِ النَّحو أيضاً[(١)].

والأخبارُ والقصصُ التي أوردَها مقاتلُ بنُ سليمانَ (ت: ١٥٠هـ) في «تفسيرِه» عن بني إسرائيلَ كثيرٌ منها تثيرُ في النَّفسِ ما تُثيرُه القصصُ من الدَّهشةِ، لا ما يقودُ إليه كلامُ الله من الإيمانِ والهُدى[(٢)].

---

(١) وقد تفاقم هذا الاتجاه بعد القرن السادس، فيجد الباحث أنَّ المسائلَ العقليّةَ التي ناقشها الرازي (ت: ٦٠٦هـ) في «مفاتيح الغيب» لا تقلُّ عنها في كتب علم الكلام، ومسائلَ الفقهِ وأدلَّتَها التي عرضها الإمام القرطبيُّ (ت: ٦٧١هـ) في «الجامع لأحكام القرآن» لا تقلُّ عن نظائرها في كتب الفقه الموسَّعة.

(٢) وقد نقل تاج القراء الكرماني بعض هذه الأخبار مقدِّماً بعبارة: (ذُكِرَ في القصصِ) أو (جاء في القصصِ)، كما فعل في تفسير قوله تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ﴾ [البقرة: ٢٥٩].

كما أنَّ كثيراً من المعاني التي أوردَها أبو القاسمِ القُشيريُّ (ت: ٤٦٥هـ) في «لطائفِ الإشاراتِ» إنَّما هي مواجيدُ وفُهوماتٌ، وليست تفسيراً للقرآن.

وثمّةَ أمرٌ آخرُ، وهو أنَّ بعضَ أصحابِ المذاهبِ الباطلةِ والأقاويلِ المنحرفةِ لجؤوا إلى التَّفسيرِ؛ لنصرةِ مذاهبِهم، ونشرِ مقالاتِهم؛ فمَن يطالعْ تفسيرَ الشِّيعيِّ يجدْ آياتِ العذابِ تتَّجهُ لمن خالفَ آلَ البيتِ، وآياتِ الرحمةِ والبشارةِ تتَّجهُ للأئمّةِ المعصومين في زعمِه ومن ساندَهم[1]، ومَن يطالعْ تفسيرَ المعتزليِّ يجدْ أنَّه لا يفوِّتُ فرصةً ليدسَّ دسيسةَ اعتزالٍ إلّا استغلَّها، حتَّى قال أبو حيّان الأندلسيُّ (ت: ٧٤٥هـ) في الزَّمخشريِّ (ت: ٥٣٨هـ): ما أولعَ هذا الرَّجلَ بمذهبِ الاعتزالِ، يدسُّه متى أمكنَه في كلِّ ما يتكلَّمُ به[2].

وقد بلغَ علمُ التَّفسيرِ في القرنِ الخامسِ حالةً من النُّضجِ والتَّطوُّرِ والزَّخمِ ليسَت مسبوقةً، فظهرَ عددٌ من العلماء أفرغوا جهوداً عظيمةً في تفسيرِ القرآنِ وعلومِه، ومن هؤلاء:

ـ أبو بكرٍ محمَّدُ بنُ الحسنِ بن فُوركَ الأنصاريُّ الأصبهانيُّ (ت: ٤٠٦هـ)، وله تفسيرٌ عُرفَ بـ: «تفسيرِ ابنِ فورك»، وقد طُبعَت منه ثلاثةُ مجلَّداتٍ.

ـ أبو إسحاقَ أحمدُ بنُ إبراهيمَ الثَّعلبيُّ (ت: ٤٢٧هـ)، وله كتابٌ كبيرٌ في التَّفسيرِ

---

(١) انظر: «اختلاف المفسرين: أسبابه وآثاره» للدكتور سعود بن عبد الله الفنيسان (ص: ٥٢). وقد نقل تاج القراء الكرماني بعض أقوال هؤلاء، من مثل قولِ بعضهم في تفسير قوله تعالى: ﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ﴾ [الشورى: ١ ـ ٢]: الحاءُ حربُ عليٍّ ومعاويةَ، والميمُ ولايةُ المروانيَّةِ، والعينُ ولايةُ العبَّاسيَّةِ، والسِّينُ ولايةُ السُّفيانيَّةِ، والقافُ قدرةُ مهديٍّ. ثم قال: **أردْتُ بذكرِ ذلك أن يُعلمَ أنَّ في مَن يدَّعي العلمَ أيضًا حمقَى.**

(٢) انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (١٠/ ٤٣٦).

سمّاه: «الكشفَ والبيانَ عن تفسيرِ القرآن»، وقد طُبِعَ في ثلاثةٍ وثلاثين مجلَّداً.

ـ أبو الحسنِ عليُّ بنُ إبراهيمَ بنِ سعيدٍ الحُوفيُّ (ت: ٤٣٠هـ)، وله كتابٌ في التَّفسيرِ سمّاه: «البرهانَ في تفسيرِ القرآن»، طُبِعَ منه مجلَّد.

ـ أبو محمَّدٍ مكيُّ بنُ أبي طالبٍ القيسيُّ القيروانيُّ ثم الأندلسيُّ القرطبيُّ المالكيُّ (ت: ٤٣٧هـ)، وله كتابٌ في التَّفسيرِ سمّاه: «الهدايةَ إلى بلوغِ النِّهايةِ في علمِ معاني القرآنِ وتفسيرِه، وأحكامِه، وجُملٍ من فنونِ علومِه»، وقد طُبِعَ في ثلاثةَ عشرَ مجلَّداً.

ـ أبو الحسنِ عليُّ بنُ محمَّدٍ البصريُّ البغداديُّ الشّافعيُّ الشَّهيرُ بالماورديِّ (ت: ٤٥٠هـ)، وله كتابٌ في التَّفسيرِ سمّاه: «النُّكتَ والعيونَ»، وقد طُبِعَ في ستّةِ مجلَّدات.

ـ أبو القاسمِ عبدُ الكريمِ بنُ هوازنَ بنِ عبدِ الملكِ القُشيريُّ الصُّوفيُّ (ت: ٤٦٥هـ)، وله تفسيرٌ سمّاه: «لطائفَ الإشاراتِ»، وقد طُبِعَ في ثلاثةِ مجلَّدات.

ـ أبو الحسنِ عليُّ بنُ أحمدَ بنِ محمَّدِ بنِ عليٍّ الواحديُّ النَّيسابوريُّ الشّافعيُّ (ت: ٤٦٨هـ)، وله تفاسيرُ، منها: «البسيطُ»، وهو تفسيرٌ كبيرٌ طُبِعَ في خمسةٍ وعشرينَ مجلَّداً، و«الوسيطُ»، وقد طُبِعَ في أربعةِ مجلَّدات، و«الوجيزُ»، وقد طُبِعَ في مجلَّدين.

ـ أبو بكرٍ عبدُ القاهرِ بنُ عبدِ الرَّحمنِ بنِ محمَّدٍ الفارسيُّ الأصلِ، الجرجانيُّ الدّارِ (ت: ٤٧١هـ)، وله تفسيرٌ سمّاه: «درجُ الدُّررِ في تفسيرِ الآيِ والسُّور»، وقد طُبِعَ في أربعةِ مجلَّدات.

ـ أبو المظفرِ منصورُ بنُ محمَّدٍ المروزيُّ السَّمعانيُّ التَّميميُّ الحنفيُّ ثم الشّافعيُّ (ت: ٤٨٩هـ)، وله تفسيرٌ عُرِفَ بـ: «تفسيرِ السَّمعانيِّ»، وقد طُبِعَ في ستّةِ مجلَّدات.

ـ أبو القاسمِ الحسينُ بنُ محمَّدٍ المعروفُ بالرّاغبِ الأصفهانيِّ (ت: ٥٠٢هـ)، وله تفسيرٌ عُرِفَ بـ: «تفسيرِ الرّاغبِ الأصفهانيِّ»، وقد طُبِعَ منه خمسةُ مجلَّدات.

فإذا ما نبَّهنا إلى أنّا لم نذكر فيما مضى إلا ما وقفنا عليه من المطبوعِ من تفاسيرِ علماءِ هذا القرن، تبيَّنَ لنا أنَّ علمَ التَّفسيرِ بلغَ حالةً من الزَّخمِ نادرة، فلم يعد البحثُ عن المشهورِ المعروفِ كافياً.

وقد وقفَ تاجُ القُرّاءِ الكرمانيُّ على هذا الكمِّ الهائلِ من التَّفاسير، وحاولَ أن يجمعَ أقوالَ المفسِّرينَ ويُهذِّبُها، ويلتقطَ من كتبِ التَّفاسيرِ كلَّ غريبٍ وعجيبٍ، وقد تركَ تفسيرين؛ التَّفسيرَ الموسومَ بـ«غرائبِ التَّفسيرِ وعجائبِ التَّأويل»، وقد طُبِعَ في مجلَّدين، والأصلَ الذي أخذَ منه الكَرمانيُّ ذلك الكتاب، وهو: «لُباب التَّفاسيرِ»، وهو هذا الكتاب.

* * *

عصرُ الكَرمانيِّ

لاشكَّ أنَّ الإنسانَ ابنُ الظُّروفِ التي يعيشُها، فهو يتأثَّرُ بالبيئةِ المحيطةِ به؛ أرادَ ذلكَ أو لا؛ علمَ به أو لم يَعلَم، ولذلك كانَ تسليطُ الضَّوءِ على البيئةِ التي عاشَها أيُّ عَلَمٍ منَ أعلامِ التّاريخِ والتَّعرُّفُ على الأوضاعِ التي كانَت سائدةً في عصرِه مفتاحاً للكشفِ عن جوانبَ كثيرةٍ من شخصيَّتِه وإنتاجِه، وعقليَّتِه ومنهجِه، ومن هنا جرَت عادةُ الباحثين في حياةِ شخصيّةٍ من شخصيّات التّاريخِ أو تراثِها أن يُقدِّموا بين يدي دراستِهم لمحةً تكشفُ عن العصرِ الذي عاشَت فيه تلك الشَّخصيّةُ من النَّواحي السِّياسيّةِ والاجتماعيّةِ والعلميّةِ والثَّقافيّة.

أوّلاً ـ الحياةُ السِّياسيّةُ:

تؤثِّرُ الحياةُ السياسيّةُ في مكانٍ ما وزمانٍ ما في كثير من الأحيانِ على حياةِ النّاسِ عامّةً والعلماءِ خاصّة؛ لأنَّ الواقعَ السِّياسيَّ غالباً ما يُفرزُ أنماطاً من التَّربية، ويُسوِّقُ لجملةٍ من الأفكارِ والعقائد، فالواقعُ السِّياسي يحاولُ صبغَ المجتمعِ بصبغتِه الخاصّة، والمجتمعُ غالباً ما يُلقي بشيءٍ من ذلك على أفرادِه، فيؤثِّرُ ذلك في حياتِهم الاجتماعيّة، ويؤثِّرُ في تحصيلِهم العلميِّ وإنتاجِهم الثَّقافيِّ.

وقد قضى تاجُ القرّاءِ الكرمانيُّ معظمَ حياتِه في القرنِ الخامسِ الهجريِّ، وقضى آخرَها في صدرِ القرنِ السّادسِ، وهذه الفترةُ من تاريخِنا ما هي إلا جزءٌ ممّا اصطُلِحَ على تسميتِه بالعصرِ العباسيِّ الثّاني.

وإن كانَ العصرُ العباسيُّ قد جاء فتحوَّلَت معه الخلافةُ إلى خلافاتٍ، والدَّولةُ إلى دولٍ ودويلاتٍ، فإنَّ العصرَ الأوَّلَ منه قد امتازَ بالقوّةِ والاستقرارِ والتَّقدُّمِ الحضاريِّ، أمّا العصرُ الثّاني منه فامتازَ بالضَّعفِ والقلقِ في الجانبِ السِّياسيِّ، لكنَّ رَكْبَ الحضارةِ خالفَ التَّوقُّعات، وواصلَ تقدُّمَه فيه وإن لم يخلُ من العراقيلِ والعثراتِ.

وقد شهدَ هذا العصرُ خسارةَ الدَّولةِ العربيّةِ الإسلاميّةِ هيبتَها، فبدأت الحملاتُ الصَّليبيّةُ الآثمةُ سنةَ ٤٨٩هـ، وتمكَّنَ الصَّليبيُّون من دخولَ بيتِ المقدسِ سنةَ ٤٩٢هـ، فظلموا العبادَ والبلاد، وعاثوا في الأرضِ الفساد[1].

وقد اضطربَ شأنُ خلفاءِ بني العبّاسِ في هذا العصرِ، فأصبحوا بعدَ العزِّ والمَنَعةِ كالأسرى في قصورِهم، لا يدرونَ متى يُمكَرُ بهم؛ فيُقتلون، أو يُخلعون، أو تُكحَلُ عيونُهم بالنّار، ويُرمَون في الحبس.

ولم يكن ذلك نتيجةَ تسلُّطِ أعدائِهم عليهم، لكنَّه نتيجةُ ما فعلَه خلفاؤُهم أنفسُهم، فقد بدأ ضعفُ هذه الدَّولةِ من دارِ الخلافةِ نفسِها؛ فسُنّةُ اعتمادِ العبّاسيِّين على قادةٍ أقوى من الخليفةِ نفسِه انتهَت بسيطرةِ بعضِ رجالِ الدَّولةِ على السُّلطةِ، فأنشؤوا دولاً إقليميّةً محيطةً بالدَّولةِ العبّاسيّةِ، ثم ما لبثَ مركزُ الخلافةِ أن خضعَ لسيطرةِ دولٍ حكمَت البلادَ والعبادَ باسمِ خليفةٍ تحكمُه ولا يحكمُها.

وسُنةُ قتلِ الخلفاءِ التي سنَّها طاهرُ بنُ الحسينِ قائدُ جيشِ المأمونِ عندما قتلَ الأمينَ في دار السَّلامِ تفاقمَت وتعاظمَت مع الأيّامِ حتى قالَ ابنُ حِبّانَ في ترجمةِ

---

(١) انظر: «البداية والنهاية» لابن كثير (١٦/ ١٦٨)، و«تاريخ الإسلام السياسي» لحسن إبراهيم حسن (٤/ ٢٤٥).

المطيعِ لله ابنِ المقتدرِ: «هو باقٍ! لا أدري ما اللهُ صانعٌ به، إلا أنَّه خليفةٌ يموتُ أو يُقتلُ لا محالةَ؛ لأنَّ له أسوةً بمَن فقدَهم»(١).

وليسَت هذه النَّظرةُ التَّشاؤميّةُ من ابن حِبّانَ بغريبةٍ؛ ففي هذا العصرِ انطلقَت الدَّولةُ البُويهيّةُ التي بدأت أوَّلَ أمرِها بالسَّيطرةِ على كرمانَ وسجستانَ والأهوازِ، ولم تنتهِ طموحاتُ قادتِها إلا بالاستيلاءِ على بغدادَ، ووضعِ الخلافةِ العبّاسيّةِ تحتَ جناحِها، حيث عادَ أحمدُ بنُ بويه الدَّيلميُّ(٢) إلى بغداد، فاستقبلَه المستكفي، وجعلَه أميرَ الأمراء، لكنَّه انقلبَ عليه، وخلعَه من الخلافة، وأمرَ به، فسُمِلَتْ عيناه وحُبس، ومالَ للفضلِ بن المقتدرِ، فبايعَه بالخلافةِ سنةَ ٣٣٤هـ، فتسمَّى المطيعَ لله، ولكنَّ ابنُ بويه هو الذي سلَّمَه الخلافةَ، وأجلسَه على سريرِ الملكِ، فكان عاجزاً أمامَه، وكان السُّلطانُ لابنِ بُويه(٣)، وهكذا أصبحَت الخلافةُ العبّاسيّةُ رهينةً بيدِ البُويهيِّين، وسقطَت في هوّةٍ سحيقةٍ تختلفُ عن الإخفاقاتِ السّابقةِ كلِّها، فقد كان بنو بُويه ومَن معهم من الدَّيلمِ قُساةً في طباعِهم، غُلاة في تشيُّعِهم، وقد عاصرَ هذه المرحلةَ من تاريخِ الدَّولةِ العبّاسيّةِ من المؤرِّخينَ المسعوديُّ (ت: ٣٤٦هـ)، فأهملَ ذكرَ جملةً من خلفاءِ بني العبّاسِ، وقالَ: «ولم نعرضْ لوصفِ أخلاقِ المتَّقي والمستكفي

(١) انظر: «الثقات» لابن حبان (٢/ ٣٣٦).

(٢) هو معزُّ الدولة أحمد بن بويه، أبو الحسن، من سلالة سابور الساساني، فارسي الأصل، أبوه صياد سمك، وكان هو حطاباً في صغره، ثم ملك هو وأخواه عماد الدولة وركن الدولة البلاد، تولى أول أمره كرمان وسجستان والأهواز، ثم امتلك بغداد سنة ٣٣٤هـ في خلافة المستكفي، ودام ملكه في العراق أزيد من ٢٠ سنة، وكان يتشيَّع، توفي ببغداد سنة ٣٥٦هـ. انظر: «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٦/ ١٨٩).

(٣) انظر: «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٥/ ١١٣)، و«الوافي بالوفيات» للصفدي (٤/ ٢٤٥).

والمطيعِ ومذاهبِهم؛ إذ كانوا كالـمُولَّى عليهم، لا أمرَ ينفذُ لهم... تفرَّدَ بالأمورِ غيرُهم، فصاروا مقهورينَ خائفين، قد قنعُوا باسمِ الخلافة، ورضوا بالسَّلامة»[(١)].

وقد بقيَت دولةُ بني بُويه أزيدَ من قرنٍ من الزَّمنِ إلى أن سقطَت على أيدي السَّلاجقةِ سنةَ (٤٤٧هـ).

وكان السَّلاجقة من أهل السُّنة، وكان أشهرُ قادتِهم، ومؤسِّسُ دولتِهم، طُغْرُلْبك[(٢)]، فهو الذي هزمَ جيشَ الدَّولةِ الغزنويّةِ سنةَ (٤٣١هـ)، واستولى على بلادِ خراسانَ، ثم واصل السَّلاجقةُ زحفَهم حتَّى استولوا على أكثرِ بلادِ فارس، وطردوا عنها بني بُويه، وعندما أظهرَ أرسلانُ بنُ عبد الله البساسيريُّ (ت: ٤٥١هـ) ما كان عند البويهيِّين من ميلٍ للباطنيّة، وحاولَ أن ينقلبَ على الخلافةِ العباسيّة، وخطبَ للمستنصرِ الفاطميِّ سنةَ ٤٥٠هـ، استنجدَ الخليفةُ العباسيُّ القائمُ بأمرِ اللهِ (ت: ٤٦٧هـ) بطُغرُلْبك، فسارَ إليه ودخلَ بغدادَ سنةَ ٤٤٧هـ، وأزالَ دولةَ بني بويه، وقد ذكرَ ابنُ كثيرٍ (ت: ٧٧٤هـ): أنَّ بني بُويه كانَت تُقوِّي الرَّوافضَ وتنصرُهم، فزالُوا

---

(١) انظر: «التنبيه والإشراف» للمسعودي (ص: ٣٤٦)، وانظر: «الإنباء في تاريخ الخلفاء» لابن العمراني (ص: ١٦٨ ـ ١٧٥)، و«تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس» لحسين بن محمَّد الدِّيار بَكْري (٢/ ٣٥٢).

(٢) هو ركن الدين، أبو طالب، محمد بن ميكائيل، أول ملوك السلاجقة، وُلدَ نحو ٣٨٥هـ، ابتدأ أمره بالاستيلاء على خراسان سنةَ (٤٣١هـ)، وكانت له يد عظيمة على الخليفة القائم بأمر الله في إعادة الخلافة إليه سنةَ (٤٤٧هـ)، وكان خيِّراً محافظاً على الصلاة في أوقاتها، يديم صيام الإثنين والخميس، حليماً عمن أساء إليه، ولما تمهَّدت له البلاد خطب بنت الخليفة، فتألم واستعفى فلم يعفه، فزوجه بها، ولم يرزق طغرلبك ولداً، وعاش سبعين عاماً، وكان بيده خوارزم ونيسابور وبغداد والري وأصبهان، وامتدَّ ملكه نحو ٣٠ سنة، وتوفي بالري سنة ٤٥٥هـ. انظر: «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٨/ ١٠٧).

وبادُوا، وأذهبَ الله دولتَهم، وجاءَ الله بقومٍ آخرينَ من الأتراكِ السَّلجوقيّةِ يُحبُّون السُّنةَ، ويُوالونَ أهلَها، ويعترفونَ برفعةِ قدرِها، ويرفعونَ محلَّها[1].

وقد عظُمَ نفوذُ السَّلاجقةِ بعدَ إعادتِهم أمرَ الخلافةِ العبّاسيّةِ إلى نصابِها، وامتدَّ إلى بغدادَ والعراق، ثم ازدادَ نفوذُهم في عهدِ ألب أرسلان خليفةِ طُغرُلْبك، وخليفتِه ملك شاه الذي اتَّسعَ ملكُه اتِّساعاً عظيماً، ودانَت له معظمُ بلادِ الشَّرقِ الإسلاميِّ، فخُطبَ له من حدودِ الصِّينِ شرقاً إلى الشّامِ غرباً، ومن أقاصي بلادِ الإسلامِ في الشِّمالِ إلى اليمنِ في الجنوب، وقد تميَّزت أيّامُ حكمِه بالأمنِ والأمانِ، وكانت له هيبةٌ في نفوسِ أعدائِه، فحَملَت الرُّومُ إليه الجزية.

وقد كانَت كَرْمانُ تتمتَّعُ بنَوعٍ من الاستِقرارِ السِّياسيِّ منذ قضاءِ القائِدِ طُغرُلْبك مؤسِّسِ الدَّولةِ السَّلجوقيّةِ على الدَّولةِ البُوَيهيّةِ فيها، فقد تمكَّنَ ابنُ أخيه قاروُدُ من فتحِها سنةَ ٤٣٣هـ، وقد توالى على حكمِها أبناؤُه سلطان شاه، ثم توران شاه، ولمّا تُوفِّي سنةَ ٤٨٩هـ جلسَ على العرشِ ابنُه إيران شاه، وكان فاسقاً ظالماً يميلُ إلى اللَّهو، فخرجَ عليه أهلُ كَرمانَ وقتلوه سنةَ ٤٩٤هـ، ورغبوا بأن يليَ أمرَهم أرسلان شاه، فكانَ ما أرادوا، فأحبُّوه والتفُّوا حولَه إلى أن ماتَ سنةَ ٥٣٦هـ، وكان عالماً عادلاً محسناً[2].

وأغلبُ الظنِّ أنَّ تاجَ القُرّاءِ قضَى معظمَ حياتِه في ظلِّ هذا الاستقرار، والذي استمرَّ إلى ما بعدِ وفاةِ الإمامِ الكرْمانيِّ، إذ أعقبَ ذلكَ عودةُ النِّزاعاتَ التي أدَّت إلى تفكُّكِ الدَّولةِ السَّلجوقيّةِ بعدَ وفاةِ الملِكِ سنجرَ السَّلجوقيِّ (٥٥٢هـ)[3].

---

(١) انظر: «البداية والنهاية» لابن كثير (١٥/ ٧٣٦).

(٢) انظر: «السَّلاجقة في التاريخ والحضارة» للدكتور أحمد كمال الدين حلمي (ص: ٨٤).

(٣) انظر ترجمة سنجر بن ملك شاه بن ألب أرسلان في: «سير أعلام النُّبلاء» للذَّهبي (٢٠/ ٣٦٢)، وللتوسُّع في تفاصيل الحياة السياسية في هذا العصر يُنظر: «دولة السلاجقة وبروز مشروع إسلامي =

ولا يظهرُ للكَرمانيِّ أيُّ اهتمامٍ بسياسةِ البلادِ التي نشأ فيها، فقد كانَ منشغلاً بالتَّحصيلِ العلميِّ، لكنَّه أفادَ من ذلك الاستقرارِ؛ فمَن المعلومِ أنَّ الاستِقرارَ السِّياسيَّ غالِباً ما تُرافِقُه نهضةٌ حَضاريّةٌ وثَقافيّةٌ.

ثانياً ـ الحياةُ الاجتماعيّةُ:

قد لا تكونُ مقولةُ: (النّاسُ على دينِ ملوكِهم)[1] مُسلَّمةً في عصرِنا من كلِّ ناحية، لكنَّها كانَت شبهَ مسلَّمةٍ في العصرِ العبّاسيِّ، فقد جرَت مجرى الأمثال، وشاعَت على الألسنة، وهي تدلُّ على حقيقةٍ ثابتة، وهي أنَّ الحياةَ الاجتماعيّةَ للنّاسِ تتأثَّرُ بالحياةِ السِّياسيّةِ للملوكِ والحكّام، فالاستقرارُ السِّياسيُّ والأمنيُّ يؤدِّي إلى استقرارٍ اقتصاديٍّ واجتماعيٍّ.

وإنَّ حياةَ التَّرفِ والبذخِ التي عاشَها الخلفاءُ العبّاسيُّون في عصرِ قوَّتِهم لم يتخلَّ عنها ورثتُهم على الرَّغمِ من ضعفِ الدَّولةِ العبّاسيّةِ في العصورِ التي تسلَّطَ فيها غيرُهم على الدَّولة، فقد كانَت لهم مجالسُ طربٍ ولهوٍ يحضرُها الشُّعراءُ والأدباءُ والمغنُّون، وكذلك انتشرَت حياةُ البَذخِ والتَّرفِ بينَ بعضِ الأمراء، وغيرِهم من القادةِ الذين يَتبَعونَ للخليفةِ العبّاسيِّ[2].

وكانَ لحياةِ التَّرفِ التي رسمَها هؤلاءِ ملامحُ متنوِّعةٌ؛ فقد أسرَفَ بعضُ الخلفاءِ

= لمقاومة التغلغل الباطني والغزو الصليبي» للدكتور علي الصلابي، و«السلاجقة تاريخهم السياسي والعسكري» للدكتور محمد يوسف أبو نصر.

(١) انظر: «التمثيل والمحاضرة» للثّعالبي (ص: ١٣١).

(٢) انظر: «الإنباء في تاريخ الخلفاء» لابن العمراني (ص: ١٤٤)، و«شذرات الذهب في أخبار من ذهب» لابن العماد (٣/ ٣٢٦)، و«تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي» للدكتور حسن إبراهيم حسن (٣/ ٤٣٨ ـ ٤٤١).

والأمراءِ والأغنياءِ في الطَّعامِ والشَّراب، ويُذكَرُ أنَّ المعتضدَ (ت: ٢٨٩هـ) مرضَ وماتَ من كثرةِ أكلِ اللُّحومِ والسَّمكِ وأطايبِ الطَّعام(١)، وأنَّ المتَّقي (ت: ٣٣٥هـ) كانَ يحتاجُ في مؤنةِ مطبخِه كلَّ يومٍ إلى خمسةِ آلافِ درهم(٢)، كما اهتمُّوا ببناءِ القصورِ وزخرفتِها وبَذَخوا في عمارتِها(٣)، فقد أنشأ معزُّ الدَّولةِ ابنُ بويه داراً غرمَ عليها أربعين ألفَ ألفِ درهم، فبقيَت إلى بعدِ الأربعِ مائة فتهدَّمت، فاشتروا ما في سقوفِها من الذَّهبِ بثمانيةِ آلافِ دينار(٤).

وقد عانى النَّاسُ في سنةِ ٤٤٨هـ كثيراً، فغلَت الأسعارُ جدًّا، ومع ذلك عقدَ الخليفةُ القائمُ بأمرِ الله (ت: ٤٦٧هـ) على خديجةَ بنتِ أخي السُّلطانِ طُغرلْبك على صَداقٍ مبلغُه مائةُ ألفِ دينار(٥).

ومع ذلك كان للخلفاءِ العبّاسيِّين جوانبُ مُشرقةٌ كثيرةٌ لا تُنكَر، فقد كان لبعضِهم زهدٌ وإعراضٌ عن التَّرفِ وحرصٌ على بيتِ المال(٦)، وعُرفَ بعضُهم بالجلوسِ للمظالمِ والإنفاقِ وتفقُّدِ أحوالِ الرَّعيّة(٧).

وقد كان المجتمعُ العبّاسيُّ مكوَّناً من عناصرِ متنوِّعة؛ فالعربُ هم السَّوادُ

---

(١) انظر: «الإنباء في تاريخ الخلفاء» لابن العمراني (ص: ١٤٩).

(٢) المصدر السابق (ص: ١٧١).

(٣) انظر: «المنتظم في تاريخ الأمم والملوك» لابن الجوزي (١٣/ ٥٦)، و«مروج الذهب» للمسعودي (٤/ ١٩٧)، و«سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٣/ ٤٧٩).

(٤) انظر: «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٦/ ١٩٠).

(٥) انظر: «المنتظم في تاريخ الأمم والملوك» لابن الجوزي (١٦/ ٤).

(٦) انظر: «الإنباء في تاريخ الخلفاء» لابن العمراني (ص: ١٣٦).

(٧) انظر: «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٥/ ٢٩٨).

الأعظـم، ثـم الفرس، ثـم التُّـرك، بالإضافـةِ إلـى الأكـرادِ والمغاربـةِ وطوائفَ من أهـلِ الذِّمّة[١].

وكان هذا المجتمعُ على طبقاتٍ؛ فطبقةُ القيادة، وفيها الخليفةُ والأمراءُ العبّاسيُّونَ والوزراءُ والحُجّاب، وطبقةُ الأثرياءِ من التُّجارِ وبعضِ الشُّعراء، والطَّبقةُ الوسطى، وفيها عامّةُ النّاسِ والعلماءُ والكُتّابُ والشُّرطة، وطبقةُ الفقراءِ من سُكّانِ الأرياف، وطبقةُ الرِّقيق، وفيها كثيرٌ من الزُّنوج[٢].

ولمّا كانَ النّاس على دينِ ملوكِهم فقد تغيَّرت ملامحُ الواقعِ الاجتماعيِّ تبعاً لاختلافِ مذاهبِ مَن كانَت بيدِه مقاليدُ الأمورِ، فانتشرَت العقائدُ الباطنيّةُ والتَّشيُّعُ في عهدِ دولةِ بني بويهِ؛ فقد كانوا غلاةً في التَّشيُّعِ باطنيّةً حتَّى وصلَ الأمرُ بآخرِهم أن يأخذَ البيعةَ للمستنصرِ الفاطميِّ، فتعالى أصحابُ هذه المذاهبِ وجاهروا بسبِّ الصَّحابةِ رضوان الله عليهم وانتقاصِ أهلِ السُّنة، لكنَّ هذا الأمرَ انحسرَ بوصولِ السَّلاجقةِ الذين كانوا أهلَ سُنّةٍ، فحاربوا مظاهرَ خُبثِ الباطنيّة، وغلوِّ الشِّيعة، وأظهروا شعائرَ الإسلامِ، وحاربوا أيّةَ شعيرةٍ مخالفةٍ لتعاليمِه، وقد عملَ طغرلبك على رفعِ أهلِ الإسلامِ والسُّنّةِ، فألزمَ أهلَ الذِّمّةِ بلبسِ الغيارِ[٣].

ولم يكن حالُ الدُّولِ التي قامَت على أطرافِ الدَّولةِ العبّاسيّةِ بمختلفٍ كثيراً، فقد شاعَ في ملوكِهم التَّرفُ والغنى، وشاعَ في الشُّعوبِ الفقر.

---

(١) انظر: «تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي» للدكتور حسن إبراهيم حسن (٣/ ٤٣٠ ـ ٤٣٣).

(٢) المصدر السابق (٣/ ٢٥٢).

(٣) انظر: «البداية والنهاية» لابن كثير (١٥/ ٧٣٦ و٧٣٨).

وقد تفشَّت في سنواتٍ من العصرِ العبّاسيِّ الأمراضُ، ووقف الطبُّ عاجزاً أمامَ بعضِها، فطالَت العامّة، ولم تسلمْ منها الخاصّة، فأصابَ النّاسَ في بغدادَ وباءٌ وغلاءٌ سنةَ ٤٣٩هـ. وفي سنة ٤٤٩هـ وقعَ وباءٌ عظيمٌ في أذربيجانَ والأهوازِ وأعمالِها وواسطَ ومطيرآباذَ والكوفة، ولم يكن للنّاسِ شغلٌ إلا دفنَ موتاهم، وكان أكثرَ سببِ ذلك الجوعُ[١]، وماتَ الأميرُ السّاسانيُّ السَّعيدُ بمرضِ السلِّ[٢].

أمّا كَرمانُ فقد وصفَها ياقوت الحَمَويُّ فقال: هي ولايةٌ مشهورة، وناحيةٌ كبيرةٌ معمورة، ذاتُ بلادٍ وقرى ومدنٍ واسعة، بينَ فارسَ ومكرانَ وسجستانَ وخراسان... وهي بلادٌ كثيرةُ النَّخلِ والزَّرعِ والمواشي والضَّرع، تُشبَّهُ بالبصرةِ في كثرةِ التُّمورِ وجَودتِها وسعةِ الخيرات... وأهلُها أخيارٌ، أهلُ سُنّةٍ وجماعةٍ وخيرٍ وصلاح، إلّا أنَّها قد تشعَّثَت بقاعُها، واستوحشَت معاملُها، وخربَت أكثرُ بلادِها؛ لاختلافِ الأيدي عليها، وجَورِ السُّلطانِ بها؛ لأنَّها منذ زمنٍ طويلٍ خلَت من سلطانٍ يقيمُ بها، إنَّما يتولّاها الولاة، فيجمعونَ أموالَها ويحملونَها إلى خراسان، وكلُّ ناحيةٍ أُنفقَت أموالُها في غيرِها خربَت، إنَّما تَعمَرُ البلدانُ بسُكنى السُّلطان، وقد كانَت في أيّامِ السَّلجوقيّةِ والملوكِ القارونيّةِ من أعمرِ البلدانِ وأطيبِها[٣].

وهذا يثبتُ أنَّ الحياةَ الاقتصاديّةَ والاجتماعيّةَ كانَت في ظلِّ الدَّولةِ السَّلجوقيّةِ التي عاشَ في ظلِّها تاجُ القُرّاءِ الكَرمانيُّ تتمتَّعُ بالاستقرار، فقد انتشرَ الأمنُ بين النّاس، وعمَّت السَّكينةُ والطُّمأنينة، وآتى الاستقرارُ السِّياسيُّ والاقتصاديُّ فيها أُكُلَه، فظهرَت ملامحُ التَّطوُّرِ الاجتماعيِّ والتَّقدُّمِ الحضاريِّ.

---

(١) انظر: «المنتظم في تاريخ الأمم والملوك» لابن الجوزي (١٥/ ٣٠٨) و(١٦/ ١٧).

(٢) انظر: «نهاية الأرب في فنون الأدب» للنويري (٢٥/ ٣٥٠).

(٣) انظر: «معجم البلدان» لياقوت الحموي (٤/ ٤٥٤).

ثالثاً ـ الحياةُ العلميّةُ والثَّقافيّةُ:

كثيراً ما يرتبطُ النُّهوضُ العلميُّ بقوّةِ الدُّولِ ومَنَعتِها، وكثيراً ما يؤدِّي الضَّعفُ السِّياسيُّ إلى تراجعٍ في العلومِ والفنون، ولكنَّ العصرَ العبّاسيَّ يكسرُ هذه القاعدة؛ فالنَّهضةُ العلميّةُ التي بدأت في عصرِ أبي جعفرٍ المنصورِ (ت: ١٥٨هـ) وتنامَت في عصرِ الرَّشيدِ والمأمونِ لم تنحسرْ بضعفِ الخلفاءِ العبّاسيِّين، بل تابعَت تقدُّمَها كنهرٍ غزُرَ ماؤُه وكثُرَت روافدُه، فبعدَ المرحلةِ التي حرصَ العلماءُ فيها على الجمعِ والتَّدوين، جاء هذا العصرُ ليشهدَ حركةً واسعةً لإعادةِ التَّرتيبِ والتَّهذيبِ لما جُمِعَ من العلوم.

وقد كانَ لتشجيعِ الخلفاءِ في بغدادَ والملوكِ والأمراءِ في الدُّولِ الإقليميّةِ للعلمِ والعلماءِ أثرٌ كبيرٌ في هذه النَّهضة، فقد كان هؤلاءِ الملوكُ يتنافسونَ على العلماءِ كما يتنافسونَ على الممالك، وكان ملوكُ السّامانيِّينَ وملوكُ البويهيِّينَ والخوارزميِّينَ يُعنَونَ بحشدِ العلماءِ والأدباءِ في بلاطِهم وحولَ قصورِهم، أمّا السَّلاجقةُ فيكفي للحديثِ عنهم أن نذكرَ أنَّ التَّعليمَ في عهدِهم تحوَّلَ إلى تعليمٍ مدرسيٍّ لأوَّلَ مرّة في تاريخِ الدَّولةِ الإسلاميّة، وذلكَ أنَّ الوزيرَ نظامَ الملك أبا عليٍّ الحسنَ بنَ عليِّ بنِ إسحاقَ الطُّوسيَّ (ت: ٤٨٥هـ) اهتمَّ بالعلمِ والعلماء، فبنى المدرسةَ النّظاميّةَ الشَّهيرةَ ببغدادَ، وبنى بنيسابورَ مدرسة، وبطوسَ أخرى، وبنى بمرو مدرسة، وبهراةَ مدرسة، وببلخٍ مدرسة، وبالبصرةِ مدرسة، وبأصبهانَ مدرسة، وكانَ لكثيرٍ من هذه المدارسِ مكتباتٌ ملحقةٌ بها، وبذلَ الأموالَ للعلماء، وجعلَ لهم رواتبَ تكفيهم همَّ المعيشة، فوُصفَت أيّامُه بأنَّها دولةُ أهلِ العلم[1]، وأكملَ التَّعليمُ المدرسيُّ مسيرةَ التقدُّمِ الحضاريِّ التي بدأها التَّعليمُ المسجديُّ، وقد كانَت المدارسُ النظاميّةُ

---

(١) انظر: «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٩/ ٩٤).

مخصَّصةً للمذهبِ الشافعيِّ؛ لأنَّ نظامَ الملكِ كان شافعيًّا، ولكن كانَ كثيرٌ من ملوكِ السَّلاجقةِ ووزرائِهم أحنافاً، فانتشرَت لذلك مدارسُ المذهبِ الحنفيِّ في البلاد، وبعذا يُعلمُ أنَّ احترامَ العلمِ والعلماءِ هو السِّمةُ الواضحةُ والسَّجيَّةُ اللازمةُ للدَّولةِ السَّلجوقيّةِ منذ ظهورِها(١).

وكان ذلك كلُّه مبعثَ نهضةٍ علميةٍ وأدبيّةٍ ولا سيَّما في مجالِ الكتابةِ والصِّناعةِ الدِّيوانيّةِ تعلو على كلِّ نهضةٍ سبقتها، وتتفوَّقُ على كلِّ حركةٍ تقدَّمَتها، إذ أُترِفَ الذَّوقُ الكتابيُّ لهذا العصرِ بسببِ ترفِ الملوكِ والأمراءِ الذين كانوا يقومونَ عليه(٢).

وكانَ لتمازجِ الثَّقافاتِ في هذا العصرِ أثرٌ كبيرٌ في نهضتِه، فقد تُرجِمَت بعضُ الكتبِ في هذه الفترةِ من لغاتٍ متعدِّدةٍ إلى اللُّغةِ العربيّةِ(٣).

وقد بقي الاعتزالُ الذي دعمَه خلفاءُ العبّاسيِّين في عصرِهم الأوَّلِ منتشراً، وكانَ هناكَ أعلامٌ تبنَّوا هذا المذهبَ، ودافعوا عنه، وجادلوا أهلَ السُّنةِ في عقائدِه، كما انتشرَت العقائدُ الباطنيّةُ والتَّشيُّعُ في عهدِ دولةِ بني بويهِ، وقد وقفنا على كثيرٍ من المواضعِ التي ردَّ فيها تاجُ القُرّاءِ الكَرمانيُّ على هؤلاءِ أو هؤلاءِ(٤).

---

(١) انظر: «السلاجقة في التاريخ والحضارة» للدكتور أحمد كمال الدين حلمي (ص: ٢٢٣ و٣٧٤).

(٢) انظر: «الفن ومذاهبه في النثر العربي» لشوقي ضيف (ص: ٢٠٤ ـ ٢٠٥).

(٣) انظر: «تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام» للذهبي (٧/ ١١٠)، و«الوافي بالوفيات» للصفدي (٥/ ١١).

(٤) فقد صرَّح بدفع قولِ الشيعة وتقديم أبي بكر رضي الله عنه على مَن دونَه من المسلمين، فقال في تفسير قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا﴾ [الحديد: ١٠]: وفي هذه الآيةِ دليلٌ واضحٌ وبرهانٌ لائحٌ على فضلِ أبي بكرٍ وتقديمِه؛ لأنَّه أوَّلُ مَن أسلَمَ. وصرَّح بدفع قول المعتزلة في افتتاح كتابه بقوله: الحمدُ لله مُنزِلِ القرآنِ غيرَ مُحدَثٍ ولا مخلوق.

يُضافُ إلى ذلك أنَّ كثيراً من الفرقِ والطَّوائفِ اتَّخذَت العلمَ وسيلةً لتسويقِ مزاعمِها، وتحقيقِ مآربِها الدِّينيّةِ أو السِّياسيّة، فكثُرَت النِّقاشاتُ بين دُعاةِ هذه الطَّوائف، وانتشرَ الجدلُ بينهم من جهةٍ وبين أهلِ السُّنةِ من جهةٍ ثانية، فأسهمَ ذلك بطريقةٍ مباشرةٍ أو غيرِ مباشرةٍ في النَّهضةِ العلميّةِ التي عرفَها ذلك العصر[١].

وقد جرَت عادةُ العلماءِ بأن يُطوِّفوا في البلادِ الإسلاميّة؛ ليأخذوا فنونَ العلمِ ممَّن اشتَهرَ بها في البلادِ كلِّها، وقد كان للرِّحلةِ أثرٌ في تمازجِ الثَّقافاتِ وتنوُّعِ العلومِ وتقدُّمِها[٢]، وهنا يقفُ الباحثُ أمامَ نصِّ ياقوت الذي ذكرَ فيه أنَّ تاجَ القُرّاءِ الكَرمانيَّ لم يَرتحِلْ ولم يُفارِقْ وطَنَهُ[٣] محتاراً، ويترجَّح عندي أنَّه ارتحل، ولكن لم يطَّلع ياقوت على رحلته.

وقد اهتمَّ الملوكُ والأمراءُ والوزراءُ بالكتبِ والمكتباتِ والمدارس، وعدُّوا الكتبَ من أنفسِ الهدايا التي تُهدى إليهم، فراحَ العلماءُ والأدباءُ يتقرَّبون إليهم بصناعةِ الكتبِ ووضعِها بين أيديهم، ومن تلك الكتبِ كتابُ «المنصوريِّ» الذي ألَّفه الطَّبيبُ أبو بكرٍ محمَّدُ بن زكريّا الرّازيُّ (ت: ٣١٣هـ)[٤] وأهداه للأميرِ منصورٍ

---

(١) انظر: «تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي» للدكتور حسن إبراهيم حسن (٣/ ٣٣٩).

(٢) وقد ألَّف الخطيب البغدادي كتاباً سماه: «الرحلة في طلب الحديث»، وقد طُبع ضمن مجموعة رسائل في علوم الحديث بعناية صبحي البدري السامرائي، ونشرته المكتبة السلفية في المدينة المنورة عام ١٩٦٩م، ثم أعاد الدكتور نور الدين عتر تحقيقه وطبعه، ونشرته دار الكتب العلمية عام ١٩٧٥م.

(٣) انظر: «معجم الأدباء» لياقوت الحموي (٦/ ٢٦٨٦).

(٤) انظر: «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» لابن أبي أصيبعة (ص: ٤١٤).

السّامانيِّ (ت: ٣٦٦هـ)[١]، وألَّفَ أحمدُ بنُ فارسٍ كتاب «الصّاحبيِّ في فقهِ اللُّغةِ العربيّةِ ومسائلِها وسُننِ العربِ في كلامِها» وأهداه للصّاحبِ بنِ عبّاد (ت: ٣٨٥هـ)[٢]، كما أَلَّفَ الثَّعالبيُّ كتابَ «لطائفِ المعارفِ» له أيضاً، وأهدى كتابَ «فقهِ اللُّغةِ» للأميرِ أبي الفضلِ الميكاليِّ (ت: ٤٣٦)[٣].

ويغلبُ على ظنِّي أنَّ تاجَ القُرّاءِ قد صنعَ مثلَ ذلك في كتابِه الموسومِ بـ«النِّظاميّ» وهو اختصارٌ لكتابِ «اللُّمَعِ» لابنِ جني، فربَّما يكونُ قد أهداه للوزيرِ نظامِ الملك، فقد كانَ الوزيرُ مشهوراً ببِرِّه لأهلِ العلم، فلا يُستغربُ أن يُتحفَه تاجُ القُرّاءِ بكتابٍ يُسمِّيه باسمِه، كما فعلَ ابنُ فارسٍ للصّاحبِ بنِ عبّاد، لكن يبقى هذا مجرَّدَ ظنٍّ قد تُسعفُ الأيّامُ بتحقيقِه.

هذا حالُ النَّهضةِ الثَّقافيّةِ في ظلِّ الدَّولةِ العبّاسيّةِ في بلادِ المشرقِ العربيِّ عامّة، أمّا إقليمُ كَرْمانَ فقد عُرِفَ بالعِلمِ والعُلماءِ؛ إذْ نُسِبَ إلَيهِ جَمٌّ غفيرٌ مِن أهلِ العِلمِ والفَضلِ، مِن أبرزِهم: محمَّدُ بن يوسُفَ الكَرْمانيُّ صاحِبُ «الكواكِبِ الدَّراري في شرحِ صحِيحِ البُخارِيِّ»، وابنُ مَلَكٍ الكَرْمانيُّ الحَنَفِيُّ صاحِبُ «شرحِ الوِقايةِ» و«شرحِ المصابِيحِ»، وأبو محمَّدٍ حربُ بن إسماعِيلَ الكَرْمانيُّ الفَقيهُ الحنبليُّ

---

(١) ذكر هذا الإمام الذهبي في: «سير أعلام النبلاء» (١٤/ ٣٥٤)، وذكر ابن النديم في «الفهرست» (ص: ٣٦٠) أنَّه كان يتنقل في البلدان وبينه وبين منصور بن إسماعيل صداقة، وله ألف كتاب المنصوري، ومنصور بن إسماعيل هذا فقيه شافعي مصري، توفي سنة ٣٠٦هـ.

(٢) انظر: «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٦/ ٥١١).

(٣) انظر: «يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر» للثعالبي (٣/ ١٩٦ و٤٧٦)، و«فوات الوفيات» لابن شاكر (٢/ ٤٢٨)، و«الفن ومذاهبه في النثر العربي» لشوقي ضيف (ص: ٢٠٤ ـ ٢٠٥).

صاحِبُ «المسائلِ» أو «مسائلِ الكَرْمانيِّ»، وأبو العَلاءِ الكَرْمانيُّ الحنفيُّ صاحبُ «مفاتيحِ الأغاني في القراءاتِ والمَعاني».

في هذا البلدِ الطَّيِّب، وفي ظلِّ هذه النَّهضةِ العلميّةِ والفكريّةِ والأدبيّةِ الواسعة، سلكَ تاجُ القُرّاءِ الكَرمانيُّ طريقَ العلم، فأسهمَ في هذه النَّهضةِ العلميّةِ المباركة، وتركَ من كنوزِ العلمِ إرثاً نفيساً.

* * *

ترجَمةُ العلّامةِ
تاجِ القُرّاءِ الكَرْمانيِّ(١)

أوَّلاً ـ اسمُهُ ونَسبُهُ وكُنيتُهُ ولقبُهُ:

هو الإمامُ العلّامةُ، تاجُ القُرّاءِ، وأحدُ العُلماءِ الفُقهاءِ النُّبلاءِ، المُفسِّرُ، المُقرِئُ، النَّحْويُّ، صاحبُ التَّصانيفِ والفضلِ، أبو القاسمِ، برهانُ الدِّينِ، محمودُ بنُ حمزةَ بنِ نَصرٍ الكَرْمانيُّ(٢)، المشهورُ بـ: تاجِ القرَّاءِ الكَرمانيِّ.

---

(١) انظر: «معجم الأدباء» لياقوت الحموي (٦/ ٢٦٨٦)، و«غاية النِّهاية في طبقات القرّاء» لابن الجزري (٢/ ٢٩١)، و«كشف الظُّنون» لحاجي خليفة (١/ ٨١)، (١/ ٢٤١)، (١/ ٤٢٧)، (٢/ ١١٢٦)، (٢/ ١١٧٧)، (٢/ ١١٩٧)، (٢/ ١٥٤١)، و«بُغية الوُعاة» للسيوطي (٢/ ٢٧٧)، و«طبقات المفسِّرين» للدّاودي (٢/ ٣١٢)، و«هديّة العارفين» للبغدادي (٢/ ٤٠٢)، و«طبقات المفسِّرين» للأدنَوَيه (١/ ١٤٩)، و«الأعلام» للزِّركلي (٧/ ١٦٨).

(٢) والكَرْمانيُّ: نسبة إلى كَرمان بفتح الكاف ـ وهو الصحيح ـ غير أنه اشتهر بكسرها كما قال السمعاني في «الأنساب» (٥/ ٥٦)، وقال ابن بري: بفتح الكاف، وقد أولعت العامة بكسرها، كما نقله عنه ابن منظور في «اللسان» مادة: (ك ر م)، وكرمان: إقليمٌ ـ يقع الآن في إيران ـ يشمل عدداً من المدنِ، خرج مِن بلادِها جماعةٌ من أهلِ العِلمِ، ويقع بين إقليمِ فارِس غرباً، وإقليمِ مكران والمفازةِ الكبرى شرقاً، والخليجِ العربيِّ جنوباً، وفيهِ يمتدُّ رأس هرمز، ومركزها مدينة كرمان. انظر: «البلدان» لابن الفقيه (ص: ٤١٤)، و«المسالك والممالك الكبرى» لأبي عبيد البكري (١/ ٤٤)، و«الأنساب المتَّفقة» لابن القيسراني (ص: ١٢٩)، «تصحيح التَّصحيف وتحرير التَّحريف» للصَّفدي (ص: ٤٣٩).

وذكر ابن القيسراني في «الأنساب المتَّفقة» أنَّ للكرمانيِّ نسبةً أخرى، وهي قريةٌ بالقرب من بخارى =

وقد يُنسبُ تاجُ القرّاءِ إلى نيسابورَ فيقالُ: محمودُ بنُ حمزةَ النَّيسابوريُّ(١).

ثانياً ـ ولادَتُه ونشأتُهُ:

لم تَذكُرِ المصادِرُ الَّتي بينَ أيدينا تاريخَ ولادةِ الإمامِ محمودٍ الكَرْمانيِّ، وَلا حتَّى شيئاً من حياتِه، وهذه سمةٌ بارِزةٌ في أهلِ تلكَ البلادِ؛ فلمْ يكونوا يَعتَنون بتَسجِيلِ سِيَرِ حياتِهم كما هو الحالُ في غيرِها مِن البلادِ.

= يقال لها: كرمينيّة، حدَّث منها جماعةٌ، لكنَّ النِّسبة المشهورة عند أهل بخارى لمن كان من أهل هذه القرية الكرمينيُّ، إلّا أنَّ أبا القاسم بن الثَّلّاج حدَّث عن حفص بن عمر بن هبيرة أبي عمرٍو البخاريِّ، فقال: الكرمانيُّ من أهل قرية يقال لها: كرمينيّة. انظر: «الأنساب المتَّفقة» لابن القيسراني (ص: ١٢٩).

وذكر ياقوت أيضاً: أنَّ كرمان أيضاً مدينةٌ بين غزنة وبلاد الهند، وهي من أعمال غزنة، وكرمينيّة بالقرب من بخارى، وآل كرمان بحجر اليمامة من ديار العرب. انظر: « معجم البلدان» لياقوت الحموي (٤/ ٤٥٥)، و« المشترك وضعًا والمفترق صقعًا » لياقوت للحموي (ص: ٣٧٦).

قال ابن الكلبيِّ: سمِّيت كرمان بكرمان بن فلوج من بني ليطيٍّ بن يافث بن نوحٍ عليه السَّلام. انظر: «البلدان» لابن الفقيه (ص: ٤١٣).

وأمّا فتح إقليم كرمان، فقد ذكر الطَّبريُّ في «تاريخه» أنَّ من فتحها هو الصَّحابيُّ سهيل بن عديّ، وكان معه عبد الله بن عبد الله بن عتبان، وعلى مقدِّمة سهيل بن عدي النُّسير بن عمرٍو العجليِّ رضي الله عنهم.

ونقل عن المدائنيِّ: أنَّ من فتحها هو الصَّحابيُّ عبد الله بن بديلِ بن ورقاء الخزاعيِّ رضي الله عنه، في خلافة عمر بن الخطّاب رضي الله عنه. انظر: «تاريخ الطَّبريِّ» (٤/ ١٨٠).

ولعلَّ الجمع بين هذه الأقوال يكون بأنَّ مدن الإقليم تعدَّد فاتحوها، فكلُّ عددٍ من المدن اختصَّ بفتحها عددٌ من صحابة رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم.

(١) انظر: «غاية النهاية في طبقات القراء» لابن الجزري (٢/ ١١٤).

وذكرَ ياقوت الحمويُّ أنَّ الإمامَ الكَرْمانيَّ عاشَ في حدودِ ٥٠٠هـ، وماتَ بعدها، وأنَّه لم يَرتحِلْ ولم يُفارِقْ وطَنَهُ(١).

ولكنَّ هذا فيه إشكالٌ؛ فمن ناحيةٍ هذا يخالفُ عادةَ العلماءِ في ذلك العصر، وقد سبقَت الإشارةُ إلى هذا، ومن ناحيةٍ أخرى ذكرَ تاجُ القرّاءِ الكَرْمانيُّ في كتابِه «النِّهايةِ في شرحِ الغايةِ»: أنَّه رحَلَ إلى بغدادَ، والتَقى بعلمائِها، واطَّلعَ على كتابِ «الهِدايةِ في شرحِ مشْكِلاتِ الغايةِ» لأحمدَ بن أبي بكرٍ البَغَويِّ.

فلعلَّ ياقوت الحمويَّ قد غَفَلَ عَن هذه الرِّحلةِ التي ذكرَها الإمامُ، أو أنَّ المرادَ بعبارتِه أنَّ تاجَ القرّاءِ قضى جلَّ حياةِ في كَرْمانَ ولم يُفارِقْها.

وهذا الاحتمالُ الأخيرُ هو الغالبُ، فقد نشأ تاجُ القُرّاءِ الكَرمانيُّ في كَرمانَ نشأةً لم تحدِّثنا كتبُ التّاريخِ وتراجمِ الرِّجالِ عن تفاصيلِها، لكنَّنا نستطيعُ أن نجزمَ أن الكرمانيَّ قد نشأ في بيتِ علمٍ؛ فقد كانَ والدُه حمزةُ بنُ نصرٍ من علماءِ القراءاتِ، وعنه تلقَّى تاجُ القُرّاءِ هذا العلم.

كما أنَّنا عرفنا أنَّ أهلَ كَرمانَ أخيارٌ، أهلُ سُنّةٍ وجماعةٍ وخيرٍ وصلاح، وأنَّها كانَت في أيّامِ حكمِ السَّلاجقةِ التي عاشَ في كَنفِها الإمامُ تاجُ القُرّاء الكَرمانيُّ من أعمرِ البلدانِ وأطيبِها(٢).

من خلالِ هذا كلِّه يُمكِنُ أنْ نتصوَّرَ الوسَطَ الاجتِماعِيَّ الذي نشَأ فيهِ تاجُ القُرّاء الكَرمانيُّ، واستقَى منه العلومَ والمعرِفة.

---

(١) انظر: «معجم الأدباء» لياقوت الحموي (٦/ ٢٦٨٦).

(٢) المصدر السابق (٤/ ٤٥٤).

وقد ذكرَ الدكتور شمران العجليُّ احتمالَ رحلتِه قبلَ بغدادَ إلى مروٍ وخراسان[1]، لكنَّه لم يذكر على ذلك دليلاً، ولعلَّ هذا الاحتمال وردَ عليه لما سبقَ التَّنبيهُ إليه من عادةِ العلماء.

ثالثاً ـ شيوخُه:

لم تذكر أكثرُ المصادرِ شيئاً ذا بالٍ عن شيوخِ تاجِ القرّاءِ الكرمانيِّ أو تلاميذِه، ولا نشكُّ أنَّ مردَّ ذلك إلى أنَّ الرَّجلَ قضى معظمَ حياتِه في بلدِه، ولم يتَّجهْ إلى مراكزِ الإشعاعِ الحضاريِّ والتقدُّمِ الفكريِّ في عصرِه، ولطالما كانَت سُكنى الكُفورِ لأهلِ العلمِ وطَلَبتِه كسُكنى القبور.

ولكنَّ ما خلَّفَه تاجُ القرّاءِ يثبتُ أنَّه تلقَّى العلومَ عن أهلِها، وأنَّه نهلَ المعرفةَ من نبعِها، ومن الأعلامِ الذين رفعوا الكرمانيَّ؛ ليغدوَ تاجاً للقرّاء، ونفعوه ليصطفَّ في مصافِّ العلماء:

الشَّيخُ حمزةُ بنُ نصرٍ الكرمانيُّ؛ والدُ التّاج:

فقد ذكر تاجُ القرّاءِ أنَّه قرأ عليه كتابَ «الغايةِ» لابنِ مهرانَ فقال: قرأتُ القرآنَ بجميعِ روايات الكتابِ وطرقِه واحداً واحداً على والدي حمزةَ بنِ نصرٍ، رحمه الله[2].

وقال عنه ابنُ الجزريِّ: حمزةُ بنُ نصرٍ أبو محمودٍ الأصبهانيُّ، مُقرِئٌ

---

(١) انظر مقدمة: «غرائب التفسير وعجائب التأويل» لتاج القراء الكرماني (١/ ٣٠).

(٢) مخطوطة النهاية في شرح الغاية للكرماني ورقة٣، نقلًا عن مقدمة تحقيق «غرائب التَّفسير» للدكتور شمران العجلي، (١/ ٢٩).

متصدِّر، قرأ بالعشرِ وغيرِها على أبي نصرٍ بنِ محمَّدِ بنِ أحمدَ الكركانجيِّ(١)، قرأ عليه ابنُه محمود(٢).

ولم أقف في كتبِ الفهارسِ والتَّراجمِ على مَن ذكرَ له كتاباً، ولكنِّي وجدتُ أنَّ إبراهيمَ بنَ عمرَ البقاعيَّ نقلَ عن كتابٍ سمَّاه: جوامعِ التَّفسير، ونسبَه لحمزةَ بن نصرٍ الكرمانيِّ، ووصفَه بالأستاذ(٣).

ومنهم الشَّيخُ محمَّدُ بنُ حامدِ بنِ الحسنِ الخيّاميُّ الطُّوسيُّ:

قالَ عنه ابنُ الجزريِّ: مُقرِئٌ متصدِّر، روى القراءاتِ عن عُبيدِ الله بنِ محمَّدٍ الطُّوسيِّ وعبدِ الله بنِ الحسينِ النَّيسابوريِّ، روى القراءاتِ عنه محمودُ بنُ حمزةَ النَّيسابوريُّ(٤).

وقد ذكرَ تاجُ القُرّاءِ في «لبابِ التَّفاسيرِ» رجلين نقلَ عنهما التَّفسير، ولم نهتدِ إلى ترجمةٍ لهما، وهما:

الإمامُ أبو سهلٍ محمَّدُ بنُ عبدِ الرَّحمنِ بنِ أبي الفضلِ النَّيسابوريُّ:

ذكرَ تاجُ القُرّاءِ أنَّه حدَّثه عن الواحديِّ، وقد ذكرَه في تفسير (الفاتحة) و(آل عمران).

---

(١) إمام مقرئ أستاذ رحّال، ولد سنة ٣٩٠هـ، قرأ بمرو ونيسابور وبغداد ودمشق وحران ومصر، وله مصنفات، توفي ٤٨١ أو ٤٨٤هـ. انظر: «غاية النهاية في طبقات القراء» لابن الجزري (٢/ ٧٢).

(٢) انظر: «غاية النهاية في طبقات القراء» لابن الجزري (١/ ٢٦٥).

(٣) انظر: «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور» للبقاعي (١٥/ ٣٩٢) و(١٩/ ٥٧ و١٦٢) و(٢٠/ ٣٨).

(٤) انظر: «غاية النهاية في طبقات القراء» لابن الجزري (٢/ ١١٤).

شيخُ الإسلامِ القاضي أبو المعالي:

ذكـرَ تاجُ القُرّاءِ أنَّه سـمعَه يقولُ في تفسـيرِ قولِه تعالـى: ﴿اذهب أنت وربك﴾: إنَّ المـرادَ بـه أخـوه هـارون. وربَّما كانَ المـرادُ به هبةَ الله الشِّـيرازيَّ قاضـي كَرمانَ (ت: ٥٢٠هـ)[1].

وقد وقفتُ في «لبابِ التَّفاسيرِ» على قولِ الكرمانيِّ:

قلتُ: لـم أرَ فيما سمعتُ وطالعتُ منَ التَّفاسيرِ مع جموعِها مَن تكلَّمَ على لفظَي: (يهلك) و(هلك)، وكذلك في مُغايرةِ لفظَي (ويحيا) و(حيّ)...

فالكرمانيُّ يذكرُ نوعين من التلقِّي؛ ما سمعَه، وما طالعَه، وبالتالي نستطيعُ أن نفسِّرَ غزارةَ علمِه مع احتمالِ لزومِ بلدِه وتركِ الرِّحلة بأنَّه استعاضَ برحلاتِه بين الكتبِ والأسفار، عن الرّحلاتِ بين البلدانِ وكثرةِ الأسفار.

رابعاً ـ تلامِذَتُهُ:

تقدَّمَ سابِقاً أنَّ المصادرَ لم تذكُرِ الكثيرَ عن حياةِ الإمامِ الكَرمانيِّ، ولم يصِلْنا منها إلّا ما قدَّمَه للأُمّةِ مِن كُتبٍ فيها النَّفعُ والخَيرُ، ولكن كانَ لتاجِ القُرّاءِ الكرمانيِّ تلاميذُ ولا شكَّ، وكانَ له شهرةٌ في عصرِه، ودليلُ ذلكَ أنَّ لقبَ تاجِ القُرّاءِ قد لازمَ ترجمته، ولـم يكن هذا اللَّقبُ ليُطلَقَ عليه لولا اشتهارُه بعلمِ القراءات، وتستوقفُ المطالعَ في مقدمةِ كتابِه «النِّهايةِ في شرحِ الغاية» أنَّه ذكرَ أنَّ أصحابَه اقترحوا عليه أن يشرحَ «الغايةَ»[2]، وكلمةُ الأصحابِ كثيراً ما يُعبِّرُ بها العلماءُ عن تلاميذهم.

---

(١) انظر: «الوافي بالوفيات» للصفدي (٢/ ١١٤).

(٢) انظر: مقدمة تحقيق «غرائب التَّفسير» للدكتور شمران العجلي (١/ ٣١).

نجد في «لباب التَّفاسير» عباراتٍ مثلِ (قَالَ الشَّيخُ الإمامُ) (قَالَ الشَّيخ رحمه الله) (قال شيخُنا أبو القاسم) ونحوها، وهذه العباراتُ يُقصدُ بها المصنِّف نفسُه على الغالب، وهي تدلُّ على أنَّ الكتابَ صنَّفَه تاج القُرّاء إملاء، وذلك يستدعي أن يمليَ كتابَه على تلاميذِه، وهذا يشيرُ إلى توفُّرِهم وكثرتِهم.

كما أنَّ في قولِه: وكنتُ سُئِلْتُ عن هذه الآيةِ، فاستخرجْتُ لها عشرةَ أوجُهٍ سوى ما حكيتُ عن الأئمَّةِ... ما يدلُّ على أنَّه كانَ رأساً في العلمِ يُسألُ ويقصد، وتُلتمس عنده حلول المشكلات، وكشف المعضلات.

وبعد ذلك فتلاميذُ الإمامِ تاجِ القُرّاءِ والَّذِين نَشَروا عِلمَهُ، قد عُرِفوا واشتُهِروا بين أقرانِهِم:

فمِنهُم الإمامُ فخرُ الدِّينِ أبو عبدِ اللهِ نصرُ بن عليٍّ بنِ محمَّدَ المعروفُ بابنِ أبي مَريَمَ الشِّيرازيُّ:

كانَ فريدَ الدَّهرِ، وأوحَدَ العَصرِ، مُلَقَّباً بينَ العُلَماءِ بصَدرِ الإسلامِ، وكانَ لهُ العَديدُ منَ التَّلاميذِ الَّذينَ صاروا قُضاةً وعُلماءَ؛ كمَجدِ الدِّينِ إسماعيلِ بن نَيكَروزَ، والقاضي سِراجُ الدِّينِ مُكرَّمُ بنُ العَلاءِ.

وألَّفَ التَّصانيفَ المُفيدةَ كـ «الكشفِ والبَيانِ في تَفسيرِ القُرآنِ»، و«الموَضَّحُ في علَلِ القِراءاتِ» وغيرها، ومَدَحَهُ العَلّامةُ أحمَدُ بن محمَّدَ بن عليٍّ الغَزنَويُّ لمّا أتمَّ كتابَ «الإفصاحِ في شرحِ الإيضاحِ» فقالَ فيهِ:

أوضَحَ الإيضاحَ فَخرُ الدِّينِ في ... شرحِهِ بَلْ حَلَّهُ مِن مُشكِلِ

عَلَّــلَ النَّحــوَ وذا مِــن سِــحرِهِ أنْ أرانــا صِحّــةً في العِلَــلِ
نَــصَرَ العِلــمَ وأعــلَى قَــدْرَهُ مَتِّــعِ اللَّهُــمَّ نَــصرَ بــنَ عَــلِي

وكانَت وَفاتُهُ سنةَ (٥٦٥هـ)[١].

ومنهم رضيُّ الدِّينِ شمسُ القُرّاءِ أبو عبدِ الله محمَّدُ بنُ أبي نصرٍ الكَرمانيُّ:

هو مصنِّفُ «شواذِّ القراءاتِ» و«قراءةِ الكسائيِّ»، وقد ذكرَ في «شواذِّ القراءاتِ» سماعَه من تاجِ القُرّاءِ الكَرمانيِّ فقالَ: سمعتُ شيخَنا الخطيبَ الإمامَ تاجَ القُرّاءِ أبا القاسمِ محمودَ بنَ حمزةَ بنِ نصرٍ ـ قدَّسَ الله روحَه العزيز ـ يقولُ: (الصبر) قراءةُ أبي عمرٍو؛ يعني: بكسرِ الباء[٢].

وقال في «قراءةِ الكسائيِّ»: قرأتُ على الشَّيخِ الإمامِ تاجِ القُـرّاءِ برهانِ الدِّينِ زيـنِ الفريقيـنِ ضياءِ الأمّةِ سـعدِ الإسـلامِ أبي القاسـمِ محمـودِ بنِ حمزةَ بـنِ نصرٍ، رحمة الله ورضوانه عليه[٣].

وهو من علماءِ القرنِ السّادسِ على ما رجَّحَه محقِّقُ الكتابِ الدكتور شمران العجليُّ، وقد ذكرَه بروكلمان في الفصلِ الخاصِّ بمجهولي العصرِ والمكان[٤].

ومِنهُم الإمامُ السَّعيدُ أبو عليٍّ الفَضلُ بن الحَسَنِ الطَّبْرِسِيُّ:

---

(١) انظر: «شدُّ الإزار في حطِّ الأوزار عن زوّار المزار» لمعين الدِّين الجنيد بن محمود الشِّيرازي (١/ ٤٠٦)، و«بغية الوعاة» للسَّيوطي (٢/ ٣١٤).

(٢) انظر: «شواذ القراءات» لشمس القراء الكرماني (ص: ٨).

(٣) انظر: «قراءة الكسائي» لشمس القراء الكرماني (ص: ١٥).

(٤) انظر: «تاريخ الأدب العربي» لبروكلمان (٢/ ٩٨٢).

كانَ فريدَ عَصرِهِ في النَّحوِ، وكانَ يختَلِفُ إلى الإمامِ الكرْمانيِّ، واستَفادَ منهُ الكَثيرَ، وكانَ برسمِه مدرسةٌ ينشُرُ فيها عِلمَهُ، وله أشعارٌ كثيرةٌ.

وله تفسيرٌ ضخمٌ في عشَرةِ مجلَّداتٍ، وكُتُبٌ كثيرةٌ، وكان يختارُ اختياراتٍ حَسنةً من الكُتُبِ، كـ«تَفسيرِ الزَّمخشرِيِّ»، و«المُقتَصِدِ في النَّحوِ»، و«شرحِ حَماسةِ المَرزوقيِّ».

توفِّيَ رحمَهُ اللهُ تعالى سنةَ (٥٤٨هـ)[1].

ومنهم جارُ الله أبو القاسمِ محمودُ بنُ عمرَ الزَّمخشريُّ الخوارزميُّ:

كبيرُ المعتزلةِ في عصرِه، صاحبُ «الكشّافِ» في التَّفسير، و«المفصَّلِ» في النَّحو، و«الأنموذج» فيه، و«أساسِ البلاغةِ» في اللُّغة، و«الفائقِ» في غريبِ الحديث، و«ربيع الأبرار ونصوص الأخبار» في الحكايات، و«متشابه أسماء الرواة»، و«الرائض» في الفرائض، و«المنهاج» في الأصول.

وُلد سنة ٤٦٧هـ بزمخشرَ، ورحلَ إلى بغدادَ، وجاورَ بمكّةَ زماناً.

وكانَ رأساً في البلاغةِ والعربيّةِ والمعاني والبيانِ، وكان علّامةَ الأدبِ، ونسّابةَ العرب، وله نظمٌ جيّد.

قال السَّمعانيُّ: برعَ في الآداب، وصنَّفَ التَّصانيفَ... ما دخلَ بلداً إلّا واجتمعوا عليه، وتلمذوا له.

توفِّيَ رحمَهُ اللهُ تعالى سنةَ (٥٣٨هـ)[2].

---

(١) انظر: «تاريخ بيهق» لظهير الدين البيهقي (ص: ٤٣٧).

(٢) انظر: «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٢٠/ ١٥١ـ١٥٦)، و«طبقات المفسرين» للسيوطي (ص: ١٢٠).

ولم أجد أحداً ممَّن ترجمَ لتاجِ القُرّاءِ عدَّ الزَّمخشريَّ من تلاميذِه، لكن صرَّحَ به الإمامُ السُّيوطيُّ (ت: ٩١١هـ) فقالَ: إنَّ من علومِ القرآنِ العظيمِ مناسبةَ مطالعِ السُّورِ ومقاطعِها، كما أوضحتُه في «الإتقانِ» وكتابِ «أسرارِ التَّنزيل»، وقد صرَّحَ بذلك المحقِّقونَ كصاحبِ «الكشّافِ» وشيخِه محمودِ بنِ حمزةَ الكَرمانيِّ صاحبِ «البرهانِ في متشابهِ القرآن» و«الغرائبِ والعجائبِ» في التَّفسير، والإمامِ فخرِ الدِّين، والأصبهانيِّ، وغيرِهم[١].

وهذه القضيّةُ وإن لم نجد ما يدعمُها في كتبِ التَّراجم، لكن لها ما يشهدُ لها في كتابي الرَّجلين، وليس المقصودُ بذلك أنَّ الزَّمخشريَّ نقلَ عن «لبابِ التَّفاسير» أو ذكرَ الكرمانيَّ في «كشّافِه»، ولكنَّ المرادَ أنَّ بعضَ محاولاتِ الكرمانيِّ في توضيحِ مفهومِ الإعجازِ من خلالِ تحليلِ النَّصِّ القرآنيِّ وَفقَ ما تقتضيه أساليبُ العربيّة، وأنَّ نظرتَه إلى الأسلوبِ القرآنيِّ كمظهرٍ من مظاهرِ الإعجاز، هو ما نجدُه عند الزَّمخشريِّ.

ومنهم الفَضلُ المُزَنيُّ، والدُ أبي الحسنِ عليِّ بنِ الفَضلِ المُزَنيِّ النَّحويِّ:

لم أقف لـه على ترجـمةٍ مستقلّةٍ، لكن قالَ ياقوت الحمويُّ في ترجمةِ ابنِه عليِّ بنِ الفَضلِ: نَقَلتُ من خطِّ أبي سعيدٍ عبدِ الرَّحمنِ بن عليٍّ اليَزْداديِّ في كتابِهِ المُسمَّى «جلاءُ المعرِفةِ»: وكانَ قرأ كتابَ الكرْمانيِّ في النَّحوِ، وقَرَأ هو على أبيهِ، وأبوهُ على الكَرْمانيِّ[٢].

وهذا يدلُّ على أنَّ الفضلَ المزنيَّ قرأ أحدِ كتبِ الكَرمانيِّ النحويّةِ عليه، وأنَّ بعضَ هذه الكتبِ على الأقلِّ كانَ معروفاً لليزداديِّ.

---

(١) انظر: «مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع» للسيوطي (ص: ٤٥).

(٢) انظر: «معجم الأدباء» لياقوت الحموي (٤/ ١٨٣٨).

خامساً ـ مذهبُه:

إنَّ السِّمةَ التي تظهرُ على تاجُ القُرّاءِ الكَرمانيِّ أنَّه رجلٌ متحرِّرُ الفكرِ، يبحثُ بكثيرٍ من التَّجرُّدِ والاتِّساع، ويعرضُ الآراءَ باعتدالٍ وإن كانَ لا يتبناها، ويبذلُ جهدَه في التَّوفيقِ بينها، أو ترجيحِ بعضِها على بعضٍ؛ ولو بإشارة عابرةٍ أو طريقةٍ في التَّرتيب، أو يكتفي بعرضِها من غير تعليقٍ.

وقد ساهمَ هذا بالإضافةِ إلى ما تقدَّمَ من شحٍّ في مصادرِ ترجمتِه في لفِّ مذهبِه بشيءٍ من الغموضِ، فلم يبقَ أمامَ الباحثِ إلا أن يغوصَ في أعماقِ مصنَّفاتِه بحثاً عن ضوءٍ يُذهبُ الظُّلمة، أو قبسٍ يزيلُ الحيرة.

١ ـ مذهبُه العقديُّ:

قبلَ أن أتحدَّثَ عن مذهبِ الكَرمانيِّ العقديِّ أحبُّ أن أذكرَ حادثةً جرت لي في بدايةِ طلبِ العلمِ، فقد ذهبتُ يوماً إلى أحدِ معارضِ الكتبِ، فوقعَت عيني على كتابِ البرهانِ في متشابهِ القرآن، فوقعَ حبُّه في قلبي، وفتحتُ صفحاتٍ منه فطالعتُها واقفاً، فجذبني، واشتريتُه، فلمّا رجعتُ به إلى المنزلِ بدا لي أن أسألَ أستاذاً لي عنه، فقال لي: لا بأسَ أن تقرأ فيه، ولكن احذر؛ فمؤلِّفُه من المعتزلة.

ورغم أنِّي لم أكن أعرفُ المعتزلة، لكنِّي طالعتُ الكتابَ على حذر، وسجَّلتُ فوائدَه في دفتري، ثمَّ اعتزلتُه خوفاً من المعتزلة.

لذلك أحبُّ أن أبدأ الكلامَ بالتأكيدِ على أنَّ تاجَ القُرّاءِ الكَرمانيَّ ليس من المعتزلة؛ فهو يصرِّحُ أنَّه من أهلِ السُّنّةِ والجماعة، والدَّليلُ على ذلك في مقدِّمةِ «لبابِ التَّفاسير» التي افتتحَها الكرمانيُّ بما يشبهُ الحربَ على المعتزلةِ بقولِه: الحمدُ لله مُنزلِ القرآنِ غيرَ مُحدَثٍ ولا مخلوق، الخالقِ الرّازقِ قبلَ كلِّ مخلوقٍ

ومرزوق، العالمِ القادرِ المريدِ بعلمٍ وقدرةٍ وإرادة، مدبِّرِ الخيرِ والشَّرِّ ومقدِّرِ الشَّقاوة والسَّعادة، بعث الرُّسلَ وأزاح العِللَ وأنار السُّبُل؛ لئلّا يكونَ للنّاس على الله حجّةٌ بعد الرُّسل، أوضحَ الآياتِ بخلقِ الأرضِ والسَّماواتِ بدعًا، فوجبَ عليهم النَّظرُ فيها شرعًا لا عقلًا وطبعًا، دعاهم إلى طاعته، وأعانهم عليها برأفته، فالاستطاعةُ والفعل مقرونان، ووعدهم على الطّاعة نعيمًا، وأوعدهم على العصيان جحيمًا، فالجنّةُ والنّارُ مخلوقتان، بشَّر المؤمنين في الحياة الدُّنيا بالرُّؤية في الآخرة، فقال: ﴿وُجُوهٌ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣]، وحُرِمَ الرُّؤيةَ والنّعيمَ الجاحدون، فقال: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]».

فلا تكادُ تجدُ أصلاً من أصولِ المعتزلةِ إلا وجدتَ في هذه المقدِّمةِ ما ينقضُه تصريحاً أو تلميحاً.

وربَّما يكونُ في نقلِه عن أئمَّةِ المعتزلةِ الذينَ عُرفَ عنهم الاعتزال، وضاعَت كثيرٌ من كتبِهم بعد أفولِ نجمِهم وانقراضِ زمانِهم ـ ومن هؤلاء أبو مسلمٍ محمَّدُ بنُ بحرٍ الأصبهانيُّ (ت: ٣٢٢هـ)، وله تفسيرٌ كبيرٌ سمّاه «جامعُ التَّأويلِ لمحكمِ التَّنزيل»، ومنهم أبو الحسنِ عليُّ بنُ عيسى الرُّمّانيُّ (ت: ٣٨٤هـ) الذي كان من أئمّةِ النَّحو، وألَّفَ تفسيراً كبيراً، وقد عُدَّ هذان التَّفسيران من جملةِ المفقودِ من التُّراثِ الحضاريِّ الإسلاميِّ، كما نقلَ عن أبي مسلمٍ محمَّدِ بنِ عليٍّ ابن مهربزد الأصبهانيِّ (ت: ٤٥٩هـ) ـ أثرٌ في إيهامِ ميلِه إلى المعتزلة.

لكنَّ هذا الوهم يزولُ تماماً عند مَن يتتبَّعُ كلامَ الكَرمانيِّ، فقد قالَ في تفسيرِ قولِه تعالى: ﴿وَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ﴾: والجنّة: هي جنّةُ الخُلْدِ التي وُعِدَ المتَّقون دخولَها، وهي مخلوقةٌ، وهذا مذهب أهل السُّنةِ والجماعةِ.

وقالَ في تفسيرِ قولِه تعالى: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾: والجنّةُ مخلوقةٌ، ومحلُّها السَّماوات... وقيل: لم تُخلَق بعدُ، والأوَّلُ مذهبُ أهلِ السُّنةِ والجماعة.

ومن المعروفِ أنَّ طائفةً من المعتزلةِ والخوارجِ قد ذهبَت إلى أن الجنّة والنّار لم يُخلقا بعدُ(١)، فأغلبُ الظَّنِّ أنَّ كلامَه ردٌّ لمذهبِ المعتزلةِ، لكنَّه عرضَ الخلافَ بأسلوبٍ علميٍّ بعيدٍ عن الجدلِ والنِّقاش.

وقالَ في تفسيرِ قولِه تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ﴾: وأوَّلوا الإشهادَ على وجهَين:

أحدُهما: بما رُكِّبَ فيهم من العقلِ.

والثّاني: ببعثِ الرُّسلِ.

والأوَّلُ هو مذهبُ السُّنَّةِ والجماعةِ؛ لأنَّ جُلَّ المُفسِّرين على ذلك؛ لأنَّ الأخبارَ في ذلك شاعَتْ وذاعَتْ.

وفي كلامِ تاجِ القُرّاء هذا ردٌّ لمذهبِ المعتزلةِ بالتَّحسينِ والتَّقبيح العقليَّين.

وكذلك نقلَ في تفسيرِ قولِه تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا﴾ قولَ السُّدِّيِّ: قتلُ المؤمنِ للمؤمنِ يخرجُه عن كونِه مؤمنًا إلّا أن يكونَ خطأً. ثمَّ قال: فيكون الاستثناءُ صحيحًا، وليس هذا معتقدَ أهلِ السُّنّةِ والجماعة.

وفي كلامِ الكَرمانيِّ ردٌّ لمذهبِ المعتزلةِ الشَّهيرِ في مرتكبِ الكبيرةِ، وأنَّه في منزلةٍ بين المنزلتين(٢).

---

(١) انظر: «الفِصَل في الملل والأهواء والنحل» لابن حزم (٤/ ٦٨)، و«تأويلات أهل السنة» للماتريدي (١/ ٤٢٥).

(٢) انظر: «مقالات الإسلاميين» للأشعري (ص: ٢١٣)، و«الكشاف» للزمخشري (١/ ٥٥١)، و«شرح العقيدة الطحاوية» لابن أبي العز (٢/ ٥٢٤).

إذن يعلنُ الكَرمانيُّ انتسابَه للسُّنّةِ والجماعةِ، لكنَّ الذي يظهر لنا عند التَّوقُّفِ على مواضعَ من كلامِ الكَرمانيِّ أنَّ دائرةَ السُّنّة والجماعةِ تتَّسعُ عنده؛ لتضمَّ مذهبي السَّلفِ والخلفِ؛ فنراه يقولُ في تفسيرِ قولِه تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾: مذهبُ السُّنَّةِ والجماعةِ: أنَّ الاستواءَ هاهنا لا يُفسَّرُ بما لم يَصفِ اللهُ ذاتَه به. ثمَّ ذكرَ تأويلاتٍ وردَت عن بعضِ المفسِّرينَ مناقشاً بعضَها ومعرضاً عن بعض.

وإنَّا لنشعرُ في هذا الموضعِ أنَّه أقربُ إلى مذهبِ أهلِ التَّفويضِ من السَّلف، لكنَّنا نجزمُ في مواضعَ أخرى أنَّ الرَّجلَ على مذهبِ أهلِ التَّأويلِ من الخلف، فهو يذكِّرنا بطريقةِ المتأخِّرين من أمثالِ ابنِ الصَّلاحِ والقاضي عياضٍ والنَّوويِّ.

ورغم تشابهِ مذهبِ المتأخِّرينَ من المؤوِّلةِ من أشاعرةٍ وماتريديّة، لكن يغلبُ على الظَّنِّ أنَّ الكَرمانيَّ له ميلٌ للأشعريّةِ، وهو ما يظهرُ في قولِه في تفسيرِ ﴿أَوۡ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشۡرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبۡلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةٗ مِّنۢ بَعۡدِهِمۡۖ أَفَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ﴾: وهذا دليلٌ على أنَّ التَّقليدَ في التَّوحيدِ كفرٌ.

فمن المعروفِ أنَّ هذا قولُ الأشاعرةِ[1]؛ ولا نستطيعُ أن نجزمَ إن كان تاجُ القرّاء قالَه تقليداً لمذهبِهم، أو دعوةً إلى الاجتهادِ ونبذاً للتَّقليدِ، لا سيَّما أنَّ هذه الدَّعوةَ قد تكرَّرت منه مرّاتٍ، كما في قوله في تفسيرِ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسۡبُنَا مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ﴾: دلَّت الآيةُ على وجوبِ النَّظر والتَّدبُّر وبطلانِ التَّقليد.

وتكرَّرَ مثلُه في تفسيرِ ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ قال: أي: يتأمَّلون في معانيه ومبانيه.

---

(١) انظر: «الفصل» لابن حزم (٤/ ٢٨ ـ ٢٩).

والتَّدبُّرُ: تصرُّفُ القلبِ بالنَّظرِ في العواقب.

والتَّفكُّرُ: تصرُّفُ القلبِ بالنَّظرِ في الدَّلائل.

وهذا قاطعٌ لقولِ مَن زعمَ منَ الرّافضةِ أنَّ القرآنَ لا يُفهَم معناه إلّا بتفسيرِ الرَّسولِ له.

فتاجُ القُرّاء ولا شكَّ داعيةُ تفكيرٍ واجتهادٍ وتدبُّرٍ، وليسَ داعيةَ تعصُّبٍ، وأظهرُ دليلٍ على هذا حاجتُنا للبحثِ في مذهبِه.

ونقفُ على النَّقلِ الأخيرِ الذي حملَ ردَّ تاجِ القُرّاءِ على الرّافضةِ في زعمِهم عجزَ النّاسِ عن فهمِ القرآن، وهذه الدَّعوى إنَّما هي بطانةُ الباطنيّة، فعجزُ النّاسِ عن فهمِ القرآنِ يلزمُ منه أن يكونُ ما يفهمُه عامّةُ النّاسِ من ظاهرِ النُّصوصِ غيرَ صحيح، وأنَّ للنُّصوصِ باطناً يخالفُ ظواهرَها، ومثلُ هذا يمكنُ أن يُسحبَ ليؤدِّي إلى التَّفلُّتِ من تعاليمِ الإسلامِ بالكلِّيّة.

ونجدُ مِثلَ هذا الموقفِ الصُّلبِ لتاجِ القُرّاءِ في تفسيرِ ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾، فإنه قال: ذهبتِ الرَّافضةُ إلى أنَّ هذا تغييرٌ منَ الكاتبِ، ولم يكُنْ في القرآنِ الظَّالِمُ وفلانٌ بالكنايةِ، بل كانا اسمَينِ صريحَين منَ الصَّحابةِ؛ يَعْنُون: الصِّدِّيقَ والفاروقَ، رضي الله عنهما، ولعَنَ مُبغِضيهما، وخذَلَهم.

كما صرَّحَ بتقديمِ أبي بكرٍ رضي الله عنه على عليٍّ رضي الله عنه وغيرَه، فقال في تفسير قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟﴾ [الحديد: ١٠]: وفي هذه الآيةِ دليلٌ واضحٌ وبرهانٌ لائحٌ على فضلِ أبي بكرٍ وتقديمِه؛ لأنَّه أوَّلُ مَن أسلَمَ.

وقالَ في تفسيرِ ﴿إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾: فإنْ طلَّقَها في حيضٍ أو طُهرٍ جامعَها فيه يقعُ الطَّلاقُ لغيرِ السُّنَّةِ. وذهبَ بعضُهم إلى أنَّه إذا طلَّقها ثلاثًا تقعُ واحدةً. وذهبَ بعضُهم إلى أنَّها لا تقعُ أصلًا؛ لأنَّها ليست كما أمرَ الله. وهذانِ القولانِ مذهبا الشِّيعةِ، وهو خلافٌ للمسلمينَ؛ لأنَّ النَّهيَ لا يُوجِبُ فسادَ المنهيِّ عنه، بل يُوجِبُ العصيانَ.

٢ ـ مذهبُه الفقهيُّ:

لم يُصرِّح تاجُ القُرَّاءِ الكَرمانيُّ بمذهبِه الفقهيِّ في «لباب التَّفاسير»، ولم نقف على تصريحِه بذلك في كتابٍ آخرَ من كتبِه، وربَّما كانَ لوضعِ الدَّولةِ السَّلجوقيّةِ أثرٌ في ذلك؛ فقد تناوبَ ملوكُها ووزراؤهم على تبنِّي مذهبِ الحنفية أو الشّافعيّة، ودعمِ علمائهما.

وقد اختلفَت مصادرُ ترجمةِ الكَرمانيِّ على قلَّتها في مذهبِه الفقهيِّ؛ فقيلَ: حنفيٌّ(١)، وقيلَ: شافعيٌّ(٢)، والذي ترجَّحَ عندنا أنَّه حنفيٌّ.

ومن طُرَفِ ما وقعَ في الكتابِ أنِّي وجدتُ لهذا الخلافِ جذراً في النُّسخِ الخطيّةِ؛ فعندَ تفسيرِ ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ جاءَ في نسخةِ (نور بانو المرموز لها بـ: ن): قوله: ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: في الدارِ الآخرة، وقيل: في حُكمِ الله، كما تقولُ: هذا عندَ الشافعيِّ جائزٌ؛ أي: في حُكْمِه.

---

(١) انظر: «الحاوي» للسيوطي (١٩/ ٢٠٣) ضمن مجموع رسائل العلامة السيوطي ـ ط دار اللباب، وقد وصفه السيوطي في هذا الموضع بأنه من أئمة الحنفية.

(٢) انظر: «كشف الظُّنون» لحاجي خليفة (١/ ٢٤١)، و«معجم المؤلفين» لعمر رضا كحالة (١٢/ ١٦١)، و«هدية العارفين» للبغدادي (٢/ ٤٠٢).

وهذه العبارةُ لو سلمَت لكانَت مؤشِّراً إلى انتمائِه لمذهبِ الشّافعيّة، ولكن جاء في (نسخةِ الفاتحِ المرموز لها بـ: ف): كما تقولُ: هذا عندَ أبي حنيفةَ جائزٌ؛ أي: في حُكْمِه.

وقد وقفتُ على موضعٍ آخرَ عند تفسير ﴿فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾ قال: و(رأيتُ) هذا منَ الرَّأيِ، كما تقولُ: فلانٌ يَرى رأيَ أبي حنيفةَ.

وهذا موضعٌ سلمَ من اختلافِ النُّسخِ، وفيه إشارةٌ إلى انتمائِه لمذهبِ أبي حنيفةَ، فمن عادةَ العلماءِ أن يمثِّلوا بأئمَّتِهم.

وأصرحُ من هذا ما جاء في قولِه: هذا مذهبُ الفقهاء، والمرويُّ عن أبي حنيفةَ رضي الله عنه[1]؛ فتخصيصُ أبي حنيفةَ رحمه الله بعد عمومِ الفقهاءِ فيها دلالةٌ على خصوصيّةِ مذهبِه عند الكَرمانيِّ.

وكذلك نجدُه في تفسيرِ ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾ يذكرُ قولَ أبي حنيفةَ أوَّلاً، ويُعقبُه بعبارة (رضي الله عنه)، ثم يذكرُ قولَ الشافعيِّ ثانياً، ويُعقبُه بعبارة (رحمه الله)، ثم يذكرُ قولَ مالكٍ والأوزاعيِّ، ويُعقبُه بعبارة (رحمهما الله)، فالتخصيصُ لأبي حنيفةَ أيضاً.

وثمّةَ مسلكٌ آخرُ سلكناه لمعرفةِ مذهبِه الفقهيِّ، وهو العودةُ إلى المسائلِ الخلافيّةِ، ومقارنةُ رأيه فيها بالمشهورِ من مذاهبِ الأئمّةِ، وقد حصلَ عندنا من خلالِ هذا المسلكَ ظنٌّ قاطعٌ بما كنَّا توصَّلنا إليه بظنونٍ وإشاراتٍ، ومن هذه المواضعِ:

---

(١) انظر: «المبسوط» للسرخسي (٣٠/ ٢٦٦)، و«المغني» لابن قدامة (٨/ ٢٥٩).

قولُه: العمرةُ: زيارةُ البيت، وإتمامُها بالإحرامِ والطَّوافِ والسَّعيِ وحلقِ الرَّأس، وهي سُنَّةٌ عندنا، وليس بفرضٍ؛ لقولِه تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾ [آل عمران: ٩٧].

وكلمةُ (عندنا) التي استخدمَها تاجُ القُرّاءِ تشيرُ إلى الانتماءِ المذهبيِّ، ولم يستخدمها الكَرمانيُّ إلا نادراً، وقد ذهبَ إلى سُنيّةِ العمرةِ أبو حنيفة ومالكٌ، بينما ذهبَ إلى وجوبِها الشَّافعيُّ وأحمد(١)، ولمّا كان التَّردُّدُ عندنا بين كونِه حنفيّاً أو شافعيّاً، فالعبارةُ تدلُّ على أنَّه حنفيٌّ، والله أعلمُ.

ومنها قولُه في تفسيرِ ﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ﴾: والاعتكافُ: لزومُ عبادةِ الله في مسجدٍ تُقامُ فيه الجماعةُ مع الصَّوم؛ والصَّومُ شرطٌ للاعتكافِ عند أبي حنيفةَ ومالكٍ، وليس بشرطٍ عند الشافعيِّ(٢).

ومنها قولُه في تفسيرِ ﴿وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ﴾: والمفروضُ قدرُ الربع، ولا يستوعب الرَّأس خلافًا لمالكٍ، ولا يقتصرُ على ما دونه خلافًا للشَّافعيِّ رحمه الله. وهذا أصرحُ ممّا قبله؛ فقد أقرَّ مذهبَ أبي حنيفةَ وردَّ غيرَه٣.

ومنها: اختيارُه أنَّ القرءَ الحيضُ عند تفسير ﴿ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾، لكنَّ هذا الاختيارَ ظهرَ من خلالِ ترتيبِه للأقوال، ولم يصرِّح به.

وقد وقفتُ على مواضعَ فيها إشكالٌ، منها: قولُه: الدِّيةُ: مئةُ إبلٍ، أو ألفُ دينارٍ، أو اثنا عشرَ ألفِ درهمٍ، تُوزَّعُ على عاقلتِه، فتُؤدَّى في ثلاثِ سنين. وتحديدُ الدِّيةِ

---

(١) » انظر: «الإشراف» لابن المنذر (٣/ ٣٧٦).

(٢) » انظر: «الإشراف» لابن المنذر (٣/ ٣٧٦).

(٣) انظر: «الأم» (١/ ٤١)، و «تفسير الثعلبي» (١١/ ١٩١)، و«فتح القدير» لابن الهمام (١/ ١٣)، و«الجامع لمسائل المدونة» (١/ ١٩)، و«التمهيد» (٢٠/ ١٢٥).

باثني عشرَ ألفِ درهمٍ قولُ مالكٍ والشّافعيِّ في القديم، أمّا الحنفيّةُ فيرونَ أنَّه عشرةُ آلافِ درهمٍ، ولكنَّ هذا الإشكالُ زال عندما وجدتُ أنَّه روايةٌ عن أبي حنيفةَ(١).

٣ ـ مذهبُه النَّحويُّ:

استخدمَ تاجُ القُرّاءِ الكَرمانيُّ مصطلحاتِ البصريِّينَ تارة، ومصطلحاتِ الكوفيِّينَ تارةً أخرى؛ فكانَ يقولُ: خفضٌ وجرٌّ(٢)، ويقول: ضميرٌ وكناية(٣)، ويقول: ضميرُ عمادٍ وفصلٍ(٤)، ويقول: صلةٌ وزيادة(٥)، ويقول: نعتٌ وصفة(٦)، وهو يعرضُ رأيَ الفريقينِ في كثيرٍ من الأحيانِ دونَ تشنيعٍ على أحدِهما(٧)، لكنَّه أميلُ إلى مذهبِ

---

(١) انظر: «الحجة على أهل المدينة» لمحمد بن الحسن (٤/ ٢٥٨)، و«مختصر المزني» (٧/ ٣٥١)، و«التجريد» للقدوري (١١/ ٥٧١١)، و«المبسوط» للسرخسي (٢٦/ ٧٧)، و«تبيين الحقائق» للزيلعي (٦/ ١٢٧).

(٢) استخدم الأوّل في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧١]، واستخدم الثاني في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ﴾ [البقرة: ١٠٢].

(٣) استخدم الأوّل في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧١]، واستخدم الثاني في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ﴾ [البقرة: ١٠٢].

(٤) استخدم الأوّل في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾ [البقرة: ٤٠]، واستخدم الثاني في تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ [البقرة: ٣١].

(٥) استخدم الأوّل في تفسير قوله تعالى: ﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٨٨]، واستخدم الثاني في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ﴾ [البقرة: ١٠٢].

(٦) استخدم الأوّل في تفسير قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾ [الزمر: ١٠]، واستخدم الثاني في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا﴾ [البقرة: ٢٦].

(٧) كما في كلامه على اشتقاق لفظ الجلالة، وفي مجيء (أو) بمعنى الواو، وبناء (يوم) على الفتح، وانظر في هذا: رسالة «المسائل النحوية في غرائب التفسير» للدكتور حسن قابور (ص: ٢٥٣)، ورسالة «ردود الكرماني على النحاة في كتابه غرائب التفسير وعجائب التأويل» لعلي عبد الله =

البصريِّين، فقد أكثرَ من ذكرِ أئمّةِ البصريِّين، ولا سيَّما سيبويهِ والخليلُ والمبرِّد، وقد ردَّ مذهبَ الكوفيِّينَ في مسائلَ ليست بالقليلة، كما في تفسيرِ قولِه: ﴿وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ﴾، فقد ذكرَ مذهبَ البصريِّينَ بأنَّه أُكِّدَ بـ(إنَّ)، ثمَّ خُفِّفَت، ودخلَت اللّامُ بعدَه لزوماً، ثم قال: والكوفيُّون يجعَلون (إنْ) للنَّفي، واللامَ بمعنى: إلّا، وهذا لا يُعرَف له أصلٌ.

وقالَ في تفسيرِ قولِه: ﴿فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾: وقال الكوفيُّونَ: مجرورٌ للجِوارِ، وفيه ضعفٌ.

وقال في تفسيرِ قولِه: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ﴾: حذفُ تاءِ (طالق) للنَّسب؛ كتامرٍ ولابِنٍ، وقولُ مَن قال: «لعدمِ المشاركةِ» باطلٌ، بـ(طلقَتْ) و(حاضَتْ).

فمعنى (طالق) عند الكَرمانيِّ: ذاتُ طلاق، كما أنَّ التّامرَ صاحبُ التَّمر، واللابنُ صاحبُ اللَّبن، ولذا حُذفَت التّاء، وهو مذهبُ الخليلِ وسيبويهِ والبصريِّين، وهو يرى أنَّ مَن زعمَ أنَّ حذفَ التّاءِ بسببِ كونِ كلمةِ (طالق) مختصّةً بالمؤنَّث، فقولُه مردودٌ بدخولِ تاءِ التّأنيثِ على الفعل، وهذا القولُ الذي ردَّه تاجُ القُرّاءِ للفرّاءِ والكوفيِّين(١).

سادساً ـ مؤلفاتُه:

تنوَّعَت كتُبُ الشَّيخِ الكرْمانيِّ بشَكلٍ واسِعٍ وكبيرٍ، وتَناوَلتْ مختَلَفَ العُلومِ من التَّفسيرِ والقِراءاتِ وعلومِ القرآنِ والنَّحوِ: منها كتابُنا هذا الموسومُ بـ«لُبابِ

= محيسن (ص: ١٢)، ومقدمة تحقيق «العنوان» للمصنِّف (ص: ٢٧).

(١) انظر: «الكتاب» لسيبويه (٣/ ٣٨٣)، و«معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢١٤)، و«المذكر والمؤنث» للأنباري (١/ ١٤٨)، و«الدر المصون» للسمين الحلبي (٨/ ٢٢٤).

التَّفاسيرِ»، وجاء في بعضِ المصادرِ «لُبابُ التَّأويلِ»، ولعلَّه هو، وكتابُ «غرائبِ التَّفسيرِ وعجائبِ التَّأويل»[1]، ربَّما سُمِّي في بعضِ المصادر «العَجائِب والغَرائِبِ»، و«النِّهايةُ في شرحِ الغايةِ»[2] في القراءات العشر، و«خَطُّ المَصاحِفِ»، و«البُرهانُ في مُتَشابِهِ القُرآنِ»[3]، وهو في بيانِ أسرارِ التّكرارِ في القرآن، وربَّما سُمِّي بذلك، و«العنوانُ» في النَّحو[4]، و«الإفادةُ» فيه أيضاً، و«شرحُ اللُّمَع لابن جنِّي»، و«النِّظاميُّ» وهو اختصارُ «اللُّمَعِ»، و«الإيجازُ» مختصِرُ «الإيضاحِ» للفارِسيِّ، وله أيضاً كتاب بعنوان «غُنيةُ الطالبِ في شرحِ رسالةِ الصدِّيقِ لعليِّ بن أبي طالب»[5].

سابعاً ـ ثناءُ العُلماءِ علَيه:

على الرَّغمِ مِن عدَمِ وُجودِ سيرةٍ حافلةٍ بتاريخِ الشَّيخِ، إلّا أنَّه بالنَّظرِ إلى ما قدَّمَهُ في عُلومِ الفِقهِ، والقِراءاتِ، والنَّحوِ، والتَّفسيرِ أيضاً، فقد حازَ إعجابَ العُلماءِ

---

(١) طُبعَ في دار القبلة بجدة ومؤسسة علوم القرآن ببيروت بتحقيق الدكتور شمران العجلي.

(٢) قام بتحقيقه مجموعة من الباحثين في رسائل جامعية في الجامعة الإسلامية في المدينة المنوّرة، ولم أقف عليه مطبوعاً.

(٣) قام الدكتور منصور محمد الحفناوي بتحقيقه، ونال فيه درجة الماجستير في جامعة القاهرة سنة ١٩٧٥م، وطُبعَ في دار الاعتصام في القاهرة بتحقيق عبد القادر أحمد عطا بعنوان: أسرار التكرار في القرآن، وله طبعات وتحقيقات أخرى.

(٤) قام الدكتور حازم سعيد البياتي والدكتورة منال صلاح الدين عزيز بتحقيقه، وطُبعَ في دار البحوث للدراسات الإسلاميّة وإحياء التراث بدبي.

(٥) انظر: «معجم الأدباء» لياقوت الحموي (٦/ ٢٦٨٦)، و«غاية النِّهاية في طبقات القرّاء» لابن الجزري (٢/ ٢٩١)، و«كشف الظُّنون» لحاجي خليفة (١/ ٨١)، (١/ ٢٤١)، (١/ ٤٢٧)، (٢/ ١١٢٦)، (٢/ ١١٧٧)، (٢/ ١١٩٧)، (٢/ ١٥٤١)، و«بُغية الوُعاة» للسيوطي (٢/ ٢٧٧)، و«طبقات المفسِّرين» للدّاودي (٢/ ٣١٢)، و«هديّة العارفين» للبغدادي (٢/ ٤٠٢)، و«الأعلام» للزِّركلي (٧/ ١٦٨).

وامتِداحَهُم، وبذَلوا في ذلكَ له الألقابَ، حتَّى صارَ مَعروفاً بينَهُم بتاجِ القُرّاءِ، وقد تركَ العلماءُ فيه شهاداتٍ رفيعة، وعباراتٍ في الثَّناءِ بديعة، ومن ذلك:

قولُ ياقوت الحمويِّ: هو تاجُ القُرّاءِ، وأحَدُ العُلماءِ الفُقَهاءِ النُّبَلاءِ، صاحِبُ التَّصانيفِ والفَضلِ، كانَ عجَباً في دقَّةِ الفَهمِ، وحُسْنِ الاستِنباطِ(١).

وقال ابنُ الجزَريِّ: إمامٌ كبيرٌ محقِّقٌ ثقةٌ كبيرُ المَحلِّ(٢).

وقال الأدنَوَيه: العالِمُ الفاضِلُ المحقِّقُ العَلّامةُ بُرهانُ الدِّينِ أبو القاسِمِ(٣).

وقد وصفه السُّيوطيُّ بأنَّه من أهلِ التَّدقيق، وأنَّه من المحقِّقين، وأنَّه من أئمّةِ الحنفيّة، ولم تأتِ هذه الأوصافُ في سياقِ ترجمةِ الكَرمانيِّ، وإنَّما جاءت عند الحديثِ عن أنواعٍ من علمِه(٤).

ومن ذلكَ شهادةُ تلميذِه شمسِ القراءِ الكَرمانيِّ، فقد وصفَه بالشَّيخِ الإمامِ تاجِ القُرّاءِ برهانِ الدِّينِ زينِ الفريقينِ ضياءِ الأمّةِ سعدِ الإسلامِ أبي القاسمِ محمودِ بنِ حمزةَ بنِ نصرٍ، رحمة الله ورضوانه عليه(٥).

ثامناً ـ وفاتُهُ:

ذكَرَ ياقوت الحمويُّ وهو صاحبُ أقدمِ ترجمةٍ بين أيدينا لتاجِ القُرّاءِ

---

(١) انظر: «معجم الأدباء» لياقوت الحموي (٦/ ٢٦٨٦).

(٢) انظر: «غاية النّهاية في طبقات القرّاء» لابن الجزري (٢/ ٢٩١).

(٣) انظر: «طبقات المفسِّرين» للأدنويه (١/ ١٤٩).

(٤) انظر: «الحاوي» للسيوطي (١٧/ ٤٨٨) ضمن مجموع رسائل العلامة السيوطي، ط دار اللباب، و«مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع» للسيوطي (ص: ٤٥).

(٥) انظر: «قراءة الكسائي» لمحمد بن أبي نصر الكرماني (ص: ١٥).

الكَرمانـيّ: أنَّـه كانَ فـي حـدودِ المئـةِ الخامِسـةِ وتُوفِّـيَ بعدهـا[١].

وقال الإمامُ السيوطيُّ في حدودِ الخمسِ مائة[٢]، وقد تكرَّرَ هذا عند معظمِ مَن ترجمَ لتاجِ القُرّاء[٣]، لكنَّ حاجي خليفة الذي تكرَّرت عبارتُه لتفيدَ هذا المعنى في مواضعَ ذكرَ عبارةً أخرى في مواضعَ أخرى فقال: المتوفَّى في حدودِ (٥٠٠)[٤]، أمّا الزِّركليُّ فذكرَ أنَّه تُوفِّي نحوَ (٥٠٥هـ)[٥].

وبينَ هذه العباراتِ فرقٌ كبيرٌ؛ فعبارةُ ياقوت لا تحدِّدُ سنةَ وفاةِ تاجِ القُرّاءِ، بل تُثبتُ أنَّه كان حيًّا في سنة ٥٠٠هـ، وتُوفِّي بعدها؛ فقد يكونُ تُوفِّي بعدَها بـ٢٠ أو ٣١ أو ٣٥ سنةً، أمَّا العبارةُ الثّانيةُ ففيها تحديدٌ.

وقد ذهبَ محقِّقُ كتابِ «غرائبِ التَّفسيرِ وعجائبِ التَّأويلِ» الدكتور شمران العجليُّ إلى غيرِ هذا، فاعتمدَ على عبارةٍ في (نسخةِ بني جامع) في إسطنبول قالَ فيها النّاسخُ: (قالَ سيِّدُنا الشَّيخُ الإمامُ... أبو القاسمِ محمودُ بنُ حمزةَ بنِ نصرٍ أدامَ الله أيّامَه وعصمَ ساحتَه عن المكارهِ والنَّوائبِ بحقِّ محمَّدٍ وآلِه)، ورأى أنَّ هذه العبارةَ تفيدُ أنَّ المصنِّفَ كان حيّاً عندَ نسخِ الكتاب، وقد فُرِغَ من نسخِه في المحرَّمِ سنةَ خمسٍ وثلاثينَ وخمسمائة، كما جاءَ في آخرِ الجزءِ الأوَّل، فخلصَ إلى أنَّه تُوفِّي سنةَ ٥٣٥هـ تقريباً[٦].

---

(١) انظر: «معجم الأدباء» لياقوت الحموي (٦/ ٢٦٨٦).

(٢) انظر: «التحبير لعلم التفسير» للسيوطي.

(٣) انظر: «غاية النِّهاية في طبقات القرّاء» لابن الجزري (٢/ ٢٩١)، و«كشف الظُّنون» لحاجي خليفة (٢/ ١١٢٦)، (٢/ ١١٧٧)، و«معجم المؤلفين» لعمر رضا كحالة (١٢/ ١٦١).

(٤) انظر: «كشف الظُّنون» لحاجي خليفة (١/ ٢١١).

(٥) انظر: «الأعلام» للزركلي (٧/ ١٦٨).

(٦) انظر: «غرائب التفسير وعجائب التأويل» لتاج القراء الكرماني (١/ ٢٩ و٣٤)، و«شواذ القراءات» =

وهذه العبارةُ تدلُّ على ما ذهبَ إليه الدكتور شمران في الظّاهر، لكنَّ دلالتَها على ذلك ليست قاطعة؛ لاحتمالِ أن يكونَ النّاسخُ قد نسخَ العبارةَ كما هي من أصلٍ سابقٍ اعتمدَ عليه، ولاحتمالِ أن تكونَ تلك العبارةُ قد جرَت على لسانِ النّاسخِ اتِّباعاً لعادةٍ أَلِفَها؛ فأمثالُ تلك العباراتِ كانت مألوفةً متردِّدةً على ألسنةِ الكُتّاب والنُّساخ، ومع ذلك يبقى ما ذهبَ إليه الدكتور شمران هو الظّاهرُ.

وقد دعمَ الدكتور شمران ما ذهبَ إليه بما جاءَ في آخرِ نسخةِ مجلسِ الشُّورى بطهرانَ حيثُ قالَ النّاسخُ: قد انتسخْتُ هذه النُّسخةَ من التَّفسيرِ الموسومِ بـ«الغرائبِ والعجائبِ»... من نسخةٍ قديمة... مؤرَّخةٍ بتاريخِ سنةِ ٦٧٥هـ، وقد كُتبَ في تلكَ النُّسخةِ: (فرغَ المصنِّفُ ـ وهو الشَّيخُ الإمامُ تاجُ القُرّاءِ برهانُ الدِّينِ رحمه الله تعالى ـ من تحريرِه وتصنيفِه في شهرِ ربيعِ الأوَّلِ سنةَ إحدى وثلاثينَ وخمسمائة) وهذه العبارةُ على صراحتِها في الدِّلالةِ على ما ذهبَ إليه الدكتور شمران، لكنَّ فيها ما قالَه العلماءُ في الوِجادة[1]، أو هي دونَ ذلك.

وقد ذكرَ تاجُ القُرّاءِ الكَرمانيُّ في «لباب التَّفاسير» أنَّه سمعَ شيخَ الإسلامِ القاضي أبا المعالي، فإن صحَّ ما يغلبُ على ظنِّي أنَّه هبةُ الله بنُ عليِّ بنِ إبراهيمَ الشِّيرازيُّ قاضي كَرمانَ، فهو دليلٌ على تأخُّر وفاتِه إلى ما بعدَ سنةِ ٥٢٠هـ[2]، فقد تُوفِّيَ القاضي في تلكَ السَّنةِ، وترحَّم عليه تاجُ القُرّاءِ الكَرمانيُّ، لكنَّ هذا أيضاً وإن كانَ دليلاً على تأخُّرِ وفاةِ الكَرمانيِّ، لكنَّه دليلٌ غيرُ قاطعٍ لما تبيَّنَ، والله أعلمُ.

* * *

= لشمس القراء الكرماني (ص: ٨).

(١) هو من باب المنقطع، ولكن فيه شوب اتصال. انظر: «فتح المغيث» للسخاوي (٣/ ٢٣)، و«تدريب الراوي» للسيوطي (١/ ٤٨٧).

(٢) انظر: «الوافي بالوفيات» للصفدي (٢/ ١١٤).

دراسةُ كتابِ «لبابِ التَّفاسير»

أوَّلاً ـ عنوانُ الكتابِ ونسبتُه إلى مؤلِّفِه:

اختلفت المصادرُ التي ترجمَت لتاجِ القُرّاءِ والتي ذُكرَ فيها هذا الكتابُ في اسمِه؛ فقد سمَّاه المصنِّفُ في مقدّمتِه: لبابَ التَّفاسير، وكذلك سمّاه في مقدِّمة «غرائبِ التَّفسيرِ وعجائبِ التَّأويلِ»، وفي مواضعَ منه[1]، وهو كذلك في «هديّة العارفين» للبغدادي، و«غاية النِّهاية في طبقات القرّاء» لابن الجزري[2].

وهذا الاسمُ هو المثبتُ على النُّسخِ الخطيّةِ التي سيأتي الحديثُ عنها، إلا أنَّه جاء في (نسخةِ الفاتح): لبابُ تفسيرِ القرآن.

وقد سمَّاه ياقوت في «معجمِ الأدباء»: لبابَ التَّفسير[3]، وكذا فعلَ ابنُ السّاعي في «الدُّرِ الثَّمين»[4]، وبهذا الاسمِ ذكرَه المصنِّفُ في «البرهان»[5].

---

(١) انظر: «غرائبِ التَّفسيرِ وعجائبِ التَّأويلِ» للمصنِّف (١/ ٨٨ و١٠٨ و٢٤٢ و٢٨٢ و٣٠٠) و(٢/ ٧٥٤ و٧٦٢).

(٢) انظر: «هديّة العارفين» للبغدادي (٢/ ٤٠٢)، و«غاية النِّهاية في طبقات القرّاء» لابن الجزري (٢/ ٢٩١)، و«فهرس الخزانة التيمورية» (٣/ ١٦٠).

(٣) انظر: «معجم الأدباء» لياقوت الحموي (٦/ ٢٦٨٦).

(٤) انظر: «الدر الثمين في أسماء المصنفين» لابن الساعي (ص: ٣٥٧).

(٥) انظر: «البرهان» للمصنف (ص: ١١٧).

وقد تداولَ العلماءُ الاسمين، واختصرُوا أحياناً فقالوا: اللُّباب[١].

وذكرَه المصنِّفُ في «البرهان» أيضاً باسمِ: لبابِ التَّفسيرِ وعجائبِ التَّأويل[٢].

والذي يظهرُ لي أنَّ المصنِّفَ أَلَّفَ «البرهان» و«غرائب التفسير» بعد «لباب التفاسير»، وبدا له أن يُعدِّلَ اسمَ الكتاب؛ ليكونَ أكثرَ دلالةً على ما يحتويه؛ لأنَّ الكتابَ الذي بين أيدينا يحتوي على أقوالٍ منتقاةٍ هي (لباب التفسير)، وعلى أقوالٍ مرجوحةٍ هي (عجائب التأويل)، والكَرمانيُّ قصدَ الجمعَ بينَ الاثنينِ لغايةٍ في نفسِه قضاها، والله أعلم.

وقد وقعَ خلطٌ أحياناً بين كتابِه «لبابِ التَّفاسير» الذي جمعَ فيه أهمَّ ما وقفَ عليه من آراءِ المفسِّرين في رحلاتِه بين كتبِهم، وبين كتابِه «غرائبِ التَّفسيرِ وعجائبِ التَّأويلِ» الذي أَلَّفَه بعدَ ذلك، وخصَّه بالغريبِ والعجيبِ من أقوالِ المفسِّرين، وقد وقعَ هذا الخلطُ في «كشفِ الظُّنون» حيثُ تحدَّثَ حاجي خليفة عن كتابِ «الغرائبِ والعجائبِ» ثمَّ قال: سمّاه: «لبابَ التَّفسير»[٣].

وظهـرَ هذا الخلطُ في قولِ الزّركلـيِّ مترجماً للكَرمانيِّ: محمـودُ بنُ حمزةَ بنِ نصرٍ، أبو القاسـمِ، برهـانُ الدِّينِ الكرمانيُّ، ويُعـرَفُ بتاجِ القُرّاء... نقلَ في التَّفسـيرِ آراءً مُسـتنكرةً فـي معـرضِ التَّحذيرِ منهـا، كان الأولى إهمالُها، أثنـى عليه الجزريُّ وذكـرَ بعـضَ كتبِه، ومنهـا: «لبابُ التَّفاسـير»... وهـو المعروفُ بكتـابِ «العجائبِ والغرائـب» فـي مجلَّديـن، ضمَّنَه أقـوالاً فـي معاني بعـضِ الآيات، قال السُّـيوطيُّ

---

(١) انظر: «اللباب في علوم الكتاب» لابن عادل (٦/ ٧٠).

(٢) انظر: «البرهان» للمصنف (ص: ٦٤)، وكذا في «طبقات المفسرين» للداودي (٢/ ٣١٢).

(٣) انظر: «كشف الظُّنون» لحاجي خليفة (٢/ ١١٢٦).

في «الإتقان»: لا يحلُّ الاعتمادُ عليها، ولا ذكرُها، إلّا للتَّحذيرِ منها[1].

ومردُّ هذا الخلطِ في رأيي هو الكلامُ عن الكتابينِ من غيرِ وقوفٍ عليهما، فالفرقُ بينهما ظاهرٌ لا يحتاجُ إلى إيضاح، ويكفي في الدَّلالةِ عليه قولُ الكرمانيِّ في مقدِّمةِ «غرائبِ التَّفسيرِ وعجائبِ التَّأويل» بعدَ ذِكرِ غايتِه في تأليفِه ومنهجِه فيه: **ولم أشتغلْ بذكرِ الآياتِ الظّاهرة، والوجوهِ المعروفةِ المتظاهرة، ولا بذكرِ الأسبابِ والنُّزول، والقَصصِ والفصول؛ فإنِّي قد أودعتُ جميع ذلك في كتابي الموسومِ بـ«لباب التَّفاسير»**[2].

وعلى هذا فاسمُ كتابِنا الذي ينبغي أن نُثبتَه له، ونعرِّفَه به هو: «لبابُ التَّفاسير».

وما سوى ذلك فقد أجمعَت المصادرُ التي ذكرَت الكتابَ من مخطوطاتٍ وكتبِ تراجمٍ وفهارسَ على إثباتِ نسبةِ «لباب التَّفاسير» لمصنِّفه تاجِ القُرّاءِ الكَرمانيِّ.

ثانياً ـ أهمِّيّةُ «لبابِ التَّفاسير»:

تكمنُ أهمِّيّةُ هذا الكتابِ من نواحٍ عدّة:

أوَّلُها: أنَّ تاجَ القُرّاءِ الكرمانيَّ جمعَ ما وردَ عمّن قبلَه من المفسِّرينَ من نقلٍ واجتهاد، وجمعَ فيه أقاويلَ السَّلفِ والخلف، ولم يُخلِ كتابَه من نقولٍ عن بعضِ أهلِ الاعتزالِ والتَّشيُّع مع التنبيهِ عليها، وقرَّبَ كلَّ ذلك من مُريدِه بعبارةٍ سهلةٍ غلبَ عليها الإيجاز، فكان كمَن وضعَ قِطافاً في طبقٍ وأدناه؛ ليتخيَّرَ منه ما شاءَ مَنِ اشتهاه.

---

(١) انظر: «الأعلام» للزركلي (٦/ ١٦٨).

(٢) انظر: «غرائبِ التَّفسيرِ وعجائبِ التَّأويلِ» للمصنِّف (١/ ٨٨).

وقد تجنَّبَ الكرمانيُّ كثيراً ممّا ظهرَ معناه اكتفاءً بفهمِ قارئِه، وتصوُّرِ تاليه، ولعلَّه فعلَ ذلك ليكونَ أقرب مأخذاً، وأسهل مطلباً.

وتذكِّرُ هذه الطَّريقةُ بأسلوب الماورديِّ في «النُّكت والعيون» وابن الجوزيِّ في «زاد المسير»، ولهذه الطَّريقةِ فائدةٌ كبيرةٌ في توفيرِ الجهدِ والوقت، ولكن يُؤخَذُ عليها أنَّ قصدَ الاختصارِ قد يؤدِّي إلى إخلال، وأنَّ كثرةَ النُّقولِ قد يرافقُها سهوٌ أو ذُهول.

ثانيها: أكثرَ الكرمانيُّ النَّقلَ عن مصادرَ مفقودةٍ في عصرنا كتفسيرِ المفضَّلِ والرُّمّانيِّ وابنِ بحرٍ وابن مهربزدَ، ونقلَ عن المبرِّدِ وابن السَّرّاجِ والقفّالِ وقطرب وابن الأنباريِّ وابن كيسان وابن مِهرانَ وغيرِهم نقولاً كثيرةً لم نقف عليها في المعروفِ عند النّاسِ اليومَ من كتبِهم، ونقلَ عن ابن عباسٍ والحسنِ والضحاك أقوالاً لم نقف عليها في كتبِ التفسير التي بين أيدينا ممَن تقدَّمَه، ويظهرُ هذا جليًّا لمن يتتبَّعُ مثل هذه النُّقولِ في «لبابِ التَّفاسير».

ففي قول الله تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ ﴾ نقلَ عن الحسنِ قولَه: الملائكةُ أيضاً منويُّون في الآيةِ؛ لأنَّهم لا يقدرون أيضاً على الإتيانِ بمثلِ القرآنِ.

وهذا القول ذكره تاجُ القُرّاءِ في «غرائب التفسير»(١)، لكنِّي لم أجده عندَ غيرِه بعد طولِ بحث.

ولا يقتصرُ هذا على أقوالِ المفسِّرين، بل نجد مثله في أسبابِ النُّزولِ، فقد ذكر: أنَّ أحبارَ اليهودِ قالوا: إنْ كنتَ نبيًّا فائتنا بآيةٍ كآيةِ موسى، فإنَّ القرآنَ وإن عجزَ

---

(١) انظر: «غرائب التفسير» (١/ ٦٤١).

عن الإتيانِ بمثله حاضروك، فلعلَّ في الغائبين مَن لا يعجزُ عنه، فأنزلَ: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ ﴾. وهذا ما لم أجده عندَ غيرَه.

والأمرُ ذاتُه نجدُه في أبياتِ الشِّعرِ، فقد ذكرَ قولَ الشّاعرِ:

فما لله تابَ أبو كبيرٍ ولكِنْ تابَ خوفَ سعيدِ زيرِ

ولم أقف عليه.

وكذلك قالَ تاج القُرّاء عن سورةِ (السَّجدة): ويُقالُ لها: سورةُ الجُرُزِ. ولم أقف على تسميتها بسورة الجرز عند غيرِه.

وأمثلةُ ذلك أكثرُ من أن تُحصى في الكتابِ، فثمّةَ أقوالٌ لم نجدها إلا في «لبابِ التَّفاسير»، وثمّة أقوالٌ وجدناها بلفظِها ونسبتِها في «غرائب التَّفسير» أيضاً، وأقوالٌ لم نجدها إلا عنده وعندَ مَن أخذَ عن «لبابِ التّفاسير» مثل أبي حيّانَ في «البحر المحيط»، ممّا يؤكِّدُ أنَّ كتبَ تاجِ القرّاءِ هي مصدرُها الأساسيُّ، وليس مردُّ ذلك في رأيي إلا اعتمادَ الكرمانيِّ على كتبٍ ومصادرَ غيرِ موجودةٍ الآن، أو غيرِ معروفةٍ ومتداولة.

وقد ذكرتُ سابقاً أنَّ الكرمانيَّ ضمَّنَ كتابَه أقوالاً وآراء عن بعضِ العلماءِ الذينَ عُرفَ عنهم الاعتزال، وضاعَت كثيرٌ من كتبِهم بعد أفولِ نجمِهم وانقراضِ زمانِهم، فكان لنقلِ الكرمانيِّ عنهما فضلٌ في اطِّلاعِنا على نُبَذٍ من كتبِهم، ومثلُ هذا يقالُ عن الأقوالِ والآراءِ التي نقلَها، ولم نجدها عند غيرِه، أو وجدناها عند مَن نقلَها عنه، وأخذَها منه.

ثالثُها: أنَّ الكرمانيَّ اهتمَّ بجانبٍ أهملَه أكثرُ المفسِّرين، وهو الغرائبُ والعجائبُ

التي نُقلَت عن بعضِ المفسِّرين، وزخرَت بها بعضُ كتبِ التَّفسير، والظّاهرُ أنَّ اهتمامَ الكرمانيِّ بهذا الجانبِ كان استجابةً للذَّوقِ العامِّ في عصرِه وبلدِه؛ فإنَّه قال في مقدِّمةِ كتابِه «غرائبِ التَّفسيرِ وعجائبِ التَّأويلِ»: إنَّ أكثرَ العلماءِ والمتعلِّمينَ في زمانِنا يرغبونَ في غرائبِ تفسيرِ القرآنِ وعجائبِ تأويلِه، ويميلونَ إلى المشكلاتِ المعضلاتِ في أقاويلِه، فجمعتُ في كتابي هذا منها ما أقدِّرُ أنَّ فيه مَقنعاً لرغبتِهم ومُكتفَى لطِلْبتِهم(١).

وليس هذا الجانبُ من متينِ العلم، والكرمانيُّ يعلمُ ذلك ويصرِّحُ به وينبِّه عليه ويحذر منه، فقد نقلَ في تفسيرِ ﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ﴾ [الشورى: ١ ـ ٢] أنَّها رموزٌ كان عليُّ بنُ أبي طالبٍ ـ رضيَ الله عنه ـ يعرفُ بها الفتن، ثمَّ قال: الحاءُ حربُ عليٍّ ومعاويةَ، والميمُ ولايةُ المروانيَّةِ، والعينُ ولايةُ العبَّاسيَّةِ، والسِّينُ ولايةُ السُّفيانيَّةِ، والقافُ قدرةُ مهديٍّ. ثم قال: أردْتُ بذكرِ ذلك أن يُعلمَ أنَّ في مَن يدَّعي العلمَ أيضًا حمقَى، والسَّلام.

وقد صرَّحَ بذلك في «غرائبِ التَّفسيرِ وعجائبِ التَّأويلِ» فنقلَ أقوالاً في تفسيرِ قولِه تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ [الفلق: ٣]، ثمَّ قال: وهذا تفسيرٌ يَسمُجُ ذِكرُه، لكنِّي أوردتُه لكونِه في عدادِ العجيبِ من الأقوال، وكلُّ ما وصفتُه بالعجيبِ ففيه أدنى خللٍ ونظرٍ(٢).

ولكن مع أنَّ الغرائبَ والعجائبَ ليست من متينِ العلم، لكنَّ الإمامَ السُّيوطيَّ (ت: ٩١١هـ) عدَّها نوعاً قائماً بذاتِه في «الإتقانِ في علومِ القرآن»، ولم يجد كتاباً

---

(١) انظر: «غرائب التفسير» للمصنِّف (١/ ٨٨).

(٢) المصدر السابق (٢/ ١٤١٣).

يمثِّلُ به لهذا النَّوعِ إلّا كتابَ الكرمانيِّ، وقد حاولتُ أن أبحثَ عمّن اشتغلَ بغرائبِ التَّفسيرِ وعجائبِه، وعُني بجمعِها، فلم أجد إلّا أبا المظفَّرِ محمَّدَ بنَ آدمَ بنِ كمالٍ الهرويَّ (ت: ٤١٤هـ)[1]، ذُكرَ أنَّ له اهتماماً بغرائبِ التَّفسير، وأنَّه يُضرَبُ به المثلُ في ذلك، لكن لم يُذكَر أنَّه جمعَ ذلك وصنَّفَه.

وتكمنُ أهمِّيّةُ هذا النَّوعِ في رأينا من ناحيةٍ أخرى، وهي: أنَّه يعكسُ توسُّعاً في البحث، وسَعةً في الاطِّلاع، فهذا النَّوعُ لا يمكنُ جمعُه إلّا لمن كثرَت مطالعتُه، وتنوَّعَت مشاربُه، وكان ممَّن لا يهابَ أن يُقحِمَ يدَه في خليّةِ النَّحل؛ رغبةً في اجتناءِ العسل، وهذا ما يظهرَ جليّاً عند الكرمانيِّ.

وقد تسبَّبَ اهتمامُ الكرمانيِّ بهذا النَّوعِ في وقوعِ ظلمٍ عليه وعلى كتابِه «لبابِ التَّفاسير»؛ فقد ظنَّ النّاسُ أنَّ الكرمانيَّ لا يعرفُ غيرَ هذه الغرائبِ والعجائب، وخلطُوا بين كتابِه «لبابِ التَّفاسير» الذي جمعَ فيه أهمَّ ما وقفَ عليه من آراءِ المفسِّرين في رحلاتِه بين كتبِهم، وبين كتابِه «غرائبِ التَّفسيرِ وعجائبِ التَّأويلِ» الذي ألَّفَه بعدَ ذلك، وخصَّه بالغريبِ والعجيبِ من أقوالِ المفسِّرين، وقد تقدَّمت الإشارةُ لهذا.

ونخلصُ بعد هذا كلِّه إلى أنَّ هذا الكتابَ كان خلاصةَ جهودٍ عظيمةٍ أفادها الكرمانيُّ ممَّن سبقَه وتقدَّمَه، وزادها فوائدَ عظيمةً تدلُّ على سَبْقِه وتقدُّمِه، وهو دليلٌ مشاهَدٌ على أنَّ الرَّحلاتِ بين السُّطورِ والأسفار، قد تغني أولي الألبابِ والأفكار، عن قطعِ المسافاتِ والتَّنقُّلِ بين الأمصار.

---

(١) انظر: «إنباه الرواة على أنباه النحاة» للقفطي (٣/ ١٢٦).

رابعُها: أظهرَ الإمامُ تاجُ القرّاءِ الكَرمانيِّ اهتماماً بقضيّةِ الإعجازِ القرآنيِّ، وحاولَ أن يتلمَّسَ شيئاً من مظاهرِها.

ومن ذلكَ قولُه في تفسيرِ سورةِ (الكافرون): وقيلَ: في هذا التّكرارِ اختصارٌ وإيجازٌ هوَ إعجازٌ؛ لأنَّهُ سبحانهُ نفَى عن نبيِّه صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ عبادةَ الأصنامِ في الحالِ والماضي والاستقبالِ، ونفَى عنِ الكفَّارِ المذكورينَ عبادةَ اللهِ في الأزمنةِ الثلاثَةِ أيضًا، فكانَ القياسُ يقتضي تكرارَ هذهِ اللّفظةِ ستَّ مراتٍ، فذكرَ لفظي الحالِ، لأنَّ الحالَ هو الزّمانُ الموجودُ، واقتصرَ منَ الماضي على المُسنَدِ إليهم فقال: ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ﴾: فكانَ اسمُ الفاعلِ بمعنى الماضي، واقتصرَ منَ المستقبلِ على المُسندِ إليهِ فقالَ: ﴿وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ﴾ فكانَ اسمُ الفاعِلِ بمعنى المستقبَلِ، ولهذا نظائرُ.

وقد يُظنُّ أنَّ هذا من جملةِ الأقوالِ التي نقلَها تاجُ القُرّاء عن غيرِه، لا سيَّما أنَّه ذكر هذا القيلَ في «غرائب التفسير» واستغربه[1]، لكنَّ معرفتي بطريقةِ تاجِ القرّاءِ لا تتركُ لهذا الظنِّ في نفسي مكاناً، وأظنُّ أنَّ أيَّ قارئٍ سيكونُ في مكاني ويقفُ موقفي إذا وقفَ على كلامِ تاجِ القُرّاءِ في «البرهان» فقد جاء فيه: قَالَ الشَّيخُ الإِمامُ: وَأَقُولُ: هَذَا التّكرارُ اخْتِصَارٌ، وَهُوَ إعجازٌ، ثمَّ ذكرَ نحوَ عبارتِه هنا.

والبلاغـةُ عنـد الكرمانـيِّ كما عند كثيـرٍ غيره الإيجـازُ، وهو يؤكِّدُ علـى قضيّةِ الإيجـاز بقولِـه: ﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾ جوابُـه مُضمَـرٌ؛ أي: لَفضَحَكـم، وقيـل: لَعاجلَكُـم بالعقوبةِ، وهذا موضـعٌ أنطَقُ ما يكـونُ المتكلِّمُ إذا سكتَ.

---

(١) انظر: «غرائب التفسير» (٢/ ١٤٠٠).

فعبارةُ (قَالَ الشَّيخُ الإِمامُ) ونحوها إنَّما تُستخدمُ عندَ ذكرِ ما يضيفُه تاجُ القرّاءِ أو يؤكِّدُ عليه، والمقصودُ بها المصنِّف نفسُه على ما ترجَّحَ عندي، وسيأتي الكلامُ على هذا في أسلوبِه.

والإعجازُ القرآنيُّ عند الكرمانيِّ إعجازُ نظمٍ وحسن بيان، وقد ظهرَ ذاك جليًّا في مواضعَ من كلامِه، منها:

قولُه في تفسيرِ ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: لا تهمةَ أنَّه من عندِ الله؛ لأنَّه في أعلى طبقاتِ البلاغةِ بحُسنِ النِّظامِ والجزالةِ.

ومن ذلكَ قولُه في تفسيرِ ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾: (ما) صلةٌ مؤكِّدةٌ للكلام، تحسِّنُ النِّظام. والمعنى: دمثَتْ أخلاقُكَ ولانَتْ، وتلك منّةٌ من الله عظيمةٌ، ونعمةٌ عليك جسيمةٌ، حتى استأنَسْتَ بهم، ونعمةٌ عليهم حيث أهَّلْتَهم بمجالستِك، وقرَّبْتَهم من مجالسِك.

وهو يُطبِّقُ **نظريّةَ معنى المعنى** بطريقةٍ لم نقف على مَن سبقَه فيها، فيقول في تفسير ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾: ويحتملُ أنَّ المُرادَ منه المعنى؛ لأنَّ الكلامَ على ضربَين؛ ضربٌ يصِلُ إلى الغرضِ بدلالةِ اللَّفظِ وحدَه، نحو: قامَ زيدٌ وجلسَ عمرٌو، وضربٌ آخرُ لا يصِلُ إلى الغرضِ بدلالةِ اللَّفظِ وحدَه، ولكن يدلُّكَ اللَّفظُ على معناه الذي يقتَضيه موضوعُه في اللُّغة، ثمَّ تجدُ لذلك المعنى معنًى تصِلُ به إلى الغرضِ؛ كقولِه: ﴿سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ﴾ [الأعراف: ١٤٩]، و: ﴿ضربنا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ﴾ [الكهف: ١١]، و: فلانٌ طويلُ النَّجادِ كثيرُ الرَّمادِ، وكلُّ واحدٍ من هذه يدلُّ لفظُه على معنًى، والمعنى على معنًى آخرَ، وكذلك ﴿مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ دلَّ على الأبدِ بواسطةِ ألفاظٍ هي غيرُ مُرادةٍ لها، بل لمعنَى المعنَى.

فالكرمانيُّ يعتمدُ ما يُعرف بنظريّةِ النَّظم في إعجاز القرآن الكريم، وهذه النظريّةُ مرتبطةٌ في ثقافتنا المعاصرة باسم الإمام عبد القاهر الجرجانيِّ، وقد أجريتُ مقارنةً في مواضعَ متعدِّدةٍ بين «لباب التَّفاسير» و«درج الدرر» للجرجانيِّ فوجدتُ تاجَ القرّاءَ أكثرَ اهتماماً بهذه النَّظريّة من الناحيّة التَّطبيقية، وقد أثبتُّ هذه المقارنةَ في حواشيَ متفرِّقةٍ في هذا الكتاب.

وقد أكثرَ الكرمانيُّ من الكلامِ على تحقُّقِ الأخبارِ كوجهٍ من وجوهِ الإعجاز، ومن ذلك ما جاء في قولِه تعالى: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ﴾، فقد نقل قولَ الضَّحّاكِ: هاتان الآيتان نَزَلَتا في أبي جهلٍ وخمسةٍ من أهل بيته، ثم قال: أعلَمَ اللهُ أنَّهم لا يؤمنون، وكان كما أعلَمَ، فصار من أعظم المعجزات.

وقد سبقَ الكلامُ في أنَّ الإمامَ السُّيوطيَّ (ت: ٩١١هـ) الذي تقدَّمَ ذكرُ تحذيرِه من الاعتمادِ على ما في «العجائبِ والغرائبِ» وصفَ الكرمانيَّ بأنَّه من أهلِ التَّدقيقِ في كتابِه «الحاوي»، وأنَّه ذكرَ في مقدِّمةِ «مراصدِ المطالعِ في تناسبِ المقاطعِ والمطالع»: أنَّ محمودَ بنَ حمزةَ الكرمانيَّ شيخُ الزَّمخشريِّ، ووصفَهما بأنَّهما من المحقِّقينَ[١].

وقد تميَّزَ «الكشّافُ» باهتمامِه ببلاغةِ القرآن وإعجازه، ووُصفَ بأنَّه صاحبُ السَّبقِ في هذا الميدان، وتوالى العلماءُ على وصفِه بذلكَ على مرِّ الأزمان، فقد قالَ العلّامةُ ابنُ خلدونَ في معرضِ كلامِه عن علمِ البيان: وأحوجُ ما يكونُ إلى هذا الفنِّ المفسِّرون، وأكثرُ تفاسيرِ المتقدِّمين غُفلٌ عنه، حتّى ظهرَ جارُ الله الزَّمخشريُّ

---

(١) انظر: «مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع» للسيوطي (ص: ٤٥).

ووضعَ كتابَه في التّفسيرِ، وتتبَّعَ آيَ القرآنِ بأحكامِ هذا الفنِّ بما يُبدي البعضَ من إعجازِه، فانفردَ بهذا الفضلِ على جميعِ التّفاسير[١].

وقال الدكتور محمَّدُ الذهبيُّ مبيِّناً قيمة «الكشّافِ» العلميّة: وأمّا قيمةُ هذا التَّفسيرِ فهو ـ بصرفِ النَّظرِ عمّا فيه مِن الاعتزال ـ تفسيرٌ لم يُسبَق مؤلِّفُه إليه؛ لما أبانَ فيه من وجوهِ الإعجازِ في غيرِ ما آيةٍ من القرآنِ، ولما ظهرَ فيه من جمالِ النَّظمِ القرآنيِّ وبلاغتِه، وليسَ كالزَّمخشريِّ مَن يستطيعُ أن يكشفَ لنا عن جمالِ القرآنِ وسحرِ بلاغته؛ لما برعَ فيه من المعرفةِ بكثيرٍ من العلومِ، لا سيَّما ما برزَ فيه من الإلمامِ بلغةِ العربِ، والمعرفةِ بأشعارهم، وما امتازَ به من الإحاطةِ بعلومِ البلاغةِ والبيانِ والإعرابِ والأدب، ولقد أضفى هذا النُّبوغُ العلميُّ والأدبيُّ على تفسيرِ «الكشّافِ» ثوباً جميلاً، لفتَ إليه أنظارَ العلماءِ، وعلَّقَ به قلوبَ المفسِّرين[٢].

ولستُ أقلِّلُ من قيمةِ «الكشّافِ» وما فعلَه الزَّمخشريُّ فيه، ولكنِّي أجدُ في كلامِ السُّيوطيِّ إشارةً إلى أنَّ ما تميَّزَ به الزَّمخشريُّ في «كشّافِه» من اهتمامٍ بقضيَّةِ الإعجازِ، والذي وُصفَ بأنَّه كانَ فيه إماماً، كان فيه مؤتمّاً بالكرمانيِّ، فبعضُ محاولاتِ الكرمانيِّ في توضيحِ مفهومِ الإعجازِ من خلالِ تحليلِ النَّصِّ القرآنيِّ وَفقَ ما تقتضيه أساليبُ العربيّة، ونظرتُه إلى الأسلوبِ القرآنيِّ كمظهرٍ من مظاهرِ الإعجاز، هو ما نجدُه عند الزَّمخشريِّ، لكن بعمقٍ أكثر، وذوقٍ أعلى، وعبارةٍ أبلغ، ويبقى مع ذلك للكرمانيِّ سبقُ التَّوجُّهِ وفضلُ الرِّيادة.

---

(١) انظر: «تاريخ ابن خلدون» (١/ ٧٦٢).

(٢) انظر: «التفسير والمفسرون» للدكتور محمَّد الذهبي (١/ ٣٠٦). وانظر أيضاً: «البرهان في علوم القرآن» للزركشي (١/ ٣١١)، و«نواهد الأبكار» للسيوطي (١/ ٣).

والذي أراه أنَّ الزَّمخشريَّ تتلمذَ للكَرمانيِّ؛ إن لم يكن عليه، فعلى كتبِه، فقد سارَ على خطاه، وتابعَ كلامَه، فأخذ عنه كثيراً من الأقوالِ التي لم أقف عليها عند مَن تقدَّمَه، ويغلبُ على ظنِّي أنَّها من بناتِ أفكارِه، واعتمدَها، وبنى عليها دونَ إشارةٍ أو نسبة، كما أنَّه خالفَه في بعضِ أقوالِه، وناقضَه من غير تصريحٍ أو تجريح.

ومردُّ هذا في نظري إلى الحالةِ الخاصّةِ التي بينَ الرَّجلين؛ فالزَّمخشريُّ معجبٌ به إعجابَ التِّلميذِ بأستاذِه، ناقمٌ نقمةَ مَن قُتلَ أهلُه، وسُلبَ كنزُه، وذلك أنَّ الكرمانيَّ عادَ إلى كتبِ المعتزلةِ الآباءِ الرَّوحانيِّين للزَّمخشريِّ، فأخذَ ما استحسَنَه من أقوالِهم، ولم يدَّخر جهداً في ردِّ مذهبِهم، ولكلٍّ منَّا أن يتخيَّلَ ما يشعرُ به الزَّمخشريُّ بعد هذا تجاهَ الكرمانيِّ.

ويمكنُ أن نقفَ على شيءٍ من هذا عند المقارنةِ بين مقدِّمةِ «لبابِ التَّفاسير» التي افتتحَها الكرمانيُّ بقولِه: (الحمدُ لله مُنزلِ القرآنِ غيرَ مُحدَثٍ ولا مخلوق) وبينَ مقدِّمةِ «الكشاف» التي افتتحَها الزَّمخشريُّ (الحمدُ لله الذي أَنزل القرآنَ كلاماً مؤلَّفاً منظَّماً، ونزَّله بحسَب المصالح منجَّماً، وجعَله بالتَّحميدِ مُفتَتَحاً، وبالاستعاذةِ مختَتَماً)[1]؛ فالزَّمخشريُّ يريدُ من المقدِّمةِ أن يؤكِّدَ موقفَه من قضيّةِ خلقِ القرآن، وهي القضيّةُ نفسُها التي أكَّدَ الكرمانيُّ موقفَه منها في مقدِّمته، فقد قال الإمامُ الذَّهبيُّ: كانَ ـ أي: الزَّمخشري ـ متظاهِراً بالاعتزال، وقد استفتحَ «الكشاف» بـ: الحمدُ لله الذي خلقَ القرآن، فقالوا له: متى تركتَه هكذا هجرَه النَّاسُ، فغيَّرَها بـ: جعلَ القرآن، وهي عندهم ـ أي: المعتزلة ـ بمعنى: خلق[2].

---

(١) انظر: «الكشاف» للزمخشري (المقدمة/ ١).

(٢) انظر: «تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام» للذهبي (١١/ ٦٩٧).

ومن المواضعِ التي تظهرُ فيها متابعةُ الزَّمخشريِّ للكرمانيِّ:

في قولِه تعالى: ﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ قال الكرمانيُّ: في الآية مضمَرٌ تقديره: أيتَّبعونهم... وهذا حثٌّ على النَّظرِ ونهيٌ عن التَّقليد.

وهذا التَّقديرُ نفسُه الذي ذكرَه الزَّمخشريُّ فقال: والهمزةُ بمعنى الردِّ والتَّعجيب، معناه: أيتبعونهم ولو كانَ آباؤُهم لا يعقلونَ شيئاً من الدِّينِ ولا يهتدونَ للصَّواب؟[1].

فهذا التَّقديرُ ممّا لم نجده عند أحدٍ قبل تاجِ القُرّاء، فالزَّمخشريُّ أخذَ كلامَ الكرمانيِّ وزادَه إيضاحاً، وجوَّدَ عبارته.

وفي قولِه تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَـٰنِكُمْ أَن تَبَرُّوا۟﴾ ذكرَ الكرمانيُّ الأقوالَ الواردةَ في تعلُّقِ ﴿أَن تَبَرُّوا۟﴾ وإعرابِها، ثم قال: ويجوز أن يتعلَّقَ بـ(عرضة)؛ أي: مانعًا من أن تَبرُّوا، فلا يحتاجُ إلى إضمار (لا).

وهذه الصِّيغةُ يستخدمُها تاجُ القُراء غالباً لذكرِ ما يخطرُ له ممّا لم يقف عليه، وهو وجهٌ لم نجده عند مَن تقدَّمَه، ولكنَّا وجدنا الزَّمخشريَّ يجيزُه، وأبو حيّان يردُّه[2]، وأبو حيَّان يصرِّحُ بأخذِه عن الكرمانيِّ بخلافِ الزَّمخشريِّ.

وفي قولِه تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ﴾ نقلَ الكرمانيُّ عن الزَّجّاجِ أنَّه قال: ألم ينتهِ علْمُكَ إليهم؟ قال: ولهذا عُدِّيَ بـ(إلى).

ولكنَّ الكرمانيَّ تصرَّف بالعبارةِ، ونقلَ معنى عبارةِ الزَّجّاج، وصاغَها بنفسه،

---

(١) انظر: «الكشاف» للزمخشري (١/ ٢١٣).

(٢) انظر: «الكشاف» للزمخشري (١/ ٢٦٧)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٢/ ٤٤٢).

ولم نقف على التَّقديرِ الذي ذكره الكرمانيُّ عند غيرِه، ولكنَّ الزَّمخشريَّ أخذه، وهذَّبَ العبارةَ، وزادها بياناً، فقال: (أَلَمْ تَرَ) من رؤية القلب، وعُدِّي بـ(إلى)، على معنى: ألم ينته علمك إليهم؟ أو بمعنى: ألم تنظر إليهم؟[1].

وقالَ تاج القرّاءِ الكرمانيُّ في سورة (المؤمنون): بدأ بالسُّورةِ بقولِه: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ وختمَ بقولِه: ﴿لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾.

وقد أفاد ذلك الزمخشريُّ، فنقلَه السُّيوطيُّ عنه، وكأنَّه صاحب السبق فيه[2].

وأمثلةُ هذا أكثرُ من أن تُحصى، وقد أشرتُ في مواضعَ كثيرةٍ من «لبابِ التَّفاسير» إلى متابعةِ الزَّمخشريِّ لتاجِ القرّاء.

خامسُها: إن كان في المتقدِّمين من المفسِّرينَ مَن يعتمدُ في إيضاحِ المعنى على أقوالِ السَّلفِ كالإمامِ عبدِ الرّزّاقِ الصَّنعانيِّ، وإن كانَ فيمَن جاء بعدَهم مَن حاولَ أن يستخرجَ المعنى بالاعتمادِ على فهمِه وتحليلِه اللغويِّ؛ كالفرّاءِ والزجّاجِ وأبي عليٍّ الفارسيِّ، وإن كانَ في العلماءِ مَن ذكرَ أقوالَ السَّلفِ ومعانيَ اللُّغةِ كالطبريِّ والثَّعلبيِّ والواحديِّ، فللكرمانيِّ أسلوبٌ خاصٌّ يؤصِّلُ فيه للأقوالِ معتمداً على الاشتقاقِ اللُّغويِّ، وهو لا يؤصِّلُ للفظِ القرآنيِّ فقط، بل يؤصِّلُ للأقوالِ المأثورةِ في تفسيرِ الآية، وقد ظهرَ ذلك جليًّا في تعريفاتِه وتعليقاتِه وتعليلاتِه، ومن أمثلةِ ذلك:

١ ـ قال تاجُ القُرّاء: الاعتمارُ: زيارةُ المكانِ العامر.

وقال كُراعُ النَّمل (ت: ٣٠٩هـ) في «المنتخب»: الاعتمارُ: الزِّيارةُ ما كان[3]،

---

(١) انظر: «الكشاف» للزمخشري (١/ ٥١٥).

(٢) انظر: «مراصد الاطلاع» للسيوطي (ص: ٥٦).

(٣) انظر: «المنتخب» لكراع النمل (ص: ٤٠٠).

وقالَ في «المنجد»: والاعتِمارُ: مِنْ عُمْرةِ الحَجِّ. والاعتِمارُ: الزِّيارة. والاعتِمارُ: الاعتِصامُ بالعِمامة[١].

وقال أبو بكرٍ الأنباريُّ (ت ٣٢٨هـ) في «الزّاهرِ»: والاعتمارُ معناه في كلامِهم: الزِّيارة. هذا قولُ جماعةٍ من أهل اللُّغة... وقالَ آخرون: معنى الاعتمارِ والعمرةِ في كلامِهم: القصدُ[٢].

وقال الأزهريُّ (ت ٣٧٠هـ) في «تهذيبِ اللُّغة»: الاعتمارُ وهو الزِّيارة... ويُقال: الاعتمارُ: القَصْد[٣].

وقال ابنُ فارسٍ (ت ٣٩٥هـ) في «مجملِ اللُّغة»: والاعتمارُ في الحجِّ: أصله الزِّيارة[٤].

فإذا قارنّا قولَ الكرمانيِّ بكلامِ أئمّةِ اللُّغةِ ومصنِّفي المعاجمِ انكشفَ لنا حرصُ الكرمانيِّ على كشفِ الصِّلةِ بينَ الأصلِ الاشتقاقيِّ ومعاني المفرداتِ اللُّغويّة، لا سيَّما أنِّي لم أجد من شرحَ الاعتمارَ بهذا اللَّفظِ وبهذه الطَّريقةِ قبلَه.

٢ ـ قال تاجُ القُرّاءِ في معنى ﴿تَتْلُوا﴾: قال ابنُ عبّاسٍ: تتبَعُ، من (التُّلُوِّ).

قتادةُ: تقصُّ وتقرأ، من (التِّلاوة).

فقد نقلَ تاجُ القُرّاءِ قولي ابنِ عبّاسٍ وقتادةَ، وبيَّن وجهَ كلِّ قولٍ من ناحيةِ الاشتقاق.

---

(١) انظر: «المنجد» لكراع النمل (ص: ١٢٧).

(٢) انظر: «الزاهر» للأنباري (١/ ٩٩).

(٣) انظر: « تهذيب اللغة » للأزهري (٢/ ٢٣٣).

(٤) انظر: «مجمل اللغة» لابن فارس (ص: ٦٢٩).

٣ـ قال تاجُ القُرّاءِ: والملّةُ: الدِّينُ، مشتقٌّ من (أمللْتُ)؛ لأنَّها تُبْتَنى على مسموعٍ ومَتْلُوٍّ.

فقد ظهرَ في تعليلِه مجيءَ (الملّةِ) بمعنى الدِّينِ اهتمامَه بالتَّأصيلِ الاشتقاقيِّ لمعاني المفردات.

وهذا الجانبُ الذي تجلَّى لنا في طريقةِ الكَرمانيِّ لا تفتقرُ إليه كثيرٌ من كتب التَّفسير فقط، بل تفتقرُ إليه كثيرٌ من كتبِ اللُّغةِ والمعاجمُ العربيّة.

وقد تميَّزَ تاجُ القرّاء في «لبابِ التَّفاسير» باهتمامِه بصياغةِ تعاريفَ دقيقة، كما في قولِه: ﴿وَٱلْيَتَـٰمَىٰ﴾: جمعُ يتيمٍ، وهو الَّذي فقدَ أباه قبل الحُلُمِ إلى الحُلُمِ.

وقولِه: الاعتكافُ: لزومُ عبادةِ الله في مسجدٍ تُقامُ فيه الجماعةُ مع الصَّوم.

وقولِه: الغفلةُ: ذهابُ المعنى عن القلبِ بحضورِ ما يُضادُّه.

كما تميَّزَ باهتمامِه بالفروقِ اللُّغويّةِ، وذلك كثيرٌ جدًّا في «اللبابِ»، ومن ذلك:

تفريقُه بين المسِّ واللَّمسِ بقوله: المسُّ: الجمعُ بين الشَّيئين على نهايةِ القُرْبِ، واللَّمسُ مثلُه، لكنَّه معَ الإحساس.

وتفريقُه بين السرعة والعجلة بقوله: العجلةُ: طلبُ الشَّيءِ قبلَ وقته، والسُّرعةُ: عملُ الشَّيءِ في أوَّلِ وقته.

وتفريقُه بين الطاعة والإسعاف بقوله: إنَّ الطَّاعةَ جوابُ الأَمرِ، والإسعافَ جوابُ المسألةِ.

وتفريقُه بين المجادلة والمناظرة بقوله: المُجادلةُ تُستعمَلُ بين مُبطلَين، أو مُبطِلٍ ومُحِقٍّ، والمُناظرةُ تُستَعملُ بينَ مُحِقَّين، أو مُحِقٍّ ومُبطِلٍ.

وتفريقُه بين الغفلة والنسيان بقوله: الغَفْلةُ: ذَهابُ المعنى عن النَّفسِ، والنِّسيانُ: ذَهابُ المعنى عن النَّفسِ بعد حُضورِه.

وبين الغمرة والغفلة والسَّهو بقوله: ﴿فِي غَمْرَةٍ﴾: غفلةٍ مُتناهيةٍ، والغمرةُ فوقَ الغفلةِ، والسَّهوُ دونَ الغفلةِ.

وغير ذلك كثيرٌ، وهذا جانبٌ طريفٌ وممتعٌ مما تميَّز به «لبابِ التَّفاسير»، وقد حاولنا أن نقارنَ بين ما جاء به تاجُ القرّاء الكرماني، وما ذكرَه أئمَّة هذا الشأن، ولا سيَّما العسكري في «الفروق اللُّغويّة»، فوجدنا الكرمانيَّ ينفردُ بأشياء كثيرةٍ لم نقف عليها عند غيره.

ثالثاً ـ اهتمامُ العلماءِ بـ«لبابِ التَّفاسير»:

هـذا الكتـابُ سِـفرٌ جليـل، خيـرُه كثيـرٌ، يعكـسُ ثقافـةَ رجـلٍ واسـعِ الاطِّلاع، وعالـمٍ طويـلِ البـاع، خبيرٍ باللُّغـةِ والنَّحـوِ وفنـونِ العربيّة، متحـرِّرٍ من قيـودِ التَّقليدِ ونَيـرِ العصبيّـة[1]، وقـد نالَ هذا السِّـفرُ ما يسـتحقُّه من اهتمـامِ العلمـاء؛ فأكثروا عنه النُّقـول، واسـتودعوه القلـوبَ والعقـول، فقد ذُكـرَ في ترجمةِ الحسـنِ بـنِ الخطير؛ أبـي علـيٍّ الفارسـيِّ، المعـروفِ بالظَّهيـرِ (ت: ٥٩٨هـ): أنَّـه كان يحفـظُ فـي كلِّ فنٍّ كتابـاً، وأنَّه اختارَ من التَّفاسـيرِ «لبابَ التَّفسـير» لتـاجِ القُرَّاءِ الكرمانـيِّ، فكان يحفظُه عـن ظهرِ قلـب[2].

وقد نقلَ أبو حيّان الأندلسيُّ (ت: ٧٤٥هـ) في «البحرِ المحيطِ» عن الكرمانيِّ

---

(١) وهو داعية إلى نبذ التقليد، فقد علَّق على الآية الكريمة ﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ فقال: وهذا حثٌّ على النَّظر ونهيٌ عن التَّقليد.

(٢) انظر: «الدر الثمين في أسماء المصنفين» لابن الساعي (ص: ٣٥٧).

في قرابةِ مائةِ موضع، وقد ظهرَ بتتبِّعِ كثيرٍ من هذه المواضعِ أنَّها من «لبابِ التَّفاسير»، وقد لاحظتُ أنَّ أبا حيّانَ الأندلسيَّ (ت: ٧٤٥هـ) ينقلُ كلامَ الكرمانيِّ في «اللُّبابِ» في مواضعَ، وينسبُه إلى العلماءِ أو المحقِّقين، وفي هذا إعلاءٌ لشأنِ كلامِ الكرمانيِّ، وإن كان في تركِ نسبتِه هضمٌ لحقِّه.

وأكثرُ المواضعِ التي نقلَها أبو حيَّانَ من المسائلِ اللغويّةِ التي تميَّزَ بها الكرمانيُّ، ومنها:

١ ـ قالَ تاجُ القُرّاءِ الكرمانيُّ: إن كانَ المرادُ أعمالَ الحجِّ وما يُفعلُ في المواقف؛ كالطَّوافِ والسَّعيِ والوقوفِ والصَّلاة، فتكونُ المناسكُ جمعَ مَنْسَكٍ المصدرِ، جُمِعَ لاختلافِها. وإن كانَ أرادَ المواقفَ التي يُقامُ فيها شرائعُ الحجِّ؛ كمنى وعرفةَ والمزدلفة، فيكونُ جمعَ مَنْسَكٍ، وهو موضعُ العبادة(١).

٢ ـ قال الكرمانيُّ: (أرأيتكم) كلمةُ استفهامٍ وتعجُّبٍ، وليس لها نظيرٌ(٢).

٣ ـ الحَكَمُ أبلغُ من الحاكمِ؛ لأنَّه مَن عُرِفَ منه الحُكمُ مرّةً بعدَ أخرى، والحاكمُ اسمُ فاعلٍ يصدقُ على المرّةِ الواحدة(٣).

وقد نقلَ عنه بعضَ اللَّطائفِ غيرِ اللغويّةِ التي ضمَّنها تاجُ القرّاء كتابَه، ومنها قولُه: خصَّ الأنبياءَ بذكرِ الصَّلاحِ لأنَّه لا يتخلَّلُ صلاحَهم خلافُ ذلك(٤).

وقد نقلَ أبو حيَّانَ عن تاجِ القُرّاءِ الكرمانيِّ أقوالاً نقلَها الكرمانيُّ بدورِه عن مفسِّرين قبلَه، فقد جاء في «البحرِ المحيطِ»:

---

(١) انظر: «البحر المحيط» لأبي حيّان (١/ ٦٢٢).

(٢) المصدر السابق (٤/ ٥٠٧).

(٣) المصدر السابق (٤/ ٦٢٧).

(٤) المصدر السابق (٣/ ١٣٤).

وقالَ الكرمانيُّ: هذا شرطٌ في الظّاهرِ وليسَ بشرطٍ كقوله: ﴿إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾، ومع أنَّه وإن كانَ لم يعلم خيراً صحَّتِ الكتابة.

وقالَ ابنُ عيسى: جاءَ بصيغةِ الشَّرطِ لتفحيشِ الإكراهِ على ذلك، وقالَ: لأنَّها نزلَت على سببٍ فوقعَ النَّهيِ على تلكَ الصِّفةِ. انتهى(١).

وهذا يدلُّ في الظاهرِ على أنَّ أبا حيّانَ نقلَ عن الكرمانيِّ، ثم نقلَ عن ابن عيسى، ولكنَّ الحقيقةَ أنَّ النَّقلَ كلَّه عن الكرمانيِّ، فالعبارةُ في «لبابِ التَّفاسير»:

هذا شرطٌ في الظَّاهرِ وليس بمُشترَطٍ، وكذلك ﴿إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾؛ لأنَّه إنْ لـم يَعْلَم خيرًا صحَّتِ الكتابةُ.

وقال ابنُ عيسى: جاءَتْ بصيغةِ الشَّرطِ لتفحيشِ الإكراهِ على ذلك.

وقيل: لأنَّها نزلَتْ على سببٍ، فوقعَ النَّهيُ على تلك الصِّفةِ.

وعندما نقارنُ ما نقلَه أبو حيّانَ مع عبارةِ الكرمانيِّ نجدُه تصرَّفَ في اللَّفظِ قليلاً، لكنَّه أخذَ عن الكرمانيِّ كلامَه وكلامَ غيرِه، وقد وجدتُ في مواضعَ كثيرةٍ في «لبابِ التَّفاسير» أقوالاً لم أجدها عند أحدٍ إلا الكرمانيَّ وأبا حيّانَ، والذي يغلبُ على ظنِّي أنَّ أبا حيّانَ أخذها عن الكرمانيِّ؛ لأنَّها جاءت بلفظِه، ومن عادتِه أن يتصرَّفَ بالألفاظِ، كما سيأتي الكلامُ عليه في منهجِه.

وقد نقلَ أبو حيّانَ عن الكرمانيِّ في مواضعَ، وردَّ عليه، ومن ذلك:

١ ـ ذكرَ في قولِه تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ أقوالاً ثمَّ قال:

وقيـل: (فعيـلٌ) هنـا بمعنـى: المفعـول؛ أي: مقرَّبـة، فيصيـرُ مـن بـابِ كـفٍّ

---

(١) انظر: «البحر المحيط» لأبي حيّان (٨/ ٤١).

خضيبٍ وعينٍ كحيلٍ. قاله الكرمانيُّ، وليس بجيِّدٍ؛ لأنَّ ما وردَ من ذلك إنَّما هو منَ الثُّلاثيِّ غيرِ المزيدِ، وهذا بمعنى: مقرَّبةٍ، فهو من الثُّلاثيِّ المزيدِ، ومع ذلك فهو لا ينقاسُ(١)...

وعندما نعودُ نجدُ أنَّ عبارةَ الكرمانيِّ لم تكن جازمةً، فقد قال: ويحتمِلُ أنَّ المُرادَ به المفعولُ؛ أي: مُقرَّبةٌ...

لكنَّنا نجدُ أنَّ أبا حيّانَ كانَ دقيقاً في نسبةِ هذا القولِ للكرمانيِّ؛ فأغلبُ ما يذكرُه الكرمانيُّ بهذه الصِّيغةِ أقوالٌ يراها هو، ولا ينقُلُها عن غيرِه.

٢ ـ وقد نقلَ أبو حيّان عن أبي البقاءِ العكبريِّ وابن عطيّةَ وجهين في إعرابِ كلمةِ (مجرميها) في قولِه تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا ﴾ ثم قال: وما أجازاه خطأٌ وذهولٌ عن قاعدةٍ نحويّة... وقد تنبَّهَ الكرمانيُّ لهذه القاعدةِ فقال: أضافَ الأكابرَ إلى مجرميها؛ لأنَّ أفعلَ لا يُجمعُ إلا مع الألفِ واللامِ أو مع الإضافةِ. انتهى. لكنَّ أبا حيَّانَ استدركَ على تاجِ القُراء بعد ثنائِه عليه، فقال: وكانَ ينبغي أن يُقيِّدَ فيقولَ: أو مع الإضافةِ إلى معرفةٍ(٢)...

ولم يكن أبو حيَّان هو الوحيدَ الذي أفادَ من «لبابِ التَّفاسير»، فقد نقلَ السَّمينُ الحلبيُّ (ت: ٧٥٦هـ) عن تاجِ القرّاءِ الكرمانيِّ في «الدُّرِّ المصون»(٣)، وابنُ عادلٍ الحنبليُّ (ت: ٧٧٥هـ) في تفسيره المسمَّى بـ«اللُّبابِ في علومِ الكتاب»(٤)،

---

(١) انظر: «البحر المحيط» لأبي حيّان (٥/ ٧١).

(٢) انظر: «البحر المحيط» لأبي حيّان (٤/ ٦٣٦).

(٣) انظر: «الدُّرِّ المصون» للسَّمينِ الحلبيِّ (٣/ ٤٩٨).

(٤) انظر: «اللُّباب في علومِ الكتاب» لابن عادل (٦/ ٧٠).

ولاحظتُ أيضاً أنَّ مجدَ الدِّينِ الفيروزآباديَّ (ت: ٨١٧) ينقلُ عن الكرمانيِّ في كتابِه الجليلِ «بصائرِ ذوي التَّمييزِ في لطائفِ الكتابِ العزيزِ»(١)، ويسمِّيه مرّةً بتاجِ القُرّاء ومرّةً بأبي القاسمِ الكرمانيِّ.

وقد وقفتُ على نقلٍ للعلامةِ ابن مالكٍ (ت: ٦٧٢) عن «غرائبِ التَّفسير» لتاجِ القُرّاء(٢)، وكذلك أكثرَ الإمامُ السُّيوطيُّ (ت: ٩١١) من النَّقلِ عن تاجِ القُرّاء في كتبِه؛ فنقلَ عنه في «الحاوي للفتاوي» في خمسةِ مواضعَ، ونقلَ عنه في «الإتقان» في مواضع كثيرة، ونقلَ عنه في كثير من رسائله، لكن يغلبُ على ظنِّي أنَّه كان إنما كان ينقلُ عن «غرائبِ التَّفسير» و«البرهان».

كما نقلَ إبراهيمُ بنُ عمرَ البقاعيُّ (ت: ٨٨٥هـ) عن الكرمانيِّ في «نظمِ الدُّررِ في تناسُبِ الآياتِ والسُّور»، لكنَّه صرَّحَ في مواضعَ أنَّه من «جوامعِ التفسير» لحمزةَ بنِ نصرٍ والدِ تاجِ القرّاء، فلعلَّ بقيّةَ المواضعَ منه أيضاً(٣).

ومع ذلك فقد وقفتُ في الكتبِ التي ذكرتُها على عشراتِ النُّقولِ عن «اللُّباب»، وما كثرةُ النَّقلِ عن هذا الكتابِ إلا دليلٌ على أهمِّيّته.

لكنَّ الاهتمامَ بالكرمانيِّ وكتابِه «اللباب» تبدَّدَ وتلاشى، وأصبح الذينَ يعرفونَ الكرمانيَّ يعرفونَ أنَّه صاحبُ «الغرائبِ والعجائب»، أمّا «لبابُ التَّفاسير» فقد طواه النِّسيان، ولم يعد صاحبُه الكرمانيُّ يُذكَرُ إلّا في القليلِ من الأحيان.

---

(١) انظر: «بصائر ذوي التَّمييزِ في لطائفِ الكتابِ العزيزِ» للفيروزآبادي (١/ ١٦٣ و٢٠٦ و٢٢٥ و٥٤٨).

(٢) انظر: «شرح التسهيل» لابن مالك (٢/ ٣٨٧).

(٣) انظر: «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور» للبقاعي (١٥/ ٣٩٢) و(١٩/ ٥٧ و١٦٢) و(٢٠/ ٣٨).

ولكنَّ الحالَ تغيَّرت عندما طُبعَ «البرهانِ في متشابهِ القرآن»، فراحَ طلبةُ العلمِ يبحثونَ عن صاحبِ «البرهان»، فلمّا طُبعَ «غرائبِ التَّفسير وعجائب التَّأويل» توجَّهت له الأنظارُ من جديد، وأُجريت دراساتٌ حولَه منها:

ـ «الآراء الغريبة في تخريج بعض الألفاظ والتراكيب في القرآن الكريم في كتاب غرائب التّفسير وعجائب التأويل للشيخ تاج القراء الكرماني» لعبد الرشيد هأمني، ماجستير، كلية اللغة العربية، القاهرة، ١٩٩٨م.

ـ «المسائل النّحويّة والصرفية في غرائب التّفسير وعجائب التأويل لمحمود بن حمزة بن نصر الكرماني» للدكتور عبد الحميد السيد خضر دومة، دكتوراه، جامعة الأزهر، كلية اللغة العربية، ٢٠٠٠م.

ـ «الظواهر اللغوية في كتاب غرائب التّفسير وعجائب التأويل» لأحمد عبد الرحيم عبد العال حميدة، ماجستير، جامعة الأزهر، كلية اللغة العربية، ٢٠٠٤م.

ـ «موافقات الكرماني للبصريين في كتابه غرائب التّفسير وعجائب التأويل» للدكتور عاطف محمد عبد الحميد، جامعة المجمعة.

ـ «المسائل النّحويّة في كتاب غرائب التّفسير وعجائب التّأويل» للدكتور حسن إبراهيم قابور، جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية.

ـ ورسالةُ «ردود الكرمانيِّ على النُّحاة في كتابه غرائب التفسير وعجائب التّأويل» لعلي عبد الله محيسن، جامعة ديالى، كلية التربية، قسم اللغة العربية، ماجستير، ٢٠١٢م.

ولعلَّ طبعَ «لباب التَّفاسير» سيزيدُ جذوةَ الاهتمامِ بتاجِ القراء الكرمانيِّ اتِّقاداً، وسيزيدُ همَّةَ طلبةِ العلمِ لاكتشافِ كنوزِه ازدياداً.

رابعاً ـ منهجُ الكرمانيِّ في «لبابِ التَّفاسير»:

أرادَ الكرمانيُّ أن يكونَ «لبابُ التَّفاسيرِ» مرجعاً قريباً يُغني طلّابَ العلمِ عن حملِ الكُتبِ والأسفار، ويطوفُ بهم في جولةٍ تغنيهم عن مشقّاتِ الرِّحَل والأسفار، فجمعَ بين مُعتمَدِ الأقوالِ وغريبِها، ومُحتملِها وعجيبِها؛ لينتفعَ قارئُه بما طابَ وراق، وتتوسَّعُ أمامَ ناظريه الآفاق.

وقد بيَّنَ الكرمانيُّ جانباً هامًّا من منهجِه في مقدِّمةِ «لبابِ التَّفاسيرِ» فقال: **جمعْتُ في هذا الكتابِ من أقاويلِ الأئمّة، ونحاريرِ الأُمّة، الذينَ عُنُوا بعلمِ القرآنِ ومعانيه، وتفسيرِه وتأويلِه ومبانيه؛ ما يجري مجرى فُصوصِ النُّصوص، بعدَ الخَلاصِ والخُلوصِ، وسمَّيتُ الكتابَ: «لبابَ التَّفاسير».**

والملاحظُ من هذا الكلامِ أنَّ الكرمانيَّ لا يدَّعي فضلاً أكثرَ من الجمعِ والاختيار، كما أنَّه بيَّنَ أنَّ غايتَه جمعَ أكبرَ قدرٍ من الأقوالِ بغضِّ النَّظرِ عن قيمتِها في رأي المصنِّفِ نفسَه، فقد ذكرَ في سورة (الكهف) أقوالاً كثيرةً في اسمِ كلبِ أصحابِ الكهفِ ولونِه ثم قال: ولولا أنَّ المفسِّرين ذكروا ذلك لكانَ الإضرابُ عنه أولى.

كما أنَّه نقلَ قولاً عن قتادة ثم قال: هذا تفسيرٌ لا يخفى على أحد.

فهو يلزم نفسَه بتعدادِ أقوال المفسِّرين وجمعِها، لكنَّ المطالِعَ للكتابِ يجدُ أنَّ له جهداً أكبرَ من ذلك بكثير؛ فأوَّلُ ما يُلاحظُ أنَّ الكرمانيَّ الَّذي كان مُشتهراً بالقراءةِ معروفاً بتاجِ القُرّاءِ يحرَصُ على ذكرِ القراءاتِ وتوجيهِها، وربَّما ذكرَ شيئاً من الشَّواذِّ.

وهو يذكرُ عندما يفسِّرُ الآيةَ اللَّفظَ القرآنيَّ، ويبيِّنُ اشتقاقَه اللُّغويَّ، وقد تميَّزَ باهتمامِ هذا الجانب كما سبقت الإشارة.

ثمَّ يذكرُ بعد ذلك أقوالَ المفسِّرين، وينسبُ كثيراً منها إلى أصحابِها، وهو يقدِّمُ على الغالبِ من الأقوالِ ما يراه أولى بالتَّقديم، وأبعدَ عن النَّقد.

ثمُّ يذكرُ الأقوالَ التي يراها دونَ ذلك مقدِّماً لها بكلمةِ (قيل)، وهو يشعرُنا بهذه اللَّفظةِ أنَّه لا يعتمدُ هذا القول، أو هو غيرُ مسلَّمٍ به.

وقد يذكرُ مستندَ القولِ الذي يحكيه من آيةٍ أو حديث.

وقد يذكرُ عبارةً يُوضِّحُ بها المعنى، ويُقرِّبُه من قارئِه، إن شعرَ أنَّ كثرةَ الأقوالِ قد تشتِّتُه وتُبعدُه عن المراد.

وإن كانت في التَّركيبِ القرآنيِّ ناحيةٌ إعجازيّةٌ أو لفتةٌ بلاغيّةٌ أو فائدةٌ إعرابيّةٌ أشارَ إليها، ووقفَ عليها.

كما أنَّه حين ينقلُ من أقوالِ المفسِّرين من الصَّحابةِ والتّابعين ما فيه تخصيصٌ لعمومِ اللَّفظِ القرآنيِّ يحيدُ عن هذه الأقوال، ويعودُ بالنَّصِّ إلى عمومِه، كما في قوله:

قوله: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى﴾ الضَّحاك: المؤمنون، الكلبيُّ: اليهود، مجاهدٌ والحسن: الصَّحابة، والأحسنُ أن يُجعَلَ عامًّا.

ويغلبُ على الظَّنِّ أنَّ للكرمانيِّ جهداً غيرَ قليلٍ في إعادةِ ترتيبِ النُّقولِ والأقوال، وصياغةِ بعضِ التَّعاريف، وتحريرِ بعضِ الجوانبِ اللُّغويّةِ والنَّحويّة.

وكلُّ هذا يمكنُ أن يندرجَ تحت مُسمَّى (لبابِ التَّفاسير)، **ولكنَّ الكرمانيّ لم يقفْ عند ذلك، بل ذكرَ أقوالاً يرى فسادَها، وانتقدَها وبيَّنَ بُطلانها، وذكرَ أقوالاً يعدُّها ضعيفةً مقدِّماً لها بكلمةِ (قيل)، كما تقدَّم،** وهذا يصعبُ أن يندرجَ

تحـت مُسـمَّى (لبابِ التَّفاسـير)، إلا أن يريـدَ أنَّه ضمَّـن كتابَه زُبدةَ وخلاصـةَ ما جاء في التفاسـيرِ قبلَه.

وقد تميَّزَ الكَرمانيُّ بنظرةٍ شموليّةٍ للأسلوبِ القرآنيِّ؛ فهو عندما يتكلَّمُ عن التَّقوى في قوله تعالى: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ يعقِّبُ بالقول: وجاء ذلك في القرآنِ في مئتين وستّةٍ وثلاثينَ موضعًا.

والكرمانيُّ يصرِّحُ في أكثرِ من موضعٍ أنَّ القرآنَ كلَّه كأنُّه سورةٌ واحدة، وهو يتعاملُ مع القرآن على هذا الأساسِ، فهو يقارنُ بين كثيرٍ من الآياتِ وما يُشبهُها في مواضعَ أخرى من القرآنِ الكريمِ مبيِّناً في ذلك خفايا من أسرارِ التّكرارِ، ولمحاتٍ من لطائفِ الإعجاز.

وهو يقولُ في سورة (المؤمنون): بدأ بالسُّورةِ بقولِه: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ وختمَ بقولِه: ﴿لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾.

وقد لاحظنا أنَّه يستحضرُ الآياتِ المتشابهةِ بطريقةٍ تلفتُ الانتباه، وليس هذا بغريب فهو مؤلِّف «البرهان في توجيه متشابه القرآن»، وهو العليم بأسرار التكرار في القرآن الكريم.

ولمّا كانَ غرضُ الكرمانيِّ في «لبابِ التَّفاسير» جمعَ أقاويلِ الأئمّة، ونحاريرِ الأمّة، الذين عُنُوا بعلمِ القرآنِ ومعانيه، وتفسيرِه وتأويلِه ومبانيه؛ كانَ لا بدَّ من التَّنبيهِ على طريقتِه في جمعِ الأقوالِ ونقلِها:

١ ـ نقلَ من بعضِ المصادرِ مصـرِّحاً بالنَّقل، ذاكـراً اسمَ الكتاب، كما في قولِه: واعتمدتُ في إعرابِ الآية على ما ذكره أبو عليٍّ في «الحجّة» والزَّجّاجُ في «المعاني». وهذا قليلٌ.

وربَّما يفعلُ ذلك أحياناً تبرُّؤاً من عهدةِ النَّقل، كما في قوله: ورُوِيَ عن ابنِ عبّاسٍ عن عليِّ بنِ أبي طالبٍ رضي الله عنهم: أنَّ موسى وهارونَ صَعِدا الجبلَ فماتَ هارونُ، فقال بنو إسرائيلَ لموسى: أنتَ قتلتَه، فأمرَ الله الملائكةَ فحملَتْه حتَّى مرُّوا به على بني إسرائيلَ، وتكلَّمتِ الملائكةُ بموتِه حتَّى عرفَتْ بنو إسرائيلَ أنَّه ماتَ، فبرَّأه الله من ذلك، فانطلَقُوا به فدفَنُوه فلم يُطلَعْ على قبرِه أحدٌ من خلقِ الله إلّا الرَّخَمُ، فجعلَه الله أصمَّ أبكمَ، ذكره الثَّعلبيُّ والنَّقَّاشُ، وعليهما العُهدةُ.

٢ ـ نقلَ من بعضِ المصادرِ مصرِّحاً بالنَّقلِ من غيرِ ذكرِ اسمِ الكتاب، وأكثرُ ما فعلَ ذلك عن علي بنِ عيسى الرُّمّانيِّ وابنِ بحرٍ والنَّقاشِ، فهو يذكرُهم مصرِّحاً بالنَّقلِ عنهم.

٣ ـ نقلَ كثيراً عن الماورديِّ والثَّعلبيِّ، وصرَّحَ بذلك أحياناً، لكنَّه تركَ التَّصريحَ غالباً، فمن المواضعِ التي صرَّحَ فيها:

قولُه: لهذه السُّورة ـ فيما حدَّثنا به الإمام أبو سهلٍ محمَّد بن عبد الرَّحمن بن أبي الفضل النَّيسابوريُّ عن الواحديِّ عن الثَّعلبيِّ ـ عشرةُ أسماءٍ...

وقولُه: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ اسمٌ عبرانيٌّ عُرِّبَ، ولهذا أنكرَه العرب، وقالوا: ﴿وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ﴾، حكاه أقضى القضاةِ لثعلبٍ.

فالكرمانيُّ هنا يصرِّحُ بالنَّقل عن الثَّعلبيِّ والماورديِّ، ولكنَّه ينقلُ عن الماورديِّ من غيرِ تصريحٍ، كما في قولِه:

العالَم عند الزَّجَّاج: اسمٌ لما خلقَه الله في الدُّنيا والآخرة.

فهذا القولُ عن الزجّاجِ نقلَه الكرمانيُّ عن الماورديِّ من غيرِ الرُّجوعِ إلى

«معاني القرآن» للزجّاج، والدَّليلُ على ذلك أنَّ هذا اللَّفظَ هو ما حكاه الماورديُّ عن الزجّاج، ولكنَّه معنى ما قاله الزجّاجُ في «المعاني»[1].

٤ ـ إذا أرادَ أن ينتقدَ قولاً فإنَّه لا يصرِّحُ غالباً باسمِ مَن ينتقدُه، فينقلُ القولَ غُفلاً من غيرِ نسبةٍ، أو ينسبَه بما لا يفيدُ التَّعيين، كما فعلَ عندما نقلَ كلامَ الثَّعلبيِّ منتقداً:

وما ذهبَ إليه بعضُ المفسِّرين من أنَّه مشتقٌّ من: ولِهْتُ.... فغيرُ مرضيٍّ عند ذوي التَّحقيق...

فتاجُ القُرّاءِ لم يصرِّح باسمِ الثعلبيِّ في هذا الموضعِ رغم تصريحِه به في مواضعَ كثيرةٍ؛ لأنَّه يريدُ أن يُنبِّه على الخطأ لتلافيه، ولا يريدُ أن يُشنِّعَ على مَن وقعَ فيه.

وهذه قضيَّة يحسنُ التَّنبيهُ عليها، فكثيراً ما يجدُ الباحثُ في الكتبِ التُّراثيّةِ أنَّها تناقشُ الأقوالَ من غيرِ أن تعزوها إلى أصحابِها، لا سيَّما في موضعِ المخالفة، وهذه ظاهرةٌ نجدها عند أئمَّةٍ أجلاء يُقتدى بهم كالإمامِ الشَّافعيِّ؛ فقد استخدمَ عباراتٍ مثل: قالَ لي قائلٌ، أو: بعضُ المشرقيين، أو نحو ذلك[2].

ولو حصلَ مثلُ هذا في زماننا لظُنَّ بصاحبِه التَّدليسُ أو قلّةُ الضَّبط، لكنَّه تكرَّرَ عند أئمَّةٍ كبار، حتى يكادُ يكونُ سمةً عند بعضِهم، والذي أراه أن المتقدِّمينَ من المصنِّفين إنَّما فعلوا ذلك ليكونَ نقاشُهم للفكرةِ لا لصاحبِها، ولكنَّ هذه الظّاهرةَ

---

(١) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» للزَّجّاج (١/ ٤٦)، و«تفسير الماوردي» (١/ ٥٥).

(٢) انظر: «الأم» للشافعي (٢/ ١٢١) و (٧/ ٢٧٦).

توسَّعت بعدَ ذلك، وأخذَت بُعداً سلبياً، فراحَ بعضُ المصنِّفينَ ينسخُ ممَّن قبلَه من غيرِ عزوٍ أو تنبيهٍ[1].

٥ ـ نقلَ الكرمانيُّ كثيراً من أقوالِ السَّلفِ وذكرَها وكأنَّه أخذَها من مصادرِ رواياتها، لكنَّ مراجعةَ كثيرٍ من هذه الرِّواياتِ أظهرَت تبايناً بين ألفاظِ هذه الرِّواياتِ في مصادرِها الأصليّةِ وبين ما ذكرَه الكرمانيُّ؛ فالكرمانيُّ يذكرُ معنى الرِّوايةِ بإيجازٍ غالباً، وهذا يدلُّ على أنَّه ربَّما كانَ يأخذُ هذه الرِّواياتِ من مصادرَ وسيطةٍ، ونظنُّ أنَّه أكثرَ ما كانَ يعتمدُ على تفسير الرُّمّانيِّ والثَّعلبيِّ والواحديِّ، وممّا يدلُّ على هذا تصريحُه بالنَّقلِ عن الرُّمّانيِّ في سورة (النساء) فقال:

ابنُ عيسى: فيه ثلاثةُ أقوالٍ:

الحسنُ في جماعةٍ: هو إمساكٌ بمعروفٍ أو تسريحٌ بإحسانٍ.

الثّاني: مجاهدٌ وابنُ زيدٍ: هو كلمةُ النِّكاحِ التي يُستحَلُّ بها الفرج.

الثّالثُ: من قولِه عليه السَّلام: «أخذتُموهُنَّ بأمانةِ الله واستحللتُم فُروجَهنَّ بكلمةِ الله».

وهـذه الطَّريقـةُ التـي نقلَهـا عـن الرُّمّانيِّ تشـبهُ كثيراً طريقتَـه التـي انتهجَها في أكثرِ تفسـيرِه...

٦ ـ ظاهرُ الأمرِ أنَّه يلتزمُ أحياناً بنقلِ الكلامِ بحروفِه؛ فعبارةُ: (الرَّحمةُ: الإنعامُ على المحتاجِ) ـ التي نقلَها عن ابنِ عيسى ـ كرَّرَها بحروفِها في «البرهان»، ولكنَّه كانَ كثيراً ما يتصرَّفُ بالكلام، فيعيدُ صياغتَه، وربَّما توسَّع فعمدَ إلى تحليلِ القول أو ذكرِ مستنده القرآنيِّ أو الحديثيِّ أو اللُّغويِّ.

---

(١) انظر مثلًا: «التقرير والتحبير» لابن الموقت (١/ ٢٧٩)، و«تيسير التحرير» لأمير بادشاه (١/ ٣١٤).

ومن أمثلةِ ذلك أنَّه ذكرَ عن الحسَن تفسيرَ الرجسِ بأنَّه: رجاسةُ الكفرِ وقَذارتُه.

ولم أجد هذا اللَّفظَ، وإنَّما ذكرَ ابنُ الجوزيِّ عن الحسنِ في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ﴾ قال: الشِّرك[1].

ومن الأمثلةِ الظَّاهرةِ على ذلك ما جاء من قولِه:

قتادةُ: الضَّميرُ يعودُ إلى القَتَلَةِ، أي: يُسأَلُ القَتلَةُ لمَ قَتلوها.

ومثلُ هذا لا يقولُه قتادة، فلا يُعرَفُ في عصرِه مصطلحُ الضَّميرِ والعائد، وقد رواه الطَّبريُّ بلفظ: هي في بعضِ القراءاتِ: (سألَتْ بأيِّ ذنبٍ قُتِلْتُ)؛ لا بذنبٍ[2]. فالكرمانيُّ عبَّرَ عن معنى كلامِ قتادةَ بلغتِه واصطلاحِه.

ولم يفعلِ الكرمانيُّ هذا في موضعٍ أو اثنين، وإنَّما كان هذا منهجاً انتهجَه، وسبيلاً سلكَه، فهو يروي عمَّن تقدَّمَ من المفسِّرين، لكنَّه يعقِّبُ على كثيرٍ من الرِّواياتِ بما يزيدُها وضوحاً، أو يزيدُ المطالعَ لها فائدةً، فمن ذلك:

ذكرَ في تفسيرِ قولِه تعالى: ﴿قَالُواْ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْ﴾ قولَ سفيانَ الثَّوريِّ: كان يأمرُهم بالزَّكاةِ، ثم قال: حكاه الماورديُّ، وإنَّما يصحُّ هذا على القراءةِ الشّاذَّةِ.

فقد ذكرَ كلامَ سفيانَ الثَّوريِّ، وبيَّنَ وجهَه، وهو يريدُ بالقراءةِ الشاذَّةِ قراءةَ السّلميِّ والضَّحّاكِ بنِ قيسٍ: (أو أن تفعل في أموالنا ما تشاء)[3].

---

(١) انظر: «زاد المسير» لابن الجوزي (٣/ ٤٦٢).

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (٢٤/ ١٤٧).

(٣) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٦٥).

ومن ذلك أيضاً ما قاله تاجُ القُرّاءِ في معنى ﴿تَتۡلُواْ﴾: قال ابنُ عبّاسٍ: تتبَعُ، من (التُّلُوِّ).

قتادةُ: تقصُّ وتقرأ، من (التِّلاوة).

فقد نقلَ تاجُ القُرّاءِ قولي ابنِ عبّاسٍ وقتادةَ، وبيَّن وجهَ كلِّ قولٍ من ناحيةِ الاشتقاق، وهذه قضيَّة هامّةٌ، وقد سبق الحديثُ عنها.

والخلاصةُ أنَّ الأكثر عند تاجِ القرّاء هو التصرُّفُ في عبارةِ مَن ينقلُ عنهم على وجه الاختصار، ولكنَّه قد ينقل باللفظ، وقد ينقل باللفظ وينبِّه على ذلك، كما نقل عن الزَّجَّاجِ قوله: ﴿مَّلۡعُونِينَ﴾: منصوبٌ على الحالِ، والمعنى: لا يُجاورنَّك إلّا وهم ملعونون. ثم قال: هذا لفظُه.

٧ـ لتاجِ القرّاءِ الكرمانيِّ طريقةٌ في ترتيبِ الأقوالِ وتنظيمها يمكنُ أن تلاحظَ عند التأمُّلِ، ويمكنُ أن تُلخَّصَ بتقديمِ الأصحِّ، والاعتمادِ على المأثور، وتجميعِ الأقوالِ المتشابهة، وإضافةِ أقوالٍ بصيغةِ الاحتمال، لكنَّه لم يتعهَّد بالتزامِها، ولا صرَّحَ بها، لكنَّ استشفافَها ساعدَنا في فهمِ مرادِه في كثيرٍ من الأحيان، فتأمَّل ما يأتي:

﴿فَوَيۡلٌ﴾ روى أبو سعيدٍ الخدْريُّ عن النَّبيِّ ﷺ: «ويلٌ وادٍ في جهنَّمَ يَهوِي فيه الكافرُ أربعينَ خَريفًا قَبلَ أنْ يَبلُغَ قَعْرَهُ».

عثمانُ بنُ عفّانَ: هو جبلٌ في النَّار.

وقيل: وادٍ من صديدٍ في جهنَّم.

الكلبيُّ: الشَّديدُ من العذاب.

الأصمعيُّ: الويلُ: تقبيحٌ.

وقيل: الويلُ: الهلاكُ، يُستعمَلُ لمن لا يُرجَى خلاصُه.

٨ ـ يحاولُ تاجُ القرّاءِ الكرمانيُّ غالباً أن يتجنَّبَ الدخولَ في خلافاتٍ عقديّةٍ أو مذهبيّة، لذلك نجده عندما يُناقش قضيّة من قضايا الخلافِ العقديِّ أو المذهبيِّ يرجعُ بالمسألةِ إلى جذورِها، وينسبُ الأقوالَ إلى مَن قالَ بها من المتقدِّمين من علماء التفسير، ويناقشَ هذه الأقوالَ إن بدا له ذلك بعيداً عن التَّيّارات المذهبيّة والطائفيّة، ممّا جعلَه ألطفَ تعبيراً وأكثرَ إنصافاً وأبعدَ عن التَّعصُّبِ.

هذه بعضُ السِّماتِ الدّالّةِ على طريقةِ تاجِ القرّاءِ في جمعِ الأقوالِ ونقلِها، والتي أحببتُ التَّنبيهَ عليها انطلاقاً من حقيقةِ أنَّ تاجَ القرّاءِ صنَّفَ «لبابَ التَّفاسير»، وكانَ غرضُه جمعَ أقوالِ مَن قبلَه وتقريبَها.

لكن ثمَّةَ جانبٌ في «لباب التَّفاسير» لا يجوزُ إغفالُه، وهو الجانبُ الإبداعيُّ فيه؛ فقد كانَ تاجُ القُرّاءِ الكرمانيُّ داعيةَ اجتهاد، نابذاً للتَّقليد، وقد ظهرَ ذلك في مواضعَ كثيرةٍ في «لباب التَّفاسير» منها:

* قولُـه في تفسيرِ ﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [المائدة: ١٠٤]؛ أي: في النّاس علماء وسفهاء، فما يُؤمِنكم أنْ يكونَ آباؤكم الذين غيَّروا دينَ الله سفهاءَ، فتتَّبعونهم على جهالةٍ؟! فدلَّت الآيةُ على وجوبِ النَّظر والتَّدبُّر وبطلانِ التَّقليد.

* وقولُـه في تفسيرِ ﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾: وهذا حثٌّ على النَّظر ونهيٌ عن التَّقليد.

فتاجُ القُرّاء ولا شكَّ داعيةُ تفكيرٍ واجتهادٍ وتدبُّرٍ مستمرٍّ، ولم تكن هذه الدَّعوةُ منه دعوى بلا دليل، أو تصوُّراتٍ بلا تمثيل، فقد طبَّقَ عمليًّا ما دعا إليه نظريًّا، وكان

يبذلُ جهدَه في إضافةٍ أقوالٍ جديدةٍ إلى الأقوالِ التي بذل جهداً في جمعَها وترتيبِها، ولكنَّه يوردُ مثلَ هذه الأقوالِ بصيغة الاحتمال، وكأنَّه يريدُ بذلك أن يميزَ لنا ثمارَ اجتهادِ المطالعةِ والتَّنقير من ثمارِ اجتهادِ التأمُّلِ والتَّفكير، ومن أمثلةِ ذلكَ: قولُه في تفسيرِ ﴿قَالُواْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ [البقرة: ٩٣]: يحتملُ أنَّ ذلك كانَ منهم قولًا، ويحتملُ أنَّ حالَهم دلَّتْ على ذلك.

ـ وربَّما اقتصرَ أحياناً في اجتهادِه على التَّرجيحِ بين الأقوال، كما في قوله:

الزَّجّاجُ: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى الجملة، وردَّ عليه أبو عليٍّ في «إصلاحِ الإغفالِ»، والحقُّ مع أبي عليٍّ.

ـ وقد عكسَت أقوالُه في التَّرجيحِ أسساً وقواعدَ هامّة:

منها: مبدأ تفسيرِ القرآنِ بالقرآن، فقد تميَّزَ بإيرادِه الآياتِ المشابهةِ للآيةِ التي يفسرُها، واستحضارِه لها، وقد صرَّح بهذا المبدأ، ووسَّعَ تطبيقَه، فنقلَ اختلافَ المفسِّرين في تفسير ﴿سِجِّيلٍ﴾، ثم قال: أحسنُ الأقاويلِ ما وافقَ القرآن، وهو قولُ ابن عبّاس.

ويقول أيضاً: أحسنُ الأقوال ما وافقَ القرآنَ والخبرَ وكلامَ الصحابةِ والتَّابعين.

ومنها: رفضُ الاعتمادِ على الآراء الشاذّةِ، فقد نقلَ أقوالَ المفسِّرين في تفسير ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾ [ص: ٤٣]، ثم ذكر قولين لابن بحرٍ، ثم قال: وقولُ الجمهورِ أولى بالاتباعِ.

والكرمانيُّ يظهرُ في اجتهادٍ دائم؛ فهو ينوِّعُ بين ترجيحاتِه، ويُغيِّرُ في تفسيراتِه، ومَن يتتبَّعُ طريقته في تفسيرِ التَّقوى يرى عجباً؛ فالتقوى عنده أحياناً تركٌ لعبادةِ الأصنام، وأحياناً ليست أكثرَ من تركِ الأكلِ والشُّرب، وهي عنده

أحيانـاً طاعـةٌ لله، وأحياناً خوفٌ مـن عذاب الله، وهـي أحياناً متصلةٌ بالدُّنيـا، وأحياناً أخـرى ممتـدَّةٌ إلـى الآخرة.

ـ وهو مع ذلك يخفي جهدَه، ويستحي من المباهاةِ بكثيرٍ منه، ولكنَّنا لا نعدمُ عباراتٍ كانَت صريحةً في إثباتِ ما ذهبنا إليه، ومنها:

قوله في تفسير ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾ [الأعراف: ١٩٠]: ويحتمِلُ أنَّ الهاءَ يعودُ إلى الولدِ على تقديرِ: جعلا للولدِ الصَّالحِ الذي آتاهُما الله... نصيبًا فيما آتاهُما منَ الرِّزقِ في الدُّنيا، وكانا قبلَه يأكُلانِ ويشرَبانِ وحدَهما، ثمَّ استأنفَ فقال: ﴿فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾؛ يعني: الكفَّار...

وهذا القولُ لم أُسبَقْ إليه، وهو حَسَنٌ؛ لأنَّه تنزيهٌ لآدمَ وحوَّاءَ عن الشِّركِ، وثناءٌ عليهما، والله أعلمُ.

ـ ويلفت الانتباهَ أنَّ تاجَ القراءِ لم يطر فرحاً بما سبقَ إليه، ولم يجعله الوجهَ الصَّحيحَ الذي اكتشفَه وقد غفلت عنه الأمّة من قبل، ولكنَّه بدأ قولَه بكلمةِ (ويحتمِلُ)، وختمه بكلمة (والله أعلمُ)، فلله درُّه ما أرفقَ كلامَه وأحسنَ تواضعَه!

ومن المواضع التي تدلُّ على ذلك قوله في ﴿وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡهِم مِّن قَبۡلِهِۦ﴾ [الروم: ٤٩]: وكنتُ سُئِلْتُ عن هذه الآيةِ فاستخرجْتُ لها عشرةَ أوجُهٍ سوى ما حكيتُ عن الأئمَّةِ...

وهذا يدلُّ على ما تميَّزَ بـه تاج القُراء من دقَّةِ الفهمِ وحسنِ الاستنباط، كما وصفَه العلماء.

ونخلصُ بعد هذا كلِّه إلى أنَّ هذا الكتابَ كان خلاصةَ جهودٍ عظيمةٍ أفادها الكرمانيُّ ممَّن سبقَه وتقدَّمَه، وزادها فوائدَ عظيمةً تدلُّ على سَبْقِه وتقدُّمِه.

خامساً ـ أسلوبُه:

ـ اتَّبعَ تاجُ القُراء الكَرمانيُّ أسلوباً يقومُ على الإيجازِ والاختصارِ، وقد كان ذا مُكنةٍ في اللغة، واطلاعٍ واسع عليها، ولكن كانت غايتُه تقريبَ هذا العلم إلى طلبته، وهذا ما جعلَ أسلوبَه وسطاً بين السُّهولةِ والصُّعوبة، فلا يمكن أن نعدَّه من الكتب المعقَّدة ذات العبارات المستغلقة، كما لا يمكنُ أن ندرجَه ضمن الكتبِ السَّهلة ذات العبارة المباشرة.

ـ وهو مع ذلك كانَ يقفُ عندَ بعضِ الجوانبِ اللغويّةِ فيحلِّلُها، ويحاولُ أن يُؤدِّي ما يريدُ من المعنى فيها بأقلِّ عبارةٍ ممكنة، وقد بالغَ في إيجازِه أحياناً، فأضرَّ ذلك بجماليَّة تعبيره، ونضارةِ عبارتِه، وقد استغلقَت بعضُ معانيه، واحتاجَت إلى شرحٍ وبيان.

ـ وقد تميَّزَ بدقَّةِ الفهمِ وحسنِ الاستنباط، كما وصفَه العلماء، ومن المواضع التي تدلُّ على ذلك قوله في ﴿وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡهِم مِّن قَبۡلِهِۦ﴾ [الروم: ٤٩]: وكنتُ سُئِلْتُ عن هذه الآيةِ فاستخرجْتُ لها عشرةَ أوجُهٍ سوى ما حكيتُ عن الأئمَّةِ، منها: أنَّ الهاءَ يعودُ إلى الاستبشارِ، وتقديرُه: من قبلِ الإنزالِ من قبلِ الاستبشارِ؛ لأنَّه قرنَه بالإبلاسِ، ولأنَّه مَنَّ عليهم بالمطرِ وبالاستبشارِ، والله أعلمُ. وأضربتُ عن إيرادِ التِّسعةِ الباقيةِ لأنَّ في الاستبشارِ مَقْنعًا ومَغْنًى.

ـ وربَّما استخدمَ أحياناً عباراتٍ بليغة، تعكسُ ذوقاً عالياً، ومعرفة باللُّغةِ سامعة، من مثل قوله: المؤمن يُجزى والكافرُ يُجازَى؛ لأنَّ لفظَ المُفاعلةِ يقتَضي المكافأةَ، والمُماثلةُ تكونُ في السَّيِّئةِ، وأمَّا الحسناتُ فإنَّها مُضاعَفةٌ أضعافًا.

ـ ومع ذلك فلربَّما وقعَ في كلامِه شبهُ خللٍ نتيجةَ الخلطِ في بعضِ العباراتِ

بين ما حقُّه التذكير وما حقُّه التأنيث، ورغم أنَّ كثيراً من أمثلة هذه القضيّة يمكن أن تُحمل على النّاسخ، لكنّي وقفت على مواضعَ يظهرُ لي أنَّ الخلل فيها في أصلِ التَّركيب، ومن ذلك قوله: وتأتي مُفتقرةً إلى اسمٍ وخبرٍ كـ(كانَ)، ويلزَمُه حرفُ النَّفيِ، ومعناه: لا يزالُ.

فكان ينبغي أن يقول: ويلزَمُها حرفُ النَّفيِ، ومعناها: لا يزالُ.

لكنَّا وجدنا الكرمانيُّ يصرِّحُ بجوازِ الحمل على المعنى، فقد يكون هذا منه؛ فـ(انفكَّ) كلمة، ولكنَّها لفظٌ أيضاً، وهذا وجه جوازِ عبارة المصنِّف.

ـ وقد استخدمَ أسلوبَ الفنقلة الذي أكثرَ منه الزَّمخشريُّ فيما بعد، وهو أسلوبٌ مناسبٌ عند طرحِ قضيّةٍ للنِّقاش، وقد سبق إلى هذا الأسلوب الإمام الطَّبريُّ والماتريديُّ.

ـ وهو ليِّنٌ في طريقةِ كلامِه، يحاولُ أن يقولَ ما عنده من غيرِ أن يسبِّبَ الأذى لأحد، فيقولُ في انتقادِ قولٍ خالفه: وما ذهبَ إليه بعض المفسِّرين من أنَّه مشتقٌّ من: ولهْتُ.... فغير مرضيٍّ عند ذوي التَّحقيق...

وربَّما وجَّه النقدَ أحياناً، لكنَّه يحاولُ أن يجدَ للكلام وجهاً؛ ليرفعَ عن قائله الحرجَ، ويلتمسَ له العذر، ومن ذلك:

في تفسير ﴿فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ﴾ [الشعراء: ١٣] النقَّاشُ: أرسِلْ معي هارونَ، قال: ومثلُه: ﴿أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ﴾ [النساء: ٢]؛ أي: مع، وهذا منَ النقَّاشِ سهوٌ؛ لأنَّه يقتَضي (إليَّ) بتشديدِ الياءِ؛ فإنْ لم يكُنْ بدٌّ: فأرسِلْني مع هارونَ، فيكونُ المفعولُ محذوفًا، لكنَّ النقَّاشَ نظرَ إلى الآيةِ الأخرى وهي: ﴿فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا﴾ [القصص: ٣٤]، فجعلَ ﴿هَٰرُونَ﴾ في الآيةِ مفعولًا، والآيةُ لا تحتمِلُه إلّا على الوجهِ الذي ذكرتُ.

ومن ذلك قولُه في ﴿وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾ [لقمان: ٢٧]...

قال أبو عبيدةَ: البحرُ هاهنا: الماءُ العذبُ؛ لأنَّ المِلْحَ لا يُنبِتُ الأقلامَ.

قال القفَّالُ: قولُ أبي عبيدةَ: البحرُ المِلْحُ لا يُنبِتُ الأقلامَ، يُوجِبُ أنَّه جعلَ المعنى: البحرُ يمدُّه من بعدِه سبعةُ أبحرٍ فأنبتَتْ أقلامًا، وقولُ أبي عبيدةَ ضعيفٌ؛ لأنَّ الله سبحانَه أرادَ التَّكثيرَ والمُبالغةَ، وليس فيما ذكرَ أبو عبيدةَ كثيرُ مُبالغةٍ.

وعُذرُ القفَّالِ عنه حسَنٌ، كأنَّه جعلَ هذه الآيةَ مُشتمِلةً على ذكرِ الأقلامِ فحسبُ، كما أنَّ ما في الكهفِ للمِدادِ فحسب؛ اكتفاءً بذكرِ أحدِهما عنِ الآخرِ، كما اكتفَى بذكرِ الأقلامِ والمِدادِ عن القِرْطاسِ أو ما يُكتَبُ عليه، أو عنِ الكَتَبةِ؛ لأنَّ تقديرَ الآيةِ: لو جُعِلتِ الأشجارُ أقلامًا، والبحرُ بعدَ المَدَدِ مِدادًا، والسَّماواتُ والأرضُ قِرْطاسًا، والملائكةُ والجنُّ والإنسُ كُتّابًا، ثمَّ كتبُوا به منه عليه، لنفِدَتْ هذه الأشياءُ وأعيَتِ الكتَبةُ قبلَ أن تنفَدَ كلماتُ ربِّي، واللهُ أعلَمُ.

فالكَرمانيُّ يريدُ أن يلتمسَ لكلٍّ من أبي عبيدة والقفّالِ عُذرَه، ويحملَ كلامَهما على أحسنِ محملٍ.

وقد ينقلُ قولاً وينتقدُه، لكنَّه لا يشنِّعُ على صاحبه؛ فقد نقلَ قولاً عن قتادة ثم قال: هذا تفسيرٌ لا يخفى على أحد.

وقد يعرضُ تاجُ القرّاء للخلافِ، لكنَّه يعرضُه بأسلوبٍ علميٍّ بعيدٍ عن الجدلِ والنِّقاش، فقد قالَ في تفسيرِ قولِه تعالى: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾

[آل عمران: ١٣٣]: والجنّةُ مخلوقةٌ، ومحلُّها السَّماوات... وقيل: لم تُخلَق بعدُ، والأوَّلُ مذهبُ أهلِ السُّنةِ والجماعة.

فأغلبُ الظَّنِّ أنَّ كلامَه ردٌّ لمذهبِ المعتزلةِ، لكنَّه عرضَه بأسلوبٍ ليِّنٍ تجنَّبَ فيه الإساءة إلى المخالفين.

سادساً ـ مصادرُ «لبابِ التَّفاسير»:

اعتمدَ تاجُ القرّاءِ الكرمانيُّ في «لبابِ التَّفاسير» على مصادرَ كثيرة جدًّا؛ من علماءَ أخذ عنهم، وكتبٍ أفادَ منها، وقد صرَّح بذلكَ في قولِه: لم أرَ فيما سمعتُ وطالعتُ منَ التَّفاسيرِ مع جموعِها.

وقد بيَّنَّا أنَّ كثيراً من المصادر التي ينقلُ عنها صراحةً، ويذكرها باسمها غير متوفِّرةٍ بين أيدينا، ومن ذلك:

ـ تفسير الرمانيِّ، وتفسير ابن بحر، وابن الهيضم، وتفسير «نظم القرآن» للجرجاني، والذي يشير إليه بصاحب «النظم»، وليس هو الإمام عبد القاهر، وتفسير القاضي عبد الجبار، والذي يشير إليه أحياناً بأبي عليٍّ، وابن كيسان، وتفسير القفال، وتفسير النقاش، ومعاني القرآن للمبرد، وقطرب، وغيرها الكثير.

ومع ذلك نلاحظ أنَّ أهمَّ المفسِّرين الذين اعتمد عليهم هم: ابن عباس، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وقتادة، ونلاحظ أنه نقلَ كثيراً عن الحسن، وكثيرٌ من الأقوال التي نقلها عنه غير موجودة فيما بين أيدينا من مصادر ومراجع.

ـ أما علماءُ القراءات فقد كان للسبعة منهم حضورٌ كثيف، وأقلُّ منهم حضورُ بقيّةِ العشرة، كما كان للقراءات الشاذَّة حضورٌ لا يُستهان به في «لبابِ التَّفاسير».

ومن كتب القراءات التي اعتمد عليها: «الغاية» و«الشَّواذ» لابن مهران، كما أحال على كتابِه فقال: وقد ذكرنا هذا مشروحًا في كتاب «النِّهاية في شرح الغاية».

ـ وأهمُّ التَّفاسيرِ التي يظهرُ أَنَّها كانت حاضرةً عنده: تفسير مقاتل بن سليمان، وتفسير الطَّبريِّ، وتفسير أبي اللَّيث السَّمرقنديِّ، وتفسير الثعلبيِّ، و«النكت والعيون» للماورديِّ، و«البسيط» للواحديِّ.

ـ ومن كتب «معاني القرآن» وجدناه يرجع إلى الفراء والمبرد والأخفش والزجاج وقطرب والنحاس، كما رجع مرات إلى كتاب «الإغفال» لأبي عليٍّ الفارسي، وهو تعليقاتٌ على «معاني القرآن» للزجاج.

ومن الكتب التي رجع إليها «مجاز القرآن» لأبي عبيدة، و«مشكل القرآن» لابن قتيبة، و«إعراب القرآن» للنَّحاس، و«النسخ والمنسوخ» له أيضاً، و«درة التَّنزيل» للخطيب الإسكافيِّ.

ـ أما في اللغة فقد أكثرَ عن «العين»، وكان ينسبُه للخليل غيرَ شاكٍّ في ذلك، و«تهذيب اللغة» للأزهريِّ، وقد نقل عن الأزهري في غير «التهذيب»، ونقل عن شيء من كتبِه لم نهتدِ إليه، ولم نقف عليه.

وأما في النحو فأكثر النقلَ عن سيبويه، وذكر «الكتاب» مرّات، ومن الواضح أَنَّه كان على صلة وثيقة به، واطلاع جيِّد عليه.

ونقل عن الخليل ويونس معتمداً على «الكتاب»، وذكر الكسائي، والفراء، وذكر من كتبه: «معاني القرآن» و«اللغات»؛ أي: لغات القرآن.

واعتمد أيضاً أقوال الزجاج وابن السراج والنحاس وأبي عليٍّ الفارسيٍّ وابن عيسى الرمانيِّ وابن جني.

سابعاً ـ وصفُ النُّسخِ الخطِّيَّة:

وقفْنا بفضلِ اللهِ تعالى على عـدّةِ نسـخٍ خطيّةٍ منَ المكتباتِ التركيةِ، وقمْنا بفحصِها والنظرِ فيها مـنْ حيثُ جَودتُها، وضبطُها، ومعرفةُ ناسخيها، وغيرُ ذلك، وهذا وصفُ كلٍّ واحدةٍ منها مرتَّبةً على حسبِ تواريخِ نسخِها:

١ ـ النُّسخةُ الأولى (ف):

وهـي مـنْ محفوظاتِ مكتبـةِ (الفاتـح) الموجـودةِ في المكتبـةِ السُّـليمانيةِ في إسـطنبولَ، وهي عبارةٌ عـن جزأينِ، أرقامُهما على التَّوالـي: (٤١٧)، و(٤١٨)، وهي نسـخةٌ غيـرُ تامّـة، ملوّنةٌ، كتبـتْ بخطٍّ واضـحٍ، بضبطٍ قليلٍ فـي الجـزءِ الأوَّلِ، وأكثرَ من المتوسِّـطِ في الجـزءِ الثّاني، وتـمَّ تمييزُ الآيـاتِ القرآنيةِ بخطٍّ كبيـرٍ، وكُتِبتْ هذهِ النُّسـخةُ بمـدادٍ أسـودَ، وكُتبتْ أسـماءُ السُّـورِ فيهـا وبعضُ الكلمـاتِ بمـدادٍ أحمرَ، وناسـخُها علـيُّ بـنُ عبـدِ الله بـنِ محمـودٍ المـؤذِّنُ بجامعِ غربي عسـكر مكـرم، وقد أتـمَّ نسـخها سـنةَ (٦٥٤هـ) كما جاءَ عنـدَ انتهـاءِ جزأيهـا الأوَّلِ والثّانـي، والهوامشُ فـي كلا الجزأينِ ليسـت بالكثيرة.

وجاءَ على غلافِ هذهِ النُّسخةِ في كلا الجزأين عدّةُ تملُّكاتٍ وتصحيحاتٍ، منْ ذلكَ تصحيحُ مصطفى بنِ لطفِ الله، ولعلَّه هو قاضي أدرنه في زمنِ الدَّولةِ العثمانية، عاشَ في القرنِ الحادي عشرَ الهجري[1]، والله أعلم.

وجاء على غلاف الجزء الأوَّل: الرُّبعُ الثَّالثُ منْ كتابِ لبابِ تفسيرِ القرآن، تصنيفُ الشَّيخِ الإمامِ تاجِ القرّاءِ أبي القاسمِ محمودِ بنِ حمزةَ بنِ نصرٍ الكَرمانيِّ قدَّس اللهُ روحَه العزيز.

---

(١) انظر: «معجم تاريخ التراث الإسلام» لعلي رضا بلوط، (٥/ ٣٧١٧).

وجاءَ في خاتمةِ الجزءِ الأوَّلِ: تمَّ الرُّبعُ الثالثُ منْ كتابِ لبابِ تفسيرِ القرآن، ويتلوهُ في الربعِ الرّابعِ أوَّلُ سورةِ ص، والحمدُ للهِ ربِّ العالمين، وصلّى اللهُ على سيِّدِنا محمَّدٍ المصطفى وآلِهِ الطّاهرين.

ويقعُ هذا الجزءُ في (٣١٠) لوحة، كلُّ لوحةٍ منْ صفحتينِ، وكلُّ صفحةٍ تتكوَّن منْ (٢١) سطراً، وكلُّ سطرٍ من (١٠) كلمات.

وجاءَ على غلافِ الجزءِ الثّاني: الرُّبعُ الرّابعُ من كتابِ لبابِ تفسيرِ القرآن، تصنيفُ الشَّيخِ الإمامِ تاجِ القرّاءِ أبي القاسمِ محمودِ بنِ حمزةَ بنِ نصرٍ الكَرمانيِّ قدِّس سرُّه.

وجاءَ في خاتمةِ الجزءِ الثّاني:

تـــمَّ الكتـــابُ، وربُّنـــا محمـــودُ ولـــه الفضائـــلُ والعُـــلا والجُودُ

اتفقَ الفراغُ من كتبتِه يومَ السَّبت منتصفَ شهرِ جمادى الأوَّل من سنةِ أربعٍ وخمسين وستِّمائةٍ هجريّة.

كاتبُه العبدُ الضَّعيفُ المحتاجُ إلى رحمةِ الله تعالى عليُّ بنُ عبدِ الله بنِ محمودٍ المؤذِّنُ بجامعِ غربي عسكر مكرم، غفرَ الله له ولوالديه ولجميع المؤمنين، آمين ربَّ العالمين.

ثمَّ جاءَ في هامشِ هذهِ الخاتمةِ بخطٍّ آخرَ: استنسخَ الكتابَ كلَّه إبراهيمُ بنُ محمَّدٍ الحمويُّ، جعلَه اللهُ منَ الفائزينَ برحمتِه، وذلكَ منْ شهورِ سنةِ ٦٧٣ هجرية.

ويقعُ هذا الجزءُ في (٣٨٤) لوحة، كلُّ لوحةٍ صحفتانِ، وكلُّ صفحةٍ تتكوَّن منْ (٢١) سطراً، وكلُّ سطرٍ من (١٠) كلمات.

٢ ـ النُّسخةُ الثانية (و):

وهي منْ محفوظاتِ مكتبةِ (ولي الدين أفندي) الموجودةِ في المكتبةِ السُّليمانيةِ بإسطنبولَ، وهي عبارةٌ عنْ مجلَّدٍ واحدٍ رقمُها (٢٤٩)، تبدأُ منْ أولِ الكتابِ إلى نهايةِ سورةِ الكهفِ، وهذهِ النُّسخةُ كتِبتْ بمدادٍ أسودَ بخطٍّ واضحٍ وجميل، وهناك بعضُ الإشاراتِ باللونِ الأحمر، وكُتبت الآياتُ بخطٍّ كبير، وهي مضبوطةٌ ضبطاً فوقَ المتوسِّطِ، وتقعُ في (٢٩٥) لوحة، وكلُّ لوحةٍ صفحتانِ، وفي كلِّ صفحةٍ (٢٧) سطراً تقريباً، وفي كلِّ سطرٍ (١٥) كلمةً تقريباً، والهوامشُ أكثرُ منَ القليلِ ودونَ المتوسِّط، وناسخُها حسينُ بنُ أبانٍ النحويُّ، وقد أتمَّ نسخها سنةَ (٦٧٣هـ).

وهذه النُّسخةُ من النَّفاسةِ بمكانٍ، إذْ أنَّ ناسخَها منْ أئمةِ العلم، كما ذكرَ ذلكَ الفَيروزآباديُّ في «البلغة» حيثُ قال: الحسينُ بنُ أبانٍ النَّحويُّ البغداديُّ المنعوتُ بالجمال، إمامٌ متأخِّرٌ أخذَ عنِ الأستاذِ أبي عثمانَ سعدِ بنِ أبي أحمدَ بنِ أحمدَ الجذاميِّ البيانيِّ البغداديِّ، وله مصنَّفاتٌ منها: «شرح الفصول»، و«قواعد المطارحة»، و«شرح ضروري التصريف» لابن مالك، و«كتاب المسائل الخلافية»، وكان ذا حفظٍ حسنٍ، ثقةً فيما يكتبُ ويقولُ، مدرِّسَ النَّحو بالمستَنصرية، ماتَ سنةَ (٦٧٤هـ)[1]؛ أي: بعد إنهائه لهذهِ النُّسخةِ بسنة.

وفي بدايةِ هذهِ النُّسخةِ فِهرسٌ لأسماءِ السُّورِ، وجاءَ في العنوان: النِّصفُ الأوَّلُ منْ كتابِ لبابِ التَّفاسيرِ، تصنيفُ الشَّيخِ الإمامِ تاجِ القرّاءِ أبي القاسمِ محمودِ بن حمزةَ بنِ نصرٍ الكرمانيِّ، شكرَ اللهُ سعيَه وقدَّس روحَه.

(١) انظر: «البلغة» للفيروزآبادي (ص: ١٢٢).

وتحتَ العنوانِ نقلٌ عنْ عبدِ العزيزِ بنِ أحمدَ في مختصره «شفاء الظَّمآن في فضائل القرآن».

وجاءَ في خاتمةِ النُّسخةِ: تمَّ الجزءُ الأوَّلُ منْ كتابِ لبابِ التفاسيرِ، على يدِ العبدِ الفقيرِ اللاجئِ إلى عفوِ اللهِ ورحمتِه حسينِ بنِ أبانٍ النَّحويِّ، في العَشرِ الأوسطِ منْ شهرِ اللهِ الأصمِّ رجب، منْ شهورِ سنةِ ثلاثٍ وسبعينَ وستِّ مئة، والحمدُ للهِ كما هو أهلُه، والصَّلاةُ التّامّةُ الزّاكيةُ على سيِّدِنا نبيِّ الرَّحمةِ محمَّد، وعلى آله الطّاهرينَ وصحبِه الأكرمينَ، وحسبُنا اللهُ ونعمَ الوكيل.

٣ ـ النُّسخةُ الثالثة (ن):

وهي من محفوظاتِ مكتبةِ (نوربانو سلطان) الموجودةِ في المكتبةِ السُّليمانيّةِ بإسطنبول، وهي عبارةٌ عنْ جزأينِ، أرقامُهما على التَّوالي (٢٨) و(٢٩)، ينتهي الجزءُ الأوَّلُ في نهايةِ سورةِ طه، والجزءُ الثّاني من بدايةِ سورةِ ص إلى نهايةِ القرآن، فهي نسخةٌ تامّةٌ، ملوَّنةٌ، كُتِبتْ بمدادٍ أسودَ، وكُتبتْ أسماءُ الآياتِ بمدادٍ أحمر، ومُيِّزت الآياتُ فيها بخطٍّ أحمرَ منْ فوقِها، وضبطُها قليلٌ جدًّا، ناسخُها أشرفُ الحسينيُّ الحنفيُّ الغَزنويُّ، فرغَ من نسخِ الجزءِ الأوَّلِ سنةَ (٧٩٣هـ)، ومنْ نسخِ الجزءِ الثّاني سنةَ (٧٩٤هـ).

وهذه النُّسخةُ منقولةٌ من نسخةٍ بخطِّ الشَّيخِ أبي طاهرٍ محمَّدِ بنِ روذبهان بنِ الشيخِ أحمدَ بنِ عليٍّ، وتمَّت المقابلةُ عليها كما ذكرَ في آخرِ الجزأينِ سنةَ (٧٩٥هـ). ولم أستطع الوقوفَ على ترجمةٍ للشَّيخِ المذكورِ، ولا على النّاسخِ.

وعلى هامشِ النُّسخةِ حواشٍ قليلةٌ، وعدّةُ بلاغات، وإثباتٌ لبعضِ فروقِ النُّسخِ.

ويقعُ الجزءُ الأوَّلُ في (٣٢٤) لوحةٍ، كلُّ لوحةٍ صفحتانِ، والصَّفحةُ الواحدةُ فيها (٣١) سطراً تقريباً، وكلُّ سطرٍ فيه (١٥) كلمةً تقريباً.

وجاء في غلافِه: الجزءُ الأوَّلُ من كتابِ لبابِ التَّفاسيرِ، من مصنَّفاتِ الإمامِ العلّامةِ برهانِ الدِّينِ تاجِ القرّاءِ أبي القاسمِ محمودِ بنِ حمزةَ بنِ نصرٍ الكرمانيِّ، تغمدَه اللهُ بغفرانِه وأسكنَه أعلى غرفِ جنانِه بمنِّه ولطفه، والحمدُ لله ربِّ العالمين، وصلّى اللهُ على سيِّدِنا محمَّدٍ وآلِهِ وصحبِهِ أجمعين.

وجاءَ في خاتمةِ الجزءِ الأوَّل: تمَّ الجزءُ الأوَّلُ من كتابِ اللُّباب، بعونِ الملكِ الوهابِ، على يدِ العبدِ الضَّعيفِ النَّحيفِ الرّاجي رحمةَ ربِّه اللَّطيف، خويدمِ العلماءِ والفقراء النَّظيفِ، المرتجي غفرانَ اللهِ الكريمِ، الملتجي إلى جوارِ هذا النَّبيِّ الرَّحيمِ، الفقيرِ إلى اللهِ الغنيِّ الوفيِّ، أشرفَ الحسينيِّ الحنفيِّ الغزنويِّ، غفر اللهُ له ولوالديه، وأحسنَ إليهما وإليه، ولكافَّةِ المسلمينَ أجمعين، بالمدينةِ المشرَّفةِ على مشرِّفها منَ الصَّلواتِ أفضلُها، ومن التَّحيّاتِ أكملُها، برباطِ الأصفهانيِّ في قبّةِ بانيها رحمه اللهُ، المحاذيةِ شباكُها بشبّاكِ مسجدِ النَّبيِّ عند قدمِهِ الشَّريفةِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، في سادسِ شهرِ اللهِ الحرامِ شوّالٍ سنةَ ٧٩٣.

تمَّت المقابلةُ بالنُّسخةِ المذكورةِ في أوَّلِ الكتابِ بالمدينة المشرَّفة، على مشرِّفها منَ الصَّلواتِ أفضلُها، ومنَ التَّحيّاتِ أكلُمها، ١٦ من شهرِ الله الأصمِّ رجب سنةَ ٧٩٤.

وفي الصَّفحةِ الأخيرةِ يوجدُ وقفٌ لهذهِ النُّسخةِ، وهو وقفٌ من السُّلطانة نوروبانو والدةِ السُّلطان مراد خان (ت: ١٠٠٣هـ)، منشئةُ مدرسةٍ ومكتبةٍ التي تحملُ اسمَها، وواقفتها، وهذا نصُّه: الحمدُ للهِ الواقفِ بالأعمالِ الصَّالحةِ والأوقاف، والصَّلاةُ على مَن نطقَ بالقرآن سيِّدِنا محمَّدٍ أشرفِ آلِ عبدِ مَناف، وعلى آلِهِ

وأصحابِه وتابعيهِم المختصينَ بأحسنِ النعوتِ والأوصاف، صلاةً دائمةً منشرةً في الأطراف والأكناف، وبعد:

فقد وقفَتْ لوجهِ اللهِ الكريمِ السبحانِ، هذا التَّفسيرَ الجميلَ الجليلَ الشّانِ، حضرةُ مَن خصَّها اللهُ بأنواعِ الخيراتِ والحسناتِ، واختارها لتمهيدِ أصنافِ المبرّاتِ والصَّدقاتِ، جنابُها سماءُ العصمةِ والجلالِ، وبابُها فلكُ العفّةِ والإقبالِ، مظهرُ نورِ الخلافةِ، مطلعُ شمسِ السّلطنةِ؛ أعني: والدةَ سلطان بنِ السّلطانِ السّلطانِ؛ مراد خانَ ابنِ السّلطانِ سليم خانَ ابنِ السّلطانِ سليمانَ خانَ، اللهمَّ خلِّد أيّامَ خلافتِه وزِدْ أعوامَ عمرِه إلى انقراضِ الدُّهورِ والأزمانِ، وأدمْ سعادتَها وعمرَها في ظلِّ ظلِّكَ يا ذا المجدِ والإحسانِ.

وشرطَتْ أنْ يُوضعَ في المدرسةِ الشَّريفةِ والمحفلِ المنيفِ الذي بنتْ حضرتُها المعظَّمةُ في قصبةِ أسكودارَ، للقارئينَ المسلمينَ المسافرينَ والقانطينَ التّالينَ كتابَ اللهِ آناءَ الليلِ وأطرافَ النّهارِ، تقبّلَ اللهُ عنها الملكُ الغفّارُ، وقفاً صحيحاً شرعيّاً مؤبّداً مخلَّداً مرعيًّا على قولِ مَن جوَّزَ وقفَ المنقولاتِ من المجتهدينَ، ولا يُوهبُ ولا يُورثُ ولا يُرهنُ ولا يُنقلُ عن محلِّه المذكورِ إلى القرى والمدائنِ، ولا يحلُّ لأحدٍ أنْ يبدلَّه، ﴿فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعۡدَ مَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثۡمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾ وأجرُها عليه إنَّه هو البرُّ الرحيم، حُرِّرَ ذلك في الصَّفرِ المظفّرِ في سنةِ ٩٨٨هـ.

ويقعُ الجزءُ الثّاني في (٣٢٧) ورقةٍ، كلُّ ورقةٍ صفحتانِ، في الصَّفحةِ الواحدةِ (٣١) سطراً تقريباً، وفي كلِّ سطرٍ (١٥) كلمةً تقريباً.

وجاءَ في غلافِه: الجزءُ الثّاني مِن كتابِ لبابِ التّفاسيرِ، مِن مصنَّفاتِ الإمامِ العلّامةِ برهانِ الدينِ تاجِ القرّاءِ أبي القاسمِ محمودِ بنِ حمزةَ بنِ نصرٍ الكرمانيِّ،

تغمَّده اللهُ بغفرانِه وأسكنَه بحبوحةَ جنانِه بمنِّه وفضلِه، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ، وصلَّى اللهُ على سيدِنا محمَّدٍ وآله وصحبه أجمعينَ.

وقد جاء عليه تملُّكاتٌ لناسخه: مِن كتبِ الفقيرِ إلى اللهِ الغنيِّ الوفيِّ أشرف الحسينيّ الحنفيّ عفا اللهُ عنه ولطفَ بهِ.

ثم إلياس الملطي: نُقِلَ إلى مُلكِ الفقيرِ إلى اللهِ العليِّ إلياسُ الملطيُّ عفا الله عنه ذنوبَه الخفيِّ والجليِّ، الحمدُ لله وحدَه وصلّى اللهُ على سيدِنا محمَّدٍ.

وعليه إشعارٌ بأنَّه من وقف السُّلطانة نوروبانو والدةِ السُّلطان مراد، وأشير إليه بعبارة: وقفُ والدةِ سلطان.

وجاءَ في خاتمتِه:

تمَّ الجزءُ الثّاني مِن كتابِ لبابِ التّفاسيرِ، بتوفيقِ الملكِ الخالقِ البصيرِ، على يدِ العبدِ الضَّعيفِ النّحيفِ، الرّاجي رحمةَ ربّه اللّطيفِ، خُوَيدمِ العلماءِ والفُقراءِ النّظيفِ، المُرتجي عفوَ اللهِ الكريمِ، المُلتَجئِ إلى جوارِ هذا النّبيِّ الرَّحيمِ، الفَقيرِ إلى اللهِ الغنيِّ الوفيِّ، أشرف الحسينيِّ الحنفيِّ الغزنويِّ، عفا اللهُ عنه وعن والديه، وأحسنَ إليهما وإليه، وعن كافّةِ المُسلمينَ؛ بالمدينةِ المُشرّفةِ على مشرِّفها مِن الصَّلواتِ أفضلُها، ومِن التّحياتِ أكملُها، بـرباطِ الأصفهانيِّ في قبّةِ مُنشِئِها رحمَه اللهُ المحاذيةُ شُبّاكها بشبّاكِ مسجدِ النّبيِّ، عندَ قدمِه الشَّريفةِ صلى الله عليه، في اليومِ العيدِ الأضحى سنةَ أربعٍ وتسعينَ وسبعِ مئةٍ؛ حامداً ومصلِّياً ومسلِّماً.

تمَّت المُقابلةُ مع النُّسخةِ المَنقولِ عنها، وهي التي كانَت بخطِّ الشَّيخِ العالمِ العاملِ الفاضلِ الكاملِ المحقِّقِ المدقِّقِ السَّالكِ في الطَّريقينِ المَحظوظِ

عـن الفريقيـنِ أبـي طاهرٍ محمَّـدِ بـنِ الشّـيخِ السّـالكِ روذبهان بـن أحمدَ بـنِ عليٍّ، رحمهـم الله، وكانَ اختتـامُ المقابلـةِ بالمدينـةِ المشـرَّفةِ، صلـواتُ الله علـى مشـرِّفها بالرِّبـاطِ المذكـورِ تحـتَ هذه الأسـطرِ فـي ٢١ مـن شـهرِ الله الحرامِ الأصـمِّ رجب عمَّـت ميامنُـه مِن سـنةَ ٧٩٥.

ثم وقفتُ بأَخَرةٍ على نسخةٍ خطيةٍ من محفوظاتِ مكتبةِ جامعةِ الملكِ سعود برقم (٦٨١٦) وهي عبارةٌ عن جزءٍ واحدٍ، ووقعَ في أوَّلها خَرمٌ فاتَ بسببهِ مقدمةُ الكتابِ وبعضُ البسملةِ، وينتهي هذا الجزءُ بختامِ تفسيرِ سورةِ الكهفِ، وناسخُها هو محمَّدُ بنُ أبي طاهر، أتمَّ نسخَها في شوَّال سنةَ (٦٠٩هـ)، ويقع هذا الجزءُ في (١٧١) لوحة، وقد أَفدتُ من هذه النسخة في مواضع كثيرة بحمد الله تعالى، ورمزت لهذه النسخة بالرمز (ط).

* * *

عملُنا في الكتاب

ذكرنا أنَّ «لبابَ التَّفاسير» لحقَه الظُّلمُ بسببِ الخلطِ الَّذي وقعَ بينه وبين أخيه الأصغر؛ «غرائبِ التَّفسيرِ وعجائبِ التَّأويل»، والجهلِ بغايةِ تاجِ القُرّاء الكرمانيِّ من ذكرِ الغرائبِ والعجائب، وقد انطلقنا في عملِنا على هذا الكتاب، وقد جعلنا نُصبَ أعينِنا أن نقرِّبَ الغايةَ التي أرادَها المصنِّف، ونبدِّدَ الغيايةَ التي أحاطَت بمنهجِ المؤلِّف، وأردنا أن نقدِّمَه بصورةٍ تُدني مِن طالبِه جناه، وتُتيحُ لأهلِ العلمِ أن يضعوه في المكانةِ التي يستحقُّها، وينزلوه المنزلةَ التي تليقُ به، وقد حاولنا بلوغَ ذلك من خلالِ الآتي:

١ ـ نسخُ الكتابِ من النسخةِ الخطيّةِ لمكتبة (نور بانو) المرموز لها بـ (ن) وذلك لتمامِها، ثم مقابلتها على بقيةِ النسخِ الخطية الأخرى، وقد بذلنا جهدَنا لاعتمادِ الأصوبِ واختيارِ الأنسب، وإثباتِه في المتن، وأثبتنا في الحواشي من فوارقِ النُّسخِ ما في إثباتِه فائدةٌ أو له وجه، ولم نثقلْها بما لا طائلَ فيه.

٢ ـ تصحيحُ النَّصِّ، وإعادةُ ما وقعَ فيه من تصحيفٍ أو تحريفٍ إلى جادّةِ الصَّواب؛ ليظهرَ بالصُّورةِ التي أرادَها مؤلِّفُه.

٣ ـ تقسيمُ النَّصِّ وترقيمُه بما يُناسبُ الطَّريقةَ التي نهجَها مؤلِّفُه، ويعينُ على الغايةِ التي يريدُها قارئُه.

٤ ـ ضبطُ ما أشكلَ من ألفاظِ النَّصِّ، وما يكشفُ المعنى من تراكيبِه، والعنايةُ بضبطِ القراءاتِ والنُّصوصِ الحديثيّة، وما أوردَه المصنِّفُ من اللُّغاتِ وما استشهدَ

به من الأساليبِ العربيّة، وذلك بالاستفادةِ من ضَبطِ النُّسخِ الخطيّةِ التي وافقَ ضبطُها وجهَ الصَّوابِ في الغالِبِ، مع الاستعانةِ بالتَّفاسيرِ وكتبِ المعاني والقراءاتِ والأحاديثِ النَّبويّة، وأمَّهاتِ كتبِ اللُّغةِ ومعاجمِ العربيّة.

٥ ـ تخريجُ الآياتِ القرآنيّةِ التي يستشهدُ بها المصنِّفُ في تفسيرِه، وذكرُ سورِها وأرقامِها بين معكوفتين.

٦ ـ تخريجُ القراءاتِ القرآنيّة، ونسبةُ كلِّ قراءةٍ إلى قارئِها، وتبيينُ المتواترِ من الشّاذِّ منها، وذلك بالاعتمادِ على الكتبِ المختصّةِ في هذا الشَّأن.

وقد التزمنا منهجاً لتمييزِ متواترِ القراءاتِ من شاذِّها، وذلك بوضعِ القراءاتِ المتواترةِ بين قوسينِ مُزهَّرين، والشّاذّةِ بين قوسينِ عاديَّين.

ولمّا كانَ الكَرمانيُّ معروفاً بتاجِ القُرّاء، ولمّا كانت معرفتُه بالقراءاتِ القرآنيّةِ وعنايتُه بها بارزةً في كلامِه، فقد أولينا عنايةً خاصّةً لضبطِ القراءاتِ ضبطاً سليماً، لا سيَّما أنَّ النُّساخَ أثبتوا في كثيرٍ من الأحيانِ القراءةَ المشهورةَ عندهم غافلين عمّا أرادَه المصنِّف، وقد حاولنا أن نعيدَ ذلك إلى جادّةِ الصَّوابِ، وقد حاولنا ما استطعنا ألا نُغفلَ نسبةَ قراءةٍ مهما طالَت رحلتُنا في البحثِ عن مصدرٍ لها، ولكنَّا لم نستطع في مواضعَ قليلةٍ إلا أن نعلنَ عجزَنا عن مجاراةِ هذا الفارسِ في ميدانِه.

وقد التزمنا عندَ عزوِ القراءاتِ منهجاً لم نخالفُه إلا لسببٍ بيِّنٍ عندنا؛ فإن كانت القراءةُ من السَّبعةِ المتواترةِ كانَ العزوُ إلى كتابِ «السَّبعة» لابن مجاهدٍ، وكتابِ «التَّيسير»، لأبي عمرو الدَّاني.

أمّا تمامُ العشرةِ المتواترةِ فالعزوُ لكتاب «النشر» لابن الجزريِّ.

أما القراءاتُ الشّاذّةُ فالعزوُ لكتاب «المختصر في القراءات الشاذة» لابن خالويه و«المحتسب» لابن جِنِّي و«شواذ القراءات» لشمس القراء الكرماني بدايةً؛ فإن لم

نهتد لمرادنا انتقلنا إلى «معاني القرآن» للفرَّاء، وللزَّجَّاج، وللنَّحاس، و«إعراب القرآن» له أيضاً، و«المصاحف» لابن أبي داود، فإن لم نجد بغيتَنا وسَّعنا البحثَ في عمومِ التَّفاسيرِ ومشاهيرِ كتبِ اللُّغةِ التَّي تقدَّمَت على المصنِّف، فإن عجزنا كان آخرُ طبِّنا الكيُّ، والكيُّ في نظرنا العودةُ للتخريجِ ما يذكرُ المصنِّفُ ممّن تأخَّروا عنه، كالزَّمخشريِّ في «الكشَّاف» وأبي حيّانَ في «البحر المحيط»، وغيرِهما.

وقد كانَ الكرمانيُّ يتوقَّف لنقاشٍ بعض القراءات وإعرابها، وقد كانَت عمدتُه في هذا كتاب «الحجَّة» لأبي علي الفارسيِّ، فلذلك كان هذا الكتابُ حاضراً في تخريجاتنا.

٧ ـ تخريجُ الأحاديثِ النَّبويّةِ الشَّريفةِ من دواوينِ السُّنّةِ المعتمدة، وبيانُ درجتِها، وذلك بالرُّجوعِ إلى كلامِ أئمّةِ علمِ الحديثِ ونَقَدةِ الآثار.

٨ ـ تخريجُ الآثارِ التي ذكرَها المصنِّفُ عن السَّلَفِ من الصَّحابةِ والتّابعينَ وتابِعِيهم ما وجدنا إلى ذلك سبيلاً.

٩ ـ نسبةُ الشَّواهدِ الشِّعريّةِ والأرجازِ إلى قائليها ما لم يكونوا مجهولين، وتخريجُها من دواوينِهم، وأمَّهاتِ كتبِ اللُّغةِ والآداب، والتَّفاسيرِ وكتبِ المعاني والإعراب، هذا مع إتمامِ الشّاهدِ إن لم يُذكَر بتمامِه، وتفسيرِ مُشكِلِه، وبيانِ وجهِ الاستشهادِ به عند الحاجة.

١٠ ـ تخريجُ الأقوالِ التي ذكرَها المصنِّفُ عن المصنِّفينَ والمفسِّرينَ والعلماءِ قبله، وعزوُها إلى كتبِهم إن وُجدَت فيها، وإلى أهمِّ المصادرِ التي نقلتها، مع الانتباهِ إلى ما ينقلُه المصنِّفُ من مصادرِه مباشرةً أو بواسطةٍ، وما يتصرَّفُ فيه، والتَّنبيهِ على ذلك عند الحاجة.

١١ ـ ترجمةُ غيرِ المشهورينَ من الأعلامِ ترجمةً مختصرة، وذكرُ أهمِّ مصادرِ التَّرجمة.

وقد عمدنا إلى الاقتصارِ في التَّراجمِ ـ والتَّخريجاتِ عموماً ـ على ما فيه فائدةٌ للقارئ، وأعرضنا عن التَّوسُّعِ فيه خشيةَ الخروجِ بالكتابِ عن الغايةِ التي أُريدَ له تحقيقُها.

١٢ ـ مقارنةُ ما ذكرَه المصنِّفُ في «لبابِ التَّفاسير» بما ذكرَه في «غرائبِ التَّفسيرِ وعجائبِ التَّأويل»، و«البرهانِ في متشابهِ القرآن»؛ لبيانِ ما كان يعتمدُه من الأقوال، وما كان يستغربُه وينكرُه.

١٣ ـ شرحُ ما غمُضَ من كلامِ المصنِّف، وبيانُ ما أشكلَ من تعابيرِه، وما أبهمَه الإيجازُ من نقولِه وتقاريرِه، وتعقُّبِه في بعضِ الآراءِ والمسائلِ التي أوردَها إن كان لذلك ضرورة.

١٤ ـ تسليطُ شيءٍ من الضوءِ على الملكةِ اللُّغويّةِ الرائعة والقدرةِ الاشتقاقيّةِ الواسعةِ التي امتازَ بها المؤلِّف، وإيضاحُ بعضِ المعاني الغامِضَةِ التي أشارَ إليها في هذا المجال، وذلك بالرُّجوعِ لكتبِ اللُّغةِ والغريبِ كـ«المنتخبِ» و«المُنجِدِ» لكُراعِ النَّمل و«الزّاهرِ» للأنباريِّ و«تهذيبِ اللُّغة» للأزهريِّ و«مجملِ اللُّغة» لابنِ فارسٍ و«الصِّحاح» و«أساس البلاغة» و«النِّهايَة في غريبِ الحديث» و«القاموس» و«تاج العروس» وغيرِها.

وقد أشرنا في أهميّةِ «لباب التَّفاسيرِ» إلى قضيَّة الاشتقاقِ التي حازَ فيها المصنِّف قصبَ السَّبق، وقد جَعَلنا اهتمامُه بها ملزَمين بمتابعتِه، ولو بعُدتْ علينا الشُّقّة، وقد وجدنا المصنِّفَ ينقلُ كثيراً عن «العين»، فقرَّبناه وكنَّا قبلُ نبعدُه، وقدَّمناه وكنّا قبلُ نؤخِّره.

كما أنّا رجعنا عندَ البحثِ في هذا الجانبِ لكثيرٍ من كتبِ الأدبِ والأمثالِ كشُروحِ «الحَمَاسةِ»، و«الأمثالِ» لأبي عُبيدٍ، و«جمهرةِ الأمثالِ» للعَسكريِّ، و«مَجْمَعِ الأمثالِ» للمَيْدانيِّ، وغيرها.

١٥ ـ ولمّا كانَ تاجُ القُرّاءِ مهتمَّاً ببيانِ المتشابهِ من ألفاظِ القرآن، وكانَ يولي عنايتَه لأسرارِ التكرارِ في كتاب الله عزَّ وجلَّ، وهو ينظرُ إلى القرآنِ الكريمِ نظرةً كليّةً شموليّة، فقد وجدنا أن من واجبنا أن نسلِّطَ الضَّوءَ على هذا الجانبِ في «لبابِ التَّفاسير»، ونربطَه بأخيه «البرهان»، كما وجدنا أنَّ للقارئ فائدةً في البحثِ عن جذورٍ أعمقَ لكلامِ الكرمانيِّ في كتبِ مَن تقدَّمَ من المفسِّرين واللغويِّين، ومَن اعتنى بهذا الشَّأنِ من المتقدِّمين كالباقلانيِّ في «الانتصارِ للقرآن» والخطيب الإسكافي في «درّةِ التنزيل وغرّة التأويل».

١٦ ـ كتابةُ دراسةٍ تفصيليّةٍ لتاجِ القُرّاء الكَرمانيِّ، وكتابِه «لبابِ التَّفاسير»، وقد جعلتُها في تمهيدٍ، وثلاثةِ مباحثَ.

أمَّا التَّمهيدُ فكانَ بعنوان: لمحةٌ عن تطوُّرِ علمِ التَّفسيرِ قبلَ تاجِ القرّاءِ الكَرْمانيِّ.

وأمَّا المبحثُ الأوَّلُ فكانَ بعنوان: عصرُ الكَرمانيِّ.

وقد تمَّ البحثُ فيه من ثلاثةِ جوانب:

أوَّلاً ـ الحياةُ السِّياسيّةُ.

ثانياً ـ الحياةُ الاجتماعيّةُ.

ثالثاً ـ الحياةُ العلميّةُ والثَّقافيّةُ.

وأمَّا المبحثُ الثّاني فكانَ بعنوان: ترجَمةُ العلّامةِ تاجِ القُرّاءِ الكَرْمانيِّ.

وقد تمَّ البحثُ فيه من جوانبَ متعدِّدة، وهي:

أوَّلاً ـ اسمُهُ ونَسبُهُ وكُنيتُهُ ولقبُهُ.

ثانياً ـ ولادَتُه ونشأتُهُ.

ثالثاً ـ شيوخُه.

رابعاً ـ تلامِذَتُهُ.

خامساً ـ مذهبُه (العقديُّ ـ الفقهيُّ ـ النَّحويُّ).

سادساً ـ مؤلَّفاتُه.

سابعاً ـ ثناءُ العُلماءِ عليه.

ثامناً ـ وفاتُهُ.

وأمَّا المبحثُ الثّالثُ فكانَ بعنوان: دراسةُ كتابِ «لبابِ التَّفاسير».

وقد تمَّ البحثُ فيه من ستَّةِ جوانبَ، وهي:

أوَّلاً ـ عنوانُ الكتابِ ونسبتُه إلى مؤلِّفِه.

ثانياً ـ أهمِّيّةُ «لبابِ التَّفاسير».

ثالثاً ـ اهتمامُ العلماءِ بـه.

رابعاً ـ منهجُ الكرمانيِّ فيه.

خامساً ـ أسلوبُ الكرمانيِّ فيه.

سادساً ـ مصادرُ «لبابِ التَّفاسير».

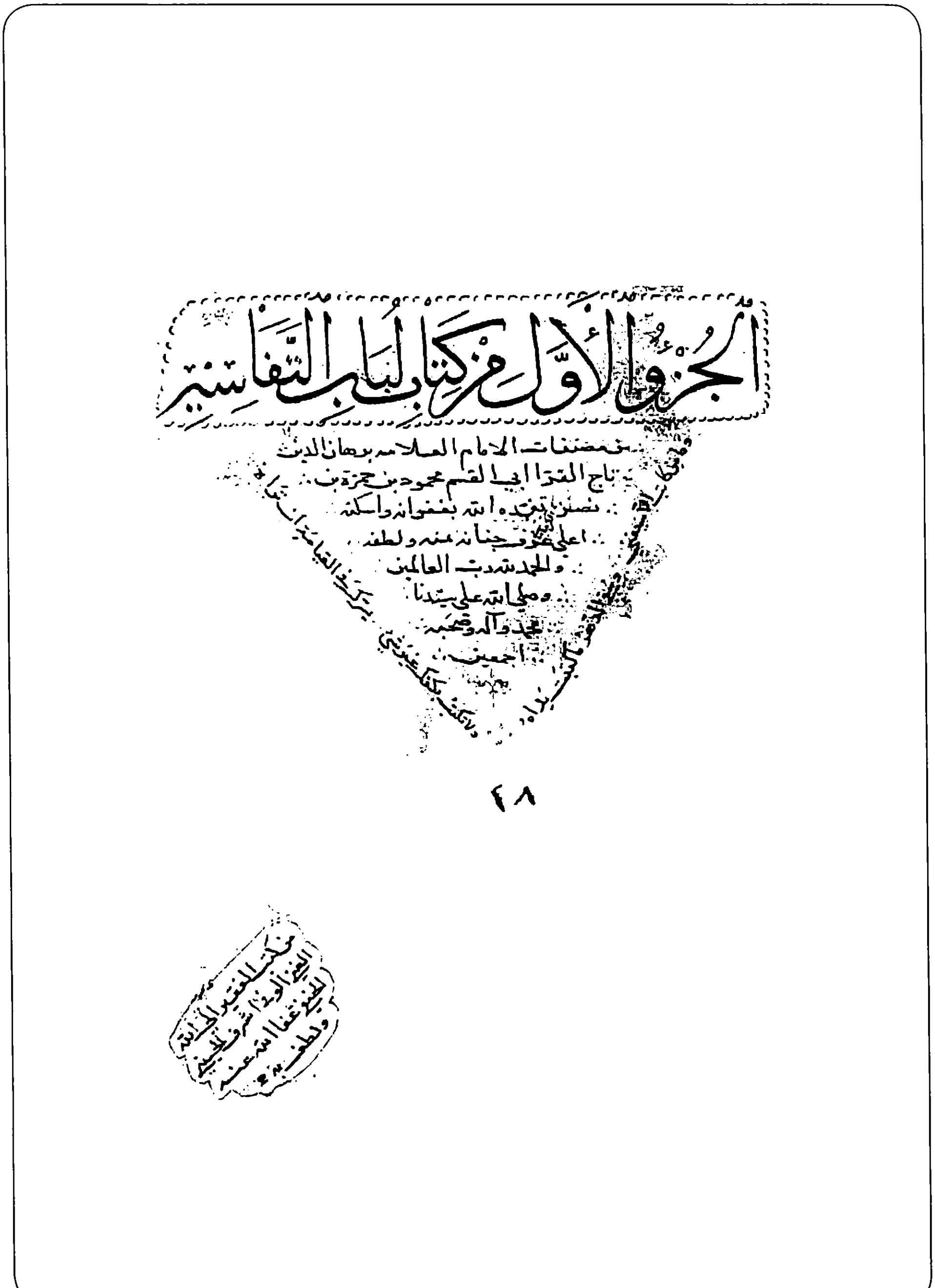
سابعاً ـ وصفُ النُّسخِ الخطِّيّة.

وقد ختمنا هذه الدِّراسةِ ببيانِ عملِنا في الكتاب.

١٧ ـ وضعُ فهارسَ علميّةٍ للكتاب، تسهِّلُ للباحثِ الاطِّلاعَ عليه، وللقارئِ الرُّجوعَ إليه، وقد اشتملَتْ هذه الفهارسُ على: فهرسِ الآياتِ القرآنيةِ الكريمةِ، وفهرسِ الآياتِ التي ذُكر فيها وجوهُ القراءاتِ المتواترةِ، وفهرسِ القراءات الشَّواذ، وفهرسِ الأحاديث النَّبوية الشَّريفة، والآثارِ، والأَشعارِ والأَرجازِ والأَعلامِ والمصادرِ والمراجعِ.

وفي الختام نسألُ اللهَ أن يرزقَنا الإخلاصَ، ولا يحرمنا الأجرَ والثَّواب، وينفعَ به العلماء والطُّلّاب، وصلَّى الله على نبيِّنا محمَّد وآلِه وصحبِه، والحمدُ لله ربِّ العالمين.

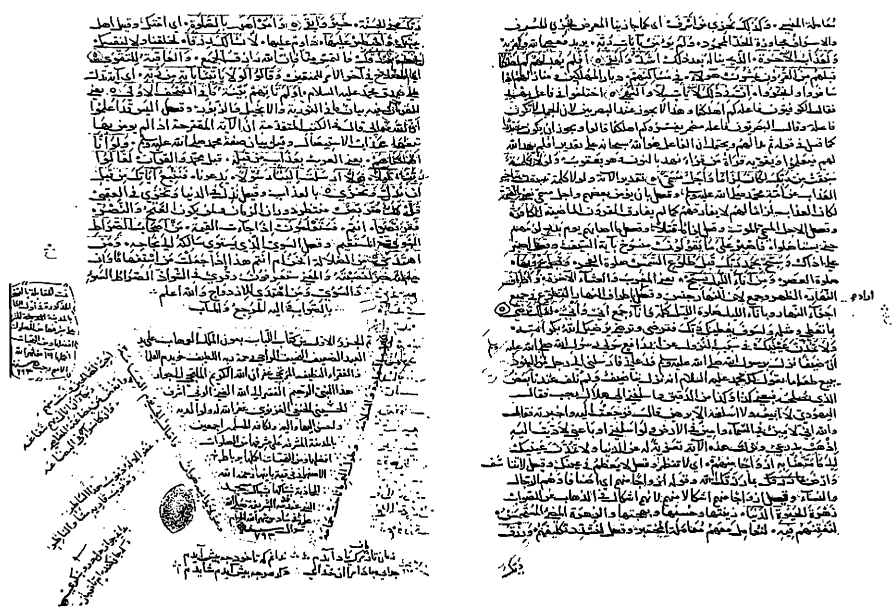
صور المخطوطات


الجزء الأول من كتاب لباب التفاسير
من مصنفات الامام العلامة برهان الدين
تاج القراء ابي القسم محمود بن حمزة بن
نصر تغمده الله بغفرانه واسكنه
اعلى غرف جنانه بمنه ولطفه
والحمد لله رب العالمين
وصلى الله على سيدنا
محمد وآله وصحبه
اجمعين
٤٨

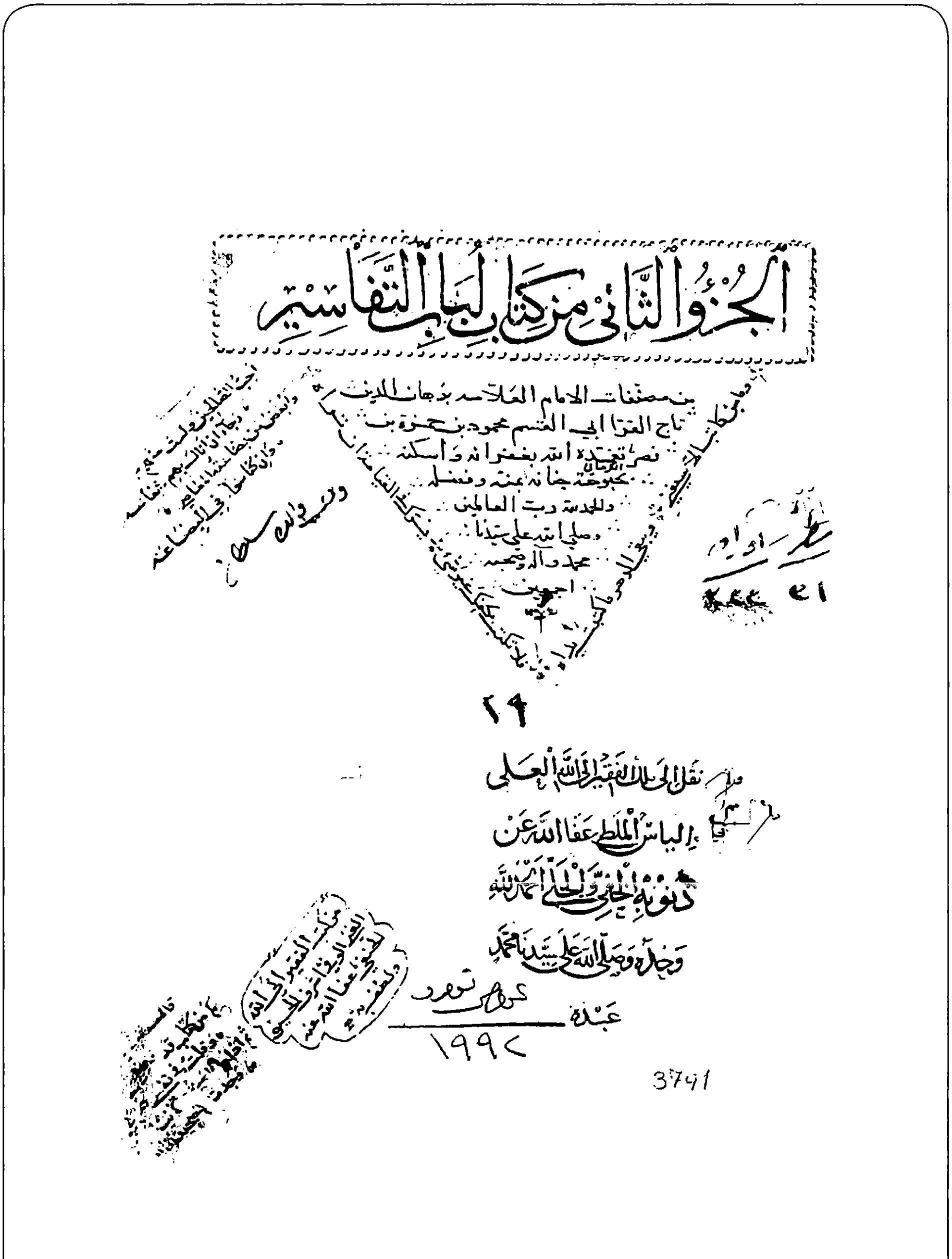
صورة غلاف الجزء الأول من النسخة الخطية من مكتبة نور بانو والمرموز لها بـ (ن)



صورة اللوحة الأولى من الجزء الأول من النسخة الخطية من مكتبة نور بانو والمرموز لها بـ (ن)



صورة اللوحة الأخيرة من الجزء الأول من النسخة الخطية من مكتبة نور بانو والمرموز لها بـ (ن)



الجزء الثاني من كتاب لباب التفاسير

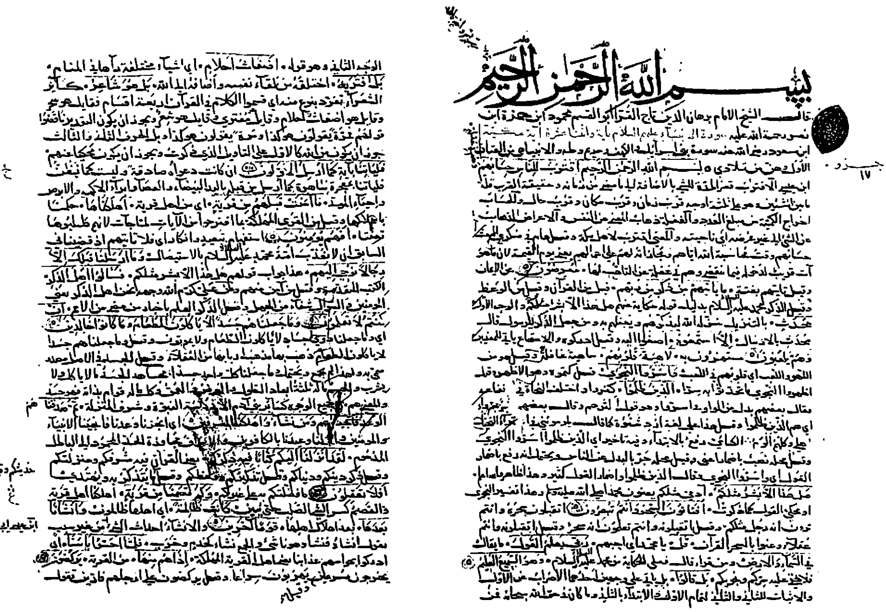
من مصنفات الإمام العلامة برهان الدين
تاج القراء أبي القاسم محمود بن حمزة بن
نصر تغمده الله بغفرانه وأسكنه
بحبوحة جنانه بمنه وفضله
والحمد لله رب العالمين
وصلى الله على سيدنا
محمد وآله وصحبه
أجمعين

نقل إلى ملك الفقير إلى الله العلي
إلياس الملطي عفا الله عن
ذنوبه الجلي والخفي الحمد لله
وحده وصلى الله على سيدنا محمد

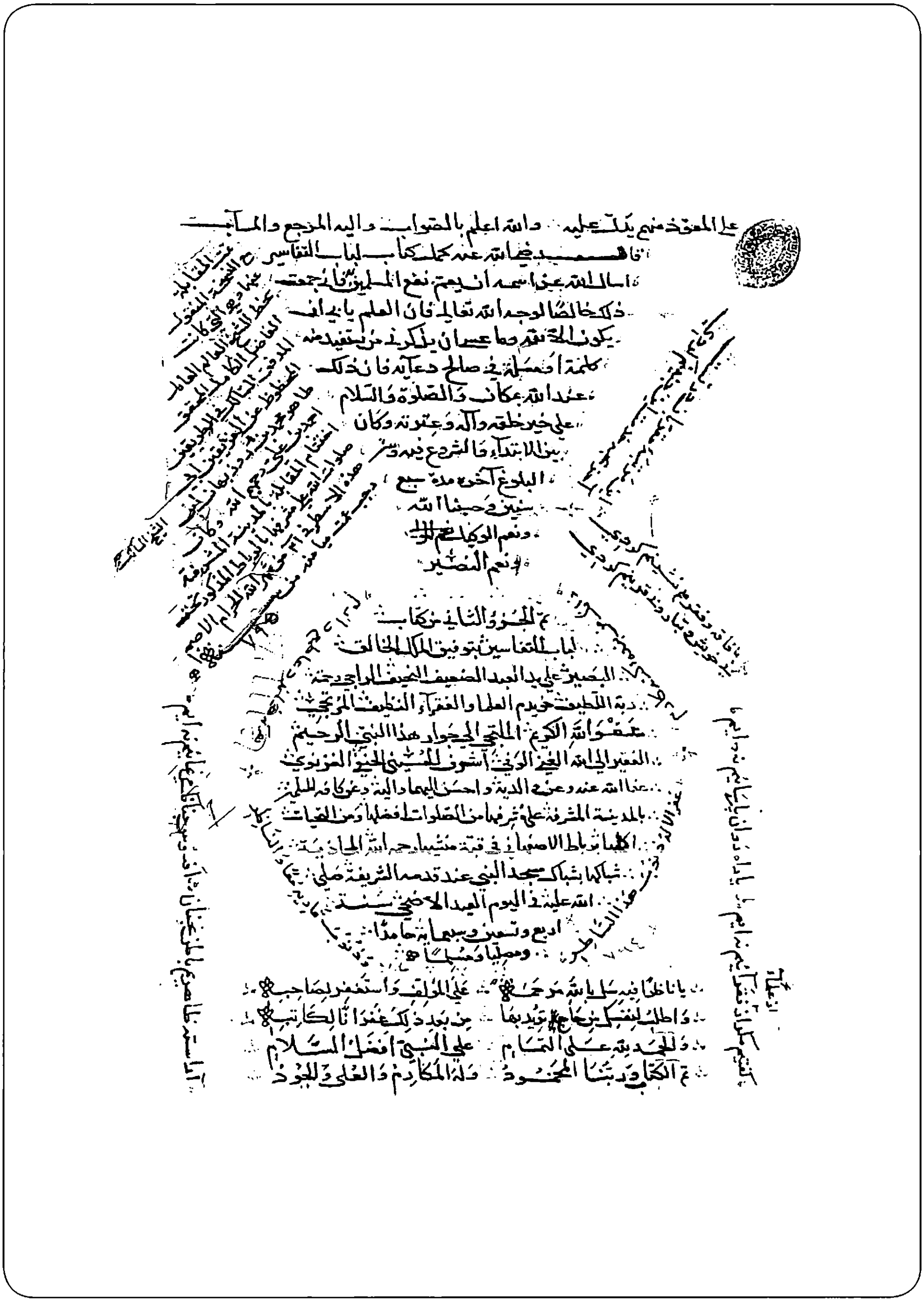
١٩٩٢

3741

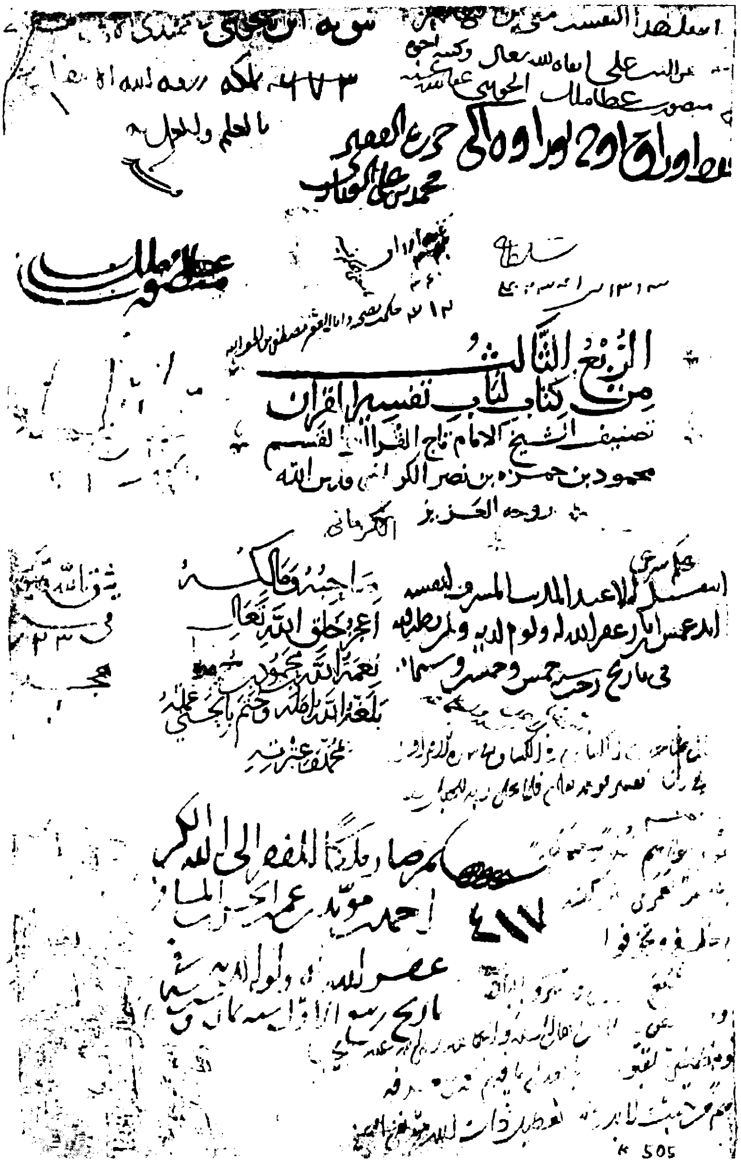
صورة غلاف الجزء الثاني من النسخة الخطية من مكتبة نور بانو والمرموز لها بـ (ن)


بسم الله الرحمن الرحيم

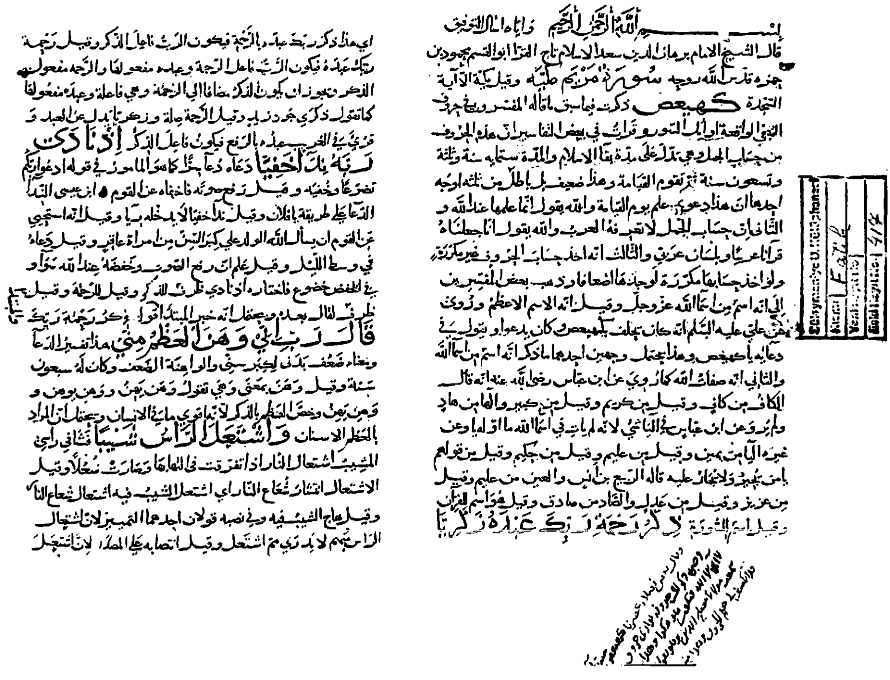
صورة اللوحة الأولى من الجزء الثاني من النسخة الخطية من مكتبة نور بانو والمرموز لها بـ (ن)


والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب
... رضي الله عنه كمل كتاب لباب التفاسير
أسأل الله عز اسمه أن يعم نفع المسلمين بجمعه
الجزء الثاني من كتاب لباب التفاسير بتوفيق الملك الخالق
يا ناظرا فيه سل بالله مرحمة على المؤلف واستغفر لصاحبه
واطلب لنفسك من خير تريد بها من بعد ذلك غفرانا لكاتبه
والحمد لله على التمام على النبي أفضل السلام
تم الكتاب وربنا المحمود وله المكارم والعلى والجود

صورة اللوحة الأخيرة من الجزء الثاني من النسخة الخطية من مكتبة نور بانو والمرموز لها بـ (ن)

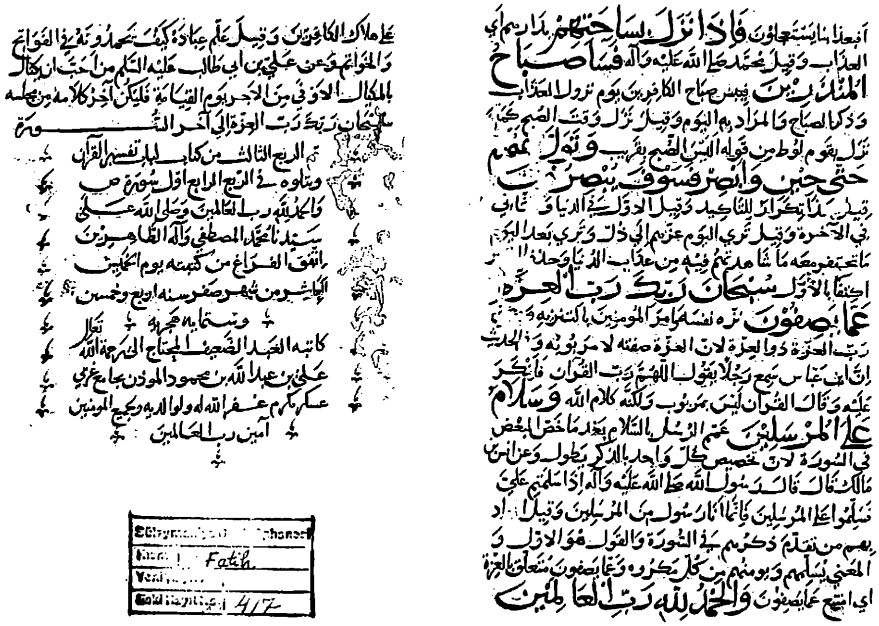

الربع الثالث
من كتاب لباب تفسير القرآن
تصنيف الشيخ الامام تاج القراء ابي القسم
محمود بن حمزه بن نصر الكرماني قدس الله
روحه العزيز

صورة غلاف الجزء الثالث من النسخة الخطية من مكتبة الفاتح والمرموز لها بـ (ف)


بسم الله الرحمن الرحيم وإياه أسأل التوفيق
قال الشيخ الإمام برهان الدين سعد الإسلام تاج القراء أبو القسم محمود بن
حمزة قدس الله روحه سورة مريم مكية وقيل مكية الآية
السجدة كهيعص ذكرت فيما سبق ما قاله المفسرون في حروف
التهجي الواقعة أوائل السور وقرأت في بعض التفاسير أن هذه الحروف
من حساب الجمل وهي تدل على مدة بقاء الإسلام والملة ستمائة سنة وثلثة
وتسعون سنة ثم تقوم القيامة وهذا ضعيف باطل من ثلثة أوجه
أحدها أن هذا دعوى علم يوم القيامة والله يقول إنما علمها عند الله و
الثاني أن حساب الجمل لا تعرفه العرب والله يقول إنا جعلناه
قرآنا عربيا وبلسان عربي والثالث أنه أخذ حساب الحروف غير مكررة
ولو أخذ حسابها مكررة لوجد ما أضعافا وذهب بعض المفسرين
إلى أنه اسم من أسماء الله عز وجل وقيل أنه الاسم الأعظم وروي
عن علي عليه السلم أنه كان يحلف بكهيعص وكان يدعو ويقول في
دعائه يا كهيعص وهذا يحتمل وجهين أحدهما ما ذكر أنه اسم من أسماء الله
والثاني أنه صفات الله كما روي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال
الكاف من كاف وقيل من كريم وقيل من كبير والهاء من هاد
ولم يرو عن ابن عباس في الياء شيء لأنه لم يأت في أسماء الله ما أوله يا وعن
غيره الياء من يمين وقيل من عليم وقيل من حكيم وقيل من قولهم
يا من يجير ولا يجار عليه قاله الربيع بن أنس والعين من عليم وقيل
من عزيز وقيل من عدل والصاد من صادق وقيل هو اسم القرآن
وقيل اسم السورة ذكر رحمة ربك عبده زكريا

أي هذا ذكر ربك عبده بالرحمة فيكون الرب فاعل الذكر وقيل رحمة
ربك عبده فيكون الرب فاعل الرحمة وعبده مفعولها والرحمة مفعول
الذكر ويجوز أن يكون الذكر مضافا إلى الرحمة وهي فاعلة وعبده مفعولها
كما تقول ذكري عمرو زيدا وقيل الرحمة صلة وزكريا بدل عن العبد و
قرئ في الغريب عبده بالرفع فيكون فاعل الذكر إذ نادى
ربه نداء خفيا دعاه دعاء سرا كما هو المأمور في قوله ادعوا ربكم
تضرعا وخفية وقيل رفع صوته فأخفاه عن القوم ❁ ابن عيسى النداء
الدعاء على طريقة يا فلان وقيل نداء خفيا لا يخالطه رياء وقيل إنه استحيى
عن القوم أن يسأل الله الولد على كبر السن من امرأة عاقر وقيل دعاه
في وسط الليل وقيل علم أن رفع الصوت وخفضه عند الله سواء و
في الخفض خضوع فاختاره إذ نادى ظرف للذكر وقيل للرحمة وقيل
ظرف لقال بعده ويحتمل أنه خبر المبتدأ أي أول ذكر رحمة ربك
قال رب إني وهن العظم مني هذا تفسير الدعاء
ومعناه ضعف بدني لكبر سني والواهنة الضعف وكان له سبعون
سنة وقيل وهن بمعنى وهي تقول وهن يهن ووهن يوهن و
وهن يهن وخص العظم بالذكر لأنه أقوى ما في الإنسان ويحتمل أن المراد
بالعظم الأسنان واشتعل الرأس شيبا شبه انتشار
الشيب باشتعال النار إذا تفرقت في التهابها وصارت شعلا وقيل
الاشتعال انتشار شعاع النار أي اشتعل الشيب فيه اشتعال شعاع النار
وقيل هاج الشيب فيه وفي نصبه قولان أحدهما التمييز لأن اشتعال
الرأس مبهم لا يدرى مم اشتعل وقيل انتصابه على المصدر لأن اشتعل

صورة اللوحة الأولى من الجزء الثالث من النسخة الخطية من مكتبة الفاتح والمرموز لها بـ (ف)



أي بعذابنا يستعجلون فإذا نزل بساحتهم بدارهم أي العذاب وقيل محمد صلى الله عليه وآله فساء صباح المنذرين فبئس صباح الكافرين يوم نزول العذاب وذكر الصباح والمراد به اليوم وقيل نزل وقت الصبح كما نزل بقوم لوط من قوله أليس الصبح بقريب وتول عنهم حتى حين وأبصر فسوف يبصرون قيل هذا تكرار للتأكيد وقيل الأول في الدنيا والثاني في الآخرة وقيل ترى اليوم عزتهم إلى ذل وترى بعد اليوم ما تحتقر معه ما شاهدتهم فيه من عذاب الدنيا وحذف الثاني اكتفاء بالأول سبحان ربك رب العزة عما يصفون نزه نفسه وأمر المؤمنين بالتنزيه و رب العزة ذو العزة لأن العزة صفته لا مربوبة وفي الحديث أن ابن عباس سمع رجلا يقول اللهم رب القرآن فأنكر عليه وقال القرآن ليس بمربوب ولكنه كلام الله وسلام على المرسلين عمم الرسل بالسلام بعد ما خص البعض في السورة لأن تخصيص كل واحد بالذكر يطول وعن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله إذا سلمتم علي فسلموا على المرسلين فإنما أنا رسول من المرسلين وقيل أراد بهم من تقدم ذكرهم في السورة والقول هو الأول و المعنى يسلمهم ويؤمنهم من كل مكروه وعما يصفون متعلق بالعزة أي امتنع عما يصفون والحمد لله رب العالمين

على هلاك الكافرين وقيل علم عباده كيف يحمدونه في الفواتح والخواتم وعن علي بن أبي طالب عليه السلام من أحب أن يكتال بالمكيال الأوفى من الأجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه من مجلسه سبحان ربك رب العزة إلى آخر السورة

تم الربع الثالث من كتاب لباب تفسير القرآن

ويتلوه في الربع الرابع أول سورة ص

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على

سيدنا محمد المصطفى وآله الطاهرين

اتفق الفراغ من كتبته يوم الخميس

العاشر من شهر صفر سنة أربع وخمسين

وستمائة هجرية

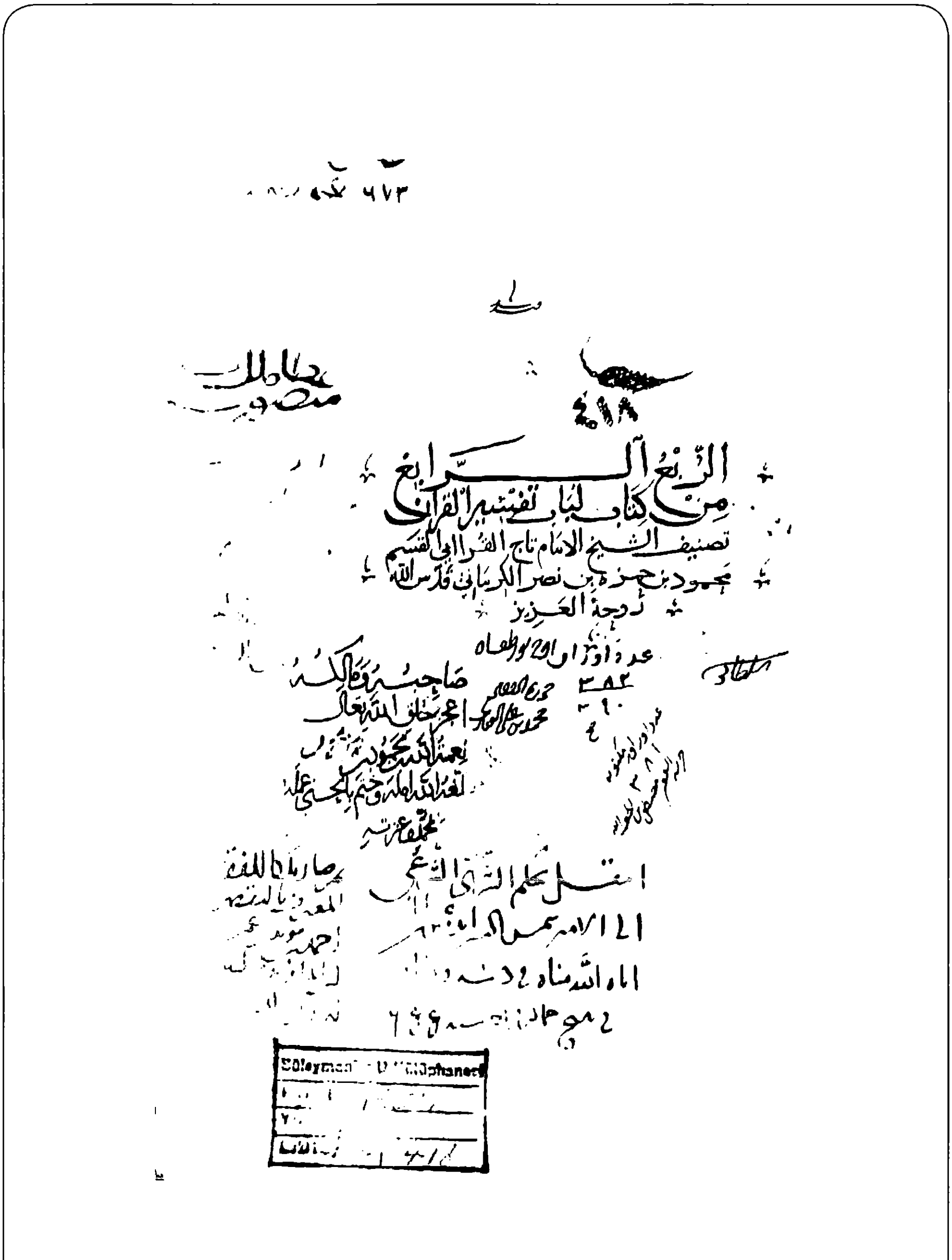
كاتبه العبد الضعيف المحتاج إلى رحمة الله تعالى

علي بن عبد الله بن محمود المؤذن بجامع غربي

عسكر مكرم غفر الله له ولوالديه ولجميع المؤمنين

آمين رب العالمين

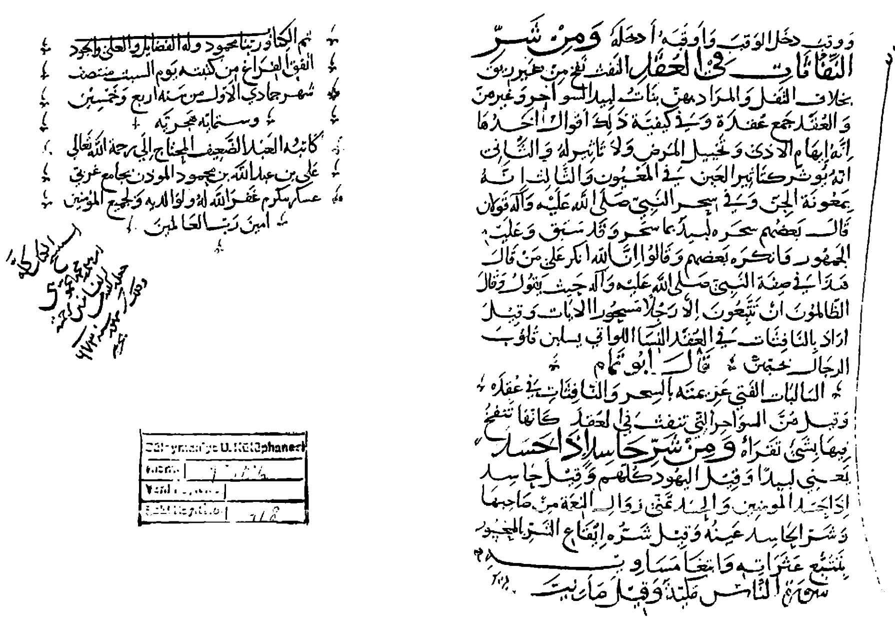
صورة اللوحة الأخيرة من الجزء الثالث من النسخة الخطية من مكتبة الفاتح والمرموز لها بـ (ف)


الربع الرابع
من كتاب لباب تفسير القرآن
تصنيف الشيخ الإمام تاج القراء أبي القسم
محمود بن حمزة بن نصر الكرماني قدس الله
روحه العزيز

صورة غلاف الجزء الرابع من النسخة الخطية من مكتبة الفاتح والمرموز لها بـ (ف)



صورة اللوحة الأولى من الجزء الرابع من النسخة الخطية من مكتبة الفاتح والمرموز لها بـ (ف)



وَوَقَبَ دخل الوقب وَأَوقبه أدخله وَمِن شَرِّ
النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ النفث نفخ من غير ريق
بخلاف التفل والمراد بهن بنات لبيد السواحر وغيرهن
والعقد جمع عقدة وفي كيفية ذلك أقوال أحدها
أنه إيهام الأذى وتخييل المرض ولا تأثير له والثاني
أنه يؤثر كتأثير العين في المعيون والثالث أنه
بمعونة الجن وفي سحر النبي صلى الله عليه وآله قولان
قال بعضهم سحره لبيد بما سحر وقد سبق وعليه
الجمهور فأنكره بعضهم وقالوا إن الله أنكر على من قال
هذا في صفة النبي صلى الله عليه وآله حيث يقول وقال
الظالمون إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً الآيات وقيل
أراد بالنافثات في العقد النساء اللواتي يسلبن قلوب
الرجال بحبهن قال أبو تمام
السالبات الفتى عزيمته بالسحر والنافثات في عقده
وقيل من السواحر التي تنفث في العقد كأنها تنفخ
بها بشيء تقرأه وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ
يعني لبيداً وقيل اليهود كلهم وقيل حاسد
إذا حسد المؤمنين والحسد تمني زوال النعمة من صاحبها
وشر الحاسد عينه وقيل شره إيقاع الشر بالمحسود
بتتبع عثراته وابتغاء مساويه
سورة الناس مكية وقيل مدنية

تم الكتاب وربنا محمود وله الفضائل والعلى والجود
اتفق الفراغ من كتبته يوم السبت منتصف
شهر جمادى الأولى من سنة أربع وخمسين
وستمائة هجرية
كاتبه العبد الضعيف المحتاج إلى رحمة الله تعالى
علي بن عبد الله بن محمود المؤذن بجامع غربي
عسكر مكرم غفر الله له ولوالديه ولجميع المؤمنين
آمين رب العالمين

صورة اللوحة الأخيرة من الجزء الرابع من النسخة الخطية من مكتبة الفاتح والمرموز لها بـ (ف)



صورة غلاف النصف الأول من النسخة الخطية من مكتبة ولي الدين أفندي والمرموز لها بـ (و)



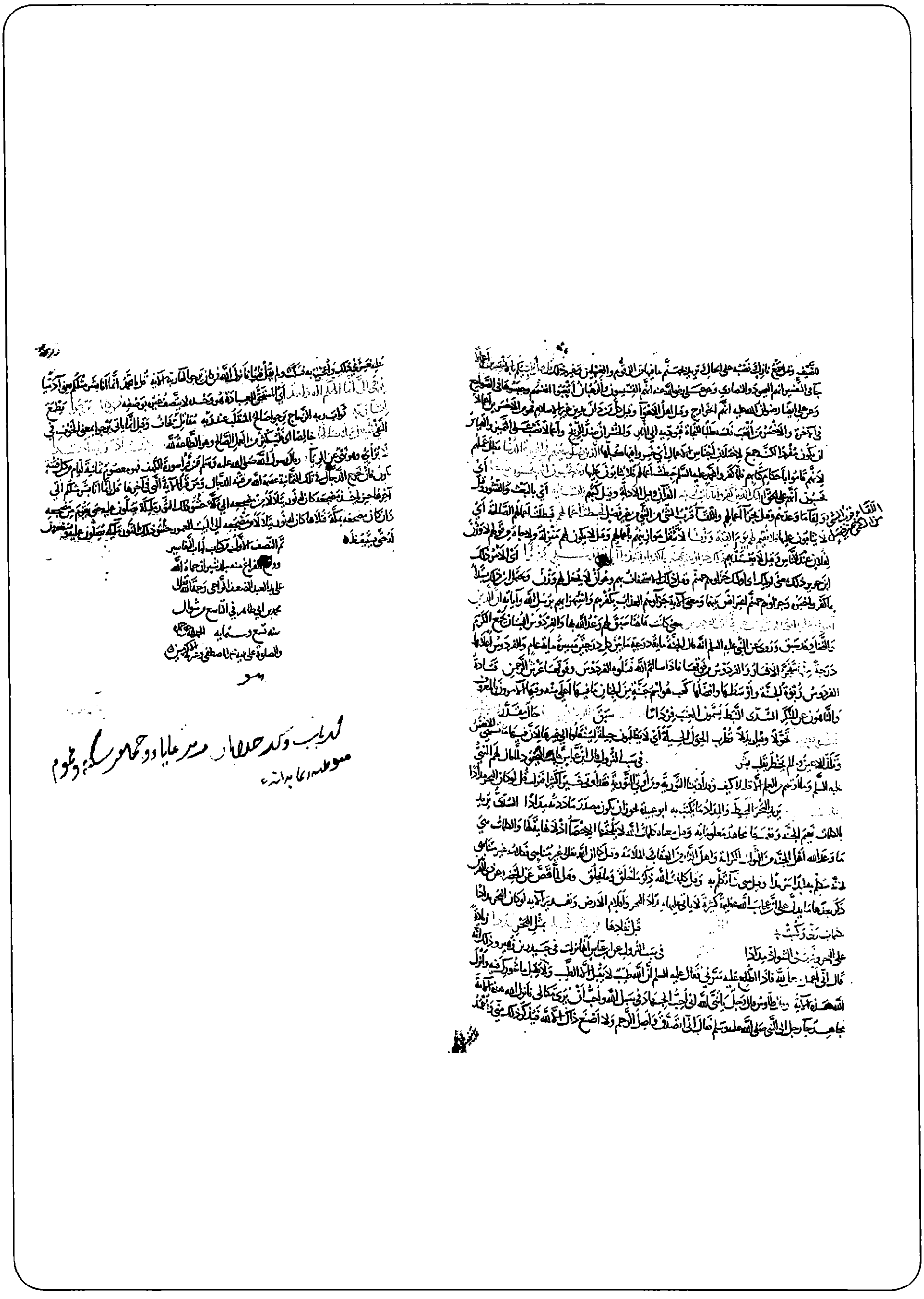
صورة اللوحة الأولى من النصف الأول من النسخة الخطية من مكتبة ولي الدين أفندي والمرموز لها بـ (و)


تم الجزء الأول من كتاب لباب التفاسير على يد العبد الفقير
اللاجي إلى عفو الله ورحمته حسن بن أياز النحوي في العشر
الأوسط من شهر الله الأصم رجب من شهور سنة [illegible] وسبعين
وستمائة والحمد لله كما هو أهله والصلوة التامة الزاكية
على سيدنا نبي الرحمة محمد وعلى آله الطاهرين وصحبه الأكرمين
وحسبنا الله ونعم الوكيل

صورة اللوحة الأخيرة من النصف الأول من النسخة الخطية من مكتبة ولي الدين أفندي والمرموز لها بـ(و)



صورة اللوحة الأولى من النسخة الخطية من مكتبة جامعة الملك سعود والمرموز لها بـ (ط)



صورة اللوحة الأخيرة من النسخة الخطية من مكتبة جامعة الملك سعود والمرموز لها بـ(ط)

لُبَابُ التَّفَاسِيرِ

تَأْلِيفُ الإمَامِ المُفَسِّرِ

تَاجِ القُرَّاءِ الكَرْمَانِيِّ

بُرْهَانِ الدِّينِ أَبِي القَاسِمِ مَحْمُودِ بْنِ حَمْزَةَ بْنِ نَصْرٍ الكَرْمَانِيِّ الحَنَفِيِّ

المُتَوَفَّى بَعْدَ سَنَةِ ٥٠٠هـ

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم
وبالله العصمة والتَّوفيق

الحمدُ لله مُنزلِ القرآنِ غيرَ مُحدَثٍ ولا مخلوق، الخالقِ الرّازقِ قبلَ كلِّ مخلوقٍ ومرزوق، العالمِ القادرِ المريدِ بعلمٍ وقدرةٍ وإرادة، مدبِّرِ الخيرِ والشَّرِّ ومقدِّرِ الشَّقاوة والسَّعادة، بعث الرُّسلَ وأزاح العِلَلَ وأنار السُّبُل؛ لئلّا يكونَ للنّاس على الله حجّةٌ بعد الرُّسل، أوضح الآيات بخلق الأرض والسَّماوات بدعًا، فوجبَ عليهم النَّظرُ فيها شرعًا لا عقلًا وطبعًا، دعاهم إلى طاعته، وأعانهم عليها برأفته، فالاستطاعةُ والفعل مقرونان، ووعدهم على الطّاعة نعيمًا، وأوعدهم على العصيان جحيمًا، فالجنّةُ والنّارُ مخلوقتان، بشَّر المؤمنين في الحياة الدُّنيا بالرُّؤية في الآخرة، فقال: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢ ـ ٢٣]، وحُرِمَ الرُّؤيةَ والنّعيمَ الجاحدون، فقال: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥].

والصَّلاةُ على محمَّدٍ نبيِّه ورسوله حيًّا وميتًا، انتخبَه[١] واصطفاه مِن أكرمِ خلقِه جُرثومةً[٢] وبيتًا، فندَبَه للخلق بشيرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا؛ وعلى آله وأصحابه الذين هم أعلام الدِّين، ومنار الإسلام وقدوة المسلمين؛ صلاةً تُربي على عددِ الرَّمْلِ والحَصى، وما طلعَتْ عليه شمسُ الضُّحى.

---

(١) أُشير في (ن) إلى جواز قراءة الكلمة بالجيم والخاء، ومعنى (انتجبه): استخلصه واصطفاه. انظر: «تاج العروس» للزَّبيدي (٤/ ٢٣٨) مادة (ن ج ب).

(٢) الجرثومة: أصل كلِّ شيء ومجتمعه. انظر: «الفائق في غريب الحديث» للزمخشري (٣/ ١٦٣).

وبعدُ:

فإنَّ أشـرفَ العلوم منزلةً وشـأنًا كلامُ[1] الله الذي أنزلَه على نبيِّه محمَّدٍ موعظةً وبيانـًا، وأحـقَّ ما تُصـرَفُ إليه الهممُ مـن بين العلـوم والحكم تدبُّـرُه؛ لقوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ﴾ [ص: ٢٩] الآيـة، ولقولـه تعالـى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمـد: ٢٤].

فجمعْتُ في هذا الكتاب من أقاويل الأئمّة، ونحارير الأمّة، الذين عنُوا بعلمِ القرآن ومعانيه، وتفسيرِه وتأويلِه ومبانيه؛ ما يجري مجرى فُصوص النُّصوص، بعدَ الخَلاص والخُلوص، وسمَّيت الكتاب:

«لباب التفاسير»

مستعينًا بالله، ومعتمدًا عليه، إنَّه وليُّ الإعانة والتَّوفيق.

* * *

(١) في (ن): «كتاب».

سُورَةُ الفَاتِحَةِ

سورة الحمد

وآياتُها سبعٌ، وهي مكيّةٌ ومدنيّة(١)

قال الشيخ الإمام تاج القرّاء أبو القاسم محمود بن حمزة بن نصرٍ رحمة الله عليه: لهذه السُّورة ـ فيما حدَّثنا به الإمام أبو سهلٍ محمَّد بن عبد الرَّحمن بن أبي الفضل النَّيسابوريُّ عن الواحديِّ عن الثَّعلبيِّ ـ عشرةُ أسماءٍ: سورةُ الحمد، وفاتحةُ الكتاب، وأمُّ القرآن، والسَّبعُ المثاني، والوافية، والكافية، والشِّفاء، والأساس(٢)، والصَّلاة، وسورةُ تعليمِ المسألة(٣).

وهي مكيّةٌ في قول عليٍّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه(٤)، مدنيّةٌ في قول مجاهدٍ(٥)، وقيل: هي مكيّةٌ مدنيّةٌ(٦)؛ نزلَتْ أوَّلاً بمكّة حين فُرضَت الصَّلاة، ثم نزلت ثانيًا بالمدينة حين حُوِّلت القِبلةُ من الصَّخرة إلى الكعبة.

---

(١) «سورة الحمد، وآياتها سبع، وهي مكية أو مدنية» من (ن).

(٢) في (و): «والشافية»، والمثبت موافق لمصدر التخريج.

(٣) انظر: «تفسير الثعلبي» (٢/ ٤٨٨ ـ ٥٠٨). وقد ذُكرت فيه الأسماء العشرة مرتبة كما يأتي: فاتحة الكتاب، سورة الحمد، أمّ الكتاب والقرآن، السبع المثاني، الوافية، الكافية، الأساس، الشفاء، الصلاة، سورة تعلم المسألة.

(٤) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ١٧)، وهذا القول هو الذي عليه الأكثر.

(٥) رواه مقاتل في «تفسيره» (١/ ٣٥)، وذكره السمرقندي في «تفسيره» (١/ ١٥)، والواحدي في «أسباب النزول» (١/ ٢٠).

(٦) حكى الثعلبي هذا القول، وذكر أنه لبعض العلماء لفَّق به بين القولين السابقين. انظر: «تفسير الثعلبي» (٢/ ٢٦٣).

وآيُها سبعٌ.

واختلف أئمّة القرّاء في كون التَّسمية آيةً من فاتحة الكتاب بعد إجماعِهم على أنَّها ليست بآيةٍ من أوائل سائر السُّور[(١)]؛ فذهب ابنُ كثيرٍ وعاصمٌ وحمزةُ والكسائيُّ[(٢)] إلى أنَّها آية من الفاتحة، واحتجُّوا بما رُوِيَ عن الضَّحاك عن ابن عبّاسٍ أنَّه قال: أوَّل ما نزل به جبريل عليه السَّلام على النَّبيِّ ﷺ قال: «يا محمَّد، استغفر[(٣)] ثم قل: بسم الله الرَّحمن الرَّحيم»[(٤)]، وبما روى سعيد بن جبير عن ابن عبّاس أنَّه قال: كان رسولُ الله ﷺ لا يعرف ختمَ السُّورة حتى يُنزَل عليه بسم الله الرَّحمن الرَّحيم[(٥)].

---

(١) الإجماع الذي ذكره المصنِّف هنا إجماع خاصٌّ، وهو إجماع أئمة القراء، وهم: ابن كثير وأبو عمرو والكسائيّ ونافع وابن عامر وعاصم وحمزة، وإجماع هؤلاء الأئمة إنما انعقد بعد اختلاف بين أئمة الاجتهاد في عصر الصحابة ومَن بعدهم، ففي «البيان» للداني (ص: ٥٠): (باب ذكر من رأى التّسمية في أوائل السّور آية)، ثم رواه عن ابن عباس وعلي وابن عمر وجمع من التابعين.
وفي «الكشاف» للزمخشري (١/ ٢): (وقرّاء مكة والكوفة وفقهاؤهما على أنها آيةٌ من الفاتحة ومن كلّ سورةٍ، وعليه الشافعيّ رحمه الله وأصحابه رحمهم الله، ولذلك يجهرون بها، وقالوا: قد أثبتها السّلف في المصحف مع توصيتهم بتجريد القرآن، ولذلك لم يثبتوا آمين، فلولا أنها من القرآن لما أثبتوها).
وفي «التيسير في التفسير» للنسفي: (ثم التسمية عند مالكٍ آيةٌ من رأس كلّ سورةٍ، وعند الشافعيّ آيةٌ من رأس الفاتحة، وعن محمد بن الحسن: أنّها آيةٌ أنزلت للفصل بين السّور).
(٢) انظر: «جامع البيان في القراءات السبع» للداني (١/ ٣٩٧) وما بعدها، و«التيسير» للداني أيضاً (ص: ١٧)، و«النشر» لابن الجزري (١/ ٢٥٩).
(٣) كذا في النسخ الخطية، وفي مصادر التخريج: (قل: أستعيذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم).
(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ١١١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٢٦)، وقال ابن كثير في «تفسيره» (١/ ١١٣): (وهذا الأثر غريب، وإنما ذكرناه ليُعرَف؛ فإنَّ في إسناده ضعفًا وانقطاعًا).
(٥) رواه الواحدي في «الوسيط» (١/ ٦٢).

وذهب نافعٌ وابنُ عامر وأبو عمرٍو إلى أنَّها ليست من الفاتحة[1]، واحتجُّوا بأنّا لمَّا أجمعنا على أنَّها ليست من أوائل سائر السُّور[2] كذلك حكمُه من الفاتحة، ولِما رُوِيَ عن عاصم عن عامرٍ[3]، قال: كان رسول الله ﷺ يكتب في أوَّل الأمر: «باسمك اللَّهمَّ»، حتى نزلت سورة هود: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا﴾ [هود: ٤١]، فكتب: «بسم الله»، حتى نزلت سورة سبحان: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ﴾ [الإسراء: ١١٠]، فكتب: «بسم الله الرَّحمن»، حتى نزلت سورة النَّمل، فكتب: «بسم الله الرَّحمن الرَّحيم»[4].

* * *

(١) ـ ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾.

﴿بِسْمِ﴾: أجمع المفسِّرون وأهل التَّحقيق على أنَّ هاهنا إضمارًا يتَّصل به الباء؛ فذهب بعضهم إلى أنَّه خبرٌ، وتقديره: أبدأُ بسم الله وأفتتحُ به، وذهب بعضهم إلى أنَّه أمرٌ، وتقديره: ابدؤوا بسم الله وافتتحوا به، فيكون الجارُّ والمجرور في محلِّ نصبٍ، وقيل: تقديره: بسم الله ابتدائي وافتتاحي، فيكون الجارُّ والمجرور في محلِّ رفعٍ على الخبر[5].

---

(١) انظر: «جامع البيان في القراءات السبع» للداني (١/ ٣٩٧) وما بعدها، و«التيسير» للداني أيضاً (ص: ١٧)، و«النشر» لابن الجزري (١/ ٢٥٩).

(٢) تقدم توضيح المراد بهذا الإجماع.

(٣) في (و): «ابن عامر»، والمثبت من (ن)، وعامر هذا هو الشعبي.

(٤) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٤٧٦)، وأبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص: ٢١٦)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٥٨٩٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ٢٠٣٣).

(٥) هذا تقدير أبي عبيدة وأكثر البصريين، والذي سبقه للفراء، والأول للزَّجّاج. انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ١٢)، و«معاني القرآن وإعرابه» للزَّجّاج (١/ ٣٩)، و«إعراب القرآن» للنحاس (١/ ١٤)، و«معاني القرآن» له (١/ ٥٠ ـ ٥١)، و«النكت والعيون» للماوردي (١/ ٤٨).

والمعنى في الوجهين: ابتداءُ كلامي أو عملي بسم الله تبرُّكًا أو تعبُّدًا.

والاسم: كلمةٌ دالّة على عينٍ أو معنًى غيرِ مقترنٍ بزمانٍ دلالةَ إشارةٍ، والصِّفة تدلُّ دلالة إفادةٍ، مشتقٌّ من (السُّموِّ) بدليل التَّصغير والجمع[١].

والاسم هو المسمَّى عند أكثرهم، وقيل: لا هو ولا غيره كالوصف، وقيل: الاسم غيرٌ، والمسمَّى غيرٌ، والتَّسمية غيرُهما[٢].

وقيل: الاسم هاهنا زيادة كقول الشاعر:

إلى الحولِ ثمَّ اسمُ السَّلامِ عليكما ومَنْ يبكِ حولًا كاملًا فقدِ اعتذرْ[٣]

= زِيْدَ للفرقِ بين ذكر الله وذكر غيره، وقيل: زيد للفرق بين اليمين والتَّيمُّن[٤].

﴿ٱللَّهِ﴾: اختلف العلماء في لفظ (الله)؛ فمنهم مَن تورَّع عن طلب مأخذه وذكر معناه، ومنهم من قال: هو اسمٌ لا اشتقاقَ له، ومنهم من قال: لعلَّه مشتقٌّ لكنّا لا نعرف المشتقَّ عنه، ولم نُكلَّف معرفتَه، ومنهم من قال: أصله (لاها) بالسُّريانيّة، فحُذف الألف من آخره وزِيد اللّام في أوَّله، والأكثر على أنَّه مشتقٌّ[٥]؛ لأنَّ

---

(١) هذا مذهب البصريين، أما الكوفيون فيرون أنه من (الوسم). انظر: «الإنصاف في مسائل الخلاف» لأبي البركات الأنباري (١/ ٨).

(٢) هذا القول الأخير منسوب لسيبويه، ويُروى عن الفراء أنَّه توقَّف في المسألة، واختاره الطبري، وذهب إليه أبو عبيدة وأبو عُبيد إلى أن الاسم هو المسمى، أما الراغب فاختار أنَّ الاسم هو المسمى باعتبار، وهو غيره باعتبار آخر. انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ١٦)، و«تفسير الطبري» (١/ ١١٥)، و«تفسير الراغب الأصفهاني» (١/ ٤٧)، و«البسيط» للواحدي (١/ ٤٤٢).

(٣) البيت للبيد بن ربيعة، كما في «ديوانه» (ص: ٢١٤)، و«تفسير الطبري» (١/ ١١٥).

(٤) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ١٦)، و«البسيط» للواحدي (١/ ٤٤٣).

(٥) ذهب أبو حيّان إلى عكس هذا، وذكر أنَّ الأكثرين على أنَّه مرتجل غير مشتق. انظر: «البحر المحيط» =

أسماءَ الله كلَّها صفاتٌ ومشتّقةٌ؛ ليعرفَ المكلَّف معناه، فيتوسَّل به إليه.

ثم اختلفوا في المشتقِّ عنه، ومرجعُ جميعهم إلى قولَي سيبويه(١)؛ أحد قوليه مذكورٌ في حدِّ النِّداء، والثّاني في حدِّ القسم.

الأوَّل: مشتقٌّ من (أ ل هـ)، وفي معناه خمسة أقوالٍ:

أحدها: أنَّه من معنى العبادة تقول: أَلِهَ إلاهةً وألوهةً وألوهيّةً وأُلهانيّةً، كقوله: عبدَ عبادةً وعبودةً وعبوديّةً، وقرئ: (ويذرَكَ وإلاهتك)(٢)؛ أي: عبادتك، وتألَّهَ ـ بمعنى: تعبَّدـ منه، فيكون (إلَه) بمعنى: مألوه، ككتابٍ بمعنى: مكتوبٍ.

وقيل: معنى (إلَه): المستحقُّ للعبادة.

= لأبي حيان (١/ ٢٧).

(١) بل مرجع أكثر الأقوال إلى قولي سيبويه، إذا سلَّمنا أن له قولين، وخلاصة الكلام أن القائلين بالاشتقاق اختلفوا على أربعة أقوال؛

فقيل: هو مشتق من (أل هـ)، وهو قول سيبويه الأول، وهو صريح كلامه، وإليه مرجع أكثر الأقوال.

وقيل: من (ل ي هـ)، وهو قول سيبويه الثاني على ما فهمه الأكثرون من كلامه في القسم، وأنكره ابن ولاد.

وقيل: من (ل و هـ)، وهو قول من قال بأنه مشتق من (لاه) بمعنى احتجب، وقد ذكره الراغب الأصفهاني.

وقيل: من (و ل ه)، والهمزة فيه منقلبة عن واو، وهو قول الخليل، ولم يرضه المصنِّف.

انظر: «العين» المنسوب للخليل (٤/ ٩١)، و«الكتاب» (٢/ ١٩٥) و(٣/ ٤٩٩)، و«معاني القرآن وإعرابه» للزَّجّاج (١/ ٤٣)، و«اشتقاق أسماء الله» للزَّجّاجيِّ (ص: ٢٩)، و«تفسير الثعلبي» (٢/ ٢٩٢)، و«المخصص» لابن سيده (٥/ ٢١٦).

(٢) نسبت هذه قراءة إلى ابن عباس رضي الله عنهما، كما في «فضائل القرآن» لأبي عبيد (ص: ٣٠٠)، و«غريب الحديث» لابن قتيبة (٣/ ٧٢٨)، و«المحتسب» لابن جني (١/ ٢٥٦).

وقيل: معناه: ذو العبادة، فيكون مصدرًا واقعًا موقعَ الاسم كعدلٍ ورضًى[(١)].

وسُمِّيت الشَّمسُ إلاهةً وألاهةً ـ بالكسر والفتح ـ لأنَّ من العرب مَن كان يعبدها، قال:

تروَّحنا مِنَ اللَّعباءِ عَصرًا وأعجلْنا الإلاهةَ أنْ تَؤُوبا[(٢)]

ويُروى: أُلاهةَ؛ بالضَّمِّ غير منصرفٍ[(٣)].

والثاني: من معنى الفزع[(٤)] تقول: ألِهَ زيدٌ إلى عمرٍو يأْلَه ألهًا؛ إذا فزِعَ إليه واعتمد عليه، وآلَهَهُ: أجارَه وآمنَه، وأنشد لتأبَّط شرًّا:

ألِهْتُ إليها والرَّكائبُ وُقَّفٌ بكلِّ رَبيطِ الجأشِ عاري الأشاجعِ[(٥)]

والمعنى: أنَّ العبادَ يفزعون إليه ويتضرَّعون نحوه عند الشَّدائد.

والثالث: من معنى التَّحيُّر تقول: ألِهَ زيدٌ يألَه؛ إذا تحيَّر[(٦)]، قال الأخطل:

---

(١) انظر: «الحجة للقراء السبعة» لأبي علي الفارسي (٥/ ٢٥)، و«الصحاح» للجوهري (٦/ ٢٢٢٣)، و«المخصص» لابن سيده (٥/ ٢١٦)، و«البسيط» للواحدي (١/ ٥٠).

(٢) البيت لبنت عتيبة بن الحارث اليربوعي، كما في «تفسير الطبري» (١٠/ ٣٦٩).

(٣) أي: بضمِّ الهمزة، كما في «المحتسب» لابن جني (٢/ ١٢٣)، فـ(ألاهة) من المثلث، كما في «القاموس المحيط» (ص: ١٢٤٢) مادة (أ ل ه)، وهو غير منصرف للعلمية والتأنيث.

(٤) وهو قول ابن إسحاق. انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (١٠/ ٦٤٥)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (١/ ٢٨).

(٥) شطر البيت الأول بلا نسبة في «تفسير الثعلبي» (٢/ ٢٩٢)، و«تفسير البغوي» (١/ ٥٠)، ولم أقف عليه في المطبوع من «ديوان تأبَّط شرًّا» تحقيق: علي شاكر، دار الغرب الإسلامي، ط٢، ١٩٩٩م.

(٦) ذكر هذا ابن قتيبة، ونُسب لأبي عمرو بن العلاء، ونبَّه ابن فارس أن أصله على هذا المعنى (و ل ه).
انظر: «غريب الحديث» لابن قتيبة (٣/ ٧٢٨)، و«مقاييس اللغة» لابن فارس (١/ ١٢٧) مادة =

بِتِسْـعينَ أَلفًـا تَأَلَـهُ العيـنُ وَسْـطَهَا متى تَرَهـا عَيْـنُ الطَّرامـةِ تَدْمَعـا(١)

والمعنى: أن العقول متحيِّرة في الإحاطة بكيفيَّته سبحانه.

والرّابع: من معنى السُّكون، قال المبرِّد: أَلِهْتُ إليه؛ أي: سكنت(٢).

والخامس: من معنى الثَّبات، تقول: أَلِـهْنا بمكان كذا؛ أي: أقمنا، قال:

أَلِـهْنا بِـدارٍ مـا تَبِيْـدُ رُسُـومُها كأنَّ بقاياهـا وِشـامٌ علـى اليَـدِ(٣)

وكان الأصـل (إلاه)، فحُذفـت الهمزة مـن غير قياسٍ على مذهب سـيبويه، كما حُـذف مـن أنـاسٍ فقيـل: نـاسٌ، وعُـوِّض عنها الألـف والـلّام عوضًـا لازمًـا، ولهذا نُـودي بـ(يـا)، والاسـم إذا كان فيه الألـف واللّام ينادى بـ(يـا أيُّها)، ولهـذا أيضًا قُطع ألفُه في النِّـداء(٤).

وعنـد غير سـيبويه حُذفـت الهمزةُ حذفًا قياسـيًّا(٥) بعـد إدخال الألـف واللّام فيـه للتَّعظيـم أو لتعريـف اللَّفـظ، فـكان (الإلـه)، وروى المازنـيُّ: (لا والإلـهِ مـا فعلْـتُ كـذا)، فنُقلت حركـةُ الهمزة إلى الـلّام فسَـقطَت الهمزةُ فصـار: (اَلِلاه)، ثم

= (أ ل ه)، و«تفسير الثعلبي» (٢/ ٢٩٢).

(١) انظر: «ديوان الأخطل» (ص: ١٩٨)، و«غريب الحديث» لابن قتيبة (٣/ ٧٢٨).

(٢) لم أقف على كلامه هذا فيما بين يدي من كتبه، وهو منقول عنه. انظر: «تفسير الثعلبي» (٢/ ٢٩٤)، و«تفسير البغوي» (١/ ٥٠)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (١/ ٢٨).

(٣) ذكـره بـلا نسـبة الثعلبي فـي «تفسـيره» (٢/ ٢٩٧)، والزبيـدي في «تـاج العـروس» (٣٦/ ٣٢٥) مـادة (أ ل ه).

(٤) انظر: «الكتاب» (٢/ ١٩٥ ـ ١٩٦)، وقد أطال ابن سيده النفس في الدفاع عن مذهب سيبويه في هذه المسألة. انظر: «المخصص» (٥/ ٢١٦ ـ ٢٢٥).

(٥) مراده بالحذف القياسي هنا ما كان لكثرة الاستعمال أو للتخفيف.

سُكِّن اللّام الأولى وأُدغم في الثّانية فصار: (الله)، فأُلزِمَ الحذفَ وأُلزِمَ اللّام[١].

والقول الثّاني لسيبويه: أنَّ اشتقاقه من: (ل ي ه)، تقول: لاهَ يَلِيْهُ لَيْهًا ولاهًا، قال: والدَّليلُ على أنَّ العينَ ياءٌ قولُ بعض العرب: لَهْيَ أبوك، فقُدِّم الهاء على الياء، وبُنِيَ الياء على الفتح، وأصله: لاه[٢]، وأنشد:

كَحَلْفَةٍ مِنْ أبي رِياحٍ يَسمعُها لاهُهُ الكُبارُ[٣]

وقرئ في الغريب من الشَّواذِّ: (وهو الَّذي في السَّماءِ لاهٌ وفي الأرضِ لاهٌ)[٤]، ثمّ أُدخل عليه الألف واللّام كما أُدخل على (الرَّحمن الرَّحيم).

وفي معناه قولان:

أحدهما: من معنى الاحتجاب، تقول: لاهَ؛ إذا احتجَب، قال الشّاعر:

لاهَتْ فما عُرِفَتْ يومًا بخارِجةٍ يا ليتَها خَرَجَتْ حتَّى عَرَفْناها[٥]

ويُروى: حتى رأيْناها.

---

(١) المشهور عن المازني أنه كان يذهب إلى عدم اشتقاق لفظ الجلالة، وإليه مال ابن مالك. انظر: «اشتقاق أسماء الله» للزَّجّاجيِّ (ص: ٢٩)، و«شرح التسهيل» لابن مالك (١/ ١٧٧).

(٢) هذا مفهوم من كلام سيبويه، ولذلك اتهمه المبرد بالتناقض، لكنَّ كلامه يحتمل وجهاً آخر، وهو أنَّ الألف زائدة لكنَّها عُوملت معاملة عين الفعل، فعدَّها عيناً، وبهذا دفع ابن ولاد التناقض عن سيبويه. انظر: «الكتاب» (٣/ ٤٩٨ ـ ٤٩٩)، و«الانتصار» لابن ولّاد (ص: ٢٣٣)، و«التعليقة» لأبي علي الفارسي (١/ ٢٧٨).

(٣) البيت للأعشى. انظر: «ديوانه» (ص: ٧٢).

(٤) ذكر هذه القراءة المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٩٤)، ونقله عنه السيوطي في «حاشيته على تفسير البيضاوي» (١/ ١٤١)، وكذا الخفاجي في «حاشية الشهاب على البيضاوي» (١/ ٥٦).

(٥) ذكره بلا نسبة الثعلبي في «تفسيره» (٢/ ٢٩٦)، والقرطبي في «تفسيره» (١٧/ ١٠١).

أي: المحتجِب عن العيون والإدراك.

والثاني: من معنى الارتفاع، تقول: لاهَ؛ إذا ارتفع، والمعنى: المرتفِع عن الأوصاف التي لا تَليق به.

وقيل: بمعنى الرّافع.

ورُوي عن أبي الهيثم أنَّه قال: سمعت الثَّوريَّ يقول: سمعت أبا زيدٍ يقول: قال لي الكسائيُّ: أَلَّفْتُ كتابًا في معاني القرآن، فقلت له: أسمعْتَ: (الحمدُ لاهِ ربِّ العالمين)؟ فقال: لا، فقلْتُ له: فاسمعْها[1].

قال الشَّيخ رحمه الله: هذا إنْ صحَّ فأصله: لله، فحُذف الجارُّ؛ لأنَّ حركةَ الهاءِ تدلُّ عليه، وحُذف اللّام الثّاني؛ لأنَّ حذف التَّنوين يدلُّ عليه حيث بينهما معاقبة، وبقي لامٌ؛ فجاز أن يكون العينَ على القول الأوَّل، وجاز أن يكون الفاءَ على هذا القول.

ومنه قول ذي الإصبع العَدْوانيِّ:

لاهِ ابنُ عَمِّكَ لا أفضَلْتَ في حَسَبٍ ... عنِّي ولا أنْتَ ديّاني فَتَخْزوني[2]

فحُذفَ اللّام بعد اللّام كما ذكرنا[3].

---

(١) رواه الأزهري في «تهذيب اللغة» (٦/ ٢٢٣)، (باب الهاء واللام)، وقال: (لا يجوز في القراءة إلَّا ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ بمدّة اللّام، وإنّما يقرأ ما حكاه أبو زيد الأعرابُ ومَن لا يعرف سنة القراءة).

(٢) انظر: «المفضليات» (ص: ١٦٠)، و«الألفاظ» لابن السكيت (ص: ٤٢٨)، و«أدب الكاتب» لابن قتيبة (ص: ٥١٣).

(٣) انظر: «الإنصاف» للأنباري (١/ ٣٢٥).

وقولُ اللهِ تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ﴾ [آل عمران: ٢٦]: الميمان عند البصريِّين[١] عوضٌ من ياء النِّداء، ولهذا لا يجوز الجمعُ بينهما.

وأصله عند الكوفيِّين[٢]: اللهُ أَمَّ، من قوله: أَمَّه يؤُمُّه؛ إذا قصدَه، حُذف همزُه لكثرة الاستعمال، وأنشدوا:

وما عليكِ أنْ تَقولي كلَّما
صلَّيْتِ أو سبَّحْتِ يا اللَّهمّا
اردُدْ علينا شيخَنا مُسَلَّما[٣]

وقال الآخر:

إنِّي إذا ما حَدَثٌ ألَمّا
أقولُ يا اللَّهمَّ يا اللَّهمّا[٤]

والبيتان عند البصريِّين من الشَّواذِّ التي لا يُعرَّج عليها، ولذلك وُصِل الألف مع (يا)[٥].

---

(١) كالخليل وسيبويه. انظر: «الزاهر في معاني كلام الناس» لأبي بكر الأنباري (١/ ٥١ ـ ٥٢).

(٢) كالفراء، ووافقه المبرد وثعلب. انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٢٠٣)، و«المقتضب» للمبرد (٤/ ٢٣٩)، و«الإنصاف» للأنباري (١/ ٢٧٩).

(٣) الرجز بلا نسبة في «معاني القرآن» للفراء (١/ ٢٠٣)، و«تفسير الطبري» (٥/ ٣٠٠)، و«معاني القرآن وإعرابه» للزَّجّاج (١/ ٣٩٤).

(٤) نُسب الرجز لأبي خراش الهذلي، كما في «شرح أشعار الهذليين» (١٣٤٦)، و«مختصر الشواهد» للعيني (٣١٢). وقال البغدادي في «خزانة الأدب» (٢/ ٢٩٥): (وهذا البيت أيضًا من الأبيات المتداولة في كتب العربية ولا يعرف قائله ولا بقيته، وزعم العيني أنه لأبي خراش الهذلي).

(٥) أي: سقطت الهمزة وصلاً في هذه الأبيات التي دخلت فيها (يا) على لفظ (اللهمّ). وانظر =

وأمّا ألفُه فزيادةٌ بإزاء ألف (فِعالٍ) على القولِ الأوّل، وعلى القول الثّاني أصلٌ، وهو عين الفعل.

وما جاء في الشِّعر من قولِه:

ألا لا بارِكَ اللهْ في سُهيلٍ إذا ما اللهُ بارَكَ في الرِّجالِ[١]

وقولِ الآخر:

أقبلَ سَيلٌ جاءَ مِنْ عِنْدِ اللهْ[٢] يَحْرُدُ حَرْدَ الجَنّةِ المُغِلَّهْ[٣]

ويُروى: من أمْرِ اللهْ.

= فمن باب قصر الممدود، وذلك جائزٌ في الشِّعر، غيرُ جائزٍ في القرآن، بل تفسد الصَّلاةُ، ولا تنعقدُ اليمينُ به[٤]، وهذا على القول الأوّل، وأمّا على القول الثّاني فلا يجوز في الشِّعر أيضًا البتّة.

وتختصُّ أيضًا لفظة (الله) تعالى بخمسة أشياء لا يشاركه فيها غيرُه من أسماء الله تعالى ولا اسمُ غيرِه سبحانه:

= المسألة في: «اشتقاق أسماء الله» للزَّجّاجيِّ (ص: ٣٢)، و«شرح الكتاب» للسيرافي (١/ ١٨٥)، و«الإنصاف» للأنباري (١/ ٢٧٩ ـ ٢٨٢).

(١) هذا البيت بلا نسبة في «الحجة» لأبي علي الفارسي (٤/ ٣٨٢)، و«المحتسب» لابن جني (١/ ١٨١). والبيت شاهد لحذف الألف بعد اللام من (الله)، كما يُنطق في بعض اللهجات والشعر النبطي، فتُلفظ: لابارَكَلَّهْ؛ بتفخيم اللامين، وحذف الألف، وتسكين الهاء.

(٢) تُلفظ: من عندِلِّهْ؛ بترقيق اللامين، وحذف الألف، وتسكين الهاء.

(٣) هذا البيت بلا نسبة في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٧٦)، و«مجاز القرآن» لأبي عبيدة (٢/ ٢٦٦)، و«إصلاح المنطق» لابن السكيت (١/ ٤٢).

(٤) قول المصنف هذا ذكره البيضاوي في «تفسيره» (١/ ٢٧)، ونقله بعضهم عن البيضاوي، ونسبه إليه.

أحدها: أن ينادى بـ(يا)، والاسم إذا كان فيه الألف واللّام يُنادى بـ: يا أيُّها[١].

والثّاني: قطعُ ألفِه في باب النِّداء أيضًا والقسم[٢] نحو: يا أَلله، و: ها أَلله ما فعلت[٣].

والثّالث: زيادة الميمين عوضًا من حرف النِّداء[٤].

والرّابع: دخول التّاء فيه نحو: (تالله) في القسم[٥].

والخامس: أن يبقى مجرورًا بعد حذف الجارِّ في القسم[٦].

---

(١) انظر: «الكتاب» (٢/ ١٩٥ و١٩٧)، و«أسرار العربية» للأنباري (ص: ١٧٥).

(٢) يجوز قطع همزة اسم الجلالة في النداء والقسم، ولا يجب، أما قطع الهمزة في غيره فلا يجوز أصلاً. انظر: «الكتاب» (٣/ ٤٩٩)، و«الأصول» لابن السَّرّاج (٢/ ١١٤).

(٣) لم أقف على العبارة التي ذكرها المصنف بحروفها، ووقفت على ما يشهد لها ممّا مثَّل به سيبويه، أما الذي ذكره سيبويه وغيره عن العرب فقولهم: (إي، ها اللهِ ذا) و(لا، ها اللهِ ذا) فـ(ها) عوض عن واو القسم، والمعنى: والله للأمرِ هذا، فحذف (الأمر) لكثرة استعمالهم، وقُدِّم (ها) كما في: (ها هو ذا). انظر: «الكتاب» (٢/ ١٦٠) و(٣/ ٤٩٩ و٥٠٣)، وقد وقع خلل في طريقة ضبط العبارة في «العين» (٨/ ٢٠٨)، وفي هذه العبارة أمر آخر يختصُّ به اسم (الله) تعالى، وهو وقوع (ها) التنبيه عليه في القسم، ذكر ذلك أبو حيان في «ارتشاف الضرب» (٤/ ١٧٦٨).

(٤) هذا على مذهب الخليل وسيبويه، ويخالفهما في هذا الفراء والمبرد وثعلب. انظر: «المقتضب» للمبرد (٤/ ٢٣٩)، و«الزاهر» للأنباري (١/ ٥١ ـ ٥٢).

(٥) صرّح سيبويه والمبرد والفراء باختصاص اسم (الله) بهذا، وخالف فيه الأخفش. انظر: «الكتاب» (١/ ٥٩)، و«معاني القرآن» للفراء (٢/ ٥١)، و«المقتضب» للمبرد (٢/ ٣٢٠)، و«شرح الكافية الشافية» لابن مالك (٢/ ٧٩٢)، و«شرح الرضي على الكافية» (٤/ ٣٠٠).

(٦) أما غير اسم (الله) فينتصب عند حذف الجار؛ هذا على مذهب البصريين عدا الجرمي والأخفش، أما الكوفيون فيجيزون الجر والرفع في اسم (الله) وغيره، ويمنعون النصب إلا في (كعبة الله) و(قضاء الله). انظر: «الكتاب» (٣/ ٤٩٨)، و«الارتشاف» لأبي حيان (٤/ ١٧٦٨).

وهاهنا **سادسٌ** خُصَّ اسمُ (الله) به، وهو تفخيم اللّام إذا انفتحَ ما قبله أو انضمَّ نحو: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾، و﴿يَضْرِبُ ٱللَّهُ﴾[1]، ومن القرّاء من يفخِّمه مع الكسر أيضًا نحو: ﴿لِلَّهِ﴾[2]، وقد ذكرنا هذا مشروحًا في كتاب «النِّهاية في شرح الغاية».

وما ذكره بعض المفسِّرين بأنَّه مخصوصٌ بما إذا حُذف ألفُه بقي (لله)، وإذا حُذف لامُه بقي (له)، وإذا حُذف اللّام الثّاني بقي (هو)[3] = فكلامٌ مدخولٌ مزيَّف، ثمَّ لا يختصُّ به اسم (الله) دون غيره من زيدٍ وعَمرٍو وبكرٍ وخالدٍ.

وما ذهبَ إليه بعض المفسِّرين من أنَّه مشتقٌّ من: ولهْتُ؛ أي: تحيَّرت، وأصله: وِلاه، قُلبَتْ واوه همزةً كإعاء وإشاحٍ، فصار إلهًا[4]، ومعناه: القلوب تَوْلَهُ بمحبَّته وتشتاقُ عند ذكره، من قول الشّاعر:

وَلِهَتْ نفسيَ الطَّروبُ إليكُم   وَلَهًا حالَ دُونَ طَعْمِ الطَّعامِ[5]

---

(١) انظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة (ص: ٩)، و«أمالي ابن الشجري» (٢/ ١٩٦)، و«المرتجل» لابن الخشاب (ص: ١٩٥)، و«اللباب» للعكبري (١/ ٣٣٦).

(٢) ذكر المصنِّف هذا في «غرائب التفسير» (١/ ٩٥) أيضاً، ولم أقف على من فخَّم لام اسم الجلالة (الله) إذا جاء بعد كسر، والقراء العشرة مجمعون على ترقيقها في هذه الحالة. انظر: «التيسير» للداني (ص: ٥٨)، و«شرح طيبة النشر» لابن الجزري (ص: ١٤١).
وجاء في «الكامل في القراءات» لليشكري (ص: ٩٤): (ولينظر إلى ما قبل اسم (الله)، فإن كان كسرة نحو (بِسْمِ اللهِ)، (بِاللهِ)، و(فِي اللهِ)، و(عن الله) رُقِّق، وتفخيمه لحن، وإن انفتح ما قبله أو انضم فُخِّم؛ كي لا يشبه اللات، إلا ما حكى ابن مِقْسَمٍ عن أهل البصرة في ترقيقه).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢/ ٢٩٠)، وابن العربي في «الفتوحات المكية» (٤/ ٤٩١).

(٤) يُنسب هذا القول للخليل كما في «اشتقاق أسماء الله» للزَّجّاجيِّ (ص: ٢٦)، و«أمالي ابن الشجري» (٢/ ١٩٧).

(٥) البيت للكميت. انظر: «ديوانه» (ص: ٥٠٨)، وفيه: (إليهم) بدل (إليكم).

= فغير مرضيٍّ عند ذوي التَّحقيق؛ لأنَّه ليس لقائله عليه دليلٌ، فإنَّه لم يُسمع فيه: وِلاهٌ، كما سُمع: وِشاحٌ ووِعاءٌ، ولا تقول في جمعه: أَوْلِهة، كما تقول: أوعية، بل تقول: آلهة، وتقول في الفعل: تألَّهَ، ولا تقول: تولَّهَ.

والمرضيُّ عند أهل اللُّغة وأصحاب النَّظر من الأقاويل قولا سيبويه، ومن المعاني التي تقدَّمت معنى التَّعبُّد من (أَلِهَ) ومعنى احتجَبَ من (لاهَ)، فحسب.

﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾: الرَّحمةُ من الله: إرادةُ الخير بالعباد، والرَّحمةُ من الخَلق: رِقَّةٌ تظهر في القلب[(١)].

ابن عيسى[(٢)]: الرَّحمةُ: الإنعام على المحتاج[(٣)].

و(الرَّحمن) و(الرَّحيم) بناءان للمبالغة، والرَّحمنُ أكثرُ مبالغةً من الرَّحيم؛ لأنَّ الرَّحيمَ أقربُ إلى لفظ الفاعل من الرَّحمن، وكلَّما كان العُدولُ عن لفظ الفاعل أكثرَ كانت المبالغةُ فيه أبينَ[(٤)]، ولهذا جاء في الدُّعاء: «يا رحمن

---

(١) انظر: «تفسير الماتريدي» (٩/ ٥٩١)، و«تفسير الراغب الأصفهاني» (١/ ٥٠).

(٢) هو علي بن عيسى: أبو الحسن الرمّاني النَّحوي المفسِّر المتكلِّم المعتزلي، من أوعية العلم، أصله من سرَّ من رأى، أدرك الزَّجّاج وابن السَّرّاج وقرأ عليهما «كتاب سيبويه»، له نحو مئة مصنف، ومن تصانيفه كتابه الكبير: «معاني القرآن وشرح إعرابه»، وهو كتاب مفقود اليوم، وينقل عنه المصنف كثيرًا، توفي سنة ٣٨٤هـ. انظر: «تاريخ العلماء النحويين» للتنوخي (ص: ٣٠ ـ ٣١)، و«سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٦/ ٥٣٣)، و«طبقات المفسرين» للسيوطي (ص: ٨١).

(٣) انظر: «معجم الفروق اللغوية» لأبي هلال العسكري (ص: ٢٥٣)، و«تفسير الماوردي» (١/ ٥٢)، و«البرهان» للمصنِّف (ص: ٦٥).

(٤) ذكر هذا ابن فارس والعسكري. انظر: «الصاحبي» (ص: ٥١)، و«معجم الفروق اللغوية» للعسكري (ص: ٢٥١).

الدُّنيـا»؛ لأنَّـه يعـمُّ الكافـر والمؤمـن، و«رحيـم الآخـرة»[(١)]؛ لأنَّه يخـصُّ المؤمن.

وقُدِّم (الرَّحمن) لتقدُّم الدُّنيا، وقيل: قُدِّم لأنَّه يشبه الاسم حيث لا يُوصَف به غيرُه[(٢)].

وقيل: (الرَّحمن) اسمٌ عبرانيٌّ عُرِّب، ولهذا أنكره العرب، وقالوا: ﴿وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ [الفرقان: ٦٠] حكاه أقضى القضاة[(٣)] لثعلبٍ[(٤)].

أبو عبيدة[(٥)]: الرَّحمن: ذو الرَّحمة، والرَّحيم: الرّاحم[(٦)].

---

(١) رواه الطبري في «التفسير» (١/ ١٢٦): عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، ولفظه: قال رسول الله ﷺ: «إن عيسى ابن مريم قال: الرَّحمن: رحمن الآخرة والدُّنيا، والرَّحيم: رحيم الآخرة...» الحديث. لكن قال ابن عدي في «الكامل»: هذا حديث باطل. ورواه الثعلبي في «تفسيره» (٢/ ٣٠٢) عن مجاهد بلفظ: «الرَّحمن بأهل الدُّنيا، والرَّحيم بأهل الآخرة».

(٢) انظر: «الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي» للأزهري (ص: ٦٦)، و«الحجة» لأبي علي (١/ ١٩)، وقد ذكر أبو علي أنه من تقديم العام على الخاص.

(٣) يقصد بأقضى القضاة: الماوردي، وهو أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي الشافعي، ولي القضاء ببلدان شتى، ثم سكن بغداد، له التصانيف الكثيرة النافعة، منها: «النكت والعيون» في التفسير، و«الحاوي» في الفقه، و«الأحكام السلطانية»، و«أدب الدنيا والدين»، توفي سنة ٤٥٠هـ. انظر: «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٨/ ٦٤ ـ ٦٨)، و«طبقات المفسرين» للسيوطي (ص: ٨٣).

(٤) ثعلب هو: أحمد بن يحيى بن يسار الشيباني البغدادي، إمام الكوفيين في النحو واللغة، توفي سنة ٢٩١هـ. انظر: «إنباه الرواة على أنباه النحاة» للقفطي (١/ ١٧٣)، وانظر قوله في: «الزاهر» للأنباري (١/ ٥٩)، و«النكت والعيون» للماوردي (١/ ٥٢)، و«البسيط» للواحدي (١/ ٢٥٧).

(٥) هو معمر بن المثنى التيمي، وكان من أجمع الناس للعلم، وأعلمهم بأيام العرب وأخبارها، وأكثر الناس رواية، توفي سنة ٢٠٩هـ. انظر: «طبقات النحويين واللغويين» للإشبيلي (ص: ١٧٥).

(٦) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ٢١). وهو يريد أنَّ الرحمن صفة مشبهة من الفعل اللازم =

وقيل: (الرَّحمن) خاصٌّ في التّسمية عامٌّ في المعنى، و(الرّحيم) عامٌّ في التّسمية خاصٌّ في المعنى؛ لأنَّ (الرَّحمن) خاصٌّ لا يُوصَف به غيرُ الله، عامٌّ في المعنى لأنَّه يعمُّ الكافرين والمؤمنين(١)، و(الرّحيم) عامٌّ يُوصَف به هو وغيره، خاصٌّ للمؤمنين(٢).

* * *

(٢) ـ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾.

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ ليس في اللُّغة من هذا التَّركيب على هذا التَّرتيب غيرُ هذه اللَّفظة، وقولهم: (حُماداكَ أن تفعل كذا)(٣)؛ أي: ما يُحمَد منك.

واختلف في معناها؛ فقال اللَّيث(٤): الحمد: نقيضُ الذَّمِّ، والحميد: المحمود(٥).

وقيل: الحمد والشُّكر بمعنًى واحدٍ، لكنَّ الحمدَ على جميل صفات الموصوف، والشُّكرَ على إنعامه، واللهُ يحمدُ نفسَه ولا يشكره(٦).

= رحُم، والرحيم مبالغة من الفعل المتعدي رحِم.

(١) في (ن): «الكافر والمؤمن».

(٢) وهذا ما ذهب إليه المصنِّف في «البرهان» (ص: ٦٥).

(٣) معناه: غاية أمرك الذي تُحمد عليه. انظر: «العين» (٣/ ١٨٨) مادة (ح م د).

(٤) هو الليث بن المظفر ـ أو ابن نصر ـ الخراساني، تلميذ الخليل وراوي «العين»، فالخليل ـ كما قال ثعلب ـ رسم معجم «العين» ولم يحشه، فحشاه الليث، وقد شكَّك الأزهري والقالي في نسبة «العين» إلى الخليل، ونسب الأزهري ما فيه إلى الليث، ومن هنا جاءت عبارة (قال الليث) في المعاجم، وقد رد محقِّق «العين» هذه الدعوى وفنَّدها. انظر: «العين» (١/ ٢٠ ـ ٢٧)، و«تهذيب اللغة» للأزهري (١/ ٢٥)، و«إنباه الرواة» للقفطي (٣/ ٤٢)، و«البلغة» للفيروزابادي (ص: ٢٤٢).

(٥) انظر: «العين» (٣/ ١٨٨)، و«تهذيب اللغة» للأزهري (٤/ ٢٥١) مادة (ح م د).

(٦) القول بأنهما معنى واحد مفهوم من كلام أبي جعفر الطبري والزمخشري، وهو منسوب للمبرد =

وقيل: الشُّكر أن يشكرَه لسابقةِ إحسانٍ، والثَّناء أن يذكرَ فضائله، والحمدُ أعمُّ الثَّلاثة حيث يُستعمل لهما[(١)].

وقال ابن الأنباريِّ: الحمدُ مقلوب المدح وبمعناه[(٢)].

وقيل: بل المدح أعمّ؛ لوقوعه على الفعل وغير الفعل، والحمد يختصُّ بالفعل[(٣)]؛ لأنّه يجوز المدح على صفات ذات الله كالعلم والقدرة، وعلى صفات فعله كالخلق والرّزق، ولا يجوز الحمد إلا على[(٤)] صفات الفعل.

﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ الرّبُّ من التّربية، والتّربيةُ: تبليغ الشّيء إلى كماله على التّدريج.

ابن عيسى: الرّبُّ: المالك للشّيء من كلّ وجهٍ يصحّ ملكه منه، ويستعمل لغير الله مضافًا، ولا يجوز استعماله مطلقًا إلّا لله[(٥)].

= والأخفش، وقد أنكر أبو بكر الأنباري أن يكون الحمد والشكر بمعنى، وعدَّه من خطأ العامة، واستدلَّ على الفرق بعموم الحمد وخصوص الشُّكر. انظر: «تفسير الطبري» (١/ ١٣٧)، و«الزاهر» للأنباري (٢/ ٧٨)، و«تهذيب اللغة» (٤/ ٢٥١)، و«الفائق» للزمخشري (١/ ٣١٤)، و«تفسير القرطبي» (١/ ١٣٣).

(١) انظر: «معجم الفروق اللغوية» للعسكري (١/ ٢٠٢).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢/ ٣٧٦)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٩٦) دون نسبة وعدَّه من الغرائب، وهو مفهوم كلام الأنباري، لكني لم أقف على هذا اللفظ عنده. انظر: «الزاهر» للأنباري (٢/ ٧٨).

(٣) هذا ما مال إليه الراغب الأصفهاني في «تفسيره» (١/ ٥٢)، و«المفردات» (ص: ٢٥٦).

(٤) في (ن): «في».

(٥) انظر: «تفسير الماتريدي» (٢/ ٣٤٥)، و«تفسير الراغب» (١/ ٥٤).

والرّبُّ: السّيِّد، والرّبُّ: الملك أيضًا[١].

العالَـمُ عند الزَّجّاج[٢]: اسمٌ لما خلقه الله في الدّنيا والآخرة[٣].

وقيل: العالَـم: الدُّنيا وما فيها.

ابن عبّاسٍ: العالَمون: الملائكة والجنُّ والإنس[٤].

وقيل: العالَمون: اسمٌ للعقلاء وغيرهم من السّماوات والأرض وما بينهما، جُمِعَ جمعَ السّلامة للمشاركة.

وقيل: العالَم: اسمٌ لأشياء مختلفةٍ، لا واحدَ له من لفظه.

واشتقاقه من العِلْم، وقيل: من العلامة[٥].

وقيل: أهلُ كلِّ زمانٍ عالَـمٌ، قال الله تعالى: ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [الجاثية: ١٦]؛ أي: على عالمي زمانهم[٦].

* * *

(١) انظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة (ص: ٩)، و«الزاهر» للأنباري (١/ ٤٦٧)، و«تفسير الطبري» (١٣/ ١٦٩ ـ ١٧٠).

(٢) هو إبراهيم بن السري، أبو إسحاق الزَّجّاج، توفي ببغداد سنة ٣١١هـ، كتابه «معاني القرآن وإعرابه» مشهور، وينقل عنه المصنف كثيراً. انظر: «وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان» لابن خلكان (١/ ٤٩).

(٣) هذا معنى قوله، وقد نقله الماوردي بهذا اللفظ. انظر: «معاني القرآن وإعرابه» للزّجّاج (١/ ٤٦)، و«تفسير الماوردي» (١/ ٥٥).

(٤) روى الطبري نحوه في «تفسيره» (١/ ١٤٥)، وما ذكره المصنف منقول عن الماوردي في «تفسيره» (١/ ٥٤).

(٥) انظر: «تفسير الماوردي» (١/ ٥٥).

(٦) ذكر هذا الطبري في «تفسيره» (١/ ١٥٠) و(٢١/ ٨٤)، ورُوي عن ابن عباس ما يدل عليه. انظر: «البسيط» للواحدي (٢٠/ ١٤١).

(٣) ـ ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾.

﴿الرَّحمن الرَّحيم﴾: تكرارٌ فيمَنْ ذهب إلى أنَّ التَّسمية من الفاتحة، كُرِّرَ للتَّأكيد[١]، كما قال:

هلّا سألْتَ جُموعَ كِنْـ ـدةَ يومَ ولَّوا: أيْنَ أيْنا[٢]

***

(٤) ـ ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾.

﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّيْنِ﴾ ابن عيسى: الملك: القادرُ الواسعُ المقدورِ الذي له السِّياسة والتَّدبير، والمالك: هو القادر على ما له أن يصرِّفَه[٣].

واشتقاق (مَلِكِ) من الملْكِ والـمَمْلَكة؛ بالفتح والضَّم والكسر[٤]، واشتقاق (مالك) من المِلْك؛ بالكسر، ورُوي فيه الفتح والضَّم[٥].

والمعنى الذي يجمع هذا التَّركيب: الشَّدُّ والرَّبط عند ابن السَّرّاج[٦].

---

(١) نسب المصنف هذا الرأي للرماني في «البرهان» (ص: ٦٥)، وذكر فيه قول قاسم بن حبيب: (أي: وجب الحمد لله؛ لأنه الرحمن الرحيم)، ورأى أن التكرار هنا لأنه ذكر المنعِم أولاً وحده، ثم ذكره مع المنعَم عليهم.

(٢) البيت لعبيد بن الأبرص الأسدي. انظر: «ديوانه» (ص: ١٤٢).

(٣) انظر: «معجم الفروق اللغوية» للعسكري (ص: ٤٧٣)، و«المخصص» لابن سيده (٥/ ٢٣٠).

(٤) يرى الأخفش أنه اسم غير مشتق على هذه القراءة. انظر: «معاني القرآن» له (١/ ١٥).

(٥) أي: المَلْك، والمُلْك، والـمِلْك، وقد قرأ عاصم والكسائي ويعقوب وخلف: ﴿مَٰلِكِ﴾ بالألف، وباقي العشرة بغير ألف. انظر: «التيسير» للداني (١/ ١٨)، و«النشر» لابن الجزري (١/ ٢٧١).

(٦) انظر: «الحجة» لأبي علي (١/ ١٣)، و«المخصص» لابن سيده (٥/ ٢٢٩).

تقول: مَلَكْتُ العجينَ، و:

مَلَكْتُ بها(١) كفِّي.......... (٢) ....

وقال:

ومَلَّكَ باللِّيْطِ الَّذي تَحْتَ قِشْرِها ... كَغِرْقِئِ بَيْضٍ كَنَّهُ القَيْضُ مِنْ عَلُ(٣)

وقال:

أصبحْتُ لا أمْلِكُ السِّلاحَ ولا ... أمْلِكُ رأسَ البعيرِ إنْ نَفَرا(٤)

وقال تعالى: ﴿فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ﴾ [يس: ٧١].

وقيل: معنى التَّركيب القدرة.

واليوم: اسمٌ لامتداد الضِّياء العام، ويوم الدُّنيا: عبارةٌ عن وقت طلوع الفجر إلى غروب الشَّمس.

وإضافة الاسم إليه على السَّعةِ، وتنزيلِه منزلةَ المفعول به، كقوله:

يا سارقَ اللَّيلةِ أهْلَ الدّارِ(٥)

---

(١) في (و): «وملكت ما في».

(٢) قطعة من بيت لقيس بن الخطيم يصف طعنة، كما في «ديوانه» (ص: ٨)، وتمام البيت:

ملكت بها كفّي فأنهرت فتقها ... يرى قائمٌ من دونها ما وراءها

(٣) البيت لأوس بن حجر، كما في «ديوانه» (ص: ٩٧). وملك: شدد؛ أي: ترك شيئًا من القشر على قلب القوس ليتمالك به. انظر: «لسان العرب» لابن منظور (٧/ ٣٩٦) مادة (ل ي ط).

(٤) البيت للربيع بن ضبع الفزاري، كما في «الكتاب» (١/ ٨٩)، و«النوادر» لأبي زيد الأنصاري (ص: ٤٤٦)، و«المحكم» لابن سيده (٨/ ٢١٥). وفيها: (لا أحمل) بدل (لا أملك).

(٥) رجز لا يعرف قائله. انظر: «الكتاب» (١/ ١٧٦)، و«معاني القرآن» للفراء (٢/ ٨٠)، و«كتاب الشعر» لأبي علي الفارسي (ص: ١٧٩).

= والمفعول محذوفٌ، وهو الأحكام والجزاء[١].

وقيـل: اليـوم مفعولٌ بـه على الحقيقـة[٢]، ومعناه: منشـئُه ومثبتُـه والقادرُ على إيجاده.

والظاهر في ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ النَّكرة[٣]؛ لأنَّه بمعنى الاستقبال، و(يوم الدِّين) ممّا لم يأتِ بعد، وإضافة اسم الفاعل إلى المعرفة إذا كان بمعنى الاستقبال لا يفيد تعريفًا، كقوله تعالى: ﴿عَارِضٞ مُّمۡطِرُنَا﴾ [الأحقاف: ٢٤]، و﴿هَدۡيَۢا بَٰلِغَ ٱلۡكَعۡبَةِ﴾ [المائدة: ٩٥]، و﴿بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦ﴾ [الطلاق: ٣]، و﴿مُوهِنُ كَيۡدِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [الأنفال: ١٨]؛ لأنَّ التَّنوين مقدَّرٌ معه، ولهذا جاز تنوينُه فيمن قرأ: ﴿بالغٌ أمره﴾[٤]، و﴿موهنٌ كيد الكافرين﴾[٥]، و﴿وَٱللَّهُ مُخۡرِجٞ مَّا كُنتُمۡ﴾ [البقرة: ٧٢][٦].

---

(١) هذا ما ذهب إليه أبو علي الفارسي، والتقدير على هذا: مالكٌ يومَ الدين الأحكامَ والجزاءَ. انظر: «الحجة» لأبي علي الفارسي (١/ ١٩ ـ ٢٠)، و«المحرر الوجيز» لابن عطية (١/ ٧٠).

(٢) هـذا مذهب ابن السَّرّاج في المسألة. انظر: «الحجة» لأبي علي الفارسي (١/ ١٥)، و«المحرر الوجيز» لابن عطيـة (١/ ٧٠).

(٣) أعاد المصنِّف عبارته هنا في «غرائب التفسير» (١/ ١٠١)، وقد جاء فيها: (فلا يجري وصفاً على ما قبله)، وهذه العبارة تبيِّن المراد بمناقشة تعريف لفظ (مالك) أو تنكيره، وهو تجويز إعرابه صفة لما قبله.

(٤) قرأ حفص (بالغ) بغير تنوين و(أمره) بالخفض، والباقون بالتنوين ونصب (أمره). انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢١١).

(٥) للقراء السبعة فيها ثلاث قراءات؛ الحرميان وأبو عمرو (موهّنٌ كيد) بفتح الواو وتشديد الهاء، والباقون بإسكان الواو وبخفض الهاء، وحفص يترك التنوين، ويخفف الدال من (كيد) على الإضافة، والباقون ينونون وينصبون الدال. انظر: «التيسير» للداني (ص: ١١٦).

(٦) هي قراءة القراء العشر، ولم أقف على من قرأها على الإضافة، وقد ذكر ابن خالويه أنها قراءة بعضهم، وقد ذكر الزَّجّاج وجه الإضافة، وجوَّزه لغةً، ولم ينقل عن أحد أنه قرأ به. انظر: «معاني =

ويُروى عن خلفٍ وأبي عُبيدٍ وسهلٍ واليماني: (مالكٌ) بالتَّنوين (يومَ) بالنَّصب[١].

= غير أنَّ ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ حُمل على الماضي لتحقُّق لفظِه[٢]، كما حُمل عليه ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ١]، و﴿إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ﴾ [المائدة: ١١٠]، فأفاد التَّعريف[٣].

وقيل: هو بدل من (الله)[٤].

واختلفوا؛ فقال بعضهم: ﴿ملك﴾ أمدح، وقال بعضهم: ﴿مَٰلِكِ﴾ أمدح، ولكلٍّ احتجاجٌ.

و﴿ملك﴾ أمدح لاستغنائه عن الإضافة، واحتياج ﴿مَٰلِكِ﴾ إليها[٥].

وخُصَّ بالإضافة إلى ﴿يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ وهو يوم القيامة تعظيمًا لذلك اليوم، ولتفرُّدِه في ذلك اليومِ بنفوذ الأمر والسُّلطان.

= القرآن وإعرابه» للزَّجّاج (١/ ١٥٤)، و«مختصر في شواذّ القرآن» لابن خالويه (ص: ١٥).

(١) انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (١/ ٣٦)، وعزا هذه القراءة إلى عون العقيلي وخلف بن هشام وأبي عبيد وأبي حاتم. وذكرها ابن الجزري في أول كتابه «النشر» (١/ ٤٨) عن عاصم الجحدري.

(٢) أراد: لتحقق وقوعه.

(٣) أي: فجاز أن يكون ﴿مَٰلِكِ﴾ صفة لاسم الجلالة، وهذا أوجه وجوه إعرابه، قال النَّحّاس: (وفيه من العربية خمسة وعشرون وجهاً). انظر: «معاني القرآن» للأخفش (١/ ١٥)، و«إعراب القرآن» للنحاس (١/ ١٩)، و«إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم» لابن خالويه (ص: ٢٢).

(٤) انظر: «التبيان» للعكبري (١/ ٦).

(٥) هذا رأي المصنف، وقد مال الأزهري إلى عكسه فقال: (القراءتان كلتاهما ثابت بالسنة، غير أنّ ﴿مَٰلِكِ﴾ أحَبُّ إليَّ؛ لأنه أتم). انظر: «معاني القرءات» للأزهري (١/ ١١٠).

والدِّين: الجزاء، وهو الحقيقة فيه عند أكثرهم[(١)].

والدِّين: الحساب والقضاء أيضًا، ويُستعمَل للطّاعة والعبادة والمملكة.

والدِّين: الملّة[(٢)] اسمٌ شرعيٌّ.

ومعنى هذه الآيات: نحمدُ الله على تربيتِه إيّانا وإنعامِه علينا عاجلاً وآجلاً، وتفرُّدِه بالقضاءِ يومَ الجزاء لِيُوفِّرَ على المحسنِ ما استحقَّه فضلاً، وعلى المسيءِ عدلاً.

* * *

(٥) ـ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾.

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾: رجع من الغيبة إلى الخطاب على إضمار: قولوا: الحمد لله، وقولوا: إيّاك نعبد وإيّاك نستعين[(٣)].

وقيل: هذا من تلوين الخطاب.

إيّا: ضميرُ المنصوب المنفصل، والكاف: للخطاب لا محلَّ له من الإعراب، وهي مسألة خلافٍ[(٤)].

---

(١) انظر: «العين» (٨/ ٧٣) مادة (د ي ن)، و«مجاز القرآن» لابن قتيبة (١/ ٢٣)، و«معاني القرآن وإعرابه» للزَّجّاج (١/ ٤٧).

(٢) انظر: «إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم» لابن خالويه (ص: ٢٥).

(٣) ذكر كُثُرٌ أنَّ هذا من الانتقال من الغيبة إلى الخطاب، ولكن زاد ابن جني فأجاد، فذكر أنَّ الحمد معنًى دون العبادة، فاستعمل لفظ (الحمد) مع الغيبة، ولم يقل: لك، ولـمّا صار إلى العبادة التي هي أقصى أمدِ الطاعة قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾. انظر: «تفسير الطبري» (١/ ١٣٧ و١٥٠)، و«معاني القرآن» للنحاس (١/ ٦٥)، و«الحجة» لأبي علي (٢/ ٣٣١)، و«المحتسب» لابن جني (١/ ١٤٦).

(٤) ما ذكره المصنف هو مذهب سيبويه والفارسي، وذهب الخليل إلى أن الياء والكاف والهاء =

والعبادةُ: الطّاعةُ مع الخضوع.

ابن عيسى: هي خضوعٌ ليس فوقَه خضوعٌ.

وهي في اللُّغة: التَّذلُّل، من قولهم: طريقٌ معبَّدٌ؛ أي: مذلَّلٌ بكثرة الوَطء عليه(١).

والاستعانة: طلب المعونة، والمعونة: الزِّيادة على القوّة بما يسهِّل الوصول إلى البُغية.

وأخَّر الاستعانةَ ـ والتَّقديم بها أولى ـ لأنَّ المعنى: إيّاك نعبد وإيّاك نستعين على عبادةٍ نستأنفها، ولأنَّ الواو لا توجِبُ ترتيبًا.

ومعنى الآية: نخصُّك بالعبادة فتقبَّلْها، ونسألُكَ المعونةَ عليها فتمِّمها.

* * *

(٦) ـ ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾.

﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾: الهداية: الدِّلالة، تقول: هديته الطَّريقَ وللطَّريقِ وإلى الطَّريق(٢).

ابن عيسى: حقيقةُ الهدايةِ الدِّلالة على طريق الحقِّ.

= المتصلات بـ(إيّا) ضمائر، وثمة مذاهب أخرى للفراء والمبرِّد والزجّاج وابن كيسان والكوفيين. انظر: «الكتاب» (١/ ٢٧٩)، و(٢/ ٣٥٥)، و«معاني القرآن وإعرابه» للزَّجّاج (١/ ٤٨ ـ ٤٩)، و«الإغفال» لأبي علي الفارسي (٥٤ و٥٥)، و«الإنصاف» للأنباري (٢/ ٥٧٠)، و«شرح التَّسهيل» لابن مالك (٢/ ١٤٥ ـ ١٤٦).

(١) انظر: «معاني القرآن» للنحاس (١/ ٦٤)، و«الغريبين» للهروي (٤/ ١٢١٧).

(٢) فالفعل متعدٍّ بنفسه وباللام وبـ إلى. انظر: «تفسير الراغب الأصفهاني» (١/ ٥٨).

ومعنى ﴿ ٱهۡدِنَا﴾: ابن عبّاسٍ: أرشدنا[١].

الزَّجّاج في جماعةٍ: ثبِّتنا على الطَّريق[٢] الواضح[٣].

ابن جرير: هو مسألة التَّوفيق للثَّبات على الهدى[٤].

وقيل: هو سؤال الألطاف التي بها يكمل الاهتداء[٥].

والصِّراط: الطَّريق، وهو المكان المهيَّأ للسُّلوك، والمرادُ به هاهنا عند عليٍّ وابن عبّاسٍ: كتاب الله[٦].

ابنُ مسعود: الدِّين والإسلام[٧].

الحسنُ وأبو العالية: محمَّد عليه السَّلام[٨].

---

(١) نقل المصنف هذا عن «تفسير الماتريدي» (١/ ٣٦٦). وقد روى الطبري في «تفسيره» (١/ ١٧٣) عن ابن عباس: (ألهمنا الطريق الهادي، وهو دين الله الذي لا عوج له).

(٢) في (ن): «المنهاج».

(٣) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» للزَّجّاج (١/ ٤٩)، و«معاني القرآن» للنحاس (١/ ٦٦)، و«الزاهر» للأزهري (ص: ٦٧).

(٤) انظر: «تفسير الطبري» (١/ ١٦٦).

(٥) ذكر أبو علي الفارسي قريباً من هذا المعنى. انظر: «الحجة» لأبي علي (١/ ١٨٥)، و«البسيط» للواحدي (٦/ ٥٧٣).

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ١٧٣) عن علي وعبد الله رضي الله عنهما.

(٧) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ١٧٣) عن ابن مسعود وجابر بن عبد الله وابن عباس رضي الله عنهم.

(٨) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ١٧٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٣٠).

وقيل: طريق الجنّة(١)، وقيل: هو عامٌّ(٢).

وأصلُه السِّينُ؛ لأنَّ اشتقاقَه من (سرطْت الطَّعام)، قُلِبَ صادًا ليوافِقَ الطّاءَ في الإطباق، ويجوز بإشمام الزّاي ليوافق الطّاء في الجهر(٣).

والاستقامة: الاستواء.

ابن عيسى: المرورُ في جهةٍ واحدةٍ(٤).

***

(٧) ـ ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾.

﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ﴾: (صراط) بدلٌ من الأوَّل(٥)، والَّذين: اسمٌ موصولٌ وُضِعَ لوصف المعارف بالجُمل(٦).

والإنعام: حقيقتُه النَّفع الذي يُستحَقُّ به الشُّكر، وأصله من النِّعمة، وهي اللِّين والنَّعيم والخفض والدَّعة، وهو لينُ العيشِ ورفاهيَّتُه.

---

(١) أي: أرشدنا إلى طريق الجنة في المعاد، وقد أنكر الطبري هذا المعنى. انظر: «تفسير الطبري» (١/ ١٦٦).

(٢) هذا هو اختيار الإمام الطبري. انظر: «تفسير الطبري» (١/ ١٧١).

(٣) قرأ خلف: ﴿ٱلصِّرَٰطَ﴾ و﴿صِرَٰطَ﴾ حيث وقعا بإشمام الصاد الزاي، وخلاد بإشمامها الزاي في قوله عز وجل: ﴿ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ هنا خاصة، وقنبل ويعقوب الحضرمي بالسين، والباقون بالصاد، وقد رُوي عن أبي عمرو وحمزة وعاصم بالزاي. انظر: «تهذيب اللغة» للأزهري (١٣/ ١٢٤) مادة (ز ر ط)، و«معاني القراءات» للأزهري أيضاً (١/ ١١١)، و«التيسير» للداني (ص: ١٨ ـ ١٩).

(٤) ذكر الواحدي نحوه فقال: (الاستقامة استمرار الشيء في جهة واحدة). انظر: «البسيط» للواحدي (١/ ٥٢٨).

(٥) انظر: «المقتضب» (٤/ ٢٩٦)، و«إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٢٠).

(٦) انظر: «التعليقة» لأبي علي الفارسي (١/ ٢٦٨)، و«اللباب» للعكبري (٢/ ١١٣).

والمُنعَمُ عليهم؛ قيل: الأنبياء، وقيل: الملائكة، وقيل: المؤمنون، وقيل: هو النَّبيُّ ﷺ وأصحابُه(١)، وقيل: هم قوم موسى وعيسى عليهما السَّلام قبل أن غيَّروا نِعَمَ اللهِ عليهم(٢).

﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾: حقيقة (غير) ما صحَّ أن يُثنَّى مع المضاف إليه، ويدلُّ على مغايرة الوصف، أو الذّات، أو الذّات والوصف جميعًا.

والغضب: إرادة الانتقام.

وقيل: الغضب من الله: الذَّمُّ للعصاة على قبيح أفعالهم(٣).

والمغضوب عليهم: اليهود(٤)، وقيل: اليهود والنَّصارى(٥).

ولم يقل: المغضوبين؛ لأنَّ حرفَ الجرِّ مع المفعولِ كالجزء منه، فلا يُثنَّى ولا يُجمَع دونَه(٦).

---

(١) في (ن): «وقيل: وأصحابه».

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (١/ ١٧٨)، و«معاني القرآن» للنحاس (١/ ٦٨)، و«تفسير الماوردي» (١/ ٥٩)، و«تفسير الثعلبي» (٢/ ٤٥٦).

(٣) في هامش (و): «فائدة: معنى الغضب من الله تعالى: تغير النعمة وإرادة العقوبة، ومن الخلق: تغير الطبع».

(٤) قال الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٦١): (وهو قول جميع المفسرين)، وقد ذهب الرازي إلى أنهم الفساق أو الكفار. انظر: «تفسير الرازي» (١/ ١٦٦ و٢٢٣).

(٥) ذكر المصنف هذا القول في «غرائب التفسير» (١/ ١٠٥)، ولم أقف على مَن قاله.

(٦) ذكره نحوه الواحدي، أما العكبري فذكر أنَّ اسم الفاعل والمفعول إذا عمل فيما بعده لم يُجمع جمع السلامة. انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٢١)، و«البسيط» للواحدي (١٠/ ٣٤٠)، و«التبيان» للعكبري (١/ ١٠).

﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾: (لا): زيادةٌ دلَّتْ على تضمُّن (غير) معنى النَّفي، قال:

ما كان يرضَى رسـولُ اللهِ دينَهمُ والطَّيِّـبانِ أبو بكرٍ ولا عُمرُ[1]

زيدَ (لا) لَمّا تضمَّن أوَّلُ الكلام معنى النَّفي[2].

والضَّلالُ: نقيض الهدى، وأصله من الضَّياع، والضّالة التي تبقى بمضيعةٍ لا يعرفُ صاحبُها بها، وفيه لغتان: ضلَّ يضِلُّ، وضلَّ يضَلُّ[3].

وأضلَّه الله، وضلَّله، ويقال: أضلَّه: عاقبه بضلاله[4]، وقيل: حكم بضلاله[5].

والضّالُّون: النَّصارى[6].

وقيل: المغضوب عليهم: اليهود والنَّصارى، والضّالُّون: الكفّار[7].

ومعنى الآيات: ثبِّتنا على منهاج أنبيائك وأوليائك غيرَ مغضوبٍ علينا ولا ضالِّين.

---

(١) البيت لجرير. انظر: «ديوانه» (ص: ٢٠١).

(٢) انظر: «العين» (٨/ ٣٤٩)، و«معاني القرآن» للفراء (١/ ٨).

(٣) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزآبادي (ص: ١٠٢٤) مادة (ض ل ل).

(٤) انظر: «الغريبين» للهروي (٤/ ١٣٠٤).

(٥) ذكر هذا أبو علي الفارسي في «الحجة» (٥/ ٦٥)، وقيل: أضلَّه الله: وجده ضالاًّ، وقيل: معناه ضلَّ عن الله. انظر: «تفسير الماتريدي» (٩/ ١٣٧)، و«المحتسب» لابن جني (١/ ٢٢٨)، «النكت والعيون» للماوردي (٥/ ٢٦٥).

(٦) ذُكر هذا في أحاديث مرفوعة صحيحة. انظر: «مسند الإمام أحمد» (٢٠٣٥١)، و«تفسير الطبري» (١/ ١٩٤). وقال الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٦١): (وهو قول جميع المفسرين).

(٧) لم أقف على مَن قال هذا، ولكن ذهب الرازي إلى أن الضالين الكفار وكل مَن أخطؤوا في الاعتقاد، وذكر أنه يُحتمل أن يُراد بهم المنافقون. انظر: «تفسير الرازي» (١/ ١٦٦ و٢٢٣).

(آمين) وفيه لغتان: القصر والمدُّ[(١)].

وفي معناه قولان:

أحدهما: أنَّه اسمٌ من أسماء الله تعالى[(٢)].

والثَّاني: أنَّها من الأسماء التي سُمِّيت بها الأفعال، ومعناه: اللَّهمَّ استجب[(٣)]، عن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما[(٤)]، وقيل: كذلك يكون[(٥)].

***

(١) ذكرهما ابن قتيبة في «غريب القرآن» (ص: ١٢ ـ ١٣)، واختار المدَّ، وذكرهما ثعلب في «الفصيح» (ص: ٣١٥)، وذكر ابن درستويه في «تصحيح الفصيح» (ص: ٤٦٧) أن القصر ضرورة، وأنَّ الرواة رووه عن النبيِّ ﷺ بالمدِّ.

(٢) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (٢٦٥١) عن أبي هريرة، وذكره ابن قتيبة من قوله في «غريب القرآن» (ص: ١٢)، ورأى أبو علي الفارسي في «الحلبيات» (ص: ١٠١): أن قائل هذا ذهب إلى أنَّ الضمير المستتر في اسم الفعل يعود على الله تعالى، لا أنَّ هذا اللفظ من أسماء الله سبحانه وتعالى.

(٣) هذا قول الزَّجّاج في «معاني القرآن وإعرابه» (١/ ٥٤)، وذكره أبو علي الفارسي في «الحلبيات» (ص: ٩٨)، والهروي في «الغريبين» (١/ ١١٠)، والماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٤٤٨) عن الحسن.

(٤) لم أقف على من ذكر هذا اللفظ عن ابن عباس، وقد روى الثعلبي في «تفسيره» (٢/ ٤٧٧) بإسناد واهٍ عن ابن عباس مرفوعاً أنَّ معناه: افعل.

(٥) ذكره الأنباري في «الزاهر» (١/ ٦٦)، والسمرقندي في «تفسيره» (١/ ١٩)، والثعلبي في «تفسيره» (٢/ ٤٧٧)، وقال الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٤٤٨): (فرق ابن عباس في معنى آمين بين وروده بعد الدعاء وبين وروده بعد فاتحة الكتاب فقال: معناه بعد الدعاء: اللهم استجب، ومعناه بعد الفاتحة: كذلك فليكن).

سُورَةُ البَقَرَةِ

سورة البقرة

مئتان وثمانون وستُّ آياتٍ[1]، مدنيّة.

بسم الله الرّحمن الرّحيم

(١) ـ ﴿الٓمٓ﴾.

﴿الٓمٓ﴾: اختلف المفسِّرون في تأويل الحروف التي تقع أوائل السُّور، فذهب ابن عبّاسٍ في ﴿الٓمٓ﴾ إلى: أنَّه قسمٌ أقسم الله تعالى به[2].

السُّدِّي: هو اسم الله الأعظم[3].

قتادة: اسمٌ من أسماء القرآن[4].

وقيل: اسم السُّورة[5]، وكذلك سائرها أسماءٌ للسُّور، تُعرَف كلُّ سورةٍ بما بُدئَت به.

أبـو عبيـدة ـ رحمـة الله عليه ـ قال فـي كتاب «المجـاز»: إنَّها لافتتـاح الكلام،

---

(١) «مئتان وثمانون وست آيات» من (ن).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٢٠٧).

(٣) رواه الطبـري فـي «تفسـيره» (١/ ٢٠٦)، وابـن أبي حاتم في «تفسـيره» (١/ ٣٢) عن السـدي عن ابـن عباس.

(٤) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٣٣) عن مجاهد، وذكره عن قتادة وزيد بن أسلم.

(٥) في (ن): «اسم للسورة».

كقولـه: ألا[١]. وإليـه ذهب الأخفش، وقـال: هو لافتتاح كلامٍ وانتهـاء كلامٍ[٢].

الزَّجّاج: كلُّ واحدٍ من هذه الحروف مأخوذٌ من كلامٍ يعرفُه المخاطب[٣].

قال: ونظيرُه من كلامهم قول الشّاعر:

قلْتُ لها قـفـي فقالَتْ[٤] قـاف لا تحسبي أنّا نَسِيْنا الإيجاف[٥]

تريد: وقفْتُ، فاستُغْنِيَ عنها بحرفٍ منها.

ومثل هذا أو قريبٌ منه ما رُوي عن ابن عبّاسٍ أيضًا أنّه قال: ﴿الٓر﴾ و﴿حمٓ﴾ و﴿نٓ﴾ مجموع الرَّحمن[٦].

وعنه: الألف: آلاء الله، واللّام: لطفه، والميم: ملكه[٧].

ومثله: الألف: الله سبحانه، واللّام: جبريل، والميم: محمَّد عليه السلام، فكأنَّه قال: من الله إلى جبريل إلى محمَّد ﷺ[٨].

---

(١) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ٢٨).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للأخفش (١/ ٢١).

(٣) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» للزَّجّاج (١/ ٦٢).

(٤) في النسخ الخطية: «فقالت لي»، وكذا وردت في بعض المصادر، وجاء في بعضها: (فقالت) فقط، وفي أخرى (قالت) فقط، وجاء أيضاً: (قلنا لها قفي لنا قالت)، وجاء غير ذلك.

(٥) نُسب البيت للوليد بن عقبة بن أبي مُعَيطٍ في «الأغاني» للأصفهاني (٤/ ١٨١)، وهو بلا نسبة في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٧٥)، و«تأويل مشكل القرآن» لابن قتيبة (ص: ١٨٩)، و«تفسير الطبري» (١/ ٢١٦)، و«معاني القرآن وإعرابه» للزَّجّاج (١/ ٦٢).

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ١٠٣).

(٧) انظر: «تنوير المقباس من تفسير ابن عباس» للفيروزآبادي (ص: ٣)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١/ ١٣٩)، والبغوي في «تفسيره» (١/ ٥٩) عن محمد بن كعب.

(٨) ذكره الواحدي في «البسيط» (٥/ ١٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما من رواية عطاء، وإسناده ساقط.

الفرّاء وقُطْرُب: المراد بها جميع حروف المعجم، فاقتصر على بعضه[١]، كما يقول القائل: (فلانٌ يتعلَّم ا ب ت ث) والمراد جميعه، وكذلك: (يتعلَّم أبجد) والمراد تمامه، و(الحمد) والمراد به السُّورة، ويكون المعنى: هذه السُّورة وسائرها من هذه الحروف التي تعرفونها، فَأْتوا بسورةٍ من مثله.

ويُروى عن أبي بكرٍ أنَّه قال: لله عزَّ وجلَّ في كلِّ كتابٍ سرٌّ، وسرُّه في القرآن هذا[٢].

ورُوي عن عليِّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه أنَّه قال: لكلِّ كتابٍ صفوة، وصفوةُ هذا الكتاب التَّهجِّي به[٣].

الضَّحّاك: هي[٤] الصَّوافي الخوالص التي لا يعلمُها إلّا الله تعالى.

وقيل: لمَّا قال المشركون: ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ﴾ [فصلت: ٢٦] افتتح اللهُ السُّورة بما لا يعرفونه؛ لتتطلَّعَ نفوسُهم إلى سماع ما بعدَها؛ ليعرفوا منه ما قبله، فيصير ذلك داعيًا إلى سماعه وتفهُّم معانيه[٥].

وقيل: هي من المتشابهات التي تُعبِّدنا بالإيمان بها دون الوقوف عليها.

ورُوي عن أبي العالية أنه قال: ما منها[٦] حرفٌ إلّا وهو في مدّة قومٍ وآجال آخرين[٧].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٣٦٨)، وذكره الزَّجّاج في «معاني القرآن وإعرابه» (١/ ٥٥) عن قطرب.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ١٩)، والرازي في «تفسيره» (٢/ ٢٥٠).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ١٩)، والبغوي في «تفسيره» (١/ ٥٩).

(٤) في (ن): «هي من».

(٥) ذكر الزَّجّاج نحوه عن قطرب في «معاني القرآن وإعرابه» (١/ ٦٢).

(٦) في (و): «من».

(٧) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٣٣)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٢١).

(٢) ـ ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾.

﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾: (ذا): إشارةٌ إلى الحاضر المذكَّر، واللّام يُنبئ عن الغيبة وقطع الإضافة.

واختلفوا في المشار إليه؛ فقال أبو عبيدة: هو القرآن، وقام (ذلك) مقام (هذا)[1]، كقوله:

أقُولُ لَهُ والرُّمْحُ يأطِرُ مَتْنَهُ تَأَمَّلْ خُفافًا إنَّني أنا ذَلِكا[2]

أي: أنا هذا.

وقيل: إذا لم يكن المشار إليه جثةً جاز العبارة عنه بـ: (ذلك) و(هذا).

قال الأصمُّ: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾ إشارةٌ إلى ما تقدَّم من القرآن[3].

وقيل: إشارةٌ إلى ذكر القرآن في التَّوراة والإنجيل.

وقيل: إشارةٌ إلى ما وعد اللهُ به نبيَّه في قوله: ﴿إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا﴾ [المزمل: ٥].

وقال سعيد بن جبيرٍ: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى اللَّوح المحفوظ[4].

وقيل: إشارةٌ إلى التَّوراة والإنجيل.

---

(١) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ٢٨ ـ ٢٩).

(٢) البيت لخفاف بن ندبة كما في «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ٢٨ ـ ٢٩)، و«تفسير الطبري» (١/ ٢٣١)، و«النكت والعيون» للماوردي (١/ ٦٧).

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٦٧)، وذكره الطبري في «تفسيره» (١/ ٢٣٠) دون نسبة.

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٤٢).

والكاف في ﴿ذَٰلِكَ﴾ خطابٌ للنَّبيِّ ﷺ، وقيل: لليهود فيمن قال: ﴿ٱلْكِتَٰبُ﴾: التَّوراة والإنجيل.

و(الكتاب): المكتوب؛ فجاز أن يكون مكتوبًا في اللَّوح المحفوظ، وجاز أن يكون المعنى: من شأنه أن يُكتَب.

وقيل: هو من (الكَتْب)؛ الذي هو الجمع، لا من (الكتابة).

﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ ابن عيسى: الرَّيب: الشَّكُّ مع تهمة المشكوك فيه، تقول: أرابني الرَّجل؛ إذا اتَّهمتَه بشيءٍ غير متحقِّقٍ، ورابني: تيقَّنته[1].

وكلُّ ريبٍ في القرآن غير ريب المنون شكٌّ[2].

والمعنى: لا سببَ ريبٍ فيه.

ابن عيسى: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ أنَّه هدًى وبيانٌ.

وقيل: ﴿لَا رَيْبَ﴾ أنَّه من عند الله؛ أي: حقٌّ أنَّه من عنده.

ابن بحرٍ[3]: الرَّيب: الظَّنُّ السَّيِّئ، وقوله: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ إزالةُ ما ادَّعاه الكفرةُ في القرآن من الكهانة والكذب والسِّحر وأنَّه يعلِّمه بشرٌ[4].

---

(١) أي: هناك فرق بين (أرابني) و(رابني) بغير ألف، فأرابني: شككني وأوهمني الريبة، فإذا استيقنته، قلت: رابني؛ بغير ألف. انظر: «الغريبين» للهروي (٣/ ٨٠٣).

(٢) ذكر ذلك أبو حيان في «البحر المحيط» (٨/ ٤٢٨).

(٣) نقل عنه المصنف هنا وفي «غرائب التفسير»، وهو: أبو مسلم محمد بن بحر الأصبهاني الكاتب، كان نحويًّا كاتباً بليغًا، مترسِّلاً جدلاً، متكلِّمًا معتزليًّا، عالـمًا بالتفسير وغيره من صنوف العلم، وصار عالم أصبهان وفارس، مولده سنة ٢٥٤هـ، وتوفي سنة ٣٢٢هـ، له «جامع التأويل لمحكم التنزيل» أربعة عشر مجلداً. انظر: «بغية الوعاة» للسيوطي (١/ ٥٩)، و«طبقات المفسرين» للداودي (٢/ ١٠٩ـ ١١٠).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ١١٤).

وقيل: ظاهره نفيٌ والمعنى نهيٌ؛ أي: لا ترتابوا فيه.

﴿هُدًى﴾: مصدر هديت، ومثلُه السُّرى والتُّقى؛ أي: دالٌّ ومرشدٌ.

﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾ ابن عبّاسٍ: الذين يحذرون عقوبته(١).

الحسن: اتَّقوا ما حُرِّم عليهم(٢).

وقيل: يتَّقون الشِّرك.

وخصَّهم بالذِّكر لظهور تأثيره فيهم وتفرُّدهم بقَبوله، ولأنَّ تخصيصَ الشَّيء بالذِّكر لا يدلُّ على نفي ما عداه، وجاء ذلك في القرآن في مئتين وستّة وثلاثين موضعًا.

وأصل الاتِّقاء: الحجز بين الشَّيئين، يُقال: اتَّقاه بتُرْسٍ، ومنه: الوقاية، ووقاهُ الله، والتَّقيّة، والتَّقوى(٣).

***

(٣) ـ ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾.

﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾: أصل الإيمان التَّصديق، من قوله: ﴿وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾ [يوسف: ١٧]، وقيل: أصلُه الأمن؛ أي: يُؤمِنون أنفسَهم من النّار(٤)، وقيل: أصله الطُّمأنينة.

والغيب: ابن عبّاسٍ: ما جاء من عند الله(٥).

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٢٣٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٣٥).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٢٣٧).

(٣) انظر: «المخصص» لابن سيده (٤/ ٦١).

(٤) «وقيل أصله الأمن أي يؤمنون أنفسهم من النار» من (ن).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٢٤٢)،

عطاء: الغيب هو الله سبحانه[١].

الحسن وغيره: بالدّار الآخرة، والثّواب والعقاب، والبعث والحساب[٢].

وقيل: يؤمنون بظهر الغيب، كقوله: ﴿يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ﴾ [الأنبياء: ٤٩]، فيكون حالاً، والمفعول به محذوفٌ[٣].

وعلى القول الأوَّل: مفعول به[٤].

ابن عيسى: الغيب: ما غابَ عن الحاسّة ممّا يُعلَم بالأدلّة.

الأخفش: يؤمنون بما غابَ عن أفهامِهم من متشابهات القرآن[٥].

﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ﴾: يؤدُّونها، وسمَّى أداء الصَّلاة إقامةً؛ لما فيها من القيام حقيقةً[٦].

وقيل: هو من تقويم الشَّيء.

الزَّجّاج: يأتون بها تامَّةً بجميع حقوقها[٧].

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٣٦).

(٢) ذكر الثعلبي في «تفسيره» (١٣/ ٢٠) خبراً عن الحسن يفيد ما ذكر المصنف، وقد رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٢٤٢) عن قتادة وعن الربيع بن أنس، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٣٦) عن أبي العالية والسدي.

(٣) والمعنى: يؤمنون إذا غابوا عنكم، ولم يكونوا كالمنافقين الذين يُظهرون الإيمان إذا كانوا معكم فقط.

(٤) المراد: أن الغيب على الوجه الأول ـ وهو كلُّ ما سبق الوجه الأخير ـ في موضع المفعول، فهو مُؤْمَنٌ به.

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ١١٥).

(٦) في (ن): «على الحقيقة».

(٧) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» للزَّجّاج (١/ ٧٢).

والقيام: الانتصاب في جهة العلوِّ على الاستواء، والإقامة: جعل الغير قائمًا، والمقاومة[1]: المساواة.

والصلاة: عبادةٌ تحريمها التَّكبير وتحليلها التسليم.

ابن عيسى: أصلها الدُّعاء.

وقيل: هو من رفعِ (الصَّلا) في الرُّكوع والسُّجود، وهو عظمٌ في العَجْب[2].

وقيل: أصلها اللُّزوم، ومنه: صَلَى النّارِ[3].

﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾: أعطيناهم.

الزَّجّاج: ملَّكناهم[4].

والرِّزق: العطاء، وقيل: الملك، وقيل: الحظُّ، وضدُّه الحرمان، وكلُّ ما يصل إلى العبد من عطيّةٍ فهو رزق الله؛ حلالاً كان أو حرامًا.

﴿يُنفِقُونَ﴾: يخرجونه من ملكهم بالتَّرجِّي إلى الثَّواب[5] كالزَّكاة والصَّدقة والجهاد، وأصل الكلمة من الخروج والإخراج.

***

(٤) ـ ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾.

---

(١) كذا في النسخ الخطية، ولعل المراد: الاستقامة.

(٢) أي: عجب الذَّنَب. انظر: «جمهرة اللغة» لابن دريد (٢/ ٨٩٧) مادة (ص ل و).

(٣) أي: دفؤها، وهو قول الزَّجّاج. انظر: «معاني القرآن وإعرابه» له (١/ ٢٣٢).

(٤) ذهب الزَّجّاج إلى أن الرزق هو المِلك في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ﴾ [النحل: ٧١]. انظر: «معاني القرآن وإعرابه» للزَّجّاج (٣/ ٢١٢).

(٥) «إلى الثواب» من (ن).

﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ﴾ يعني: القرآن.

﴿وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾: سائر كتب الله المنزَّلة على النَّبيِّين.

﴿وَبِٱلْآخِرَةِ﴾؛ أي: بالدَّار الآخرة، وقيل: بالنَّشأة الآخرة.

﴿هُمْ يُوقِنُونَ﴾: يعلمون بالدَّلائل.

وأصل الإنزال: التَّصيير إلى جهة السُّفل، وكذلك التَّنزيل، والنُّزول: الانتقال إلى جهة السُّفل.

و(قَبْل): لِما مضى من الزَّمان، و(بعد): لِما يأتي.

والآخِرُ: الموجودُ بعد الشَّيء.

﴿هُمْ﴾: يجوز أن يكون فصلاً، ويجوز أن يكون مبتدأً.

والإيقان: علمُ الشَّيء بالاستدلال.

* * *

(٥) ـ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾؛ أي: الموصوفون بما تقدَّم من الوصف ﴿عَلَىٰ هُدًى﴾: بيانٍ ورشدٍ ﴿مِّن رَّبِّهِمْ﴾: من عند الله.

﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾: الظّافرون بالبُغية، وأصل الفلاح: الظَّفر بالبُغية.

وقيل: هم الباقون في النَّعيم، والفلاح: البقاء.

وقيل: أصله النَّجاح، وقيل: أصله القطع.

* * *

(٦) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: ستروا وجحدوا نعم الله ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ﴾: متساوٍ عندهم ﴿ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ﴾: أحذَّرتهم أم تركْتَ التَّحذير ـ واللَّفظُ للاستفهام، والمعنى التَّسوية ـ ﴿لَا يُؤۡمِنُونَ﴾.

الكفر في الشَّرع: اسمٌ وُضِع على المعاصي التي يُستَحَقُّ بها العذابُ الأشدُّ، وهو في اللُّغة: السَّتر، والكافر: الزَّارع، والكافر: اللَّيل، ومنه: كُفُرَّى الطَّلعِ[1].

والسَّواء: الاعتدال.

والإنذار: الإعلام بالمخافة لتُتَّقى، وقيل: التَّحذير.

ويظهر معنى الآية بالإعراب:

﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم ﴿إِنَّ﴾، و﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ﴾: خبره، ﴿لَا يُؤۡمِنُونَ﴾: خبرٌ بعدَ خبرٍ.

ويحتمل أن يكون ﴿لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ الخبر، و﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ﴾ اعتراضٌ لا محلَّ له من الإعراب.

وقيل: ﴿لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ استئنافٌ؛ أي: هم لا يؤمنون، وقيل: دعاءٌ؛ أي: لا آمَنُوا.

* * *

(٧) ـ ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾.

﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞ﴾.

الختم: الطَّبع بالخاتم.

---

(١) أي: وعاء طلعِ النخل، وهو الكافور أيضاً. انظر: «المحكم» لابن سيده (٧/ ٥) مادة (ك ف ر).

والقلب: الفؤاد، سُمِّي قلبًا لتقلُّبه بالخواطر والعُزوم، وهو محلُّ العَزْم والفِكْر، وكذلك العلم والقَصد.

أي: طبَعَ عليها.

وقيل: جعل عليها نكتةً سوداء.

وقيل: إنَّما هو ذمٌّ؛ أي: كأنَّها مختومةٌ، مثل قوله: ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ ﴾ [البقرة: ١٨].

والسَّمْع والسَّماع: مصدران لـ(سَمِعَ)، والسَّمْع: الأُذُن أيضًا.

وللتَّوحيد[١] وجهان:

أحدهما: أنَّ المراد به المصدر، فلا يُثنَّى ولا يُجمَع، والتَّقدير: على مواضع سمعهم.

والثاني: المراد به الجارحة، ولَمّا كان المضافُ إليه جمعًا اكتُفِيَ به، كقوله:

.... فـي حَلْقِكُـم عَظْـمٌ وقَـدْ شُـجِيْنا[٢]

و﴿أَبْصَـٰرِهِمْ﴾: جمع بصرٍ، وهي حاسّـةٌ يُدرَكُ بها الـمُبْصَرُ، ويُستعمَل للمصدر أيضًا.

والغشاوة: الغطاءُ الشّامل.

والمعنى: جعل قلوبَهم بحيثُ لا تَفهم، وآذانَهم بحيثُ لا تَنتفع بالمسموع، وأبصارهم بحيثُ لا تَنتفِع بالمرئيِّ.

---

(١) أي: إفراد السمع مع أنه لجماعة.

(٢) هو عجز بيت للمسيب بن زيد مناة الغنوي، والشاهد فيه: قوله: حلقكم، والمراد: حلوقكم. انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (٢/ ١٩٥)، و«لسان العرب» (١٤/ ٤٢٣) مادة (ش ج ي)، وصدره:

لا تنكـــروا القتـــل وقـــد سُـــبينا

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾: العذاب: إيصالُ الألم حالاً بعد حالٍ.

ابن عيسى: أصل العذاب: استمرارُ الشَّيء.

والعظيم: الدّائم الذي لا ينقطع، والعِظَم في الأصل: الزِّيادة على المقدار، ثم ينقسم إلى: عظم الشَّأن، وعظم الأجسام، والله عظيمٌ من عِظم الشَّأن.

وقال الضَّحّاك: هاتان الآيتان نَزَلَتا في أبي جهلٍ وخمسةٍ من أهل بيته[1]؛ أعلمَ اللهُ أنَّهم لا يؤمنون، وكان كما أعلمَ، فصار من أعظم المعجزات.

الكلبيُّ: نزلت في اليهود[2].

* * *

(٨) - ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾: نزلت في المنافقين.

والنّاس والإنس: البشر، واشتقاقه عند بعضهم من (النَّوْس) وهو الحركة، و(نُوَيسٌ)[3] يشهد له، وعند بعضِهم من (الأُنس)، وأصله: أناسٌ؛ فحُذِفَت الهمزة، وقيل: من (النِّسيان) بدليل (الأُنَيْسِيان)[4]، وفيه بعدٌ.

والقولُ: كلامٌ يقتضي الحكاية، يقعُ على المفيد وغير المفيد.

واليوم الآخر: لأنَّه بعد أيّام الدُّنيا، وقيل: لأنَّه آخرُ يومٍ ليس بعدَه ليلةٌ.

---

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (١/ ٢٩٢)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٢٩).

(٢) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (١/ ٢٤)، والواحدي في «الوسيط» (١/ ٨٣)، والبغوي في «تفسيره» (١/ ٦٤)، وذكره الطبري في «تفسيره» (١/ ٢٥٩) دون نسبة.

(٣) وهو تصغير ناس. انظر: «الكتاب» (٣/ ٤٨٦)، و«الحلبيات» لأبي علي الفارسي (ص: ١٧٢).

(٤) وهو تصغير إنسان. انظر: «العين» (٧/ ٣٠٤)، و«الكتاب» (٣/ ٤٨٦).

والمعنى: من النّاس منافقون يُظهرون خلافَ ما يُبطنون وليسوا هم بمؤمنين، فدلَّ أنَّ الإيمانَ إقرارٌ واعتقادٌ، خلافًا للكرّاميّة لأنَّهم يقولون: إقرار باللِّسان[1].

***

(٩) ـ ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾.

﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ الزَّجّاج: يُبطنون خلاف ما يُظهرون[2].

وأصل الخَدْع: الإخفاء، ومنه: (المِخْدَع) للخزانة، و(الأخدعان) في اللَّبَّتَيْنِ؛ لخفائهما[3].

وقيل: أصله الفساد، قال الشّاعر:

أَبْيَضُ اللَّوْنِ لَذِيذٌ طَعْمُهُ ... طَيِّبُ الرِّيقِ إذا الرِّيْقُ خَدَعْ[4]

أي: يفسدون ما يُظهرون بما يُضمرون.

وقال أبو عليٍّ: يخادعون رسولَ الله، فحذفَ المضاف[5].

---

(١) «خلافاً للكرامية لأنهم يقولون إقرار باللسان» من (ن). والكرامية فرقة منسوبة إلى محمد بن كرام (ت: ٢٥٥هـ)، وهم يثبتون الصفات، ويميلون إلى التجسيم، ويزعمون أن الإيمان هو الإقرار بشهادة الإسلام لفظاً، وأن المنافقين والزنادقة مؤمنون حقّاً إن أقروا بالشهادة. انظر: «الفرق بين الفرق» للإسفراييني (ص: ٩)، و«الملل والنحل» للشهرستاني (١/ ١٠٨)، و«شرح العقيدة الطحاوية» لابن أبي العز (٢/ ٤٦٠).

(٢) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» للزّجّاج (١/ ٨٥).

(٣) واللبتان: في صفحة العنق. انظر: «العين» (١/ ١١٥)، و«تهذيب اللغة» للأزهري مادة (خ د ع).

(٤) البيت لسويد بن أبي كاهل. انظر: «أمالي القالي» (٢/ ٣١٧)، و«الصحاح» (٣/ ١٢٠٢) مادة (خ د ع)، و«المخصص» لابن سيده (١/ ٢٨٩).

(٥) انظر: «الحجة» لأبي علي الفارسي (١/ ٣٢٤).

وقيل: يعملون عملَ المخادع.

ابن عيسى: الخِداع: الإيهامُ بخلاف الحقِّ بالتَّمويه والتَّغرير.

و(فاعَلَ) هاهنا بمعنى: فَعَلَ، كقولهم: عافاهُ اللهُ، وطارقْتُ النَّعْلَ، وغيره(١).

وقيل: نزَّلَ ما يخطرُ ببالِه ويهجسُ في ضميره من الخدع منزلةَ آخر يجاريه ذلك ويعارضه إيّاه، ومثل هذا: ﴿قالَ اعْلَمْ﴾ [البقرة: ٢٥٩] بالوصل(٢).

﴿وما يُخادِعُونَ إلّا أنفسَهُم﴾ لأنَّهم علموا أنَّ اللهَ لا يُخدَع ولا يخفى عليه شيءٌ، وقيل: لأنَّ وبالَ خداعهم عادَ عليهم.

ومن قرأ: ﴿يَخْدَعُونَ﴾(٣)، فمعناه: لا يغلبون في الخداع إلا أنفسهم، كما تقول: قامرْتُه فقمَرْتُه.

ونفْسُ الشَّيءِ: ذاتُه، وأصلُها من النَّفاسة، يقال: نَفِسَ بالشَّيء؛ إذا ضنَّ به لجلالته، ويُذكَر للرُّوح، ويُذكَر للتَّأكيد أيضًا.

﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾؛ أي: وما يعلمون ذلك، وقيل: هذا متَّصل بقوله: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ﴾، وما يشعرون أنَّ الله يعلم ما يسرُّون وما يعلنون.

---

(١) أي: لا يدلُّ على المشاركة. انظر: «الحجة» لأبي علي الفارسي (٢/ ٣٣٨).

(٢) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم وابن عامر: ﴿قَالَ أَعْلَمُ﴾، وقرأ حمزة والكسائي: ﴿قالَ اعْلَمْ﴾، والمعنى لـمّا تبيَّن لصاحب هذه المعجزة ما تبيَّن من قدرة الله أنزل نفسه منزلة غير المُتيَقِّن وخاطبها لتزداد يقيناً. انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ١٨٩)، و«الحجة» لأبي علي الفارسي (٢/ ٣٨٣).

(٣) قرأ عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي: ﴿يَخْدَعُونَ﴾ بفتح الياء بغير ألف، وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بالألف والياء المضمومة. انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ١٤١)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٢).

الزَّجّاج: أراد بقوله: ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ أنَّهم يخدعونها[(١)].

والشِّعْرُ: العلمُ بالشَّيء من وجهٍ يدِقُّ ويلطُف، ومنه: الشِّعر والشَّعيرة، وقيل: هو العلم يحصل بالحسِّ[(٢)]؛ من (الشِّعار)، وهو الثَّوب الذي يلي[(٣)] الجسد ويُحَسُّ به.

***

(١٠) ـ ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ﴾.

﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾: شكٌّ.

مقاتلٌ: نفاقٌ[(٤)].

وقيل: فسادٌ.

وقال ثعلبٌ: ﴿مَّرَضٌ﴾: اللّيل، والمرض: الظّلمة[(٥)]، وأنشد:

فـي ليلـةٍ مَرِضَـتْ فـي كلِّ نـاحيةٍ ... فما يضـيءُ لهـا شـمسٌ ولا قَمَـرُ[(٦)]

وأصل المرض: خروج المزاج من الاعتدال.

---

(١) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» للزَّجّاج (١/ ٨٥)، وفيه: (تأويله أن الخداع يرجع عليهم بالعذاب والعقاب).

(٢) ذُكر هذا عن الطبرسي. انظر: «معجم الفروق اللغوية» (ص: ٣٧٣).

(٣) في (و): «على».

(٤) انظر: «تفسير مقاتل بن سليمان» (١/ ٩٠).

(٥) انظر كلام ثعلب في: «الزاهر» للأنباري (١/ ٤٧٥)، و«تهذيب اللغة» للأزهري (١٢/ ٢٦) مادة (م ر ض).

(٦) البيت لأبي حية النميري. انظر: «العشرات في غريب اللغة» لغلام ثعلب (ص: ٦٨)، و«التكملة والذيل» للصغاني (٤/ ٩٣).

والمعنى: شكُّوا فيما أنزل الله من الكتب، ﴿فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾ بما أنزلَ من القرآن، فشكُّوا فيه كما شكُّوا في الذي قبله.

وقيل: في معتقدهم خللٌ يمنع من الصِّحة، كما يمنع المرضُ الصِّحةَ من العليل.

وقيل: في قلوبهم غمٌّ بظهور النَّبيِّ عليه السَّلام، فزادهم الله مرضًا بنصره.

وقيل: هذا دعاء عليهم؛ أي: ﴿فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾: شكًّا ونفاقًا وغمًّا وظلمةً.

والزِّيادةُ: الإلحاقُ[1] بالمقدار ما ليس منه، والنُّقصانُ: الإخراجُ عن المقدار ما هو منه، والتَّمامُ: البلوغُ حدَّ المقدارِ من غير زيادةٍ ولا نقصانٍ.

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: مؤلِـم، وفَعِيل يأتي على وجوهٍ[2].

ابن عيسى: الألم يعمُّ كلَّ أذًى صَغُرَ أو كَبُرَ.

﴿بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ﴾ (ما) هاهنا في تأويل المصدر، وهو حرفٌ عند سيبويه، ولا عائدَ بعده[3].

والكذبُ: ضدُّ[4] الصِّدق، وهو الإخبار بالشَّيء على خلاف ما هو.

وقال أبو عليٍّ: حقيقة الكذبِ انتفاءُ الشَّيء[5]، ومنه:

---

(١) في (و): «والإلحاق: الزِّيادة».

(٢) منها أنه يأتي بمعنى الفاعل كـ (أليم)، ويأتي بمعنى المفعول كـ (قتيل).

(٣) انظر: «التبيان في إعراب القرآن» للعكبري (١/ ٢٧).

(٤) في (ن): «نقيض».

(٥) انظر: «الحجة» لأبي علي الفارسي (١/ ٣٣٥).

.... كَذَبَ القَراطِفُ والقُروفُ[1]

والكذب: انتفاء الصِّدق.

وقرئ بالتَّشديد[2]؛ أي: بتكذيبهم آيات الله ورسوله، والتَّكذيب: نسبةُ المخبِرِ إلى الكذب.

***

(١١ ـ ١٢) ـ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ (١١) أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾.

﴿وَإِذَا قِيلَ﴾: (إذا): ظرفٌ للمستقبل، وفيه معنى الشَّرط.

﴿لَهُمْ﴾: لمن تقدَّم ذكرهم من المنافقين.

وعن سلمان الفارسيّ رضي الله عنه أنَّ أهل هذه الصِّفة لم يأتوا بعد[3].

﴿لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ ابن عبّاس: بالكفر والمعصية[4]، وقيل: بتعويق النّاس عن الإيمان.

---

(١) البيت لمعقّر بن حمار البارقي، كما في «الجيم» لأبي عمرو الشيباني (٣/ ٧٩)، و«غريب الحديث» لأبي عبيد (٤/ ١٤٩)، و«إصلاح المنطق» لابن السكيت (ص: ١٩)، وتمامه:

وذبيانيّــةٍ أوصَــتْ بنيهــا ... بأنْ كذبَ القراطفُ والقروف

أي: عليكم بالقراطف والقروف فاغتنموها، فجاء الكذب هنا بمعنى الإغراء، والقراطف: الأكسية، والقروف: الأوعية.

(٢) قرأ الكوفيون ـ عاصم وحمزة والكسائي ـ بفتح الياء وتخفيف الذال، وقرأ الباقون بالضم والتشديد. انظر: «التيسير» للداني (ص: ٧٢)، و«النشر» لابن الجوزي (٢/ ٢٠٧).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٢٩٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٤٥).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٢٩٧).

الحسن: بإبطان الكفر وإظهار الإيمان[١].

وقيل: بممايلة[٢] الكفّار.

والإفساد: التَّغيير عن استقامة الحال، والفساد: التَّغيُّر عنها، تقول: فسدت التُّفّاحة؛ إذا تغيَّرت[٣].

والأرض: هي الغبراء التي عليها مستقرُّ الخلق.

﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ﴾ ابن عيسى: على جهة الإظهارِ لذلك والانطواءِ[٤] على خلافه.

الجمهور: أي: الذي نحن عليه صلاحٌ عند أنفسنا[٥].

وقيل: لأنَّ الغَلَبة أخيرًا لهم، فيُبقون[٦] علينا، فيمن جعل الفساد الممايلة[٧].

والإصلاح: التَّغيير[٨] إلى استقامة الحال.

---

(١) ذكره الماتريدي دون نسبة في «تأويلات أهل السنة» (١/ ٣٨٤).

(٢) الممايلة: المصالحة والمهاودة. انظر: «القاموس المحيط» للفيروزابادي مادة (ه و د).

(٣) في (ن): «عفنت».

(٤) في (و): «والانطلاء».

(٥) انظر: «تفسير الطبري» (١/ ٢٠٠)، وقد ذكر أن في تفسير ﴿مُصۡلِحُونَ﴾ قولين؛ الأول: الإصلاح بين المؤمنين وأهل الكتاب، والثاني ما ذكره المصنف هنا، وهو: ادعاؤهم أنَّهم على هدى وخير في دينهم.

(٦) في (و): «فيتَّفقون».

(٧) أي: أن هؤلاء يدعون أن محاولتهم التودد لغير المسلمين أحسن لحالهم في دنياهم، ولا سيما أنهم يتوهمون أن الغلبة ستكون لغير المسلمين.

(٨) في (و): «التغير».

فردَّ الله عليهم قولَهم بقوله:

﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾؛ أي: لا يشعرون أنَّهم مفسدون.

وقيل: ولكن لا يشعرون أنَّ الممايلة لا تُجدي.

وقيل: ولكن(١) لا يشعرون أنَّ الذي يظنُّونه بخلافِ ما يتوهَّمونه.

***

(١٣ ـ ١٤) ـ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ﴾: محمّدٌ ﷺ، وقيل: عبد الله بن سلام.

﴿قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ﴾؛ أي: لا نفعل كما فعلوا.

والسُّفهاء: جمع سفيهٍ، والسَّفهُ في اللُّغة: الخفّة، وثوبٌ سفيهٌ؛ أي: خفيفٌ بالٍ، والسَّفهُ: القبح الذي يدلُّ على خفّة الحلم(٢).

فردَّ الله عليهم فقال: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا﴾؛ أي: إذا اجتمعوا مع المؤمنين قالوا: آمنا؛ استدفاعًا عن دمائهم.

واللِّقاء: الاجتماع مع الشَّيء على طريق المقاربة.

---

(١) «ولكن» من (ن).

(٢) في كلام الماتريدي ما يدلُّ على أنه يرى السفهَ قبحاً في العقل، وذكر النَّحّاس أن السفه كلُّ ما يقبح فعله. انظر: «تأويلات أهل السنة» (٧/ ٣٩)، و«معاني القرآن» للنحاس (١/ ٣١٦).

﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ﴾: انصرفوا إلى إخوانهم.

ابن عبّاسٍ: رؤساؤهم من الكفّار(١).

الكلبيُّ: هم شياطين الجنِّ(٢).

أبو عبيدة: كلُّ عاتٍ متمرِّدٍ من الجنِّ والإنسِ والدَّوابِّ شيطانٌ(٣).

واشتقاقه من (شَطَنَ)؛ إذا بَعُدَ، وقيل: من (شاطَ)؛ إذا بطل، وقيل: من (تشيَّط)(٤)، والأوَّل أظهر.

والخَلاءُ من الشَّيء: الفراغ منه، وضدُّه الـمَلاءُ(٥)، يقال: خلوْتُ به، وخلوْتُ إليه، وخلوْتُ معه.

﴿قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ﴾ بالنَّصر والإعانة.

﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾: مظهرون غيرَ ما نُضمر، وذلك حين لاموهم على إظهار كلمة الإيمان.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٣٠٧).

(٢) ذكر نحوه السمرقندي في «تفسيره» (١/ ٢٩)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (١/ ٩٦).

(٣) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ٣٢).

(٤) أي: غضب وغلا الدم فيه، أو لفحته النار. انظر: «العين» (٦/ ٢٧٥)، و«جمهرة اللغة» (٢/ ٨٦٧) مادة (ش ط ن)، و«المنصف» لابن جني (ص: ١٠٩).

(٥) لم تُثبَتِ الهمزة في النسخ الخطية على العادة في ذلك، وقد جاء في هامش (ن): «الخلا والملا مقصوران»، وليس هذا بصواب، فقد ذكر الباحثون في المقصور والممدود أنَّ (الخلاء) ممدود إن كان من (الخلوة)، وأن (الخلا) المقصور على غير هذا المعنى، وكذا ذكروا في (الملاء) أنَّه ممدود إن كان من (الملْء)، وأن المقصور على غير هذا المعنى. انظر: «المقصور والممدود» لابن ولاد (ص: ٤٠ و١١٥)، ولأبي عمر الزاهد (ص: ٢٦)، ولأبي علي القالي (ص: ٣٢٩ و٣٦١).

والاستهزاء: الإيهام لِما[1] يُحَبُّ في الظّاهر، والأمرُ على خلافه في الباطن؛ على جهة الاغترار.

والـهُزْءُ: نقيضُ الجدِّ.

ابن عيسى: الهزءُ: الإظهارُ خلافَ الإبطان؛ على جهة العبث بمن يُظهرُ له ذلك.

* * *

(١٥) ـ ﴿ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾.

﴿ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ هذا على مزاوجة الكلام[2]، كقوله: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ ﴾ [البقرة: ١٩٤]، و﴿ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴾ وكقول الشّاعر:

ألا لا يجهَلَـنْ أحـدٌ عـلـيـنــا   فنجهَلَ فـوقَ جهـلِ الجاهلينا[3]

والثّاني ليس باعتداءٍ، ولا سيِّئةٍ، ولا مفاخرةٍ في الجهل، بل كلُّ هذا على وجه المزاوجة.

وقيل: هذا على أصل الاستهزاء في اللُّغة؛ لأنَّ اللهَ أظهر للمنافقين في الدُّنيا ما يحبُّون، ولهم في الآخرة ما يكرهون، ومثلُه قوله تعالى: ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴾ [الدخان: ٤٩]، وكذلك حين يقولون: ﴿ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ فيُقال لهم: ﴿ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا﴾ [الحديد: ١٣]، فخابوا[4] ما أمَّلوا، ومُنِعوا ما حاولوا.

---

(١) في (و): «ولما».

(٢) انظر موضوع مزاوجة الكلام وتشابه الألفاظ مع اختلاف المعنى في: «تأويل مشكل القرآن» لابن قتيبة (ص: ١٧١)، و«الحجة» لأبي علي الفارسي (١/ ٣١٥ ـ ٣١٦).

(٣) البيت لعمرو بن كلثوم من معلقته. انظر: «ديوانه» (ص: ٧٨)، و«جمهرة أشعار العرب» (ص: ٣٠٠).

(٤) أي: خسروا. انظر: «تاج العروس» للزبيدي (٢/ ٣٨٨) مادة (خ ي ب).

وقيل: لَمّا عابَهم على فعلِهم كان ذلك كالاستهزاء بهم.

﴿وَيَمُدُّهُمْ﴾ ابن عبّاسٍ وابن مسعود: يملي لهم ويطوِّل أعمارهم[١].

والمدُّ: الجَذْب.

ابن عيسى: المدُّ: الزِّيادةُ على الشَّيء في جهة القدّام دون جهة اليمين والشِّمال.

﴿فِي طُغْيَانِهِمْ﴾ ابن عبّاسٍ: في كفرهم وضلالتهم[٢].

وأصل الطُّغيان: مجاوزة الحدِّ.

﴿يَعْمَهُونَ﴾: يتردَّدون ويتحيَّرون، وأصل العَمَهِ في العين، وهو أنْ يحارَ بصرُه فلا يرى في تلك الحالة وإن كان يرى في غيرها[٣].

وعن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما: أنَّها نزلت في عبد الله بن أُبيٍّ وأصحابه، وذلك أنَّهم خرجوا ذات يومٍ فاستقبلهم نفرٌ من أصحاب رسول الله ﷺ، فقال عبد الله بن أبيٍّ: انظروا كيف أردُّ هؤلاء السُّفهاء عنكم، فذهبَ وأخذَ بيد أبي بكرٍ، فقال: مرحبًا بالصِّدِّيق؛ سيِّد بني تيم، وشيخ الإسلام، وثاني رسول الله ﷺ في الغار، الباذلِ نفسَه ومالَه لرسول الله ﷺ، ثم أخذ بيد عمر فقال: مرحبًا بسيِّد بني عديِّ بن كعبٍ؛ الفاروقِ القويِّ في دين الله، الباذلِ نفسَه ومالَه لرسول الله ﷺ، ثم أخذَ بيد عليٍّ رضي الله عنه فقال: مرحبًا بابن عمِّ رسول الله ﷺ وخَتَنه، وسيِّد بني هاشمٍ ما خلا رسولَ الله ﷺ، ثم افترقوا فقال عبد الله: كيف رأيتموني فعلتُ؟! فإذا رأيتموهم

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٣١٨).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٣٢١).

(٣) في قوله هذا ردٌّ على مَن خصَّ العمه بالبصيرة والعمى بالبصر. انظر: «فقه اللغة» للثعالبي (ص: ٣٣)، و«المفردات» للراغب الأصفهاني (ص: ٥٨٨)، و«تاج العروس» للزبيدي (٣٦/ ٤٤٨) مادة (ع م ه).

فافعلوا كما فعلْتُ، فأثنوا عليه خيرًا، فرجع المسلمون إلى رسول الله ﷺ فأخبروه بذلك، فأنزل الله هذه الآية[(١)].

***

(١٦) - ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ﴾.

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ ﴾؛ أي: الذين تقدَّم ذكرُهم هم الذين بدَّلوا الإيمانَ بالكفرِ.

وأصل الاشتراء: الاستبدال، مشتقٌّ من الشَّرْوَى، وهو الـمِثل؛ لأنَّ المشتري يعطِي شيئًا ويأخذ شيئًا، والاشتراء: الاستبدالُ بالعوضِ من الثَّمنِ، وهو الابتياع.

والشِّرى: البيعُ، يُمَدُّ ويُقصَر، ومنه: ﴿ وَشَرَوۡهُ بِثَمَنِۭ بَخۡسٖ ﴾ [يوسف: ٢٠]، ويُستعمَل للابتياع أيضًا، كما يُستعمَل الاشتراءُ للبيع أيضًا.

وقيل: ﴿ٱشۡتَرَوُاْ﴾: اختاروا، وهو مزيَّفٌ؛ لقولِه: ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ﴾[(٢)].

مجاهِدٌ: كانوا قد آمنوا ثم كفروا[(٣)].

محمَّد بن كعب: المراد به اليهود؛ كانوا مؤمِنين بمحمَّد ﷺ، فلمّا جاءهم كفروا به[(٤)].

---

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ١١٢)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٢) من طريق محمد بن مروان، عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وقال ابن حجر في «الكافي الشاف» (ص: ٥): (محمد بن مروان متروك متهم بالوضع، وسياقه في غاية النكارة).

(٢) توسَّع الطبري في بيان هذا القول وردِّه. انظر: «تفسيره» (١/ ٣٢٦).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٣٢٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٥٠).

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» (١/ ٩١)، وذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٣٥) عن قتادة والسدي ومقاتل.

وقيل: الضَّلالة هاهنا: النّار، والهدى: الجنّة.

﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ﴾: الرِّبحُ: الزِّيادةُ على رأسِ المالِ، والتِّجارةُ: طلب الرِّبح بالسِّلعة، وأضاف الرِّبح إلى التِّجارةِ توسُّعًا، كما يقال: ليلُه قائمٌ ونهارُه صائمٌ، والتَّقدير: فما ربحوا في تجارتهم[1].

﴿وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ﴾: قيل: تأكيدٌ للأوَّل، وقيل: معناه: وما كانوا مهتدين إلى التِّجارةِ؛ لأنَّ التّاجرَ ربَّما لا يربح وهو على هدًى في تجارتهِ، وهؤلاء لم يربحوا وخسِروا رؤوس أموالهم.

***

(١٧) ـ ﴿مَثَلُهُمۡ كَمَثَلِ ٱلَّذِي ٱسۡتَوۡقَدَ نَارٗا فَلَمَّآ أَضَآءَتۡ مَا حَوۡلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمۡ وَتَرَكَهُمۡ فِي ظُلُمَٰتٖ لَّا يُبۡصِرُونَ﴾.

﴿مَثَلُهُمۡ كَمَثَلِ ٱلَّذِي ٱسۡتَوۡقَدَ نَارٗا﴾ المَثَلُ والمِثْلُ لغتانِ، كالشَّبَهِ والشِّبْهِ.

ابن عيسى: المثل: العَلَمُ على معنًى سائرٍ، يُشبَّهُ فيهِ الثّاني بالأوَّلِ[2].

والاستيقاد والإيقاد لغتان، كالإجابة والاستجابة.

وقيل: السِّين للطَّلبِ؛ أي: طلب الإيقادِ.

والوُقودُ: ظهورُ النّارِ فيما يقبل الاحتراق[3].

والوَقودُ بالفتح: ما تُوقَد به النّارُ.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للأخفش (١/ ٥٢)، وللزَّجّاج (١/ ٩٢).

(٢) انظر: «الوسيط» للواحدي (١/ ٩٣).

(٣) فهو المصدر بمعنى التلهُّب. انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ٣٤).

والنّارُ: الجوهرُ المضيء[1] الحارُّ المحرِقُ، مشتَقٌّ من النُّورِ.

﴿فَلَمَّآ أَضَآءَتۡ مَا حَوۡلَهُۥ﴾؛ أي: أضاءت النّارُ ما حولَه.

و(أضاءَ) و(ضاءَ) بمعنى إذا كثَرَ نورُه وتبيَّنَ، و(أضاء) لازمٌ ومتعدٍّ[2].

وحَولُ الشَّيءِ وحواليهِ: جوانبُه.

﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمۡ﴾: يجوز أن يكون جوابَ (فلمّا)، ويجوز أن يكون الجوابُ مضمرًا، تقديره: طُفِئَتْ.

والذَّهاب: الانطلاق، والإذهاب: الحمل عليهِ، وكذلك الذَّهاب به، ويُستعمل الذَّهاب به للإهلاك[3].

والنُّورُ: جوهرٌ فيهِ عرضٌ ينافي الظُّلمة، وقيل: هو ما يُرَى ويُرَى به.

﴿وَتَرَكَهُمۡ فِي ظُلُمَٰتٖ لَّا يُبۡصِرُونَ﴾: التَّرك: نقيضُ الأخذ.

والظُّلمات: جمع ظُلمةٍ، والظُّلمة والظَّلام: عَرَضٌ يُنافِي الضِّياء.

والإبصار: الإدراك بحاسّة العين، ويقال: أبصرَ إبصارًا، وبَصُرَ بَصَرًا أيضًا.

أي: مَثَلُ المنافقين في إظهارِهم كلمةَ الإيمانِ واعتِزازِهم بها كحالِ هذا المستوقِدِ في أمنِهِ ممّا يخاف ويحذر، فلمّا طُفِئَتْ عاد إلى ما كان عليه من الخوف، كذلك المنافقون يؤول أمرُهم في الدُّنيا والآخرة إلى المكروه.

---

(١) «المضيء» من (ن).

(٢) والذي في الآية متعدٍّ، و(أضاء) لغة أعلى من (ضاء). انظر: «معاني القرآن» للزَّجّاج (١/ ٩٦)، و«البسيط» للواحدي (٢/ ١٨٨).

(٣) في (و): «للهلاك». وانظر: «الصحاح» (٤/ ١٤٠٤) مادة (ع ص ف)، و«القاموس المحيط» مادة (ذ ه ب).

ووحَّدَ (الذي) وجمعَ ما بعدَه؛ لأنَّه اسمٌ مبهمٌ مبنيٌّ يجرِي مجرى (مَن) في وقوعهِ على الواحدِ والجمعِ، وهذا كلامُ الشَّيخ أبي عليٍّ[1].

وقيل: أراد (الذين)، فحذف النُّون[2].

وقيل: أراد: كمثل أصحاب الذي استوقد.

وقيل: شبَّه الاستِضاءةَ بالاستِضاءةِ، لا الأشخاصَ بالأشخاصِ، فكان التَّوحيدُ والجمعُ سواءً.

* * *

(١٨) - ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾.

﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ ﴾؛ أي: هم[3].

والصَّمم: داءٌ في الأذن يمنعُ من السَّمع، وأصلُه الصَّلابة، يُقال: قَناةٌ صمّاء، وقيل: أصلُه السَّدُّ.

والبُكْمُ: جمع أبكم، والبَكَمُ: الآفةُ في اللِّسانِ المانعةُ عنِ الكلامِ.

والأبكمُ: الذي يُولَدُ أخرس، وقيل: الأبكمُ: المسلوبُ الفؤادِ الذي لا يعي شيئًا ولا يفهمُه[4].

والعُمْيُ: جمع الأعمى، والعَمى: الآفةُ[5] في العينين المانعةُ عن إدراكِ المبصَر[6].

---

(١) انظر: «الحجة» لأبي علي الفارسي (١/ ١٥٠).

(٢) انظر: «تأويل مشكل القرآن» لابن قتيبة (ص: ٢١٣)، و«تفسير الثعلبي» (٣/ ١٣٢).

(٣) في (ن): «هم صم».

(٤) في (ن): «يفهم». والقول للأنباري في «الزاهر» (١/ ٢٧٧).

(٥) في (و): «آفة».

(٦) في (و): «عن البصر».

والمعنى: صمٌّ عن استماع الحقِّ، بُكْمٌ عن التَّكلُّم به، عميٌ عن الإبصار له.

﴿فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾؛ أي: عن الجهل والعمى إلى الحقِّ والهدى.

ابن عبّاسٍ: هذا ذمٌّ واستبطاءٌ[1].

ابن مسعود: إلى الإسلامِ[2].

ابن عيسى: الرُّجوعُ على وجهينِ:

رجوعٍ إلى الشَّيءِ، وهو الذَّهابُ إليهِ بعد الانصرافِ.

ورجوعٍ[3] عنه، وهو الذَّهابُ عنه بعد المصيرِ إليهِ.

***

(١٩) ـ ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾ الزَّجّاج: (أو) هاهنا للإباحةِ والتَّخييرِ[4].

والإباحة في (أو) إنَّما تكون في الأمرِ دون الخبرِ، وهذا خبرٌ[5].

---

(١) روى معناه الطبري في «تفسيره» (١/ ٣٤٩).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٣٤٩).

(٣) في (و): «والرجوع».

(٤) ما نقله المصنف فيه نظر؛ فهناك فرق بين الإباحة والتخيير، وهو أن التخيير يمنع الجمع أما الإباحة فلا تمنعه، والزَّجّاج يرى أنَّ هذا من أمثلة الإباحة لا التخيير. انظر: «معاني القرآن» للزَّجّاج (١/ ٩٦).

(٥) نصَّ الجوهري على ما قاله المصنِّف، أما متقدمو النحويين فذكروا معنى الإباحة في (أو) في سياق الأمر، وفي كلام النَّحّاس ما يُشير إلى الفرق، فقد قال: (ومعنى (أو) هاهنا التصرف مرة كذا ومرة =

وقال الكوفيُّون: (أو) هاهنا بمعنى الواوِ، والبصريُّون ينكرون هذا[1].

والوجهُ هو الأوَّلُ على تقديرِ: مَثِّلْهم إنْ شئتَ بالأوَّلِ، وإنْ شئتَ بالثَّاني.

والصَّيِّبُ: المطر، وهو الجاري من عَلٍ[2]، مِن (صابَ يصوبُ)، والصَّيِّبُ: السّحابُ أيضًا.

الزَّجّاج[3]: أو كأصحابِ صيِّبٍ[4].

والسَّماء: سقفُ الأرضِ.

والرَّعدُ ـ عن ابنِ عبّاسٍ ومجاهدٍ ـ: مَلَكٌ[5]، والمسموعُ من السَّحابِ صوتُه، والبرقُ ضربُه السَّحاب.

ويُقال: الرَّعد: هو الصَّوت المسموع.

ابن عيسى: الرَّعد: الصَّوت الشَّديد لاصطكاكِ أجرامِ السَّحابِ.

والبرق: اللَّمعُ المنقدحُ من السَّحابِ، وقيل: البرقُ: وميضُ السَّحابِ.

= كذا، وهي بمنزلة (أو) التي تكون للإباحة في الأمر. انظر: «الكتاب» (٣/ ١٨٤)، و«المقتضب» للمبرد (١/ ١١)، و«الأصول» لابن السّرّاج (٢/ ٥٦)، و«شرح كتاب سيبويه» للسيرافي (٣/ ٤٢٧)، و«معاني القرآن» للنّحّاس (٣/ ٩)، و«الصحاح» للجوهري (٦/ ٢٢٧٤).

(١) انظر: «الإنصاف» للأنباري (٢/ ٣٩١)، و«الدر المصون» للسمين الحلبي (١/ ١٦٧).

(٢) الأصل في هذه الكلمة الجرُّ، وقد ترفعها العرب إن أرادتِ الغاية. انظر: «العين» (٢/ ٢٤٧) مادة (ع ل و)، و«الكتاب» (٣/ ٢٨٧) و(٤/ ٢٢٨)، و«مقاييس اللغة» لابن فارس (٤/ ١١٦) مادة (ع ل و).

(٣) في (ن): «أراد أو...».

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزَّجّاج (١/ ٩٤).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٣٥٧ ـ ٣٥٩).

﴿يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ﴾: الجَعْلُ: تحصيلُ الشَّيءِ على حقيقةٍ لم يكن عليها قبلُ.

والأصابع: واحدها أصبعٌ، كيفَما تلفَّظتَ به ممّا له نظِيرٌ جاز[1]، وهي الجارحةُ التي يُعقَدُ بها العدد.

والحذرُ: طلبُ السَّلامةِ من الضَّررِ الواقعِ وما لا يُؤمَنُ أن يقع.

والموتُ: عَرَضٌ يعقبُ الحياة.

﴿وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾: مهلكُهم وجامِعُهم في النّارِ، والإحاطة: حَصْرُ الشَّيءِ بالمنعِ له من كلِّ جهةٍ.

والصّاعقةُ: الهائلةُ من صوت الرَّعدِ تصحبُه نارٌ تُحرِقُ ما مسَّته.

ابن عبّاس: الصَّيِّبُ مشبَّهٌ بالقرآنِ، والظُّلماتُ بما فيهِ من الابتِلاءِ، والرَّعدُ بزواجِرِه، والبرقُ ببيانِه، والصَّواعقُ بوعيدِهِ[2].

الحسن: شبَّه المطرَ بالإسلامِ، وإبطانَ المنافقِ الكفرَ بالظُّلماتِ، والرَّعدَ بفرضِ الجهاد، والبرقَ بحقْنِ الدِّماءِ، والصَّواعقَ بالمزاجرِ[3].

وقيل: شبَّهَ جَعْلَ المنافقِين أصابِعَهم في آذانِهم كراهةَ استِماعِ القرآنِ بجعلِ أصحابِ الصَّيِّبِ أصابِعَهم في آذانِهم خوفًا من أن تَسْلُبَ الصَّواعِقُ قلوبَهم فيموتوا.

* * *

(١) الأصبع مثلَّثة الهمزةِ، ومع كلِّ حركةٍ تُثلَّث الباء الموحَّدة، فهي تسع لغات. انظر: «تاج العروس» للزبيدي مادة (ص ب ع).

(٢) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (١/ ٣٦٩).

(٣) ذكر نحوه الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (١/ ٣٩٦)، والرازي في «مفاتيح الغيب» (٢/ ٣١٥) دون نسبة. والمزاجر: جمع مزجرة، وهي ما يدعو إلى المنع.

(٢٠) ـ ﴿ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾.

﴿ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ﴾: كادَ: فِعلٌ يُستعمَل لتقريبِ الفعلِ جدًّا، ولا يُستعمَل معه (أنْ) لأنَّه عَلَمُ الاستقبالِ.

والخَطْفُ: الاختلاسُ السَّريعُ[(١)].

أي: يكادُ البرقُ يخطَفُ أبصارَ أصحابِ الصَّيِّبِ كما تكاد الدَّلائلُ تخطَفُ قلوبَ هؤلاءِ؛ لِما معها من الإزعاجِ إلى النَّظرِ والدُّعاءِ إلى الحقِّ.

﴿كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ﴾: المشيُ: نقلُ الأقدامِ في لينٍ.

والمشيئةُ: الإرادةُ.

ابن عيسى: المشيئةُ: تضادُّ الكراهة[(٢)].

﴿لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ﴾؛ أي: ولو شاءَ اللهُ لأعماهم وأصمَّهم، فلا ينتفعون بالظّاهر منها، كما لا ينتفعون بالباطن.

---

(١) في (ن) زيادة: «ابن عيسى».

(٢) قول ابن عيسى هذا فيه رائحة جبرٍ وقدرٍ؛ لأن المحبة والرضا هما نقيض الكراهة، والمشيئة والإرادة معناهما واحد، فالمشيئة شيء والمحبة والرضا شيء آخر، وقد سوَّى بينهما الجبرية والقدرية، ثم اختلفوا، فقالت الجبرية: الكون كله بقضائه وقدره، فيكون محبوباً مرضياً، وقالت القدرية النفاة: ليست المعاصي محبوبة لله ولا مرضية له، فليست مقدَّرة ولا مقضية، فهي خارجة عن مشيئته وخلقه، وقد دلَّ الكتاب والسنة والفطرة الصحيحة على الفرق بين المشيئة والمحبة.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ الشَّيء: أعمُّ الأسماءِ[1].

ابن عيسى: ما صحَّ أن يُذكَرَ ويُخبَرَ عنه.

والقدرة: الاستِطاعة، ونقيضُه العجزُ.

والمعنى: إذا سمعوا ما أحبَّوا صدَّقوا، وإذا سمعوا ما كرهوا كذَّبوا.

وقيل: كلَّما غنموا تبعوا المسلمين، وإذا لم يصيبوا غنيمةً قعدوا عن الجهاد، وهذا تهديدٌ ووعيدٌ؛ أي: هم في قبضتِه سبحانَه لا يفوتونَه.

* * *

(٢١) ـ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ﴾ عن علقمة: كلُّ ما في القرآنِ من قوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ فهو خطابٌ لأهلِ مكّة، وما فيهِ من قولِهِ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ فهو خِطابٌ لأهل المدينة[2].

ومعنى ﴿ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ﴾: وحِّدوه.

قال ابن عبّاسٍ: كلُّ عبادةٍ في القرآنِ فهي توحيدٌ[3].

﴿ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ﴾: ابتدأكم ولم تكونوا شيئًا، والخلقُ: الإيجادُ على تقديرٍ وترتيبٍ.

﴿وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾؛ أي: آباءَكم وأسلافكم، فعبادةُ الخالق أولى من عبادةِ الصَّنم المخلوق.

---

(١) في (ن): «الأشياء». وانظر: «المقتضب» للمبرد (٣/ ١٨٦).

(٢) رواه الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٢).

(٣) ذكره الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (١/ ٣٦٣)، والسمرقندي في «تفسيره» (١/ ٣٠١)، والقرطبي في «تفسيره» (١٨/ ١٩٣).

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ مجاهدٌ: تطيعون[١].

قال قطرب: لكي تتَّقوا عقوبته[٢].

وقال سيبويه[٣]: أي: اعبدوا على رجاء أن تتَّقوا[٤].

واتِّصاله[٥] يحتملُ أن يكونَ بالعبادة، ويحتملُ أن يكونَ بالخلق.

***

(٢٢) ـ ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا﴾؛ أي: صيَّرها لكم بساطًا.

الزَّجّاج: ﴿فِرَٰشًا﴾ يمكن الاستقرار عليها، ولم يجعلها حَزْنةً غَليظةً[٦].

﴿وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾: سقفًا.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٣٨٦).

(٢) أي: (لعل) بمعنى (كي)، وقد ذكر ذلك المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ١٢٤)، والواحدي في «البسيط» (٢/ ٢٢٠)، وذكر ابن السَّرّاج هذا القول، وهو منقول عن الكسائي والأخفش. انظر: «الأصول» لابن السَّرّاج (١/ ٢٥٩)، و«ارتشاف الضرب» لأبي حيان (٣/ ١٢٤٠).

(٣) «سيبويه» من (ن).

(٤) ذهب سيبويه إلى أن (لعل) تدلُّ على الطمع والإشفاق، وهو الذي عُبِّر عنه بالترجِّي والرجاء، وعبارة المصنف مستفادة من الواحدي. انظر: «الكتاب» (٣/ ١٦٠) و(٤/ ٢٣٣)، و«معاني القرآن» للزَّجّاج (١/ ٩٨)، و«إعراب القرآن» للنَّحّاس (٤/ ٢٣٩)، و«البسيط» للواحدي (٢/ ٢١٩).

(٥) لعلَّ مراده: المرجو له التقوى يحتمل أن يكون العابدين أو المخلوقين، والله أعلم.

(٦) انظر: «معاني القرآن» للزَّجّاج (١/ ٩٩)، والحزن: ما غلظ من الأرض، وهو خلاف السهل. انظر: «المصباح المنير» للفيومي مادة (ح ز ن).

الزَّجّاج: ما علا الأرضَ فهو بناءٌ(١).

والبناءُ في اللُّغةِ: الوضعُ على الأساس(٢).

﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: السَّحاب، وقيل: من جانبِ السَّماءِ.

﴿مَآءً﴾: مطرًا، والماء(٣): جوهرٌ سيّالٌ به قِوامُ الحيوانِ.

﴿فَأَخْرَجَ﴾: أظهر، والإخراجُ: النَّقلُ عن محيطٍ، والخروجُ: الانتقالُ عن محيطٍ.

﴿بِهِۦ﴾: بالمطرِ.

﴿مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾: حَمْلِ الأشجارِ.

﴿رِزْقًا لَّكُمْ﴾: قوتًا لكم ومعاشًا.

يجوز أن ينتصِب (الرِّزق) بالإخراجِ، و(من) لابتداء الغايةِ، ويجوز أن تكون (الثَّمرات) مفعولًا، و(من) زائدةٌ، و(رزقًا) حالٌ.

﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا﴾: أمثالًا، والنِّدُّ: المِثْلُ المناوئ، من (ندَّ البعير)؛ إذا شرد.

وقيل: هي أندادٌ بعضُها لبعضٍ.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزَّجّاج (١/ ٩٩).

(٢) قد توحي عبارة المصنِّف أنه ينقل ما ذكره عن أئمة اللغة، ولكنَّنا لم نجد عبارته هذه ـ وكثيراً من تعاريفه التي تقدَّم ذكرها ـ فيما بين أيدينا من كتب اللغة، فأغلب الظنِّ أنَّه يصوغ عبارات للتعريف ببعض الأشياء وَفقَ معرفتِه باللغة مستفيداً مما ذكره أئمة اللغة قبله، فالمبرد مثلاً ذكر أنَّ الأساس أصل البناء، والظاهر أنَّ المصنف أفاد من ذلك، فأعاد صياغة تعريفه للبناء. انظر: «الكامل» للمبرد (٤/ ٨).

(٣) في (و): «والمطر».

المفضَّل[1]: ﴿أَندَادًا﴾: أضدادًا[2].

﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنَّها لا تخلق ولا ترزق، واللهُ الخالقُ الرّازق.

وقيل: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا﴾ عن علمٍ منكم؛ لأنَّ الذَّنب من ذي العلم أعظم.

وقيل: معنى ﴿تَعْلَمُونَ﴾: تعقلون.

ثم احتجَّ على منكِري نبوّةِ محمّدٍ عليه السَّلام فقال:

* * *

(٢٣) ـ ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾.

﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ﴾: في شكٍّ.

﴿مِّمَّا نَزَّلْنَا﴾؛ أي: القرآن.

﴿عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾: محمَّدٍ.

والعبدُ: المملوكُ من نوع ما يعقِل، مشتقٌّ من التَّعبُّد، وهو التَّذلُّل.

= وقلتم: لا ندرِي أهو من عندِ اللهِ أم لا؟ ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾: يجوز أن

---

(١) هو المفضَّل بن سلمة، كان لغوياً أديباً علامة، توفي ٢٩٠هـ، له كتاب «معاني القرآن»، وله كتاب «ضياء القلوب في معاني القرآن وغريبه ومشكله»، وقد أخذ عنه المصنف. انظر: «الفهرست» لابن النديم (ص: ٥٤)، و«سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٤/ ٣٦٢).

(٢) انظر: «النكت والعيون» للماوردي (١/ ٨٣)، وكذا فسَّره أبو عبيدة في «مجاز القرآن» (١/ ٣٤١)، وسهل التستري في «تفسيره» (ص: ٢٧).

تكون ﴿مِّن﴾ للتَّبعيضِ؛ أي: بعض كلامٍ يماثل القرآن، ويجوز أن تكون للتَّبيينِ، ويجوز أن تكون زيادةً.

والهاء في ﴿مِّثْلِهِۦ﴾ تعود إلى القرآنِ[1].

قتادة في جماعةٍ: تعود إلى النَّبيِّ ﷺ[2].

وقيل: الخِطابُ لليهودِ الذين كانوا عالِمين بما في التَّوراة؛ أي: فَلْيُحْضِروا سورةً من سُوَرِ التَّوراةِ حتى يعلموا وِفاقَهما.

﴿وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم﴾: واستعينوا بآلهتكم، والدُّعاء: الطَّلب لأمرٍ أنْ يُفعَلَ.

والشَّهادةُ: الإخبارُ بالشَّيءِ عن مشاهدةٍ، والإخبارُ بالشَّيءِ عن يقينٍ شهادةٌ تشبيهًا بذلك[3].

ابن جريج: هو جمع شاهدٍ؛ أي: مَن يشهدُ بأنَّ ما أتَيْتُم مثلُه[4].

ابن جريرٍ والزَّجّاج: جمع شهيد؛ أي: مَن شَهِدْتم حضرتَه ورجوتم معونَته؛ أي: اجتمعوا أنتم واسألوا آلهتكم أن يُعينوكم[5].

﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ ومعنى ﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: تأتون عبادَتَه من مكانٍ دونَ مكانِ عبادةِ اللهِ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٣٩٦ـ٣٩٧) عن قتادة ومجاهد.

(٢) لم أقف على من نسب هذا القول لقتادة، وقد ذكره الطبري في «تفسيره» (١/ ٣٩٧) من غير ذكر قائله، وكذا فعل الزَّجّاج في «معاني القرآن» (١/ ١٠٠)، والثعلبي في «تفسيره» (١/ ١٦٨)، والماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٨٤).

(٣) كذا في النسخ الخطية، ولعل المراد: وتسميةُ الإخبارِ بالشَّيءِ عن يقينٍ شهادةً تشبيهٌ بذلك.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٤٠٠).

(٥) انظر: «تفسير الطبري» (١/ ٤٠١)، و«معاني القرآن» للزَّجّاج (١/ ١٠٠).

ويحتمل: استعِينوا مَن[1] شئتم من دونِ اللهِ؛ أي: لا يأتي به إلَّا الله.

﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ أنَّ ذلك من كلامِ محمَّدٍ ﷺ.

والصِّدق: الإخبار بالشَّيءِ على ما هو به.

وجوابُ الشَّرطِ محذوفٌ يدلُّ عليه ما قبله؛ أي: إن كنتم صادِقِين في دعوتكم فأتوا بسورة من مثله.

* * *

(٢٤) ـ ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾.

﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا﴾؛ أي: إن لم تأتوا بالسُّورةِ فاتَّقوا النّار.

وقوله: ﴿وَلَن تَفْعَلُوا﴾ قال بعض المفسِّرين معناه: فإن لم تفعلوا هذا فيما مضى ولن تفعلوا هذا فيما يُستقبل أبدًا فاتَّقوا، فحمل ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا﴾ على المضيِّ، وهذا تدفعُه قضِيّة الإعرابِ والفِقهِ جميعًا، وليس هنا موضع شرحه[2].

وقال بعضهم: في الآيةِ تقدِيمٌ، والتَّقدير: فأتوا بسورةٍ من مثلِهِ وادعوا شهداءكم من دونِ اللهِ إن كنتم صادِقِين ولن تفعلوا، ثم استأنف فقال: فإن لم تفعلوا فاتَّقوا النّار.

---

(١) يتعدَّى الفعل (استعان) بنفسه وبالباء، وقد عدّاه المصنف بنفسه. انظر: «المحكم» لابن سيده (٢/ ٣٦٨) مادة (ع و ن).

(٢) شرحه المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ١٢٦) فقال: (هذا غير مرضيٍّ عند الفقهاء والنحاة؛ لأنه إذا قال: «إن دخلتِ الدار فأنتِ طالق، وإن لم تدخلي الدار فأنت طالق»، يقع على دخول مستأنف، ولا يتعلق بالماضي ألبتة، وهذا إجماع. وقال النحويون: (لم) إذا دخل المستقبلَ نقله إلى معنى الماضي، و(إن) الشرطية إذا دخل الماضي أو ما بمعنى الماضي نقله إلى معنى المستقبل).

وهذا ضعيفٌ؛ لأنَّ الشَّيء لا يُزالُ عن موضعه إلّا لضرورة، ولا ضرورةَ هنا.

والوجه الذي عليه المحقِّقون: أنَّ قوله: ﴿وَلَن تَفْعَلُواْ﴾ اعتراضٌ بين الشَّرطِ والجزاءِ، لا محلَّ له من الإعرابِ، وباب الاعتراضِ بابٌ واسِعٌ، وحَسُنَ هذا الاعتراضُ لأنَّ الشَّرطَ لفظُه للتَّردُّدِ، فقطعَ التَّردُّدَ بقولِهِ: ﴿وَلَن تَفْعَلُواْ﴾.

﴿فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ﴾؛ أي: فاحذروا أن تصلوها.

﴿ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾: الوَقودُ: ما يُوقَدُ به، والوُقودُ: المصدر.

و﴿وَٱلْحِجَارَةُ﴾: قيل: هي حجارة الكِبريت، وهي أشدُّها حرًّا إذا أُحمِيَتْ.

وقيل: حِجارةٌ يُعذَّبون بها.

وقيل: هي الأصنام من قولِهِ: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٩٨].

وقيل: كنوز الذَّهب والفضة.

﴿أُعِدَّتْ﴾: ادُّخِرَتْ وهُيِّئَتْ.

وفي لفظِ: ﴿أُعِدَّتْ﴾ دليلٌ على أنَّ النّار مخلوقةٌ(١).

﴿لِلْكَٰفِرِينَ﴾ خصَّهم بالذِّكرِ لِعظَمِ ذنبِهم، وقيل: هذه لهم، ولغيرِهم غيرُها.

وفي الآيةِ دلالة النُّبوّةِ من وجهين:

أحدِهما: عَجْزِهم عن الإتيانِ بمثلِهِ.

والثّاني: صِدْقِه في قولِهِ: ﴿وَلَن تَفْعَلُواْ﴾.

---

(١) ذهبت طائفة من المعتزلة والخوارج إلى أن الجنة والنار لم يُخلقا بعدُ، وجمهور المسلمين على أنهما مخلوقتان. انظر: «الفِصَل في الملل والأهواء والنحل» لابن حزم (٤/ ٦٨).

والمعنى: إذا ظهرَ عجزُكم عن الإتيانِ بمثلِهِ صحَّتْ نبوَّتُه ووجبَ تصديقُه، فإنْ لم تؤمنوا به، فاتَّقوا النّارَ المُعدّةَ للكفّار.

***

(٢٥) ـ ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾؛ أي: أخبرهم خبرًا يظهرُ أثرُه على البشرة، وهي ظاهِرُ الجلدِ، يقال: بَشَرْتُهُ فأبشَرَ واستبْشَرَ، وبشَّرْتُهُ فتبشَّرَ، والبَشارةُ المصدر، والبِشارةُ الاسم، يُستعمَلُ في الخيرِ، واستعمالُه في الشَّرِّ مجازٌ، وقيل: يُستعمَل فيهما حقيقةً.

﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾؛ أي: الطّاعاتِ.

والعملُ: إيجادُ الشَّيءِ بعد أنْ لم يكن.

والصَّلاح: الفِعلُ المستقيم.

﴿أَنَّ لَهُمْ﴾: بأنَّ لهم ﴿جَنَّٰتٍ تَجْرِى﴾: الجنّة: دارُ اللهِ في الآخرةِ، وفي اللُّغة: البستان فيه نخلٌ وشجرٌ، فإذا انضاف إليها الكرمُ فهي الفِردوس، مشتقّةٌ من (جَنَنْتُهُ)؛ أي: سترتُه.

﴿مِن تَحْتِهَا﴾ ابن عبّاسٍ: من تحتِ أشجارها[1].

وقيل: منازلها[2] وأشجارها.

---

(١) ذكره الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (١/ ٤٠٣)، والسمرقندي في «تفسيره» (١/ ٣٦)، والثعلبي في «تفسيره» (١/ ١٧٠) وغيرهم بلا نسبة.

(٢) في (ن) زيادة: «ومن بمعنى في وتحتمل منابعها من تحت منازلها».

وقيل: ﴿مِن تَحْتِهَا﴾: من جهتِها، كقولِه: ﴿وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ﴾ [الزخرف: ٥١]؛ أي: من جهتي.

والجريُ: الاطِّراد.

﴿ٱلْأَنْهَٰرُ﴾: جمع نهرٍ، وأصله السَّعة.

﴿كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزْقًا﴾: كلَّما أُطعِموا فاكِهةً منها.

﴿قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾ ابن عبّاسٍ: في الدُّنيا[1]؛ أي: من نوع ذلك.

الحسنُ في جماعةٍ: أي: في الجنّةِ[2].

وقيل: وُعِدناه في الدُّنيا.

﴿وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا﴾: خيارًا كُلَّه، لا يشوبُه عَجَمٌ[3] ولا نوًى.

ابن عبّاسٍ: متشابهًا[4] في اللَّون مختلِفًا في الطَّعم[5].

عكرمة: يُشبهُ ثمرَ الدُّنيا غير أنَّ ثمرةَ الجنّةِ أطيبُ[6].

والتَّشابه: التَّماثل.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٤٠٨).

(٢) ذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١/ ١٠٩) عن الحسن ومجاهد، ورواه الطبري في «تفسيره» (٤١٠) عن يحيى بن أبي كثير.

(٣) العجم: النوى، وحبُّ كلِّ شيء: عَجَمُه. انظر: «جمهرة اللغة» لابن دريد (١/ ٤٨٤) مادة (ع ج م).

(٤) في (و): «مشتبهاً».

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٤١٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٦٦).

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٤١٥).

﴿وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ﴾: جمع زوجٍ، والزَّوج: الرَّجلُ له امرأةٌ، والمرأةُ لها بَعلٌ، ويُقال لها: الزَّوجة أيضًا.

﴿مُّطَهَّرَةٞ﴾: من البولِ والغائطِ والحيضِ والنِّفاسِ وسوءِ الأخلاقِ.

والتَّطهير: التَّقدِيس.

﴿وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾: دائمون لتمامِ النِّعمةِ.

والخلودُ: البقاءُ في الشَّيء من غير آخرٍ.

* * *

(٢٦) ـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗاۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرٗا وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرٗاۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا﴾: ابن عبَّاسٍ قال: لـمّا ضربَ اللهُ المثلَينِ اللَّذَينِ تقدَّما من قولِهِ: ﴿مَثَلُهُمۡ كَمَثَلِ ٱلَّذِي ٱسۡتَوۡقَدَ نَارٗا﴾ [البقرة: ١٧] وقولِهِ: ﴿أَوۡ كَصَيِّبٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة: ١٩] للمنافقِين، قالوا: اللهُ أجلُّ وأعلا من أن يضرِبَ الأمثال، فأنزل اللهُ هذه الآية(١).

الحسن وقتادة: لـمّا ذكرَ اللهُ الذُّبابَ والعنكبوتَ في كتابه وضرَبَ الأمثالَ، ضحكَتِ اليهود وقالوا: ما يُشبِهُ هذا كلامَ اللهِ، فأنزل اللهُ هذه الآية(٢).

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٤٢٣).

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٧)، والطبري في «تفسيره» (١/ ٤٢٤) عن قتادة، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٦٨ ـ ٦٩) عن السدي وقتادة، ثم قال: ورُوي عن الحسن وإسماعيل بن أبي خالد نحوُ قول السدي وقتادة.

والمعنى: أنَّ اللهَ لا يتركُ ضرْبَ المثلِ تركَ ما يُستَحيا منه.

وقيل: لا يمتنعُ عنه.

وقيل: لا يخشى.

والاستحياءُ: الامتناع والارتداع.

والمعنى: ليس محلُّ ضربِ المثلِ بالبعوضِ محلَّ ما يُستَحيا منه.

و﴿أَن يَضْرِبَ﴾: يُبيِّن ويصِف، وضَرْبُ المثلِ يتعدَّى إلى مفعولَين لتضمُّنِهِ معنى (جعل).

والمَثَلُ: الشَّبَهُ.

﴿مَّا بَعُوضَةً﴾ الزَّجّاج: ﴿مَّا﴾ زائدة مؤكِّدة.

وقيل: نكرة بمعنى (شيئًا)، و﴿بَعُوضَةً﴾: بدلٌ عنه أو صفةٌ له.

وقيل: هي موصولةٌ، وهذا على قِراءةِ مَن قرأ: (بعوضةٌ)[1].

وقيل: زائدةٌ للعموم، فيحسن الوقف عليه.

الفرّاء: ما بين بعوضة إلى ما فوقها، كما قالتِ العرب: مُطِرنا[2] ما بين زُبالةَ فالثَّعلبيّة[3].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزَّجّاج (١/ ١٠٤)، وقراءة الرفع قراءة شاذة قرأ بها رؤبة بن العجاج. انظر: «الوقف والابتداء» لأبي بكر الأنباري (١/ ٣٥٥)، و«المحتسب» لابن جني (١/ ٦٤).

(٢) «مطرنا» من (ن).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٢٢)، وزبالة والثعلبية: موضعان بطريق مكة من الكوفة. انظر: «معجم البلدان» لياقوت (٢/ ٧٨) و(٣/ ١٢٩).

والبعوضُ: صِغارُ البقِّ، مشتقٌّ من (البعضِ)[1].

﴿فَمَا فَوْقَهَا﴾ قيل: في الكِبَر.

وقيل: في الصِّغر، كما يُقال: فلانٌ رفيعٌ، فيقول: وفوقَ ذلك، يريد: وفوقَ ذلك في الصِّغرِ.

وقيل: ﴿فَمَا فَوْقَهَا﴾؛ أي: فما دونها.

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ﴾: أنَّ المثلَ ـ ويحتمِل: ضربَ المثلِ ـ ﴿الْحَقُّ﴾؛ أي: المثلُ الذي ضربَه اللهُ مثلٌ لِما ضربَهُ له.

وقيل: إنَّ اللهَ ضربَ هذا الـمَثَلَ، لا غيرَه.

والحقُّ: نقيضُ الباطلِ.

﴿مِن رَّبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾؛ أي: أيُّ شيءٍ أرادَ اللهُ بهذا المثلِ؟! إنكارًا منهم للحقِّ.

والإرادةُ: المشيئةُ.

وقيل[2]: الكلامُ تمَّ عندَ قولِهِ: ﴿مَاذَا﴾، فأجاب الله تعالى فقال: ﴿أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾.

﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا﴾ من الكافرين؛ لإنكارِهم الحقَّ.

والكثيرُ: نقيضُ القليل.

---

(١) في (و): «البق»، والصواب ما أُثبت، وذلك أنَّ هذه الحشرة اشتُقَّت من ذلك؛ لصغر جسمها عند مقارنتها بسائر الحيوانات.

(٢) «وقيل» من (ن).

﴿وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرٗا﴾ من المؤمنِين؛ لتصديقهم.

وقيل: يضلُّ بالتَّكذيب ويهدي بالتَّصديقِ.

وقيل: يضلُّ عن طريقِ الجنّة.

وقيل: ﴿وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرٗا﴾ أيضًا من تمامِ الحكايةِ.

والوجهُ هو الأوَّل.

﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾: الخارجين من الدِّينِ. والفُسُوقُ: الخروجُ والتَّرك.

* * *

(٢٧) - ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾.

﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ﴾: ينكثون. والنَّقضُ: إفسادُ ما أبرمْتَ من حبلٍ أو بناءٍ.

﴿عَهۡدَ ٱللَّهِ﴾: عَقْده.

والعَهْدُ: الوصيّةُ، والعَهْدُ: الاستيثاقُ بالأيمانِ، والعَهْدُ: الالتقاءُ والرُّؤية، والعَهْدُ: الـمَنْزِلُ.

والمراد بالعَهْدِ هاهنا عند أكثرِهم: ما عَهِدَ اللهُ إلى عباده يومَ الميثاقِ في قوله: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

وعند بعضهم: ما عهد إليهم في الكتب المتقدِّمة في قولِهِ: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [آل عمران: ٨١].

وقيل: عَهْدُه: ما جعل في عقولهم من الحجّة على توحيده وصدق رسوله.

وقيل: هو من قولهِ: ﴿ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ ﴾ [فاطر: ٤٢].

﴿مِنۢ بَعْدِ﴾: ﴿مِنۢ﴾: زيادة، وقيل: لابتداء الغاية؛ لأنَّ ابتداءَ النَّقضِ مِن بعدِ ميثاقه.

﴿مِيثَـٰقِهِۦ﴾: تأكيدِه ذلك. والميثاقُ: ما وقعَ التَّوثيقُ به، وأصلُه من الوَثاقةِ، وهي إحكامُ الشَّيءِ.

والهاء تعود إلى الله سبحانه، وقيل: إلى العهد.

﴿وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾: الحسن: أمرَهم بصلةِ النَّبيِّ ﷺ والمؤمنين، فقطعوهم بقتالِهم إيّاهم[١].

قتادة: يعني: الرَّحم؛ فإنَّهم قطعوها بالمعاداةِ مع النَّبيِّ ﷺ[٢].

ويحتمل أن يُوصَلَ بالتَّصديقِ بجميع الأنبياء، فقطعوا بتصديق البعض وتكذيب البعض.

والقَطْعُ: عبارةٌ عن جعلِ الشَّيءِ عن الشَّيءِ بحيث يمكِنُ أن يكون بينهما حاجزٌ غيرهما.

﴿وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: بالكفرِ وقطعِ السَّبيلِ والتَّعويقِ عن الإيمانِ.

﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ﴾؛ أي: الموصوفون بالصِّفاتِ المتقدِّمةِ خسِروا الثَّواب ونالوا العِقاب.

والخُسرانُ: الذَّهابُ من رأس المال، ويُستعملُ للهلاك.

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٩٠)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٤٨) عن الحسن، وذكره الطبري في «تفسيره» (١/ ٤٤١) دون نسبة.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٤٤١).

(٢٨) ـ ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ﴾ قيل: استفهام توبيخٍ، وقيل: استفهامٌ يتضمَّن التَّعجِيبَ للمؤمنين والتَّوبيخَ للكفّار. وموضوع (كيف) للاستفهام.

﴿وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا﴾ الواو للحالِ، و(قد) مقدَّرة؛ أي: وقد كنتم أمواتًا.

ابن عبّاسٍ وابن مسعود: أي: لم تكونوا شيئًا[1].

﴿فَأَحْيَاكُمْ﴾: خلقَكم، ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾؛ أي: في الدُّنيا، ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾؛ أي: في القِيامةِ.

قتادة: ﴿أَمْوَاتًا﴾ في أصلاب الآباء، ﴿فَأَحْيَاكُمْ﴾ بأن جعلَ فيكم الحياةَ وأخرجَكم من بطونِ أمَّهاتكم، ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ في الدُّنيا، ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ للبعث[2].

المفضَّل: ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا﴾ بسبب مفارقةِ النُّطفةِ وانتقالها إلى الرَّحم؛ لأنَّ ما بانَ من الحيِّ فهو ميِّتٌ، ﴿فَأَحْيَاكُمْ﴾[3].

وقيل: كنتم أمواتًا خاملِي الذِّكرِ. وهذا مزيَّفٌ.

وقيل: كنتم أمواتًا، فأحياكم في القبرِ، ثم يميتكم بعد ذلك، ثم يحييكم للبعث.

وقيل: كنتم أمواتًا في صُلْبِ آدم، فأحياكم لأخذِ المِيثاقِ، ثم أماتكم بعد أخذِ الميثاقِ، ثم أحياكم وأخرجَكم من بطونِ الأمَّهات.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٤٤٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٧٣).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٤٤٦).

(٣) ذكره الطبري في «تفسيره» (١/ ٤٤٦)، والسمرقندي في «تفسيره» (١/ ٣٩)، والماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٩١) دون نسبة.

وقيل: الكلامُ تمَّ عندَ قولهِ: ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾؛ احتجَّ عليهم بما كانوا مقرِّين به، ثم استأنف فقال: ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾.

﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾: تصيرون، فيجازِيكم على أعمالِكم.

وقيل: ترجعون بعد الحياةِ الثّانيةِ إلى مثلِ ما في ابتداءِ الحياة الأولى، لا تملكون لأنفسِكم شيئًا، ولله الحُكْم عليكم.

و(الميْتُ) يُذكَرُ والمرادُ به ما فارقَه الرُّوح، ويُذكَرُ والمرادُ به المواتُ الذي لم يكن له الرُّوحُ أصلًا.

***

(٢٩) ـ ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾: ﴿هُوَ﴾؛ أي: الله ﴿الَّذِي خَلَقَ﴾: أبدع ﴿لَكُم﴾: لأجلِكم ﴿مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾: كلَّها.

والجَمْعُ: نقيض التَّفريقِ.

و﴿جَمِيعًا﴾: مصدرٌ منصوبٌ على الحالِ.

أي: تنتفعون ببعضٍ وتعتبرون ببعضٍ.

وقيل: لا يخلو شيءٌ من منفعةٍ وإن خفِيَتْ عنّا.

﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾؛ أي: بعد خلقِ الأرضِ ﴿اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾: قصد إلى بنائِها.

ابن عبّاسٍ: صَعِدَ أمرُه(١).

---

(١) ذكره الزَّجّاج في «تفسيره» (١/ ١٠٧).

المفضل: قصد وعلا وأقبل[١].

وقيل: خلق الأرض وخلق بعدها السَّماء، وأفاد قولُه: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ﴾: أنَّه لم يخلق بعد الأرض وما فيها إلَّا السَّماء، وهذا قولٌ حسنٌ.

﴿فَسَوَّىٰهُنَّ﴾: جعلهنَّ لا تفاوتَ فيها.

الزَّجّاج: (السَّماءُ) اسمُ الجنسِ، قال: ويحتمل أنَّها جمع سماوةٍ[٢].

﴿سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾: السَّبع من العدد: ما دون الثَّمان وفوق السِّتِّ.

﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾: علمَ انتفاعَكم واعتبارَكم.

وقيل: معناه: إذ بالعِلم يصحُّ الإتقان والإحكام.

* * *

(٣٠) ـ ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ﴾ الزَّجّاج: (إذ): اسمٌ معناه الماضِي، وتقديره: ابتداءُ خلقِكم حينَ ﴿قَالَ﴾[٣].

وقيل: تقديره: واذكر إذ قال.

أبو عبيدة: (إذ) زيادة[٤].

---

(١) ذكره الماوردي في «تفسيره» (١/ ٩٢).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزَّجّاج (١/ ١٠٧).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزَّجّاج (١/ ١٠٨).

(٤) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ٣٦ ـ ٣٧).

ويحتمل أنَّه ظرفٌ لقولهِ: ﴿قَالُوٓاْ﴾.

﴿لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ﴾: جمع مَلَكٍ، واشتقاقه من (الأَلُوكِ) و(المألَكةِ)؛ أي: الرِّسالة، قال الشّاعر:

وغـلامٍ أرْسَلَتْـهُ أُمُّـهُ بِأَلُوكٍ فَبَذَلْنا ما سَألْ[1]

وأصلُه: (مَأْلَك)، ثم قُدِّمَ العين، فصار (مَلْأَكاً)، قال:

فَلَسْتَ لإنسِيٍّ ولـكِنْ لِمَلْأَكٍ تَنَزَّلَ مِنْ جَوِّ السَّماءِ يَصُوبُ[2]

ثم نُقِلَ فصارَ (مَلَكًا)، فلمّا جُمع عاد الهمزةُ، والتّاء لتَّأنيثِ الجمع، وقد جاء بغيرها قال:

.... أبا خالدٍ صَلَّتْ عَلَيْكَ المَلائِكُ[3]

وسُمُّوا ملائِكةً لـمَن فيهم من الرُّسُلِ، وهم الكِرامُ البرَرة، الذين لا يعصون اللهَ ما أمرهم ويفعلون ما يُؤمَرون.

والخطابُ عامٌّ لهم، وقيل: الخطاب للملائكة الذين كانوا سُكّانَ الأرض، فأراد نقلَهم إلى جملة ملائكةِ السَّماء.

﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾: ﴿ٱلْأَرْضِ﴾: قيل: هي مكّة، وقيل: هي الأرض المعروفة.

---

(١) البيت للبيد بن ربيعة، كما في «ديوانه» (ص: ١٧٨)، و«غريب الحديث» للقاسم بن سلام (٣/ ٤٠٧)، و«تفسير الطبري» (١/ ٤٧٤).

(٢) البيت لعلقمة بن عبدة بن النعمان، كما في «المفضليات» للضبي (ص: ٣٩٤)، و«الزاهر» للأنباري (٢/ ٢٥٥)، ونُسب لغيره.

(٣) عجز بيت لكثير، كما في «ديوانه» (ص: ١٢٣)، وصدره:

كما قد عَمَمْتَ المؤمنينَ بنائِلٍ

أي: خليفةً عنكم يا ملائكتي.

والخليفة: هو القائمُ مقامَ غيرِه في الأمرِ الذي جُعِل إليه.

وقيل: خلِيفةً عن الجنِّ بني الجانِّ.

وسمِّي خليفةً؛ لأنَّه تخلَّف عمَّن تقدَّم.

وقيل: ﴿خَلِيفَةً﴾: أممًا يخلُفُ بعضُهم بعضًا، إذا هلكَتْ أمّةٌ خلفَتْها أمّةٌ.

ابن عبّاسٍ وابن مسعود: خليفةً عن اللهِ؛ يعني: آدم عليه السَّلام يحكمُ في الأرض بالحقِّ[1].

وقيل: يزرع ويحصد ويبني ويُجري الأنهار.

﴿قَالُوٓاْ﴾؛ أي: الملائكة: ﴿أَتَجۡعَلُ﴾: أتخلق.

الزَّجّاج في جماعةٍ: الألف هاهنا للتَّقرير[2]، كقول الشّاعر:

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ المَطايا ... وأَنْدَى العالَمِينَ بُطُونَ راحِ[3]

غيرُهم: هو للاستخبار[4].

﴿فِيهَا﴾: في الأرض.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٤٧٩).

(٢) أي: همزة الاستفهام خرجت عن معناها الأصلي إلى معنى التقرير على سبيل الإنكار. انظر: «معاني القرآن» للأخفش (١/ ٦٣)، وللزَّجّاج (١/ ١٠٩)، و«شرح المفصل» لابن يعيش (٥/ ١٠٠).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزَّجّاج (١/ ١٠٩)، والبيت لجرير، كما في «ديوانه» (ص: ٨٥).

(٤) أي: همزة الاستفهام بقيت على معناها الأصلي وهو الاستفهام، ويسمى الاستخبار والاستعلام، وقد رجَّح الراغب الأصفهاني أنَّ هذا هو المعنى المراد في الآية. انظر: «تفسير الراغب الأصفهاني» (١/ ١٤٠)، و«اللباب» للعكبري (٢/ ١٢٩).

﴿مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ بتركِ أوامرك.

﴿وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾: يقتلُ النَّفسَ بغيرِ حِلِّها؛ أي: فيهم ومنهم مَن يفعلُ ذلك.

والسَّفْكُ: صبُّ الدَّمِ خاصّةً، ويُستعمَل لنثرِ الكلام.

والدَّم: أحد الأخلاط الأربعة التي جعل الله بها قوام البَدنِ(١).

وفي معرفِتهِم ذلك أقوالٌ(٢):

قال بعضهم: أخبرهم اللهُ بذلك.

وقيل: قال لهم: إنِّي جاعلٌ في الأرضِ خليفةً يفسدون فيها ويسفِكون الدِّماء، فحذَفَ الوصفَ من «القرآن»(٣)، ودلَّ ما بعدَه عليه.

وقيل: قاسوا على الغائب، وأوَّلُ مَن قاسَ الملائكةُ(٤).

وقيل: أطلعَهم اللهُ على الكائنات كلِّها، فسألوه عن معرفة وجهِ الحكمة.

وقيل: فهِمُوا ذلك من لفظ (الخليفة)؛ لأنَّ (الخليفةَ) هو القائمُ مقامَ الغيرِ موصوفًا بصِفتِه، وكان الجنُّ بهذه الصِّفة.

---

(١) «الأربعة»: ليس في (ن). والأخلاط الأربعة: الدم والبلغم والمرة الصفراء والمرة السوداء، التي عليها قوام البدن. انظر: «مفاتيح العلوم» للخوارزمي (ص: ١٠٦).

(٢) ذكر هذه الأقوال في «غرائب التفسير» (١/ ١٣١)، وزاد قولًا: (أنهم رأوا ذلك في اللوح المحفوظ، وهو مشتمل على الكائنات).

(٣) «من القرآن» من (ن).

(٤) ذكر القاضي أبو يعلى الحنبلي هذا القول من غير أن ينسبه مقابلًا لقول محمد بن سيرين: (أول من قاس إبليس). انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٣٥٨٠٦)، و«العدة» للقاضي أبي يعلى (٤/ ١٢٧٨).

وقيل: الملائكة شكُّوا في حال أنفسهم؛ أنكون مع جَعْلِ اللهِ[١] الخليفةَ وعدمِ[٢] جعلِهِ سواءً، أم الأمرُ بِخلافِ ذلك؟

وجمعُ الخليفة: الخلائِفُ، والخلفاءُ: جمعُ الخَلِيف.

﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾: نبرِّئُكَ وننزِّهُكَ عمّا لا يليقُ بوصفِك.

والتَّسبيح: التَّنزيه، ومنه: سبحانَ الله.

قال الشّاعر:

أقـولُ لـمّا جـاءَني فَخْـرُهُ ... سُبْحانَ مِـنْ عَلْقَمـةَ الفاخِـرِ[٣]

وهو مصدرٌ تُرِكَ فِعلُه اكتفاءً بـ(سبَّحَ تسبيحًا).

وتسبيحُ الملائكة فيما روى ابنُ عبّاسٍ: سبحانَ ذِي الـمُلْكِ والـمَلكوتِ، سبحانَ ذِي العِزّةِ والجبروتِ، سبحانَ الحيِّ الذي لا يموت[٤].

---

(١) اسم الجلالة: «الله» من (ن).

(٢) في (ن): «وترك».

(٣) البيت للأعشى. انظر: «ديوانه» (ص: ١٠٦)، و«تفسير الطبري» (١/ ٥٠٣). والمعنى: سبحان الله من فخرِ علقمة؛ أي: تنزيهًا لله مما أتى علقمة من الافتخار.

(٤) ذكره البغوي في «تفسيره» (٧/ ١٤٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وفي دعاء الملائكة عدة أحاديث وآثار منها ما رواه المروزي في «الصلاة» (٢٥٦)، وأبو الشيخ الأصبهاني في «العظمة» (٥٣٤)، والحاكم في «المستدرك» (٤٥٠٢) عن عبد الله بن عمر عن عمر رضي الله عنهما في حديث طويل وفي آخره: «أما أهل السماء الدنيا فيقولون: سبحان ذي الملك والملكوت، وأما أهل السماء الثانية فيقولون: سبحان ذي العزة والجبروت، وأما أهل السماء الثالثة فيقولون: سبحان الحي الذي لا يموت». وصححه الحاكم، وقال الذهبي: منكر غريب.

وفي حديث آخر عن رواه إسحاق بن راهويه في «مسنده» (١٠)، والطبري في «تفسيره» =

وقيل: التَّسبيح: الصَّلاة.

المفضَّل: السَّبحُ[١] رفعُ الصَّوتِ بذكر الله[٢]، وأنشد لجرير:

قَبَحَ الإلهُ وُجُوهَ تَغْلِبَ كُلَّما ... سَبَحَ الحَجِيجُ وكَبَّروا إهْلالا[٣]

﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾: المفضَّل: نعظِّمُك وننزِّهُك.

والتَّقدِيس: التَّطهِير.

الزّجّاج: ومنه القَدَسُ، وهو السَّطْل؛ لأنَّه يُتطهَّرُ منه[٤].

واللَّام في قولِهِ: ﴿لَكَ﴾ متعلِّقٌ بالمعنى؛ أي: تقديسُنا لك، كما تقول: سعيًا لك، وقيل: نقدِّس أفعالَنا لك، والأوَّل أحسن.

والباء في ﴿بِحَمْدِكَ﴾ مثله في قولِهِ: (سبحانَه وبحمدِهِ)؛ أي: والحمدُ لله على ما هدانا له.

= (٣/ ٦١١)، وأبو الشيخ الأصبهاني في «العظمة» (٣٨٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وهو حديث الصور الطويل، وفيه: «لهم زجل من التسبيح، وتسبيحهم أن يقولوا: سبحانك ذي الملك ذي الملكوت، سبحان رب العرش ذي الجبروت، سبحان رب الملائكة والروح، قدوس قدوس، سبحان ربنا الأعلى، سبحان رب الملكوت والجبروت والكبرياء والسلطان والعظمة، سبحانه أبد الأبد، سبحان الحي الذي لا يموت، سبحان الذي يميت الخلائق ولا يموت».

(١) في (و): «التسبيح».

(٢) ذكر المصنف قول المفضل هذا في «غرائب التفسير» (١/ ١٣٢) واستغربه، ونقل الماوردي في «تفسيره» (١/ ٩٨) عن المفضل أن المراد بالتسبيح هو التسبيح المعروف.

(٣) انظر: «ديوان جرير» (١/ ٥٢)، و«تفسير الماوردي» (٦/ ٢٥١)، و«غرائب التفسير» (١/ ١٣٢). وفي «الديوان»: (شبح) بدل (سبح)، والشبح: رفع الأيدي بالدعاء.

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزّجّاج (١/ ١١٠).

وعلى قول المفضَّلِ: نرفعُ أصواتَنا بحمدِك.

وقيل: الباء للحالِ؛ أي: نسبِّحُكَ حامدين، كما تقول: خرج بثيابِه وبسلاحِه.

﴿قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ من انطِواء إبليس على الكِبْرِ والمخالفةِ والعزمِ على المعصية.

وقيل: إنَّ هؤلاء يُمتحَنون بالتَّكليفِ، فلهذا يكون من بعضِهم العصيانُ، ولو كُلِّفتم لعصيتم أيضًا.

وقيل: سؤالُ الملائكةِ لم يكن إلَّا بعدَ استئذانِ اللهِ فيه، فأذِنَ لهم.

* * *

(٣١) - ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾.

﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ﴾: ابن عبّاسٍ: علَّمَه معانيَ الأسماء(١).

الرَّبيع: علَّمَه أسماءَ الملائكة(٢).

وقيل: أسماءَ ذرِّيَّتِه، وقيل: علَّمَه اسمَ كلِّ مخلوقٍ بكلِّ اللُّغات.

وعن ابن عبّاسٍ أيضًا: علَّمه اسمَ كلِّ شيءٍ حتى القَصْعة والـمِغْرَفة(٣).

وقيل: عامٌّ في حقائقِ الأشياءِ وخواصِّها وأفعالِها وأسمائِها؛ لأنَّ لكلِّ شيءٍ منها اسمًا، وتعليمُه معجزةٌ تدلُّ على كونِه رسولًا.

---

(١) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (١/ ٥١٤).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٥١٧).

(٣) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (١/ ٥١٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٨٠).

﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾؛ أي: خلقَهم ثم عرضَهم، وقيل: صوَّرهم في قلوب الملائكة.

وذكرَ الكِنايةَ[1] لأنَّهم عقلاء، أو لأنَّ الغلبةَ للعقلاءِ.

وقيل: لأنَّ الاسم والمسمَّى واحدٌ[2].

﴿ءَادَمَ﴾: أبو البشر عليه السَّلام، واشتقاقُه من (أديمِ الأرض)، لا ينصرِفُ في المعرفة، وينصرِفُ في النَّكرة[3].

وقيل: اشتقاقُه من (الأُدْمة)، وهي شُرْبةٌ من سوادٍ في النّاس، وفي[4] غيرهم بياض[5]، لا ينصرف في المعرفةِ والنَّكرةِ إن أردْتَ بقاءَ معنى الوصفيّة فيه[6].

---

(١) أي: استعمل الضمير (هم).

(٢) فالمعروض هو مسميات الأسماء، وأعيان الخلق. انظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة (ص: ٤٦)، و«غرائب التفسير» (١/ ١٣٢).

(٣) قال الأخفش: إذا سَمَّيْتَ به رجلاً فقد أخرجته من باب الصفة، فيجب إذا نكَّرته أن تصرفه، وذلك كقولك: «مررت بآدمَ وآدمٍ آخر»، وذلك على معنى: مررت برجل اسمُه آدمُ ورجل آخر اسمُه آدمُ أيضاً؛ فالأول لم يُصرف لأنه معرفة، والثاني صُرف لأنه نكرة، وفي هذه المسألة خلاف بين النحويين. انظر: «معاني القرآن» للزَّجّاج (١/ ١١٣)، و«إعراب القرآن» للنَّحّاس (١/ ٤٣).

(٤) «وفي» من (ن).

(٥) انظر: «العين» (٨/ ٨٨) مادة (أ د م).

(٦) وذلك كقولك: «مررت بآدمَ وآدمَ آخر»؛ بمعنى: مررت برجل اسمُه آدمُ ورجل آخر صفته أنه آدمُ؛ فالأول لم يُصرف لأنه معرفة، والثاني لم يُصرَف لأنه صفة على وزن أفعل، وهذا مذهب الخليل وسيبويه. انظر: «الكتاب» (٣/ ٢٠٣)، و«المقتضب» للمبرد (٣/ ٣٨٣)، و«معاني القرآن» للزَّجّاج (١/ ١١٣).

والكلُّ: اسمٌ موضوعُهُ للإحاطةِ بالأجزاءِ، وكذلك (أجمعون) غيرَ أنَّه لا تلِيهِ العوامِلُ(١).

وعرضُ الشَّيءِ: إظهارُه حتى تُعرَفَ جهتُه.

﴿فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾: هذا أمر تعجيزٍ وتوبيخٍ، لا أمر تكليفٍ(٢).

وقيل: أمرٌ بشرطٍ؛ أي: إن أمكن أن تخبروني بالصِّدقِ فيه فافعلوا.

والإنباء: الإعلام، وقيل: الإخبار.

والنَّبأ: الخبرُ، وذلك أنَّ اللهَ سبحانَه لـمّا أخبرهم بقولِهِ: ﴿إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]، وقع في نفوسِهم أنَّ الله لا يخلق خلقًا أعلم منهم، فقال الله: أنبئوني إن كنتم صادقين في هذا الظَّنِ.

وقال الأخفشُ: ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ فيما تخبرون به مِن أسمائهم. قال: وهذا كقولك لرجل: أخبرني بما في يدي إن كنْتَ صادِقًا؛ أي: إن كنْتَ تعلمُ ما تخبِرُ به(٣).

وقيل: لمّا سمعوا: ﴿إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ هجَسَ في نفوسِهم: لو كانوا مكان آدمَ وذريَّتِه لم يكن فسادٌ ولا سَفْكُ دمٍ، فقال: ﴿أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ فيما ظننتم؛ ليعلموا أنَّهم إذا لم يعلموا باطنَ ما شاهدوا كانوا عن علمِ باطنِ ما غابَ عنهم أبعدَ.

---

(١) لعل المراد: لا تليه الضمائر التي تعود على العوامل في الجمل قبله، والله أعلم.

(٢) فظاهره الأمر، وهو يحتمل التوعد والمعاتبة. انظر: «تفسير الماتريدي» (١/ ٤١٨)، و«الوسيط» للواحدي (١/ ١١٧).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للأخفش (١/ ٦٣).

وقيل: (إن) بمعنى (إذ)[1]، وهو مزيَّفٌ.

***

(٣٢) ـ ﴿ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾.

﴿ قَالُوا۟ ﴾ اعترافًا[2] بالعجزِ: ﴿سُبْحَٰنَكَ ﴾: تنزيهًا لك عن ادِّعائِنا علم الغيبِ وعن الاعتراضِ عليك في تدبيرِك.

وقيل: ﴿سُبْحَٰنَكَ ﴾: تعظِيمًا لك.

﴿لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ﴾ وليس فيه علمُ الأسماءِ.

﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ﴾: العالِـمُ غيرُ المعلَّم.

﴿ٱلْحَكِيمُ﴾: الحاكم، وقيل: المحكِم، وأصلُ الكلمة من (المنع).

***

(٣٣) ـ ﴿ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾.

﴿ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم ﴾: أخبرهم ﴿بِأَسْمَآئِهِمْ ﴾ فأنبأهم بها، وسمَّى كلَّ شيءٍ باسمِهِ، وألحقَ كلَّ شيءٍ بجنسِهِ.

﴿فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾؛ أي: ما غابَ فيهما عنكم ممّا كان وممّا يكون.

---

(١) نقل هذا ابن قتيبة والطبري وغيرهم عن بعض المفسرين، ولم يُقرِّوه. انظر: «تأويل مشكل القرآن» لابن قتيبة (ص: ٢٩٤)، و«تفسير الطبري» (١/ ٥٢٦).

(٢) في (و): «اعترفوا».

ويحتمل أنَّه قال لهم ذلك حيث قال: ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾.

﴿وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ﴾: هو قولهم: ﴿أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا﴾.

﴿وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ﴾: هو ما هجَسَ في أنفسِهم أنَّه لن يخلقَ ربُّنا خلقًا أعلم منّا.

وقيل: هو عامٌّ؛ أي: علانِيَّتكم وسِرِّكم.

ابن عبّاسٍ: ﴿مَا تُبۡدُونَ﴾ يعني: الملائكة من الطّاعةِ، ﴿وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ﴾: من إبطانِ إبليسَ العزمَ على المعصية[1].

والإبداءُ: الإظهارُ، والبُدُوُّ[2]: الظُّهور، والكَتْمُ والكِتْمانُ: الإخفاء.

* * *

(٣٤) ـ ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾.

﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ﴾: السُّجود والإسجاد: الخضوع وخفض الرَّأسِ.

ابن عبّاسٍ: كان ذلك[3] انحناءً، ولم يكنِ الخُرورَ على الذَّقن[4].

ابن مسعود: أُمِروا بأن يَأْتَـمُّوا بآدمَ، فسجدَ وسجدوا للهِ[5].

أُبيُّ بن كعبٍ: اخضعوا له، وأقرُّوا بالفَضْل له[6].

---

(١) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (١/ ٥٣١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٨٢).

(٢) في (و): «البدء». وانظر: «طلبة الطلبة» للنسفي (ص: ٦٨).

(٣) «ذلك»: ليس في (ن).

(٤) ذكره ابن عطية في «تفسيره» (١/ ١٢٤).

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٢٢٤)، وقد ذكره المصنف بلا نسبة في «غرائب التفسير» (١/ ١٣٣).

(٦) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٢٢٤)، والواحدي في «البسيط» (٢/ ٣٦٦).

﴿فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ﴾: امتثلوا إلّا إبليس، وهو استثناءٌ صحيحٌ، وإبليس من قبيلةٍ من الملائكةِ يُقال لهم: الجنُّ؛ لاستتارهم عنّا.

وقال الحسن: الاستثناء منقطع، وليس هو منهم(١).

وإبليس: اسمٌ أعجميٌّ لا ينصرِف.

وقيل: هو مشتقٌّ من (أبْلَسَ)، وتَرْكُ الصَّرفِ يدفعُه(٢).

عن ابنِ عبّاسٍ: كان اسمه عَزازِيل(٣).

﴿أَبَىٰ﴾: امتنعَ عن السُّجودِ، والإباء: الامتِناع.

﴿وَٱسۡتَكۡبَرَ﴾: تكبَّر وتعظَّم.

﴿وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ قيل: كان في سابقِ علمِ الله.

وقيل: صار منهم، كقوله: ﴿فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ﴾ [هود: ٤٣](٤).

***

---

(١) روى الطبري في «تفسيره» (١/ ٥٣٩) عن الحسن: (ما كان إبليس من الملائكة طرفة عين قط، وإنه لأصل الجن كما أن آدم أصل الإنس)، وهذه العبارة هي ما أراده المصنف، كما يظهر من كلامه في «غرائب التفسير» (١/ ١٣٤)، أما أن يكون الحسن استخدم مصطلح الاستثناء المنقطع فغير مراد ولا وارد.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٥٣٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٨٤).

(٣) ذكر هذا الوجه والذي قبله ابن قتيبة، وذكر المانع من الصرف على هذا الوجه، وهو أنه لا سَمِيَّ له فاستُثْقِل. انظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة (ص: ٢٣).

(٤) ذكر هذا والذي قبله الماتريدي في «تفسيره» (١/ ٤٢٥).

(٣٥) ـ ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾.

﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ ﴾: اتخذاها مسكنًا تسكنان[١] فيه.

والسُّكون: ضِدُّ الحركةِ[٢].

والجنّة: هي جنّةُ الخُلْدِ التي وُعِدَ المتَّقون دخولَها، وهي مخلوقةٌ، وهذا مذهب أهل السُّنةِ والجماعةِ[٣].

وقيل: كانت جنّةً في السَّماءِ، أسكن الله آدم وحوّاء فيها، ولم تكن جنّة الخلد.

وقيل: كانت جنّةً في الأرضِ.

﴿وَكُلَا مِنْهَا﴾؛ أي: من ثمارها، والأكلُ: الالتِقامُ.

﴿رَغَدًا﴾: الزَّجّاج: الرَّغدُ[٤]: الكثير الذي لا يُعنِّيكَ[٥].

---

(١) في (و): «تسكنون».

(٢) ذكر المصنف في «البرهان» (ص: ٧٠) أن (اسكن) ليس من (السكون) الذي هو ضدُّ الحركة، وإنما من (السكون) الذي هو الإقامة، وذكر أن حمل المعنى على اتخاذ الجنة مسكناً يناسب آية الأعراف، لا آية البقرة.

(٣) أي: أن الجنة مخلوقة، ولم يخالف في هذا إلا طائفة من المعتزلة والخوارج، وأما إسكان آدم عليه السلام جنة الخلد فهو الشائع الراجح الظاهر، وقد ذكر المصنف أنه مذهب أهل السنة في «غرائب التفسير» (١/ ١٣٤)، لكن قال الماتريدي في «تفسيره» (١/ ٤٢٥): (ليس في الآية بيان ذلك)، وقد توسَّع ابن حزم وابن حبان في بحث المسألة. انظر: «الفِصَل في الملل والأهواء والنحل» لابن حزم (٤/ ٦٨)، و«البحر المحيط» (١/ ٢٥٣).

(٤) «الرغد» من (ن).

(٥) انظر: «معاني القرآن» للزَّجّاج (١/ ١١٤)، ومعنى يعنِّيك: يشقُّ عليك.

مقاتل[١]: عطاءً[٢] موسَّعًا عليكما[٣].

﴿حَيْثُ شِئْتُمَا﴾: متى شئتما، وأينَ شئتما، وكيفَ شئتما.

مجاهدٌ: لا حسابَ عليكما[٤].

﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾: لا تحوما حولَها بالأكلِ منها.

والقُرْبُ: ضدُّ البُعْدِ، و(قَرُب الشَّيءُ) لازِمٌ، و(قَرَّبْتُه) متعدٍّ.

والشَّجرةُ من النَّباتِ: ما تقومُ على ساقٍ.

واختلفوا في هذهِ الشَّجرةِ؛ فقال ابنُ عبّاسٍ: البرُّ[٥].

عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه: الكافور[٦].

السُّديُّ: العِنَب[٧].

وقيل: التِّين[٨].

---

(١) «مقاتل» ليست في (و).

(٢) «عطاء» من (و).

(٣) ذكر أبو حيان في «تفسيره» (١/ ٢٥٥) نحوه عن مقاتل، وروى الطبري في «تفسيره» (١/ ٥٥٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (الرغد: سعة المعيشة)، وذُكر نحوه بلا نسبة في: «تفسير السمرقندي» (١/ ٤٤)، و«تفسير الثعلبي» (١/ ٢٠١)، و«تفسير البغوي» (١/ ٩٩).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٥٥٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١١٧).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٥٥٣).

(٦) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١/ ١٨٢)، والماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٢٠٩).

(٧) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٥٥٥).

(٨) ذكره الواحدي في «الوسيط» (١/ ١٢٢) عن ابن جريج، وذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٥٥) عنه وعن الحسن، وعطاء بن أبي رباح.

الكلبيُّ: شجرةُ العِلمِ عليها من كلِّ نوع[١]؛ أي: هي شجرةٌ من أكلَ منها عَلِمَ الخيرَ والشَّرَّ.

وقيل: هي شجرةُ الخُلْدِ التي تأكلُ منها الملائكة.

وقيل: هي شجرةٌ مَن أكلَ منها أحدثَ.

وقال أهل الكتاب: هي شجرةُ الحنظل، حكاه الماورديُّ[٢].

﴿فَتَكُونَا﴾: فتصِيرا، يجوز أن يكون جزمًا عطفًا على النَّهي، ويجوز أن يكون نصبًا جوابًا للنَّهي.

﴿مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: الذين وضعوا أمرَ اللهِ غيرَ موضعِهِ، والظُّلم بالإجماع: وَضْعُ الشَّيءِ في غيرِ موضِعِهِ.

***

(٣٦) - ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾.

﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾: بعَّدَهما، تقول: زلَّ[٣] الشَّيءُ عن موضعِهِ، و(أزلَّ)[٤] مُتعدِّيه، والمعنى: حملهما على الزَّلّةِ، وقيل: سأل منهما الزَّلّة.

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٢٠٩) عن الكلبي، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١/ ١٨٢) عن قتادة.

(٢) انظر: «النكت والعيون» للماوردي (٢/ ٢٠٩). وقد ذكر المصنف هذه الأقوال في «غرائب التفسير» (١/ ١٣٥)، وذكرها أبو حيان في «البحر المحيط» (١/ ٢٥٦)، ونبَّه على أنَّ الأظهر أنها شجرة لم يعلمنا الله ما هي؛ إذ لا يتعلَّق بعرفانها كبير أمر، وإنما المقصود إعلامنا أنَّ فعلَ ما نُهينا عنه سببٌ للعقوبة.

(٣) في (و): «زال».

(٤) في (و): «وأزال».

وقُرِئ: (أزالَ) متعدِّي (زالَ)[1]، والمعنى سواء.

﴿عَنۡهَا﴾: عن الجنّة، وقيل: عن الطّاعةِ.

المفضَّل: عن الشَّجرة[2]، والمعنى: بسببها، ويحتمل: من أجلِها، وذلك حين أكلا من الشَّجرةِ.

وقيل: أكلَ ناسيًا من قولهِ: ﴿فَنَسِيَ وَلَمۡ نَجِدۡ لَهُۥ عَزۡمٗا﴾ [طه: ١١٥].

ابن المسيِّب: أكلَ سكران[3].

وقيل: أكلَ متأوِّلًا، تأوَّلَ النَّهيَ على عينِ الشَّجرةِ لا على جنسِها، فأكلَ من غيرِها من الجنسِ، واللَّفظُ صالحٌ لهما.

وقيل: تأوَّلَ النَّهيَ على التَّنزيهِ لا على التَّحريمِ.

وقيل: أكلَ عامِدًا؛ لقولهِ: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ [طه: ١٢١]، وذلك أنَّ إبليسَ حملَه على الأكلِ حيث قال: ﴿هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ وَمُلۡكٖ لَّا يَبۡلَىٰ﴾ [طه: ١٢٠]، وغرَّهُ بالمقاسمةِ حيث قال: ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [الأعراف: ٢١].

﴿فَأَخۡرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾: نحّاهما من الزِّينةِ والرُّتبةِ ولينِ العيش.

وقال بعضهم: كان آدم يخرج من الجنّة إلى السَّماءِ، فخاطبَه إبليسُ في السَّماء.

وقيل: دخل بطنَ الحيّة، فدخل الجنّة[4]، ثم خاطبَه.

---

(١) قرأ حمزة: ﴿فأزالهما﴾. انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ١٥٤)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٧٨).

(٢) ذكره ابن الجوزي في «تفسيره» (١/ ٥٦) دون نسبة.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٥٦٦)، والثعلبي في «تفسيره» (١/ ١٨٣).

(٤) «فدخل الجنة» من (ن).

وقيل: خاطبه من الأرض.

وقيل: لم تكن مخاطبةً، بل كان وسوسةً؛ لقولهِ تعالى: ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾ [الأعراف: ٢٠].

﴿وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟﴾: انزِلوا.

والخِطابُ لآدم وحوّاء وإبليس[1]، وإن كان خطابُ[2] إبليسَ أسبقَ.

وقيل: الحيّة والطاووس.

وقيل: لآدم وحواء وذرِّيتهما؛ لأنَّهم كانوا في ظهره.

﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾؛ يعني: العداوة التي بينهما وبين إبليس والحيّة، وكذلك بين ذرِّيَّتِهما.

والبعضُ: نقيضُ الكلِّ، وهو الجزءُ من الشَّيءِ.

والعداوةُ: اختلافُ القلوبِ، واشتقاقُه من (عدوَتَي الوادي)، كالمحادّة والمشاقّة.

﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾: قرارٌ، ومستقرٌّ: موضعُ قرارٍ وسكونٍ.

﴿وَمَتَٰعٌ﴾: ما تتمتَّعون وتعيشون به.

﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾ قيل: حين الموتِ، وقيل: إلى انقِضاءِ الدُّنيا.

والحينُ: اسمٌ للزَّمانِ مبهمٌ، وقد يتعيَّنُ بالقرائنِ.

* * *

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٣١)، وللأخفش (١/ ٧٤).

(٢) «خطاب» من (ن).

(٣٧) ـ ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾؛ أي: لقّاهنَّ اللهُ فتلقَّى، من (اللُّقيةِ).

أبو عبيدة: قَبِلَها[١].

الزَّجّاج: اعترفَ بالذَّنب[٢].

وقرئ: ﴿آدمَ﴾ بالنَّصب[٣] ﴿كلِماتٌ﴾ بالرَّفع[٤][٥]؛ لأنَّ ما لَقِيتَه فقد لَقِيَكَ، والمعنى: نزلَ عليه وأتتْهُ الكلماتُ.

والكلمات: جمع كلمةٍ، والكلمةُ: المتكلَّمُ به، عامٌّ في القليلِ والكثيرِ، والكلامُ خاصٌّ في المفيدِ، وأصلُ البابِ من التَّأثير، ومنه: الكَلْمُ.

ابن عبّاسٍ: الكلماتُ هي التي في (الأعراف): ﴿رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ...﴾ الآية[٦].

مجاهد[٧]: اللَّهمَّ لا إلهَ إلّا أنت، سبحانَك وبحمدِك، ربِّ إنِّي ظلمْتُ نفسِي فاغفِرْ لي، إنَّك أنت خير الغافرين، اللَّهمَّ لا إلهَ إلَّا أنت، سبحانَك وبحمدِك، ربِّ إنِّي ظلمْتُ نفسِي فارحمنِي، إنَّك أنتَ خير الرّاحِمين، اللَّهمَّ لا إلهَ إلّا أنت، سبحانَك

---

(١) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ٣٨).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزَّجّاج (١/ ١١٦).

(٣) في (و): «نصب».

(٤) في (و): «رفع».

(٥) هي قراءة ابن كثير المكي. انظر: «التيسير» للداني (١/ ٢٧٨).

(٦) انظر: «تفسير الثعلبي» (٣/ ٢٤٩)، و«زاد المسير» (١/ ٥٧)، و«الدر المنثور» للسيوطي (١/ ١٤٤)، ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٤٥) عن قتادة، ورواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٥٧٩ ـ ٥٨٦) عن قتادة ومجاهد وابن زيد وأبي العالية.

(٧) في النسخ الخطية: «ابن مجاهد»، ولكن على كلمة (ابن) علامة إلغاء في (ن)، وهو الصواب.

وبحمدِك، ربِّ إنِّي ظلمْتُ نفسي فتُبْ عليَّ، إنَّك أنت التَّوّاب الرَّحيم[1].

﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾: فعاد عليه بالرَّحمةِ، وأصلُه الرُّجوع، والتَّوبةُ من العبدِ: رجوعٌ وإقلاعٌ عن الذَّنبِ، ومن اللهِ: قَبولٌ ورحمةٌ.

﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ﴾: الكثيرُ القَبولِ لتوبةِ العبدِ، وقيل: المعينُ عليها.

﴿ٱلرَّحِيمُ﴾: المتجاوزُ عن العبدِ برحمتِه.

وتركَ ذِكْرَ حواءَ؛ لكونِها تَبَعًا له، أو اكتفاءً بذكرِ أحدِهما عن الآخر، كقولِهِ: ﴿ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا﴾ [الجمعة: ١١][2]، وقولِهِ: ﴿أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ [التوبة: ٦٢][3].

***

(٣٨) ـ ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

﴿قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا﴾ كرَّرَ الأمرَ بالهبوطِ للتَّأكيد.

وقيل: لأنَّ الأوَّل من الجنّة، والثّاني من السَّماء[4].

والهبوط: النُّزول.

المفضَّل: الهبوط: الخروج، ويُستعمَل للدُّخول، كقولِهِ: ﴿ٱهْبِطُواْ مِصْرًا﴾

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٥٨٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٩١).

(٢) أعاد الضمير على التجارة وحدها اكتفاء بذكرها عن اللهو الذي تقدَّم ذكره في الآية.

(٣) أعاد الضمير على اسم الجلالة وحده اكتفاء بذكره عن الرسول صلوات الله عليه الذي تقدَّم ذكره في الآية.

(٤) ذكر المصنف القولين في «غرائب التفسير» (١/ ١٣٦)، لكنه ذكر هذا أولًا، واقتصر عليه في «البرهان» (ص: ٧١).

[البقرة: ٦١][1]، وحقيقتُه: الانتقالُ من مكانٍ إلى مكانٍ دونَه.

﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى﴾: بيانٌ وكتابٌ ورسولٌ، ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ﴾ بالقَبولِ والإيمانِ به، ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

الخوف: توقُّع مكروهٍ في المستقبلِ[2]، وضدُّه الأمن.

والحزنُ: غلَظُ الهمِّ لفواتِ[3] المرغوبِ فيهِ[4] في الماضِي والحالِ[5]، وضدُّه السُّرورُ.

* * *

(٣٩) ـ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بهداي ﴿وَكَذَّبُوا﴾ رسلَنا ﴿بِآيَاتِنَا﴾ بردِّ آياتِنا وتركِ قَبولها.

والآياتُ: الكتبُ، وقيل: المعجزاتُ، ويحتملُ الدِّلالةَ على التَّوحيدِ من السَّماوات والأرضِ.

﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ﴾: يصحبونها فلا يفارقونها.

﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾: دائمون.

* * *

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ١٠٧).

(٢) انظر: «معجم الفروق اللغوية» (ص: ٤٠٤)، و«زاد المسير» (١/ ٥٨).

(٣) في (ن): «الفوت».

(٤) «فيه»: ليس في (ن).

(٥) انظر: «معجم الفروق اللغوية» (ص: ٥٦٠).

(٤٠) ـ ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ﴾.

﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾: يا أولاَد يعقوب، ﴿ٱذۡكُرُواْ﴾: اشكروا.

وذِكْرُ النِّعمةِ: شكرُها، والذِّكْرُ باللِّسانِ.

وقيل: لا تغفلوا عنها، وليكن ذلك منكم على ذُكْرٍ، والذُّكْرُ مضموم: بالقلبِ.

وقيل: هما لغتانِ[1].

﴿نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ﴾ قيل: هي من النِّعمِ العامّةِ على الكافّةِ، من قولهِ تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ﴾ [النحل: ١٨].

وقيل: ﴿عَلَيۡكُمۡ﴾: على آبائِكم من إنجائِهم من فرعونَ وإغراقِهِ، وجَعْلِهم ملوكًا، وإيتائِهم ما لم يؤتِ أحدًا من العالمين، والنِّعمةُ على آبائِهم نعمةٌ عليهم.

ابن عبّاسٍ: هو ما استُودِعوه من التَّوراةِ، وفيها صفةُ محمَّدٍ ﷺ ونعتُه وبِعثتُه[2].

﴿وَأَوۡفُواْ﴾: أدُّوه وافيًا تامًّا، والوفاءُ: تمامُ الشَّيءِ، (وفى) و(وفَّى) و(أوفى) لغاتٌ كلُّها[3].

﴿بِعَهۡدِيٓ﴾ ما عهِدْتُه إليكم ولزمَكُمُ[4] الوفاءُ به من قولِهِ: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ

---

(١) انظر: «تصحيح الفصيح» لابن درستويه (ص: ٣٤١)، و«تهذيب اللغة» (١٠/ ٩٤) مادة (ذ ك ر).

(٢) في (ن): «وبعثه». ذكره السمرقندي في «تفسيره» (١/ ٤٧)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٥٩).

(٣) انظر: «تهذيب اللغة» (١٥/ ٤٢٠) مادة (و ف ي).

(٤) في (ن): «إليهم ولزمهم».

﴿ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٨٧]، ومن قولِهِ: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ﴾ [الأعراف: ١٥٧] الآية.

﴿أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾: من الإعزاز في الدُّنيا، والثَّوابِ في العُقْبى.

وسمِّي الثّاني عهدًا؛ لأنَّه جزاءُ وفاءِ العهد[1].

﴿وَإِيَّٰيَ فَٱرْهَبُونِ﴾: خافون، والرَّهبةُ: الخوفُ.

و﴿وَإِيَّٰيَ﴾ منصوبٌ بفعلٍ مُضمَرٍ دلَّ عليه ما بعدَه، وتقديرُه: وإيّاي فارهبوا فارهبوني، وحُذِفَ الأوَّل؛ لأنَّ الثّاني يدلُّ عليهِ.

وقيل: تقديره: فارهبوني فارهبوني، فحُذِفَ الفعلُ الأوَّل، وجُعلَ الضَّميرُ المتَّصلُ[2] منفصِلًا.

وحَذفُ الياءِ[3] للفاصلة، والفواصِلُ للآي كالقوافي للشِّعر.

* * *

(٤١) ـ ﴿وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ﴾.

﴿وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ﴾؛ يعني: القرآن ﴿مُصَدِّقًا﴾: موافِقًا ﴿لِّمَا مَعَكُمْ﴾: ما في التَّوراةِ من التَّوحيدِ والعبادةِ.

وقيل: ﴿مُصَدِّقًا﴾ أنَّ التَّوراة من عند الله.

وقيل: لِما فيها من ذِكْرِ محمَّدٍ ﷺ والقرآنِ.

---

(١) «من الإعزاز في الدنيا والثواب في العقبى وسمي الثاني عهدا لأنه جزاء وفاء العهد» من (ن).

(٢) أي: من الفعل الأول.

(٣) أي: من الفعل الثاني.

﴿وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦ﴾؛ أي: من اليهود، فتكونوا أئمّةً في الضَّلالة.

ووحَّد كافرًا[١]؛ قال الفرّاء: لأنَّ التَّقديرَ أوَّل مَن يكفرُ به، فوحَّد على لفظ (مَن)[٢].

الأخفش: أوَّل فريقٍ كافرٍ به[٣].

وقوله: ﴿بِهِۦ﴾ يعود إلى (ما أنزلْتُ)، وهو القرآن.

وقيل: إلى محمَّدٍ عليه السّلام[٤].

الزَّجّاج: إلى ما معَكم؛ يعني: التَّوراة؛ لأنَّكم إذا لم تؤمنوا بمحمَّد ﷺ والقرآنِ وقد أمرتم بذلك في التَّوراةِ، فقد كفرتم بكتابكم[٥].

﴿وَلَا تَشْتَرُواْ﴾: تستبدلوا ﴿بِـَٔايَٰتِى﴾: بتغييرها وتحريفِها.

وذلك أنَّ اليهودَ غيَّروا أحكامَ التَّوراة، فحرَّفوا معناها، وفسَّروا على خِلافِ مقتضاها، وغيَّروا صفةَ محمَّدٍ ﷺ، وأخذوا عليه الرُّشَى من كبرائِهم.

وقال أبو العالية: هو ما أخذوا على تعليمِها؛ لأنَّ في التَّوراةِ: ابنَ آدم علِّم مجّانًا كما عُلِّمْتَ مجّانًا[٦].

﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾: عِوضًا، والثَّمن: البدلُ في المدفوعِ من العَينِ والوَرِقِ[٧].

---

(١) في (ن): «الكافر».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٣٢).

(٣) نقل الزَّجّاج والنَّحّاس عن الأخفش مثل قول الفراء، ونقل هذا القول عن بعض البصريين. انظر: «معاني القرآن» للزَّجّاج (١/ ١٢٣)، و«إعراب القرآن» للنَّحّاس (١/ ٤٩).

(٤) ذكره الماوردي عن أبي العالية. انظر: «تفسير الماوردي» (١/ ١١٢).

(٥) انظر: «معاني القرآن» للزَّجّاج (١/ ١٢٣).

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٦٠٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٩٧).

(٧) العَين: الذهب، والوَرِق: الدراهم المضروبة. انظر: «جمهرة اللغة» (٢/ ٩٥٥)، و«مختار الصحاح» (ص: ٣٣٦)، و«معجم الفروق اللغوية» (ص: ١٥٠).

والباء دخل في (آياتي)، ومحلُّه الثَّمنُ، كقوله تعالى: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾ [يوسف: ٢٠]، و: اشتريْتُ بدينارٍ.

قال الفرّاء: العروضُ يصلُحُ فيها دخولُ الباءِ على كلِّ واحدٍ من المتاعَين، وإنْ كانَ يدخل الباءُ الدِّينارَ والدِّرهمَ(١).

وقيل: لأنَّ معناه: لا تتوصَّلوا بها إلى دنياكم.

وقال أبو عليٍّ: تقديره حيث وقع(٢): لا تشتروا بآياتي ذا ثمنٍ، قال: لأنَّ الثَّمنَ لا يُشتَرى، وإنَّما يُشتَرى المبيع(٣).

قلت: الباء تدخلُ في بابِ الشِّرَى الشَّيءَ المبذولَ، ولـمّا بذلوا الآياتِ دخلَها الباء، وهذا مطَّردٌ.

والقليل: اليَسير، وضدُّه الكثير، والدُّنيا عن آخرها قليلةٌ بالإضافة إلى ما يفوتكم.

﴿وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ﴾: فخافونِ.

* * *

(٤٢) - ﴿وَلَا تَلْبِسُواْ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُواْ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَلَا تَلْبِسُواْ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ أصل اللَّبسِ: التَّغطِية، تقول: لبَسْتُ الأمرَ ألبِسُ لَبْسًا: إذا خلطْتَه وأزلْتَ بيانَه، ولبِسْتُ الثَّوبَ ألبَسُه لُبْسًا: إذا غطَّيْتَ بدَنَكَ به.

الزَّجّاج: ﴿ٱلْحَقَّ﴾ هاهنا: أمرُ النَّبيِّ ﷺ وما أتى به من كتاب الله.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٣٠).

(٢) في (و): «حيث ولا» بدل «تقديره حيث وقع لا».

(٣) انظر: «الحجة» لأبي علي الفارسي (٣/ ٢٦٦).

﴿بِٱلْبَٰطِلِ﴾؛ أي: بما يحرِّفون[١].

ابن جرير: الصِّدق بالكذب[٢].

المفضَّل: كانوا يُـخبرونَ بأشياءَ ممّا في التَّوراة على صحّةٍ، فيثِقُ بهم السّائلُ، فإذا جاء ذِكْرُ محمَّدٍ ﷺ حرَّفوه، فهذا لَبسُهم الحقَّ بالباطلِ[٣].

وقيل: صفة محمَّدٍ ﷺ بصفةِ الدَّجّال.

﴿وَتَكْتُمُواْ ٱلْحَقَّ﴾ قيل: هو عطفٌ على النَّهي؛ أي: ولا تكتموا الحقَّ، وقيل: نصبٌ[٤].

والخطابُ لليهودِ.

وقيل: للمنافقين، والحقُّ: إظهار الإيمان، والباطل: إبطانُ الكفرِ.

﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ الحقَّ من الباطلِ.

وقيل: وأنتم علماء، والتَّخليطُ منهم أقبحُ.

* * *

(٤٣) ـ ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾.

﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: هي المفروضة.

﴿وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾: هي ما يجبُ في الأموالِ من الصَّدقة والزَّكاة.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزَّجّاج (١/ ١٢٤).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٦٠٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) ذكر نحوه الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ١١٢) دون نسبة.

(٤) ذكر المصنف الوجهين في «غرائب التفسير» (١/ ١٣٧).

والزَّكاةُ في اللُّغةِ: النَّماءُ والزِّيادة، وتأدِيةُ الزَّكاةِ تنمِي المال.

وتأتي الزَّكاة والزَّكاء بمعنى الطَّهارة، وتأديةُ الزَّكاة تطهِّرُ الأموالَ من الحرام، وأربابَها من الآثامِ.

﴿وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾: اخضعوا.

والرُّكوعِ: الخضوع، وقال الأضبطُ السَّعديُّ:

ولا تُـذِلَّ الضَّعِيْـفَ عَلَّـكَ أنْ ... تَرْكَـعَ يومًا والدَّهْرُ قَـدْ رفَعَهْ[1]

وقيل: هو الرُّكوعُ في الصَّلاةِ، وكانت صلاةُ اليَّهودِ بغير ركوعٍ.

وقيل: أراد الصَّلاةَ في الجماعة، ولهذا قال: ﴿مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾، فعبَّر بالرُّكوعِ عن جميع الصَّلاة.

وقيل: كونوا منهم وفيهم.

***

(٤٤) ـ ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ﴾ ابن عبّاسٍ: الآية نزلت في يهودِ أهلِ المدينة، كان الرَّجلُ منهم[2] يقولُ لصِهرِهِ ولذوي قرابتِهِ ولمن بينَه وبينَهم رضاعٌ من المسلمين: اثبت على الدِّينِ الذي أنتَ عليه، وما يأمرُك به هذا الرَّجلُ ـ يعنون

(١) البيت للأضبط بن قريع السعدي، كما في «البيان والتبيين» للجاحظ (٣/ ٢٢٣)، و«الشعر والشعراء» لابن قتيبة (١/ ٣٧١)، وفي «البيان والتبيين»: «لا تحقرن الفقير»، وفي «الشعر والشعراء»: «لا تهين الفقير»، وفيه: «تخشع» بدل «تركع».

(٢) «منهم» من (ن).

محمَّـدًا ﷺ ـ فـإنَّ أمـرَه حـقٌّ، وكانـوا يأمـرون النّـاسَ بذلـك، ولا يفعلونَـه[١].

والبرُّ على هذا: الإيمانُ والدِّين.

وقيل: البرُّ: الصِّدق؛ أي: أتأمرون النّاس بالصِّدقِ وتكذبون؟

وقيل: البرُّ: العطفُ والصَّدقة؛ أي: أتأمرون النّاس بالصَّدقة وتبخلون؟

والبرُّ: الصِّلةُ[٢].

وفي ذلك كلِّه: بَرِرْتُ أَبَرُّ بِرًّا، فأنا بارٌّ وبَرٌّ.

﴿وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾: تتركونها، ولا تأمرونها به.

والنِّسيان: التَّركُ.

﴿وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾: تقرؤون التَّوراة، وأصل التِّلاوةِ: التَّتبُّع.

وفيها الحثُّ على البِرِّ المذكورِ.

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ وليس من قضيّةِ العقلِ أن تأمرَ بالمعروفِ ولا تأتيَه.

والعقل: نقيضُ الحُمْقِ، وقيل: ضِدَّ الجهلِ، وأصله الشَّدُّ؛ لأنَّه يشدُّ على المعنى الذي يفهمُه في قلبِهِ.

* * *

(٤٥) ـ ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾.

﴿وَٱسْتَعِينُوا۟﴾ هذهِ الآية متَّصِلةٌ بما قبلَها في خطابِ اليهود؛ أي: استعينوا على أداءِ ما فرضْتُ عليكم من الوفاءِ بالعهد والانتهاءِ عن الكفرِ واللَّبسِ.

---

(١) رواه الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٤)، وروى نحوه الطبري في «تفسيره» (١/ ٦١٤).

(٢) في (ن) «الدين والصدق والصدقة» بدل «الصلة».

﴿بِٱلصَّبۡرِ﴾: وهو حبسُ النَّفسِ عمّا تنازع إليه.

وقيل: الصَّبر هاهنا: الصَّوم.

﴿وَٱلصَّلَوٰةِ﴾: الصَّلاة: الدُّعاء.

وقيل: هي ذات الرُّكوع والسُّجود.

وعن ابن عبّاسٍ: ﴿بِٱلصَّبۡرِ﴾ على أداءِ الفرائض، ﴿وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ على تمحيصِ الذُّنوب(١).

وقيل: ﴿بِٱلصَّبۡرِ﴾ عن المعاصِي، ﴿وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ على تكثيرِ الطّاعات.

﴿وَإِنَّهَا﴾: قيل: الصَّلاة.

وقيل: أراد: وإنَّهما، فاكتفى بأحدِهما عن الآخر(٢).

وقيل: وإنَّ الاستعانةَ.

وقيل: وإنَّ إجابةَ محمَّدٍ ﷺ.

وقيل: وإنَّ هذه الموعظة.

﴿لَكَبِيرَةٌ﴾: لثقيلةٌ ﴿إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ﴾: المتواضِعين.

والخشوع: التَّواضع، وقيل: الخشوعُ في الصَّوتِ والبصرِ فحسب.

---

(١) انظر: «تنوير المقباس» للفيروزآبادي (ص: ٨)، وذكره السمرقندي في «تفسيره» (١/ ٤٩) بلا نسبة، وذكره الواحدي في «البسيط» (٣/ ٤٢٢) عن مقاتل.

(٢) أي: وإن الصبر والصلاة، فاكتفى بضمير أحدهما عن الآخر، ولعل في عبارة المصنف هنا اجتزاءً، فقد قال في «غرائب التفسير» (١/ ١٣٧): (وقيل: للصبر والصلاة، ونُزِّلا منزلة الجمع ما لم يلتبس قياساً على باب ﴿صَغَتۡ قُلُوبُكُمَا﴾. وقيل: تقديره: واستعينوا بالصبر وإنه لكبير، واستعينوا بالصلاة وإنها لكبيرة، فاكتفى بذكر أحدهما).

(٤٦) ـ ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾.

﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾: يتيقَّنون.

وأصل الظّنِّ: وقوع معنًى في النَّفسِ قبل تحقيقهِ أو تزييفِهِ، فيستعمل مرّةً للتَّحقيق فيكون اليقينَ، ويستعمل مرّةً للتَّزييف فيكون الكذبَ والباطلَ، كقولهِ: ﴿وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ [النجم: ٢٨].

﴿أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ﴾؛ أي: إنَّهم يرَون الله تعالى، من (اللِّقاءِ)، وقيل: يرَون الثَّواب.

﴿وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾: مبعوثون ومحاسَبون بعد الموت، كما كانوا في بدء الخلق، لا يملكون ضرًّا ولا نفعًا.

وقيل: ﴿يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ﴾ بذنوبِهم؛ إشفاقًا من المعاصِي.

وقيل: أنَّهم ميِّتون.

* * *

(٤٧) ـ ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾؛ أي: اذكروها مرّةً بعد أخرى.

﴿وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ﴾: أعطيتكم الزِّيادة، من قوله: ﴿إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ﴾ [المائدة: ٢٠] الآية. وأصل الفضل: الزِّيادة.

﴿عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ يريد: عالَمِي زمانِهم بإجماعِ[1] المفسِّرين.

* * *

(١) في (ن): «بإجماع من».

(٤٨) ـ ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾.

﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا﴾ أي: يوم الحشرِ والنَّشْرِ، وهو مفعول به.

﴿لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ المفضَّل: ﴿لَا تَجْزِي﴾: لا تقضي[1]، يُقال: جَزَى دينَه: قضاه، وتَجازَى دينَه: تقاضاه، ويُقالُ: جَزى عنه حقَّه؛ إذا قضى عنه غيرُه حقَّه.

ويُقالُ: ﴿لَا تَجْزِي﴾: لا تنوبُ، من قولهم: جزى عمرٌو عن زيدٍ؛ إذا ناب عنه، فيكون ﴿شَيْئًا﴾ نُصِبَ على المصدر[2].

والتَّقدير: يومًا لا تجزِي فيه، فحذف الضَّمير بعد حذف الجارِّ.

﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ﴾؛ أي: لم يأذن اللهُ في الشَّفاعةِ للكفّار.

وقيل: ليس لها شفاعةٌ، فيكون لها قَبولٌ.

والشَّفاعة من (الشَّفعِ) الذي ضدُّه الوترُ؛ لأنَّ الشَّفيعَ ينضمُّ إلى الطّالب[3] في تحصيل ما يطلبُه.

﴿وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ المفضَّل: لا يُؤخَذُ من الرَّجلِ رجلٌ مكانَه غيرُه فداءً[4]، وأصل العدل: المساواة.

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ١١٧) عن المفضل، وذكره الطبري في «تفسيره» (١/ ٦٣٦) بلا نسبة.

(٢) لأن الفعل على هذا المعنى لازم، أما الفعلُ على المعنى الأول فمتعدٍّ، و(شيئاً) مفعول به.

(٣) في (و): «طالب».

(٤) لو قال: رجلٌ غيرُه مكانَه، لكان أولى، وقد فسَّر العدلَ بالفداء كثيرون، فقد رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٦٣٨) عن أبي العالية وابن زيد، وانظر: «تفسير مقاتل بن سليمان» (١/ ١٠٣)، و«مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ٥٣)، و«تفسير السمرقندي» (١/ ٥٠)، و«تفسير الثعلبي» (١/ ١٩٠).

﴿وَلَاهُمْ يُنصَرُونَ﴾: يُمنَعون من عذابِ الله.

والنَّصرُ: هو سائرُ أسبابِ الخَلاصِ.

أبو عليٍّ في «الحجّة»: قَبولُ الشَّيءِ: تلقِّيهِ والأخذُ به، خلافُ الإعراضِ عنه، ومنه: قُبالةُ الشَّيء[١].

والنَّصرُ: عونُ المظلوم، والنُّصرةُ: أحسنُ المعونة.

«الحجّة»: يجوزُ أن تكونَ خِطابًا لليهود حيث قالوا: يشفعُ لنا أباؤُنا[٢].

***

(٤٩) ـ ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَـٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾.

﴿وَإِذْ نَجَّيْنَـٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾: خلَّصناكم منهم[٣]، والإنجاءُ: التَّخليصُ، وكذلك التَّنجيةُ، وأصله من (النَّجوةِ)[٤]؛ أي: صيَّرناكم إليها؛ لأنَّ مَن صار إليها تباعَدَ عن مُؤذِياتِ وجهِ الأرض.

و﴿ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ قيل: أهل بيتِه، وقيل: مَياسِره[٥]، وقيل: أهل دينِه.

وأصله: أهل، قُلِبَ الهاءُ همزةً، ثم قُلِبَتْ ألفًا، تقولُ في تصغيره: أُهَيْل.

---

(١) انظر: «الحجة» لأبي علي الفارسي (٢/ ٤٦).

(٢) المصدر السابق، الموضع نفسه.

(٣) في (و): «منه».

(٤) هي الربوة المشرفة المرتفعة. انظر: «التقفية في اللغة» للبندنيجي (ص: ٦٨٤)، و«جمهرة اللغة» لابن دريد (١/ ٤٩٧) مادة (ن ج و).

(٥) كتب فوقها في (ن): «أغنياؤه».

وهو اسمٌ فيه فخامةٌ، يُستعمَلُ للأكابرِ.

وقيل: اشتقاقُه من (آلَ يؤول)، وآلُ الرَّجلِ مَن يؤولُ إليه، وتصغيرُه على هذا: أُوَيل.

وفرعونُ[١]: اسمٌ يُستعمَلُ للعظيم من العمالقة كقيصر وكسرى، واسمُه فيما أورده المفسِّرون: وليد بن مصعب[٢].

﴿يَسُومُونَكُمْ﴾: يُولونكم أشدَّ العذابِ.

المفضَّل: أي: يزيدونكم على ذلك، قال: ومنه مساومةُ البيع[٣]، قال:

إذا ما المَلْكُ سامَ النَّاسَ خَسْفًا أَبَيْنا أنْ نُقِرَّ الخَسْفَ فِيْنا[٤]

ابن عيسى: يرفعونَ عذابَكم إلى أشدِّهِ، قال[٥]: وأصلُ السَّومِ: الارتفاعُ في المرعى.

﴿سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ﴾: أشدَّه، والسُّوءُ: اسمٌ جامعٌ للآفاتِ، ثمّ فسَّرَ، فقال:

﴿يُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ﴾: يقتلونهم بفَرْيِ الأوداجِ، وأصله الشَّقُّ.

---

(١) «قيل أهل بيته وقيل مياسره، وقيل أهل دينه وأصله أهل قلب الهاء همزة ثم قلبت ألفًا تقول في تصغيره أهيل وهو اسم فيه فخامة يستعمل للأكابر وقيل اشتقاقه من آل يؤول وآل الرجل من يؤول إليه وتصغيره على هذا أويل وفرعون» من (ن).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٦٤٢)، وابن أبي حاتم «في تفسيره» (٩/ ٢٩٤٤)، عن محمد بن إسحاق.

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ١١٨).

(٤) البيت لعمرو بن كلثوم من معلقته. انظر: «ديوانه» (ص: ٣٤٩)، و«جمهرة أشعار العرب» للقرشي (ص: ٢٧٢).

(٥) «قال» من (ن).

﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾: يستبقونَهنَّ للخِدمةِ والنِّكاحِ على وجهِ الاسترقاقِ.

وقيل: ليتوجَّعْنَ[1] على الأبناءِ.

واستحيى: اسْتَفْعَلَ من الحياةِ.

وذكر أقضى القضاة وجهينِ آخرَينِ: من (الحياة) و(الحياء)[2]، وكلاهما بعيدٌ.

والنِّساءُ جمعٌ، واحدُها: المرأة.

وقيل: المرادُ بهنَّ هنا: البناتُ والأطفال، من تسميةِ الشَّيءِ بما يؤولُ إليه.

وقيل: بل اللَّفظُ يشتملُ عليهنَّ.

﴿وَفِي ذَٰلِكُم﴾ قيل: إشارة إلى التَّنجيةِ، وقيل: إلى السَّوم، وما فُسِّرَ به.

﴿بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾: اختبارٌ، يُستعمَلُ للخيرِ والشَّرِّ، قال الله تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: ٣٥]، وقال: ﴿وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا﴾ [الأنفال: ١٧].

* * *

(١) في (ن): «استوجعن».

(٢) ذكر أقضى القضاة الماوردي المعنى المشهور، وهو أن (يستحيون) بمعنى يستبقون، وهي من (الحياة)، ولم أقف في «تفسيره» على أنها من (الحياء)، أما الماتريدي فذكر المعنى المشهور، لكنه جعله من (الإحياء)، وذكر معنى ثانياً من (الحياء)، وهو أنهم استحيوا من قتل النساء، وقد ذكر المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ١٣٨) المعنى المشهور، وذكر وجهين على اعتبار الكلمة من (الحياء):

الأول: أنهم لا يتعرضون للخنا صيانةً للنساء، وهو من الحياء المحمود، لكنه مستبعد.

الثاني: أنهم كانوا يفتِّشون أحياء النساء عمّا في بطونهنَّ من الجنين، وعما يلدن من الأولاد؛ فالاستحياء هو طلب الحياء، وهو الفرج.

(٥٠) ـ ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾.

﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ﴾: أصل الفَرْقِ: الفصلُ، تقول: فَرَقْتُ بينَ المعنيَيْنِ فافترَقَ، وفرَّقْتُ بينَ الجثَّتَيْنِ فتفرَّقَ[١]، والفِرْقُ: البعضُ من المتفرِّقِ.

ومعنى ﴿فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ﴾: جعلنا اثني عشرَ فِرقًا بسببِكم.

ويحتمل أن تكونَ الباء للحالِ؛ أي: فرقنا البحرَ وكنتم فيه[٢].

والبحرُ: المتَّسعُ من الأرض، مشتقٌّ من (بحرتُهُ)؛ أي: شققْتُه[٣].

﴿فَأَنجَيْنَٰكُمْ﴾: خلَّصناكم من فرعونَ.

﴿وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾: أهلكناهم بالماءِ.

والمرادُ: فرعونُ وآلُه.

ويحتملُ أن يكونَ ﴿ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾ شخصَه؛ فقد رُوي عن الحسنِ أنَّه كان يقول: (اللَّهمَّ صلِّ على آلِ محمَّدٍ؛ أي: شخصه)[٤]،.............................

---

(١) ظاهر كلام ابن سيده والزبيدي أنَّ (فَرَقَ) و(فَرَّقَ) لغتان، ومن اللغويين من خصَّص كلّاً منهما بمعنى؛ فذكر ابن سيده أنَّ (فَرَقَ فرقاً) للصلاح و(فَرَّقَ تفريقاً) للإفساد، وذكر المصنِّف أنَّ (فرَق) للكلام و(فرَّق) للأجسام، انظر: «معجم الفروق اللغوية» للعسكري (ص: ٤٠٢)، و«المحكم» (٦/ ٣٨٣)، و«تاج العروس» (٢٦/ ٢٧٩) مادة (ف ر ق).

(٢) في النسخ الخطية «فيها»، والتصويب من «غرائب التفسير» (١/ ١٣٩).

(٣) ذهب إلى هذا الأزهري، وذهب ابن فارس إلى أنَّ أصل معناه الاتساع. انظر: «الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي» للأزهري (ص: ١٧٣)، و«تهذيب اللغة» (٥/ ٢٥) مادة (ب ح ر)، و«مقاييس اللغة» (١/ ٢٠١) مادة (ب ح ر).

(٤) ذكره ابن بطّال في «شرح صحيح البخاري» (١٠/ ٢٧٧)، وأبو العباس القرطبي في «المفهم» (٢/ ٤٠)، وابن المنير في «المتواري على أبواب البخاري» (ص: ٣٢٤)، والبيضاوي في =

واقتصرَ على ذكرِ فرعونَ، والمرادُ: فرعونُ وأتباعُه.

﴿وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ إلى انطباقِ البحرِ عليهم بعدَ خروجِكم منه.

قال الفرّاءُ: وأنتم تعلمون؛ لأنَّهم كانوا في شُغُلٍ[١] عن معاينةِ ما يجري عليه[٢].

***

(٥١) ـ ﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ﴾.

﴿وإذ وَعَدْنا مُوسَى أربعِين ليلةً﴾: (موسى) عند المفسِّرينَ عِبرانيٌّ مركَّبٌ من (مو) و(شا)؛ أي: ماءٌ وشجرٌ؛ لأنَّه وُجِدَ عندهما[٣].

«الحجّة»: وعدنا تتمّةَ أربعين، فحذفَ المضاف[٤].

وقيل: وعدنا إقامةَ أربعين.

= «تفسيره» (١/ ٣٢٢) وغيرهم.

وقد روى أبو إسحاق الأزدي في «فضل الصلاة على النبي ﷺ» (ص: ٦٥): عن الحسن قال: (لما نزلت: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦] قالوا: يا رسول الله، هذا السلام قد علمنا كيف هو، فكيف تأمرنا أن نصلِّي عليك؟ قال: «تقولون: اللهم اجعل صلواتك وبركاتك على آل محمد كما جعلتها على آل إبراهيم؛ إنك حميد مجيد»).

(١) في (و): «شك».

(٢) في (ن): «عليهم». انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٣٦).

(٣) ذكره الطبري في «تفسيره» (١/ ٦٦٥)، والماوردي في «النكت والعيون» (١/ ١٢٠)، والسمين الحلبي في «الدر المصون» (١/ ٣٥٤)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٥٠٩)، وقد ذكر هؤلاء المفسرون أن اسم (موسى) معناه الماء والشجر في لغة القبط.

(٤) انظر: «الحجة» لأبي علي (٢/ ٦٥).

والمعنى: واعدنا موسى أن نكلِّمَ معه أو نوحيَ إليه عندَ انقضاءِ أربعينَ ليلةً.

وقيل: ﴿أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ ظرفٌ للوعدِ[١]؛ أي: كنّا نعدُه كلَّ ليلةٍ منها أن نوحيَ إليه.

وذكرَ اللَّيلةَ، والمرادُ: اللَّيلُ والنَّهار؛ لأنَّ أوَّلَ الشَّهرِ ليلة الهلال، ولهذا يؤرَّخ باللَّيالي.

ومَن جعلَ ﴿أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ ظرفًا، فالمرادُ عنده: اللَّيلُ دونَ النَّهار.

واللَّيل: عبارةٌ عن امتدادِ الظُّلمةِ العامّة، وقيل: اللَّيلُ: عبارةٌ عن وقتِ غروبِ الشَّمسِ إلى طلوعها.

والجمهورُ على أنَّه كان ذا القعدة وعشرًا من ذي الحجّة، وقيل: كان ذا الحجّة وعشرًا من المحرَّم.

وقُرِئ: ﴿وعدنا﴾ و﴿وَٰعَدْنَا﴾[٢].

وجهُ (وعدَ) ظاهِرٌ، ووجهُ (واعدَ) أنَّ قَبولَ موسى الوعدَ وإنجازَه به وعدٌ، ولا يمتنعُ أيضًا أن يكونَ من موسى وعدٌ، فيكون ﴿وَٰعَدْنَا﴾ على أصلِ الوضعِ[٣]، ويحتملُ أن يكونَ من بابِ: عافاه الله، وطارقْتُ النَّعلَ[٤].

﴿ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ﴾: الاتِّخاذ: ابتداءُ عملِ الشَّيءِ، وهو على وجهَينِ:

---

(١) «ظرف للوعد» من (ن).

(٢) في (و): «وأوعدنا». وقد قرأ أبو عمرو بغير ألف: ﴿وعدنا﴾، وقرأ باقي السبعة: ﴿وَٰعَدْنَا﴾. انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٥٥)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٣).

(٣) أي: دالّاً على المشاركة بين اثنين مثل: قاتل.

(٤) أي: أن وزن (فاعَلَ) قد يُطلَق ولا يدلُّ على مشاركة، بل يُراد به واحد، فهو بمعنى (فَعَلَ) نحو: سافرتُ، وطارقتُ النعل، وعافاه الله.

ـ اتِّخاذِ صنعةٍ، وهو يتعدَّى إلى مفعولٍ واحدٍ، نحو: اتَّخذْتُ آنيةً؛ أي: صنعتُها.
ـ اتِّخاذِ وصفٍ، نحو: اتَّخذْتُ زيدًا أمينًا، وعَمرًا وكيلًا.
والآيةُ تحتمِلُ الوجهَينِ:

الوجهُ الأوَّلُ معناه: ثم صنعْتُم عجلًا بعدَ انطلاقِ موسى لموعود ربِّهِ، وذلك أنَّ السّامريَّ كان صائغًا، وكان مع القومِ شيءٌ من حُليِّ القِبطِ، فأمرَهم بإلقائِه، وألقى ما كانَ معه، واتَّخذَ منه شكلَ عجلٍ، وهو ولدُ البقرةِ، وكان معه قبضةٌ من ترابِ أثرِ حافرِ فرسِ جبريلَ، فنبذَها مع الحُليِّ، فصارَ عجلًا من لحمٍ ودمٍ يخورُ[١].

وقيل: لم يصِرْ عِجلًا، بل بقيَ على شكلِ العجلِ، فخارَ بمَخْرقةٍ[٢] اخترقَها[٣] السّامريُّ.

والوجه الثّاني: اتَّخذتم العجلَ الذي صنعَه السّامِريُّ معبودًا وإلهًا.

---

(١) نقل الرازي في «التفسير الكبير» (٢٢/ ٩٥) عن أبي مسلم الأصفهاني وجهًا آخر، قال: «ليس في القرآن تصريح بهذا الذي ذكره المفسرون، فهاهنا وجه آخر، وهو أن يكون المراد بالرسول: موسى عليه السلام، وبأثره: سنته ورسمه الذي أمر به، فقد يقول الرجل: فلان يقفو أثر فلان ويقبض أثره؛ إذا كان يمتثل رسمه، والتقدير: أن موسى عليه السلام لما أقبل على السامري باللوم والمسألة عن الأمر الذي دعاه إلى إضلال القوم في باب العجل، فقال: بصرت بما لم يبصروا به؛ أي: عرفت أن الذي أنتم عليه ليس بحق، وقد كنت قبضت قبضة من أثرك أيها الرسول؛ أي: شيئاً من سنتك ودينك، فقذفته؛ أي: طرحته، فعند ذلك أعلمه موسى عليه السلام بما له من العذاب في الدنيا والآخرة»، وقد أيَّده الرازي لوجوه.

(٢) أي: بحيلة احتالها السامري، والمَخْرقةُ: إظهارُ الخُرْقِ توصُّلاً إلى حيلةٍ، وهي كلمة مولَّدة. انظر: «الصحاح» (٤/ ١٤٦٨)، و«المفردات» للراغب الأصفهاني (ص: ٢٨٠).

(٣) الفعل الذي ذكره المصنف موافق للجوهري والراغب الذين عدّا الميم زائدة، أما الزبيدي فذكر أنَّ الفعل منها (مَخْرَقَ). انظر: «تاج العروس» للزبيدي (٢٦/ ٣٨٠) مادة (م خ ر ق).

وقولِه: ﴿مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾؛ أي: من بعدِ انطِلاقِه إلى الطُّورِ.

﴿وَأَنتُمۡ ظَٰلِمُونَ﴾؛ أي: أنتم واضعونَ العبادةَ غيرَ موضعِها.

وقيل: ضارُّونَ أنفسَكم.

قال أبو العالية: سمِّي ما اتَّخذه السّامريُّ عجلًا لأنَّهم عَجِلوا فاتَّخذوه إلهًا[١].

* * *

(٥٢) ـ ﴿ثُمَّ عَفَوۡنَا عَنكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾.

﴿ثُمَّ عَفَوۡنَا عَنكُم﴾: محونا ذنوبَكم ولم نعاقبْكم عليها.

وعفا الشَّيءُ: درَس أثرُه، لازمٌ ومتعدٍّ.

﴿مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ﴾: من بعدِ اتِّخاذِ العِجلِ ﴿لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾: لكي تشكروا[٢].

والشُّكرُ: الاعترافُ بالنِّعمةِ والثَّناءُ على المنعِمِ.

* * *

(٥٣) ـ ﴿وَإِذۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡفُرۡقَانَ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ﴾.

﴿وَإِذۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ﴾؛ أي: التَّوراة.

﴿وَٱلۡفُرۡقَانَ﴾ قيل: هو التَّوراةُ أيضًا؛ لقولِه: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلۡفُرۡقَانَ وَضِيَآءً وَذِكۡرًا﴾ [الأنبياء: ٤٨]، فعطفَ عليه لاختلافِ اللَّفظَينِ، قال:

ألا حبَّذا هِندٌ وأرضٌ بها هندُ ... وهِنْدٌ أتى من دونِها النَّأيُ والبُعْدُ[٣]

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٦٧٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١٠٨)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ١٤٠).

(٢) تقدم الكلام على مثل هذا في تفسير قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾.

(٣) البيت للحطيئة، كما في «ديوانه» (ص: ١٤٠). والشاهد فيه: عطف (البعد) على (النأي) ومعناهما واحد.

وقيل: الفرْقُ بينَ الحقِّ والباطلِ.

وقيل: انفراقُ البحرِ.

وقيل: الـمَخْلَصُ من عذابِ فرعونَ.

الفرّاء والمفضَّل: وإذ آتينا موسى الكتابَ ومحمَّدًا الفرقانَ، واكتفى بذكرِ كتابِه عنه[١].

﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾: لكي تهتدوا[٢].

سيبويه: لتكونوا على رجاء الهداية[٣].

* * *

(٥٤) - ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٣٧)، ونقله الثعلبي في «تفسيره» (١/ ١٩٧)، والواحدي في «البسيط» (٢/ ٥٢٧) عن قطرب، وقد أنكره النَّحّاس في «إعراب القرآن» (١/ ٥٣) فقال: (هذا خطأ في الإعراب والمعنى، أمّا الإعراب فإنَّ المعطوفَ على الشيء مثلُه، وعلى هذا القول يكون المعطوفُ على الشيء خلافَه، وأمّا المعنى فقد قال فيه جلّ وعزّ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ﴾ [الأنبياء: ٤٨]).

(٢) ذكر هذا الطبري وابن فارس. انظر: «تفسير الطبري» (١٠/ ٥٠٠)، و«الصاحبي في فقه اللغة» لابن فارس (ص: ١٢٤)، وقد تقدم الكلام على مثل هذا في تفسير قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

(٣) هذا لازم قوله؛ لأنه جعل (لعل) للطمع والإشفاق، كما نبَّهنا عليه سابقاً، وإلا فليس في «كتابه» كلام على هذه الآية. انظر: «معاني القرآن» للزَّجّاج (١/ ٩٨)، و«البسيط» للواحدي (٢/ ٢٢٠)، و«المحرر الوجيز» لابن عطية (١/ ١٠٥).

بَارِيِكُمْ ﴾: خالِقكم، برأ اللهُ الخلقَ يبرَؤُه بُرأً، فهو بارِئٌ، والبريّةُ من هذا الخلقِ.

﴿فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ﴾؛ أي: ليقتلْ بعضُكم بعضًا[١].

قيل: القتلةُ هم الَّذين كانُوا اختارَهم موسى، من قوله: ﴿ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ ﴾ [الأعراف: ١٥٥] الآية[٢].

وقيل: هم الَّذين اعتزلُوا منهم مع هارون، وكانوا اثني عشر ألفًا.

وقيل: قتلوا أنفسَهم بأيديهم، وفيه بُعدٌ.

﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾؛ أي: التَّوبةُ والقتلُ خيرٌ لكم ﴿عِندَ بَارِئِكُمْ ﴾: خالِقكم من الإقامةِ على المعصية.

﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ ﴾؛ أي: فعلْتُم ما أُمِرْتم به[٣]، فتابَ عليكم.

وقيل: فيتوبُ عليكم.

وذلك أنَّ الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السَّلام: قل لبني إسرائيل: إنَّ توبَتكم أن تقتلوا أنفسَكم، فاصطفُّوا صفَّينِ، ثم ليقتلْ بعضُكم بعضًا، ففعلوا، وأقبلَ بعضُهم يقتلُ بعضًا، لا يحتشِمُ الأبُ ابنَه، ولا الابنُ أباه، من غَدوةٍ إلى العشيِّ، ثم أوحى الله إلى موسى أن قد قبلْتُ توبتَهم، فمن قُتِل فهو شهِيدٌ، ومن لم يُقتَلْ فقد تبْتُ عليه وغفرْتُ له، وكان المقتولون سبعِينَ ألفَ قتيلٍ.

والقتلُ: إماتةُ[٤] الحركةِ، ومنه: قتلتَ الخمرَ؛ إذا مزجتَها بالماءِ.

---

(١) انظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة (ص: ٤٩).

(٢) ذكر الزَّجّاج هذا في «معاني القرآن» (١/ ١٣٧)، ورأى أن عدم تحديد القتلة أشبه بالآية.

(٣) «به» من (ن).

(٤) في (ن): «إزالة»، والمثبت موافق لعبارة الماوردي في «تفسيره» (١/ ١٢٢).

وقيل: أصلُه من قولك: قتلتُه؛ أي: أصبْتُ قَتالَه؛ أي: نفسَه[١]، كما تقولُ: رَأسْتُه وجَبهْتُه.

﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ﴾: المتجاوزُ عن ذنبِ العباد ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾: حيثُ رخَّصَ في التَّوبة.

***

(٥٥) - ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾.

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ﴾: لن نصدِّقك ﴿حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ ابن عبّاسٍ: علانيةً[٢]، غيرُه: عيانًا لا يسترُه شيءٌ.

وأصل الجَهْرِ: الظُّهور والإظهار، تقول: جهرْتُ بالبئر؛ إذا نزحْتَ حمأتها، و(جَهَرَ بالقراءةِ) و(رجلٌ جَهْوَرِيُّ الصَّوتِ) و(الجوهرُ) من هذا.

و﴿جَهْرَةً﴾: صفةُ مصدرٍ محذوفٍ؛ أي: رؤيةً جهرةً.

وقيل: ﴿جَهْرَةً﴾ متَّصلٌ بالقول؛ أي: قولًا جهرُوا به[٣].

﴿فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ﴾: وهي نارٌ جاءَت من السَّماءِ فأحرقَتهم.

الكلبيُّ: إنَّ السَّبعين الَّذين كانوا مع موسى قالوا له: نحن[٤] لم نعبدِ العجلَ كما عبدَه هؤلاء، فأرنا الله جهرةً، فقال موسى عليه السّلام: سألْتُه ذلك فأباه عليَّ، فقالوا:

---

(١) «أي نفسه»: ليس في (ن).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٦٨٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١١١).

(٣) ففي الكلام تقديم وتأخير، والتقدير: وإذ قلتم جهرةً: يا موسى لن نؤمن لك حتّى نرى الله.

(٤) «نحن» من (ن).

لن نؤمنَ لك حتى نرى الله جهرةً، فبعثَ الله عليهم صاعقةً، فأحرقتهم، وماتوا[١].

قال الزَّجّاج: والدَّليلُ على أنَّهم ماتُوا قولُه: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾ [البقرة: ٥٦][٢].

وقيل: لم يموتوا، بل صاروا مغشِيًّا عليهم، كقوله: ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ [الأعراف: ١٤٣].

والصَّحيح هو الأوَّل.

﴿وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾: تعلمون.

وقيل: تنظرونَ إلى أوائلِ ما كانَ ينزلُ[٣] من الصّاعقةِ قبلَ الموت.

***

(٥٦) ـ ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُم﴾: أعدناكم أحياءً؛ لتستوفوا بقيّةَ آجالِكم.

والبعْثُ: الإثارة، والبعْثُ: الإرسال أيضًا، وهو منه[٤]، وأصله: إزالةُ ما يَحبِسُ عن التَّصرُّف.

وقيل: بعثناكم رُسلًا.

﴿مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾: غَشْيَتكم.

﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ نعمةَ البعثِ بعدَ الموت، وقيل: نعمة النُّبوّة.

---

(١) ذكره ابن أبي زمنين في «تفسيره» (٢/ ١٤٥)، ومكي في «الهداية» (٤/ ٢٥٧٨).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزّجّاج (١/ ١٣٧).

(٣) في (ن) زيادة: «بهم».

(٤) أي: معنى الإرسال من معنى الإثارة.

(٥٧) ـ ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.

﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ﴾: ستَرناكم عن الشَّمس.

والظِّلُّ: فقدانُ ضوءِ الشَّمسِ من المكان.

والغمامُ: السَّحابُ الرَّقيق، مشتَقٌّ من (غممْتُه)؛ أي: سترْتُه.

ابن عبّاسٍ: الغمامُ غير السَّحاب، بل هو من قولِهِ: ﴿فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ﴾ [البقرة: ٢١٠][١].

الكلبيُّ: كان الغمامُ يستُرهم من الشَّمس، وكان عمودٌ من نارٍ[٢] ينزلُ من السَّماءِ فيضيءُ لهم باللَّيل ويسيرُ معهم[٣].

الحسن: لـمّا قطعَ بنو إسرائيلَ البحرَ خرجوا إلى أرضٍ طيِّبةٍ بيضاءَ ليس فيها نباتٌ ولا ماء، فآذتهم الشَّمسُ بحرِّها، فظلَّلَ اللهُ عليهم الغمامَ، وهو السَّحابُ الأبيض[٤].

وقيل: هذا من قصّة التِّيهِ[٥]، وإنَّما ذُكِرَ هذا القدرُ هاهنا في تَعدادِ النِّعمِ عليهم.

﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ﴾ اختلفَ المفسِّرون فيه:

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٦٠٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٣٧٢) عن مجاهد.

(٢) في (و): «النار».

(٣) ذكر نحوه «مقاتل بن سليمان» (١/ ١٠٠)، وكذا الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٢٦٢) دون نسبة.

(٤) ذكر ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١١٣) عن الحسن أن التظليل كان في البرية.

(٥) ذكر كثير من المفسرين أن التظليل كان في التيه، وقد رواه الطبري عن ابن عباس رضي الله عنهما والسدي وابن إسحاق والربيع. انظر: «تفسيره الطبري» (١/ ٧٠٧ـ٧٠٨) و(٢/ ٦).

ابنُ عبّاسٍ: هو شيءٌ يسقطُ على الشَّجرِ فيأكلُه النَّاس[١].

قتادة: الطَّرَنْجَبِيْن[٢]، قال: وكان ينزِلُ كهيئةِ الثَّلجِ من طلوعِ الفجرِ إلى طلوعِ الشَّمس، فيأكلُه النَّاس[٣].

السُّدِّيُّ: هو الزَّنجبيل[٤].

وهب: الخبز الرِّقاق[٥].

مجاهدٌ: ﴿المنّ﴾: الصَّمغة[٦].

الرَّبيع: كان ماءً يشربونه[٧].

الزَّجّاج: ما منَّ الله به عليهم ممّا لا تعبَ فيه ولا نصَبَ[٨].

ابن جريرٍ: ﴿المنُّ﴾: العسل[٩].

﴿وَٱلسَّلْوَىٰ﴾ ابن عبّاسٍ: هو طيرٌ يُشبهُ السُّمانَى[١٠].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٧٠٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١١٤).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٧٠١) عن السدي.

(٣) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (١/ ٧٠٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١١٤).

(٤) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١١٤).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٧٠١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١١٥).

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٧٠٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١١٤).

(٧) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (١/ ٧٠٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١١٥).

(٨) انظر: «معاني القرآن» للزّجّاج (١/ ١٣٨).

(٩) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٧٠١) عن ابن زيد وعامر، ومال ابن جرير إلى أنه كالعسل أو هو العسل. انظر: «تفسيره» (١/ ٧٠٣ ـ ٧٠٤).

(١٠) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٧٠٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١١٥).

قال الخليل: واحدُها سَلْواةٌ[١]، وأنشد:

.... كمـا انتفَضَ السَّـلْواةُ مِنْ بَلَلِ القَطْرِ[٢]

وقيل: هو العسلُ، وأنشد:

وقاسَمَـها بـاللهِ جَـهْـدًا لأنْـتُـمُ ألذُّ مِنَ السَّلْوى إذا ما نَشُورُها[٣]

تقول: شُرْتُ العسلَ: إذا استخرَجْتَه.

المفضَّل: غلط الشّاعرُ في قوله: (نَشُورُها)، وأراد: نَصِيدُها[٤].

ويحتملُ أنَّ السَّلوى معناها: ما كان لهم فيه التَّسلِّي عن الطَّعام[٥]؛ وِزانَ قولِ الزَّجّاج في المنِّ[٦].

﴿كُلُواْ﴾: وقلنا لهم: كلوا.

﴿مِن طَيِّبَٰتِ﴾: حلالاتِ ﴿مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾، وكانوا يأخذون منها ما يكفيهم

---

(١) انظر: «العين» للخليل (٧/ ٢٩٨).

(٢) عجز بيت لأبي صخر الهذلي، كما في «الشعر والشعراء» لابن قتيبة (٢/ ٥٤٩)، وصدره:

وإنّـــي لتعرونـــي لذكـــراكِ هـــزّة

ويروى: كما انتفض العصفور بلَّله القطر.

(٣) البيت لخالد بن زهير الهذلي، كما في «الغريب المصنف» لأبي عبيد (٢/ ٤٦٥)، و«ديوان الهذليين» (١/ ١٥٨)، و«تفسير الطبري» (١٠/ ١٠٨).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ١٤٢)، ونقل ابن سيده عن الزَّجّاج أنه قال: (أخطأ خالد، إنَّما السَّلوى طائرٌ). انظر: «المحكم» لابن سيده (٨/ ٦١١) مادة (س ل و).

(٥) اختار أبو علي القالي قريباً من هذا. انظر: «المقصور والممدود» للقالي (ص: ١٣٦).

(٦) هذا رأي المصنف، وقد ذكره في «غرائب التفسير» (١/ ١٤٢)، ومراده: أنَّه خلص إلى هذا القول بالنَّظر إلى العموم، كما خلص الزَّجّاج إلى معنى (المنِّ) بالنظر إلى العموم.

ليومهم وليلتهم إلّا يوم الجمعة، فإنَّهم كانوا يأخذون فيه ليوم الجمعة والسَّبت، ومَن زاد على ذلك فسد.

وقال رسول الله ﷺ: «لولا بَنُو إسرائيلَ ما خَنَزَ الخبْزُ»(1)؛ أي: إنَّهم زادوا على مقدار الحاجة، ففسد.

وقيل: ﴿مِن طَيِّبَٰتِ﴾؛ أي: من لذيذاتِ ما رزقناكم.

وقيل: من المباح.

وقيل: بدلَ طيِّباتِ ما رزقناكم(2)، ولهذا قال(3): ﴿فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ﴾ [البقرة: ٦١] الآية، و(من) تأتي بمعنى البدل، قال الله تعالى: ﴿لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً﴾ [الزخرف: ٦٠]؛ أي: بدلكم، قال الشّاعر:

فَلَيْتَ لنا مِنْ ماءِ زَمْزَمَ شَرْبةً مُبَرَّدةً باتَتْ على الطَّهْيانِ(4)

﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾ ابن عبّاسٍ: ما نقصونا(5)، وقيل: ما ضرُّونا.

---

(1) روى نحوه البخاري (٣٣٣٠)، ومسلم (١٤٧٠)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ولفظ البخاري: «لولا بنو إسرائيل لم يخنز اللحم».

وأما الرواية بلفظ: «الخبز» فقد عزاها السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٢٣٦) إلى سفيان بن عيينة عن عكرمة. ورواها العقيلي في «الضعفاء» (٣/ ٣٢٧) عن ابن عمر رضي الله عنهما، وضعَّفها بعمار بن مطر الرهاوي.

(2) «وقيل من المباح وقيل بدل طيبات ما رزقناكم» من (ن).

(3) في (ن): «قالوا».

(4) البيت للأحولِ الكندي، كما في «تهذيب اللغة» للأزهري (٦/ ٢٠٠) مادة (ط ه و)، و«معجم البلدان» لياقوت (٤/ ٥٢). والطهيان: خشبة تُعلَّق عليها أوعية الماء ليبرد، وقيل: موضع، وقيل: جبل. ويروى: (حمنان) بدل (زمزم)، و(شدوان) بدل (طهيان).

(5) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٦٨)، وانظر: «تنوير المقباس» للفيروزآبادي (ص: ٩)، =

ومعناه: ما ظلمونا بقولهم: ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهۡرَةً﴾ [النساء: ١٥٣].

وقيل: وما ظلمونا بادِّخارهم المنَّ والسَّلوى.

وقيل: وما ظلمونا بإبائهم على موسى دخولَ قريةِ الجبّارِين.

﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾: ينقصون ويضرُّون.

* * *

(٥٨) ـ ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا ٱدۡخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ فَكُلُواْ مِنۡهَا حَيۡثُ شِئۡتُمۡ رَغَدٗا وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا وَقُولُواْ حِطَّةٞ نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطَٰيَٰكُمۡۚ وَسَنَزِيدُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾.

﴿وَإِذۡ قُلۡنَا ٱدۡخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ﴾ الكلبيُّ: هي أريحا[1]، وقيل: إيليا، وقيل: بيت المقدس.

وقيل: أريحا قريةٌ بالأرض المقدَّسة، وفيها مسجدٌ هو بيتُ المقدس، وفي المسجدِ بيتٌ يُسمَّى إيليا.

والقريةُ: هي المكان الَّذي يجمعُ الخلْقَ، مشتقّةٌ من (قَرَيْتُ)؛ أي: جمعْتُ.

﴿فَكُلُواْ مِنۡهَا حَيۡثُ شِئۡتُمۡ﴾: فاستمتعوا بما شِئْتم من طعامِ القُرى وثمارها.

﴿رَغَدٗا﴾: موسَّعًا.

﴿وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ﴾ قيل: بابًا من أبوابِها.

= وروى الطبري في «تفسيره» (١/ ٧١٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾، قال: يضرون.

(١) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (١/ ٥٥) عن الكلبي، ورواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٧١٣) عن ابن زيد.

وقيل: باب القُبّةِ الَّتي كان يُصلِّي فيها موسى؛ لأَنَّهم دخلوا البابَ زمنَ موسى، ودخلوا بيت المقدس بعده.

﴿سُجَّدًا﴾: مُنْحَنين متواضعين غيرَ باغينَ بالظَّفر الَّذي نِلْتُموه مستغفرينَ اللهَ.

﴿وَقُولُواْ حِطَّةٌ﴾ الحسن وقتادة: أي: حُطَّ عنا ذنوبَنا[١].

عكرمة: قُولوا: لا إله إلّا الله[٢].

سعيد بن جبير: الحِطّةُ المغفرةُ، أُمِروا بالاستغفار[٣].

ابن عبّاسٍ: أي: قولوا: هذا الأمرُ حقٌّ، كما قيلَ لكم[٤].

وقيل: أُمِروا بهذهِ اللَّفظة من غيرِ تعرُّضٍ لمعنى.

وقيل: ﴿حِطَّةٌ﴾: باب البلد.

وقيل: ﴿حِطَّةٌ﴾: باب المسجد.

﴿نَّغْفِرْ لَكُمْ﴾: نعفُ عنكم، ونسترْ ذنوبَكم، من (غفرْتُ الشَّيءَ)؛ أي: سترتُه، ومنه: الـمِغْفَرُ، والغَفِيرةُ[٥].

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٥٨)، والطبري في «تفسيره» (١/ ٧١٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١١٩).

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٥٧)، والطبري في «تفسيره» (١/ ٧١٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١١٨).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٧١٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١١٨)، والحاكم في «المستدرك» (٣٠٤٠) عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٧١٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١١٨).

(٥) المغفر: حَلَقٌ يُغطى بها الرأس والعنق في الحرب، والغفيرة: شعر في الأذن. انظر: «تهذيب اللغة» للأزهري (٨/ ١١٣).

﴿خَطَٰيَٰكُمۡ﴾: جمع خطيئةٍ، وهي الذَّنب، تقول: خَطِئ؛ إذا قصدَ الذَّنب، واسمه: الخِطْءُ[1]، و: أخطأ؛ إذا كان من غيرِ قَصْدٍ، واسمُه: الخَطَأُ[2].

﴿وَسَنَزِيدُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾: الَّذين لم يكونوا من أهل تلك الخطيئة.

وقيل: معناه: مَنْ أحسنَ بعد ذلك زِدْناه ثوابًا ودرجاتٍ.

***

(٥٩) ـ ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوۡلًا غَيۡرَ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمۡ فَأَنزَلۡنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ﴾.

﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوۡلًا غَيۡرَ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمۡ﴾: التَّبديل: جعلُ شيءٍ مكانَ شيءٍ، والبَدلُ: الخَلَفُ.

أي: تركوا ما أُمِروا به، وقالوا قولًا فسقُوا به.

المفضَّل: دخلوا الباب زَحفًا على أستاهِهم[3]، وقالوا: (حِطًّا سمقاثا)؛ أي: حِنطةً حمراء.

وقيل: قالوا: حنطة بيضاء مثقوبة فيها شعيرةٌ[4]؛ استهزاءً.

﴿فَأَنزَلۡنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾؛ أي: غيَّروا ﴿رِجۡزٗا﴾: عذابًا، وقيل: طاعونًا، وأصله من قولهم: ناقةٌ رَجْزاءُ؛ إذا كانت ترتعدُ قوائِمُها عند القيام.

---

(١) في (ن): «الخطاء».

(٢) انظر: «الغريبين» للهروي (٢/ ٥٦٧)، و«درة الغواص» للحريري (ص: ١٣٤).

(٣) «على أستاههم» من (ن).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ١٤٣)، ورواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٧٢٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١١٩) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، ويُروى: (فيها شعرة).

﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: مبالغة، فمات منهم في ساعةٍ أربعةٌ وعشرون ألفًا من كبرائهم وشيوخهم، وبقي الأبناء.

﴿بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾: بخروجِهم عمّا أمرهم اللهُ تعالى، والفُسُوقُ: الخروجُ.

* * *

(٦٠) - ﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾.

﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ﴾ الحسن: لـمَّا قطعوا البحر عطِشوا، فشكوا إلى موسى[1].

غيره: كان ذلك في التِّيهِ؛ أي: استسقى اللهَ موسى لبني إسرائيل.

والاستسقاءُ: طلبُ السَّقي.

﴿فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ﴾؛ أي: أمرنا موسى أن يضربَ بعصاه الحجرَ، وكانت من آسٍ[2] الجنّةِ، يُقال لها: عُلَيْق[3].

﴿ٱلْحَجَرَ﴾ قيل: الألف واللّام فيه للجِنس؛ أي: أيَّ حجرٍ كان.

وقيل: للعهد، والإشارة إلى حجرٍ مُعَيَّنٍ[4].

﴿فَٱنفَجَرَتْ﴾؛ أي: فضربَ فانفجرَتْ.

---

(١) ذكر أبو حيان نحو هذا القول بلا نسبة في «البحر المحيط» (١/ ٣٦٦).

(٢) الآس: شجر ورقه معطر. انظر: «العين» (٧/ ٣٣١).

(٣) كذا ضُبطت في (ن).

(٤) وفي صفة هذا الحجر أقوال ذكرها المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ١٤٣).

والانفجارُ: انصبابُ الماء بكثرةٍ، مطاوِعُ (فَجَرَ)، وهو الشَّقُّ(١).

والانبجاسُ: ابتداءُ الانفجار؛ لأنَّه خروجُ الماء قليلًا قليلًا(٢).

﴿مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾؛ أي: على عددِ الأسباط.

والعينُ: اسمٌ مشتركٌ، والمراد بها هاهنا: عينُ الماء.

﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾ يأتي كلُّ سِبْطٍ مَشْرَبَه فلا يتعدّاه.

وكان حجرًا مثل رأسِ الرَّجل.

وقيل: كان ذِراعًا في ذراعٍ.

أبو عبيدة: كان مع كلِّ سبطٍ حجرٌ يحملونه على حمارٍ(٣).

وقيل: هو الحجرُ الَّذي وضعَ موسى ثوبَه عليه، ويأتي ذكره في (الأحزاب)(٤).

﴿كُلُوا۟﴾؛ أي: وقلنا لهم: كلوا من المنِّ والسَّلوى، ﴿وَٱشْرَبُوا۟﴾ من الماءِ.

﴿مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: وكلاهما من رزقِ الله.

﴿وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ ابن عبّاسٍ: العُثُوُّ والعِثِيُّ: أشدُّ الفساد(٥).

---

(١) في (ن): «سعة الشق».

(٢) ذكره المصنف للتنبيه على الفرق بين ما في هذا الموضع وما في سورة الأعراف، فانظره في «البرهان» للمصنف (ص: ٧٤)، وللراغب الأصفهاني رأي في الفرق بين الانفجار والانبجاس يخالف رأي المصنف، فانظره في «تفسيره» (١/ ٢٠٦).

(٣) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ٤٢).

(٤) في تفسير قوله تعالى: ﴿فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟﴾، وقد ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ١٤٣).

(٥) هذا الكلام ذكره الطبري في «تفسيره» (٢/ ١٠) بعد أن روى عن ابن عباس رضي الله عنهما تفسيره ﴿وَلَا تَعْثَوْا۟﴾ بـ: (لا تسعوا)، فهو من كلام الطبري، وليس من كلام ابن عباس رضي الله عنهما.

وفيه لغاتٌ[1] (عَثِيَ) و(عَثا) و(عاثَ)، من (التَّعييثِ)، وهو طلبُ الشَّيءِ في الظُّلمةِ، وكذلك طلبُ الأعمى.

وقوله: ﴿مُفۡسِدِينَ﴾ تكرارٌ للتَّأكيدِ؛ لاختلافِ اللَّفظَين.

وقيل: العَثْيُ: التَّخليطُ؛ أي: لا تُخلِّطوا مفسدين.

***

(٦١) ـ ﴿وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصۡبِرَ عَلَىٰ طَعَامٖ وَٰحِدٖ فَٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُخۡرِجۡ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۢ بَقۡلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَاۖ قَالَ أَتَسۡتَبۡدِلُونَ ٱلَّذِي هُوَ أَدۡنَىٰ بِٱلَّذِي هُوَ خَيۡرٌۚ ٱهۡبِطُواْ مِصۡرٗا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلۡتُمۡۗ وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلۡمَسۡكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ﴾.

﴿وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصۡبِرَ عَلَىٰ طَعَامٖ وَٰحِدٖ﴾: الطَّعام: اسمٌ جامعٌ لِما يُؤكَل.

والواحد: المنفرد، والوحدة: الانفراد، وحقيقةُ الواحِدِ: هو الَّذي لا يتبعَّضُ.

وإنَّما قالوا: طعام واحد؛ لأنَّهم كانوا يأكلونه بالسَّلوى.

وقيل: كان يأتِيهم المنُّ مدّةً فانقطع، وأتاهم بعدَه السَّلوى، فكانوا يأكلون منها.

وقيل: استنكفوا من تساويهم فيه، وأرادوا الامتياز في الأطعمة[2].

﴿فَٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ﴾: أصلُ الدُّعاءِ للنِّداء، ثم يُستعارُ للسُّؤالِ والعبادةِ والتَّسميةِ؛ لأنَّها لا تخلو من نداءٍ.

---

(١) «وفيه لغات» من (ن).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ١٤٤)، واستغربه.

والمعنى: سَلْهُ بدعائِكَ إيّاه ﴿يُخْرِجْ لَنَا﴾؛ أي: وقل له: أخرِجْ يخرِجْ لنا.

﴿مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ﴾: يخرجُه من النَّبات، ثم فسَّرَ فقال:

﴿مِنۢ بَقْلِهَا﴾: وهو ما اخضرَّ من النَّباتِ، والمرادُ به هاهنا: المعتادُ للأكل.

﴿وَقِثَّآئِهَا﴾ الخليل: هي الخيار[1].

﴿وَفُومِهَا﴾ قال الفرّاء: هو الثُّوم؛ قُلِبَتْ ثاؤُه فاءً، كجَدَفٍ ومُغْفُور[2].

وإليه ذهب الكسائيُّ أيضًا في جماعةٍ[3]، وقالوا: هو أليقُ بالبقلِ والقِثّاء والعدس والبصل، ولِما في قِراءةِ ابنِ مسعودٍ: (وثومِها)[4]، ولقولِهِ سبحانه وتعالى: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ﴾، ومعلومٌ أنَّ الحِنطةَ خيرُ مأكولِ بني آدم[5].

قال الزَّجّاج في جماعةٍ: الفوم: الحِنطةُ، وسائر الحبوب الَّتي تُخبَزُ يلحقها اسم

---

(١) انظر: «العين» للخليل (٥/ ٢٠٣).

(٢) في (و): «المغثور». والجدف: لغة في (الجدث)، وهو القبر. انظر: «جمهرة اللغة» لابن دريد مادة (ج د ف). والمغفور: لغة في (المغثور)، واحد المغافير، وهو شيء ينضحه العرفطُ حلو الطعم، وهو كريه الرائحة. انظر: «إصلاح المنطق» لابن السكيت (ص: ٢٢٢). أما كلام الفراء فظاهره ما نقله المصنِّف؛ فقد ذكر أن الفوم قيل فيه: إنه الحنطة وما يُخبزُ، ورأى أنَّ الأشبه فيه أنه الثوم، وذكر ابن السكيت أنه فسَّر الفوم والثوم بالحنطة. انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٤١)، و«الكنز اللغوي» لابن السكيت (ص: ٣٥).

(٣) كالكلبي والنضر بن شميل. انظر: «تفسير الثعلبي» (١/ ٢٠٥).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٤١)، و«تفسير الطبري» (٢/ ١٨)، و«مختصر في شواذ القراءات» لابن خالويه (ص: ١٤)، و«المحتسب» لابن جني (١/ ٨٨).

(٥) انظر: «زاد المسير» لابن الجوزي (١/ ٧١).

الفوم، قال الزَّجّاج: ومحالٌ أن يطلب القوم طعامًا لا بُرَّ فيه، وهو أصل الغذاء(١).

وقيل: الفوم: الخبز، تقول العرب: فَوَّمَ؛ إذا خبزَ(٢).

ابن عبّاسٍ: الفوم: الحنطة، وأنشد قول أبي محجنٍ الثّقفيِّ:

قد كنْتُ أحسَبُني كأغنى واحِدٍ ... وَرَدَ المدينةَ عَنْ زراعةِ فُومِ(٣)

وقيل: الفُومُ: كلُّ لُقْمةٍ كبيرةٍ وقطعةٍ من اللَّحمِ عظيمةٍ(٤).

﴿وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا﴾: هما المعروفانِ.

﴿قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ﴾: أتُبدِّلون الَّذي هو ﴿أَدْنَىٰ﴾: أقرب؛ أي: أقلُّ قيمة، من قولهم: هذا شيءٌ مقارِبٌ؛ أي: قليل الثَّمنِ دونٌ.

وقيل: أصله (أدْنَأ) ـ بالهمزة ـ من (الدَّناءةِ)، وهي الخِسَّةُ والحقارة، فخُفِّف، وقد قُرئ بالهمزة(٥).

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزَّجّاج (١/ ١٤٣).

(٢) في (ن): «فومت إذا خبزت».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ١٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١٢٣)، وورد فيهما الشطر الأول:

قد كنت أغنى الناس شخصًا واحداً

وجاء فيهما البيت منسوبًا لأحيحة بن الجلاح، وقد نسب البيت لأبي محجن الثقفي أيضًا، كما في «غريب القرآن» للسجستاني (ص: ٣٦٧)، و«رسالة الملائكة» لأبي العلاء المعري (ص: ١٦)، و«الإبانة» للصُحاري (٣/ ٤٤٠)، و«لسان العرب» لابن منظور (١٢/ ٤٦٠).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ١٤٥)، واستغربه.

(٥) نسبت هذه القراءة لزهير الفرقبي، كما في «مختصر في شواذ القراءات» لابن خالويه (ص: ١٤)، و«تفسير الثعلبي» (٣/ ٣٤٢).

وقيل: مقلوبٌ من (أدْوَن)(١).

﴿بِٱلَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾: أشرف وأرفع؛ فالأدنى والخيرُ في جنسِ الطَّعامِ.

ويحتملُ أن يكونَ أدنى لاختياركم، وخيرٌ لاختياره تعالى(٢).

﴿ٱهْبِطُواْ﴾: ادخلوا وانزلوا ﴿مِصْرًا﴾؛ فإنَّ الَّذي تطلبونَه يوجد في القُرى والأمصار.

و(مِصْر) نكرة؛ أي: مِصرٌ من الأمصار.

الحسن: مصر فرعون(٣)، وصُرِفَ لسكونِ عينِها، وقُرِئَ غيرَ مصروفٍ(٤).

وقيل: بيت المقدسِ؛ لقوله: ﴿ٱدْخُلُواْ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [المائدة: ٢١].

والمِصرُ: الحدُّ، ومُصُورُ الدّارِ(٥): حدودُها، قال:

وجاعِلُ الشَّمسِ مِصرًا لا خَفاءَ بِهِ ... بينَ النَّهارِ وبينَ اللَّيلِ قد فَصلا(٦)

---

(١) ذكره الثعلبي عن بعض النحويين، ونصَّ الواحدي على أنه خطأ. انظر: «تفسير الثعلبي» (٣/ ٣٤٢)، و«البسيط» للواحدي (٢/ ٥٨٦)، وقد ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ١٤٥).

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (٣/ ٣٤٢).

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ١٢٩)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٢٣) عن أبي العالية والربيع، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١٢٤) عن أبي العالية، والكلمة على هذا معرفة تستحقُّ المنع من الصرف للعلمية والعُجمة، ولكن يجوز صرفها للخفة، فلذلك قال المصنف: وصُرف...

(٤) قرأ بها الأعمش، كما في «مختصر في شواذ القراءات» لابن خالويه (ص: ١٤).

(٥) في (و): «والمصور للدار».

(٦) البيت لعدي بن زيد العبادي، كما في «ديوانه» (ص: ١٥٩)، و«غريب الحديث» لابن قتيبة =

﴿فَإِنَّ لَكُم﴾؛ أي: فيها ﴿مَّا سَأَلْتُمْ﴾: طلبْتُم.

﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ﴾: أُلْزِمُوها إلزامًا لا يَبرحُ، ومنه: الضَّريبةُ.

و﴿الذِّلَّةُ﴾: الـهَوان، وأصلُه من اللِّينِ[1]، ضِدُّ العِزَّةِ.

﴿وَالْمَسْكَنَةُ﴾: الفقرُ، ومنه: المسكين؛ لأنَّ الفقرَ أسكنَه، فلا حراكَ به.

والمسكنةُ: الضَّعفُ والصَّغارُ أيضًا، والتي ضُرِبَتْ بها[2] اليهودُ من هذا؛ لأنَّ فيهم الفقيرَ والغنيَّ.

وجمهور المفسِّرين على أنَّ الـمُرادَ بالمضروبِ عليهمِ الذِّلَّةُ والمسكنةُ: اليهودُ الَّذين كانوا في زمنِ النَّبيِّ ﷺ، وفسَّروا الذِّلَّةَ بالجزيةِ وزِيِّ اليهوديّة، وقيل: الكُسْتِيج[3].

وقيل: هو لآبائهم الَّذين كفروا بآياتِ الله، وقتلوا الأنبياءَ، وهذا أظهر.

﴿وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ قال الكسائيُّ: باؤوا: رجعوا[4]، والبَوءُ[5]: الرُّجوعُ بالخير والشَّرِّ[6].

= (١/ ٤٧٧)، و«تفسير الطبري» (١/ ١٦٠)، ونُسب لأمية بن الصلت في «ديوانه» (ص: ٤٦٠).

(١) انظر: «إسفار الفصيح» للهروي (١/ ٥٣١).

(٢) في (ن): «بها».

(٣) الكستيج: خيط غليظ بقدر الأصبع يشدُّه الذمِّيُّ فوق ثيابه دون ما يتزينون به من الزنانير المتخذة من الإبريسم. انظر: «المغرب» للمطرزي (ص: ٤٠٧)، و«تاج العروس» (٦/ ١٧٤) مادة (ك س ت ج).

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٣٤٦).

(٥) في (و): «والبواء».

(٦) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ١٣٠) عن الكسائي، وذهب ابن خالويه والحريري =

المبرِّد: ﴿وَبَآءُو﴾: أُنزِلُوا، من قولِه: ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ﴾ [النحل: ٤١]، ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ﴾[١] [الحشر: ٩][٢].

الزَّجّاج: أصل البَوْءِ: التَّسوية[٣].

غيرهم: احتملوا[٤]، وقيل: اعترفوا بما استحقّوا.

والغضب: هو ما حلَّ بهم من البلاء والنِّقَمِ في الدُّنيا.

وقيل: ما ينالهم في العُقبى.

المفضَّل: رجعوا إلى الله بعدَ الموت، وهو غضبان عليهِم.

﴿ذَٰلِكَ﴾: إشارةٌ إلى الضَّربِ والغضبِ.

﴿بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ بتركهم العملَ بما في التَّوراة، وقيل: بالقرآن.

﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّۦنَ﴾: زكريّا ويحيى وغيرهما، صلوات اللهِ عليهم أجمعين.

وقيل: يتولَّون أولئك الَّذين فعلوا.

و﴿ٱلنَّبِيِّۦنَ﴾: جمع نبيٍّ، وكذلك الأنبياء والنُّبَآءُ.

= إلى أن (باء) لا يكون إلا في الشرِّ. انظر: «ليس في كلام العرب» لابن خالويه (ص: ١٨٧)، و«درة الغواص» للحريري (ص: ٩٤).

(١) في النسخ الخطية: «وإذ تبوأ»، ولعل الصواب المثبت.

(٢) ذكر الماوردي والواحدي نحوه في «النكت والعيون» (١/ ١٣٠)، و«البسيط» (٢/ ٥٩٤)، وقد ذكر المبرد في «الكامل» (٢/ ١٧٢) أن (باء) يأتي بمعنى: قُتل بغيره، ويأتي بمعنى: أقرَّ، وبمعنى: احتمل.

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ١٣٠).

(٤) ذكره الزَّجّاج في «معاني القرآن» (١/ ١٤٥)، والسمرقندي في «تفسيره» (١/ ٥٨).

والنَّبـيُّ: هـو الَّذي يخبـر عن الله سـبحانه، فَعيلٌ بمعنـى مُفْعِل، وقيـل: بمعنى مُفْعَـل[١]، واشـتقاقُه مـن (النَّبأ) وهو الخبـر، وقيل: هو مـن (النَّبْوة)[٢]، وقـراءةُ مَن همـزَ[٣] تدفعُه[٤].

وقيل: النَّبيُّ الطَّريق، وسُمِّيَ الرَّسولُ نبيًّا؛ لأنَّه الطَّريقُ إلى الله.

﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾؛ أي: بغير الحقِّ الَّذي يُقتَلُ المرءُ به، وهو قولُه: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الأنعام: ١٥١].

﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟﴾ قيل: هو إشارةٌ إلى الكُفْرِ والقَتْلِ، وقيل: إشارةٌ إلى الأوَّلِ.

والعصيانُ: مخالفةُ الأمر.

﴿وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾: يجاوزونَ ما حُدَّ لهم.

والاعتداءُ: مجاوزةُ الحقِّ إلى الباطلِ.

وقيل: الاعتداءُ والعُدوانُ: الظُّلم[٥].

* * *

(١) «وقيل بمعنى مفعل» من (ن).

(٢) وهو الارتفاع من الأرض. انظر: «إصلاح المنطق» لابن السِّكِّيت (ص: ١٢١).

(٣) في (و): «يهمز».

(٤) همـز نافـع: ﴿ٱلنَّبِيِّـِٔنَ﴾، ﴿ٱلنُّبُوَّةَ﴾، ﴿ٱلْأَنۢبِيَآءَ﴾، ﴿ٱلنَّبِىُّ﴾ فـي القـرآن كلِّه، وترك قالـون الهمز في موضعيـن مـن سـورة الأحـزاب وصـلًا، وباقي السـبعة لا يهمزون مـن ذلك شـيئًا. انظر: «السـبعة فـي القراءات» لابـن مجاهد (ص: ١٥٧)، و«التيسـير» للدانـي (ص: ٧٣).

(٥) وهـو الارتفـاع مـن الأرض، لكن ميـل الكرماني لـلأوَّل. انظر: «إصـلاح المنطق» لابن السِّـكِّيت (ص: ١٢١).

(٦٢) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾ عن ابنِ عبَّاسٍ وابنِ مسعودٍ ومجاهدٍ[١] والسُّدِّيِّ: الآية نزلَتْ في سلمانَ الفارسيِّ، وكان من أهلِ جُنْدَيسابُورَ[٢] من أشرافهم، وذلك أنَّ سلمانَ لـمّا قصَّ على رسول الله ﷺ قصّة أصحاب الدَّير الَّذين قال: هم في النّار، قال سلمان: فأظلمَتْ عليَّ الأرض، فنزلَت هذه الآيةُ قال: فكأنَّما كُشِفَ عنِّي جبلٌ[٣].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بمن تقدَّم من الأنبياءِ، ولم يؤمنوا بك بعدُ.

وقيل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بعيسى، ولم يبدِّلوا، وانتظروا خروجَ محمَّدٍ ﷺ.

وقيل: هم طُلّابُ الدِّينِ؛ قسُّ بن ساعِدة، وزيدُ بن عَمرو بن نُفَيل، ووَرَقةُ بن نوفلٍ، وغيرُهم ممَّن آمنوا بمحمَّد ﷺ قبلَ مبعثه.

وقيل: هم المنافقون أظهروا الإيمانَ من غير اعتقاد.

وقيل: هم المؤمنون جميعًا.

---

(١) يذهب إلى هذا كثير من أهل اللغة. انظر: «العين» (٢/ ٢١٣) مادة (ع د و)، و«تهذيب اللغة» للأزهري (٣/ ٧٠)، و«المحتسب» لابن جني (١/ ٢٢٦)، و«المخصص» لابن سيده (٣/ ٤٠٥).

(٢) جُنْدَيْسابُور: مدينة بخوزستان، والنسبة إليها: الجنديسابوري، بناها سابور بن أردشير فنُسبت إليه، وأسكنها سبيَ الروم وطائفة من جنده، افتتحها المسلمون أيام عمر رضي الله عنه صلحًا. انظر: «معجم البلدان» لياقوت (٢/ ١٧٠ ـ ١٧٢).

(٣) رواه الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٤ ـ ٢٥)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٤٠ ـ ٤٥) عن السدي ومجاهد.

﴿وَٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾: دانـوا باليهوديّـة، وسُـمُّوا يهـودًا لتوبتِهـم، وقولِهـم: ﴿إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَ﴾ [الأعـراف: ١٥٦]، وقيـل: نُسِـبوا إلـى يهوذا بـنِ يعقوب، فأُعْـرِبَ وقُلِبَ الـذّالُ دالًا، ثـمَّ جُمِعَ كرُومـيٍّ ورُومٍ.

﴿وَٱلنَّصَٰرَىٰ﴾: هم قوم عيسى، وسُمُّوا نصارى لأنَّهم نُسبوا إلى قريةٍ يُقال لها: ناصرة[1]؛ في قول مقاتل[2].

قال الزَّجّاج: سُمُّوا نصارى لاعتزائِهم[3] إلى (نَصْرةَ)[4]؛ قريةٍ كان نزلَها[5] عيسى عليه السَّلام[6].

و(النَّصارى) على هذا: جمع نَصْرِيٍّ[7]، كمَهْريٍّ ومَهارَى.

---

(١) الناصرة: قرية بينها وبين طبرية ثلاثة عشر ميلاً، فيها كان مولد المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، ومنها اشتقَّ اسم النصارى، وأهل بيت المقدس يأبون ذلك، ويزعمون أن المسيح إنما وُلد في بيت لحم، وأنَّ آثار ذلك عندهم ظاهرة، وإنما انتقلت به أمه إلى هذه القرية، وذكر في الإنجيل يسوع الناصري كثيرًا. انظر: «معجم البلدان» لياقوت (٥/ ٢٥١).

(٢) انظر: «تفسير مقاتل بن سليمان» (١/ ٤٦٢)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٣٤) عن قتادة وابن جريج.

(٣) أي: لانتسابهم.

(٤) قرية ذكرها الخليل، وهي غير الناصرة، وربَّما جعلها بعضهم بألف مقصورة. انظر: «العين» (٧/ ١٠٩)، و«تاج العروس» للزبيدي (١٤/ ٢٢٩).

(٥) في (ن): «ينزلها».

(٦) ذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٣٥٤)، والواحدي في «البسيط» (٢/ ٦١٣)، ولم أقف عليه في «معاني القرآن» للزَّجّاج.

(٧) هذا مذهب الخليل، وقد نصَّ سيبويه وابن سيده على أن كلمة (نصريّ) غير مسموعة. انظر: «العين» (٧/ ١٠٩)، و«الكتاب» (٣/ ٤١١)، و«المحكم» (٨/ ٣٠١).

وقيل: جمع نَصْران، كسَكارى ونَدامى[١].

وقيل: نُسبوا إلى قولِهم: ﴿نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٥٢].

﴿وَٱلصَّـٰبِـِٔينَ﴾: الفرّاء: كلُّ مَن أحدثَ دِينًا فقد صبأ[٢].

مجاهدٌ: هم بين اليهود والمجوس[٣].

السُّدِّيُّ: هم طائفةٌ من أهل الكتاب[٤].

قتادة: يعبدون الملائكةَ ويصلُّون إلى القِبلةِ ويقرؤونَ الزَّبور[٥].

الخليل: هم قومٌ زعموا أنَّهم على دينِ نوحٍ عليه السَّلام[٦].

وقيل: انقرضوا، فلا عينٌ ولا أثرٌ.

واشتقاقُه من (صَبَأَ نابُ البعيرِ)؛ إذا ظهرَ وطلَعَ، وقيل: مِن (صَبا)؛ إذا مالَ، وقراءةُ مَن همزَ تدفعُه[٧].

﴿مَنْ ءَامَنَ﴾؛ أي: منهم ﴿بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾ يعني: القيامة، وقيل: مَن دامَ على الإيمان، وقيل: مَن ماتَ عليه.

---

(١) هذا المذهب الذي اختاره سيبويه. انظر: «الكتاب» (٣/ ٤١١)، و«معاني القرآن» للزَّجّاج (١/ ١٤٧).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٣٥٥)، ولم أقف عليه في «معاني القرآن» للفراء.

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٥٩)، والطبري في «تفسيره» (٢/ ٣٦).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٣٧).

(٥) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٩٣٩)، والطبري في «تفسيره» (٢/ ٣٧).

(٦) انظر: «العين» للخليل (٧/ ١٧١).

(٧) قرأ نافع: ﴿وَٱلصَّـٰبِـِٔينَ﴾، و﴿وَٱلصَّـٰبِـُٔونَ﴾ بغير همز، وقرأ الباقون بالهمز. انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ١٥٨)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٤).

﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ فيما بينَه وبين ربِّه، ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾: ثوابُهم، والأجرُ: جزاءُ العملِ.

﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾: في الآخرة.

﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ابن عبّاسٍ: ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾: فيما قدَّموا، ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾: فيما خَلَّفوا[١].

وجُمِعَ حملًا على معنى (مَن).

* * *

(٦٣) ـ ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ﴾؛ أي: أكَّدنا عليكم القيامَ بالدِّين.

﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ﴾؛ أي: وقد رفعنا، والواو للحال[٢].

﴿ٱلطُّورَ﴾: الجبلُ، وقيل: الجبلُ الـمُنْبِت، وقيل: هو الَّذي كلَّم اللهُ عليه موسى عليه السّلام.

﴿خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم﴾؛ أي: اقبلوا أحكامَ التَّوراةِ واعملوا بها.

﴿بِقُوَّةٍ﴾ الزَّجّاج: بالجدِّ وتركِ الرِّيَبِ[٣]، وقيل: ناوِيْنَ العملَ بموجبِه[٤]، وقيل: بقدرةٍ.

---

(١) انظر: «تنوير المقباس» للفيروزابادي (ص: ١٠)، وذكره الطبري في «تفسيره» (٢/ ٤١)، والسمرقندي في «تفسيره» (١/ ٥٩) دون نسبة.

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢/ ٦٢٨)، والباقولي في «إعراب القرآن» (٣/ ٩٦١).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزّجّاج (١/ ١٤٨).

(٤) في (ن): «بموجباته».

والقوّة: القدرةُ والاستطاعةُ.

والباءُ للآلةِ على سبيل المجاز، وقيل: للحال[١].

﴿وَٱذۡكُرُواْ مَا فِيهِ﴾ من الأحكام؛ أي: لا تنسوه، وقيل: اعملوا به.

﴿لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾: لكي تتَّقوا السَّخطةَ والعذاب.

وقيل: كونوا على رجاءِ الاتِّقاءِ من العذاب.

وذلك أنَّهم امتنعوا عن قَبول أحكامِ التَّوراةِ لِما فيها من الآصارِ والأثقال، فنَتَقَ اللهُ جبلًا فرسخًا في فرسخٍ على قَدْرِ عسكرِهم، ورفعَه فوقَ رؤوسِهم.

ابن عبّاسٍ: وبعث نارًا مِن قِبَلِ وجوهِهم، وأتاهم البحرُ الملح من خلفِهم، وأوحى الله إلى موسى: قل لهم: إن فعلتم ما أُمِرْتم وإلَّا رضخْتُكم بهذا الجبل، وغرَّقْتُكم في هذا البحر، وأحرقْتُكم بهذه النَّار، فقبلوا خوفًا من أن يُرْضَخوا به، وسجدُوا على خدودِهم[٢] ينظرونَ إليه، فبقيَ ذلك فيهم[٣].

* * *

(٦٤) - ﴿ثُمَّ تَوَلَّيۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۖ فَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾.

﴿ثُمَّ تَوَلَّيۡتُم﴾: أعرضتم ﴿مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ﴾؛ أي: من بعد أخذِ الميثاقِ ورفعِ الطُّورِ.

---

(١) وباء الآلة هي التي للاستعانة في تعبير النحويين، وباء الحال هي التي للمصاحبة. انظر: «الجنى الداني» للمرادي (ص: ٤٠).

(٢) في (و): «خدهم».

(٣) ذكر نحوه الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٣٦٢).

﴿فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ﴾ بتأخيرِ العذابِ، ﴿لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾؛ أي: الهالِكين، وقيل: خطابٌ للحاضرين منهم؛ أي: ولولا فضلُ اللهِ عليكم ورحمتُه ببعثةِ النَّبيِّ ﷺ.

***

(٦٥) - ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾.

﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ﴾: عرفتم ﴿ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ﴾: ظلموا[١]، وقيل: جاوزوا ما حُدَّ لهم ﴿فِى ٱلسَّبْتِ﴾ يعني: زمنَ داودَ عليه السَّلام، وذلك أنَّ اللهَ حرَّم عليهم صيدَ الحيتان في يوم السَّبت، ويأتي ذِكرُه في (سورة الأعراف) إن شاء الله تعالى[٢].

والسَّبتُ: آخرُ يومٍ من الأُسبوعِ، سمِّي سبتًا من (السَّبْتِ) الَّذي هو الدَّهر، وقيل: من (السَّبْتِ) الَّذي هو قطعُ العملِ والاستراحةُ.

فخالفوا أمرَ اللهِ وصادوا يوم السَّبْتِ، عن الحسن[٣].

وقيل: نصبوا الحبائلَ ووضعوا الشَّبكاتِ وحفروا غُدُرًا[٤] لها يومَ السَّبتِ، وصادوها في غيرِه من الأيَّام[٥].

وقيل: مُنِعوا عن الكسبِ يومَ السَّبتِ، فصادوا الحيتان.

---

(١) مال الكرماني هنا إلى تفسير الاعتداء بالظلم وقدَّمه، بينما قدَّم تفسير الاعتداء بمجاوزة الحدِّ في قوله تعالى: ﴿وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾، وقد تقدَّم.

(٢) «في سورة الأعراف إن شاء الله تعالى» من (ن).

(٣) روى الطبري نحوه عن قتادة والحسن. انظر: «تفسير الطبري» (٢/ ٦٣) و(١٠/ ٥٢٣)، و«زاد المسير» لابن الجوزي (١/ ٧٤).

(٤) في (و): «غدرانا».

(٥) روى الطبري في «تفسيره» (٢/ ٦٣) نحوه عن السدي.

﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا﴾: صِيـرُوا بتصييرِنـا إيّاكـم ﴿قِرَدَةً﴾: جمـع قِـردٍ، وهـي دابّةٌ مسـتقذَرةٌ مُستخَسّـةٌ عنـد النّاس.

وقيل: لم يكن هناك خطابٌ، وإنما هو عبارةٌ عن تصييرِ اللهِ إيّاهم قردةً بسرعةٍ وسهولةٍ.

وهذا قولُ جميعِ المفسِّرين إلا مجاهدًا فإنَّه قال: مُسِخَتْ قلوبُهم، وهذا مَثَلٌ ضربَه الله لهم، كقوله: ﴿كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ [الجمعة: ٥][١].

وقولُ الجمهورِ أولى؛ لقولِهِ: ﴿فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا﴾ [البقرة: ٦٦]؛ فإنَّ مَسْخَ القلوبِ ممّا لا يُوقَفُ عليه.

﴿خَٰسِـِٔينَ﴾: متباعِدين بطردٍ وإبعادٍ عن اللهِ ونَيلِ جنَّته.

وعلى قول مجاهد: ﴿خَٰسِـِٔينَ﴾ بالصَّغارِ وذهابِ القَدْرِ والجاهِ[٢].

تقول: خَسَأْتُه فهو مَخسوءٌ، فخَسَأ وهو خاسِئٌ؛ لازمٌ ومتعدٍّ[٣].

* * *

(٦٦) ـ ﴿فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾.

﴿فَجَعَلْنَٰهَا﴾ قيل: تلك العقوبة.

وقيل: القرية، واسمُها أيلة[٤]، وقيل: مَدْيَن.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٦٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١٣٣)، وقد ذكره المصنِّف في «غرائب التفسير» (١/ ١٤٥) واستغربه.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٦٧).

(٣) انظر: «إسفار الفصيح» للهروي (١/ ٣٧١).

(٤) في (و): «أيكة».

وقيل: الحيتان.

وقيل: القِردة.

وقيل: الفِرقة الممسوخة.

﴿نَكَٰلًا﴾: عِبرةً وعقوبة.

مشتَقٌّ من (نَكَلَ عنه)؛ أي: امتنعَ وجَبُنَ مَنْ هَمَّ بمثلِ ذلك.

﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا﴾ ابن عبّاسٍ: ما بينَ يديها وما خلفَها من القُرى[١].

عكرمة: ما بين يديها وما خلفها من الأممِ[٢].

وقيل: لِما بينَ يديها وما خلفَها من المعصية.

الحسن: ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا﴾: لذنوبِها المتقدِّمة، ﴿وَمَا خَلْفَهَا﴾: من المعصية في صيد الحيتان[٣].

الزَّجّاج: للأممِ الَّتي تراها، والتي تجيء بعدها[٤].

ويحتمل أن يكون (ما) بمعنى (من)؛ أي: لمن يرى ويشاهد تلك العقوبة، ولمن يأتي بعدها[٥].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٧٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١٣٣).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٧١) عن السدي.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٧٠) عن قتادة. وربَّما يكون المصنِّف قد أخذ هذا عن الطبري، فرأى الرواية عن شيخ الطبري الحسن بن يحيى، فذكرها عن الحسن. انظر: «مفاتيح الغيب» للرازي (٣/ ٥٤٣).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزَّجّاج (١/ ١٤٩).

(٥) هذا القول نسبه أبو حيان لقطرب، وذكره المصنِّف في «غرائب التفسير» (١/ ١٤٦). وانظر: «البحر المحيط» (١/ ٣٩٨).

وقيل: فجعلنا العقوبةَ الَّتي وقعَتْ بهم[١] في الدُّنيا، ﴿وَمَا خَلْفَهَا﴾: الَّتي تقع بهم في الآخرة، ﴿نَكَٰلًا﴾ لِما بين يديها من المعاصي.

﴿وَمَوْعِظَةً﴾: تذكِرةً وتأديبًا ﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾: الخائفينَ من عذاب الله.

***

(٦٧) ـ ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً﴾ أجمع المفسِّرون على أنَّ أوَّلَ القصّةِ مؤخَّرٌ في التِّلاوة، وهو قوله: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَْٔتُمْ فِيهَا﴾ [البقرة: ٧٢] وذلك أنَّ رجلًا اسمُه عاميلُ وُجِدَ قتيلًا في بني إسرائيل.

قال الكلبيُّ: قتلَه ابنُ أخيه؛ لينكحَ ابنتَه[٢].

عطاء: قتلَه ابن عمِّه؛ ليرثَ مالَه[٣]، وقيل: لينكحَ[٤] زوجَته، وكانت مثلًا في بني إسرائيل بالحُسن.

قتلَه فحملَه من قريةٍ إلى قريةٍ أخرى، وقيل: ألقاه بين قريتَيْن.

عكرمة: ألقاه على باب المسجد، وكان له اثنا عشر بابًا، لكلِّ سِبطٍ بابٌ[٥].

---

(١) «بهم» من (ن).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٣٧٠).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٣٧٠) عن عطاء والسدي، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٧٧) عن أبي العالية.

(٤) «ابنته، عطاء: قتله ابن عمه ليرث ماله، وقيل لينكح» من (ن).

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٣٧٠).

ابن سيرين: ألقاه على بابِ رجلٍ منهم، ثمَّ أصبح يطالبُه بثأرِه[(١)].

فاشتبَه أمرُ القتيل ولم يَدروا قاتلَه، فتدافعوا بينهم حتى ارتفع ذلك إلى موسى صلوات الله عليه، فسألوه أن يدعو اللهَ ليبيِّنَ لهم ذلك، فسأل موسى ربَّه، فأمَرهم بذبْحِ بقرة، وذلك قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗ﴾[(٢)].

وهي الأنثى من الثَّورِ، كالنّاقةِ من الجمل، واشتقاقُها من (بقرْتُ)؛ أي: شققْتُ؛ لأنَّها تُحْرَثُ عليها الأرضُ للزِّراعة.

﴿قالوا أتتّخِذنا هزوًا﴾[(٣)]؛ أي: ذوِي هُزْءٍ، والمعنى: أتستهزئُ بنا وتستضعِفُ عقولَنا وتتَّخِذنا سُخريًّا؟ وما ذبحُ البقرةِ من القتيلِ؟!

وقيل: إنَّما ذكروا ذلك لأنَّه لم يقل: فاضرِبوه ببعضها ليحيا.

﴿قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ﴾: أمتنعُ به ﴿أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾؛ فإنَّ الاستهزاءَ بالمؤمنين جهلٌ.

وقيل: ﴿أعوذ باللهِ﴾ أن آمركم بأمرٍ من تلقاءِ نفسِي، وأكذِبَ على الله.

* * *

(٦٨) - ﴿قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ لَّا فَارِضٞ وَلَا بِكۡرٌ عَوَانُۢ بَيۡنَ ذَٰلِكَۖ فَٱفۡعَلُواْ مَا تُؤۡمَرُونَ﴾.

---

(١) كذا ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٣٧١) عن ابن سيرين، ولكنَّه في «تفسير ابن أبي حاتم» (١/ ١٣٦)، و«زاد المسير» لابن الجوزي (١/ ٧٥) عن ابن سيرين عن عبيدة السلماني.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٣٧١).

(٣) قرأ حفص: ﴿هُزُوًا﴾ بضم الزاي من غير همز، وقرأ حمزة بإسكان الزاي وبالهمز في الوصل، فإذا وقف أبدل الهمزة واوًا اتباعًا للخط وتقديرًا لضمة الحرف المسكن، وباقي السبعة بالضم والهمز. انظر: «التيسير» للداني (ص: ٧٤).

﴿ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ﴾: (ما): للسُّؤال عن الجنس، و(كيف) عن الوصف، وقد تقع (ما) موضع (كيف)(١)؛ لأنَّهم علموا ما البقرة، ولكنَّهم سألوه عن وصفِها.

فروى الحسن عن النَّبيِّ ﷺ مرفوعًا(٢) أنَّه قال: «والَّذي نفسُ محمَّدٍ بيدِهِ، لو اعترضوا بقرةً فذبحوها لأجزَتْ عنهم، ولكنْ شَدَّدوا فشدَّدَ اللهُ عليهم»(٣).

وذهب بعض المفسِّرين إلى أنَّهم أرادوا أن يدفعُوا(٤) ذبحَ البقرةِ عن أنفسِهم بهذهِ الأسولة(٥).

وذهب بعضُهم إلى أنَّ المكلَّفَ بقرةٌ بعينِها.

السُّدِّيُّ قال: كان رجلٌ في بني إسرائيل بارًّا بأبيهِ(٦)، وعنده بقرةٌ، فأُمِروا بذبحِ تلك البقرة(٧).

---

(١) نقل المصنِّف إجماع المفسرين على أنَّ (ما) هنا للكيفية. انظر: «غرائب التفسير» (١/ ١٤٦).

(٢) «مرفوعا» من (ن).

(٣) لا يصحُّ مرفوعاً، وقد ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ١٣٨)، ورواه سعيد بن منصور في «سننه» (٢/ ٥٦٥) عن عكرمة يبلغ به النبي ﷺ، ورواه البزار في «مسنده» (٩٥٩٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه، وقال: (وهذا الحديث لا نعلمه يُروى عن أبي هريرة رضي الله عنه إلا بهذا الإسناد)، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ٣١٤): (رواه البزار، وفيه عباد بن منصور، وهو ضعيف، وبقية رجاله ثقات). وعزاه ابن كثير في «تفسيره» إلى ابن مردويه، وقال: (حديث غريب من هذا الوجه، وأحسن أحواله أن يكون من كلام أبي هريرة رضي الله عنه).

(٤) في (و): «أرادوا دفْعَ».

(٥) الأسولةُ: لغةٌ في (الأسئلة). انظر: «المحكم» لابن سيده (٨/ ٦١٢).

(٦) في (ن): «بأمه».

(٧) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٣٧٣).

قال ابن عبّاسٍ: وكان رجلًا صالحًا، وله ابنٌ طفل، وكانت له عِجْلة، فأتى بالعِجْلةِ إلى غيضةٍ، فقال: اللَّهمَّ إنِّي أستودِعُك هذهِ العِجْلة لابني حتى يكبر، ومات الرَّجل وبقيَتِ العِجْلة في الغيضِة، وصارت عَوانًا، فلمّا كبر الغلام قالت له أمُّه ـ وكان بارًّا بها ـ: إنَّ أباك قد استودعَ اللهَ لك عِجْلةً، فاذهب إلى غيضةِ كذا، وادعُ إلهَ إبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحاقَ أن يردَّها عليك، ففعل، فأقبلَتْ تسعى حتَّى قامَتْ بين يديه، ثم باعها منهم بملءِ مَسْكِها ذهبًا[1].

وقيل: بوزنِها عشرَ مرّات ذهبًا.

عكرمة: ما كان ثمنُها إلَّا ثلاثةَ دنانير[2].

وذهب آخرون إلى أنَّ المكلَّفَ بقرةٌ غيرُ معيَّنةٍ، فلم يفعلوا، فكُلِّفوا بالوصف الأوَّل، ثم بالوصف الثّاني، ثم بالوصف الثّالث.

وقيل: يجب أن تستوفيَ كلَّ صفةٍ تقدَّم ذِكرُها.

وقيل: يجب أن تكونَ بالصِّفةِ الأخيرة فحسبُ.

﴿قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ﴾: مسنّةٌ هَرِمةٌ، وأصلُ الفارضِ: الضَّخمُ من كلِّ شيءٍ، يقال: سِقاءٌ فارضٌ، وجِلّةٌ[3] فارضة[4].

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٣٧٤). والـمَسْكُ: الجلد، والجمع: مُسُوك، مثل: فَلْس وفُلُوس. انظر: «المصباح المنير» للفيومي (٢/ ٥٧٣).

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٧٦)، والطبري في «تفسيره» (٢/ ١١٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١٤٤)، واستغربه المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ١٤٩).

(٣) كذا في الأصول الخطيّة، ولعلَّها: حَلّة، وهي وعاء للطعام، أو حِلّة، وهي مجتمع الناس.

(٤) روى الأخفش أنه يقال: لحية فارضة، وقال الأزهري: لا يقال للأنثى: فارضة؛ فالذكر والأنثى فيه سواء، كما في التنزيل: ﴿لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ﴾. انظر: «تهذيب اللغة» للأزهري (١٢/ ١٢) مادة: =

﴿وَلَا بِكْرٌ﴾ البِكرُ: الحَدَثةُ الَّتي لم يُحمَل عليها، ولم يفتحِلْها الفحلُ.

ويقال: الَّتي وضعَتْ بطنًا.

وأصلُه من التَّقدُّمِ في الزَّمانِ والابتداءِ، كالبَكْرِ والبُكْرةِ، والباكورةُ من هذا[١].

﴿عَوَانٌۢ﴾: نَصَفٌ في سنِّها.

﴿بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾؛ أي: السِّنين، وقام مقامَ التَّثنيةِ كالمبهمات[٢]، قال الشّاعر:

إنَّ للخيـــرِ وللـــشَّرِّ مَـــدى وكِلا ذلـــكَ وَجْـــهٌ وَقَبَـــلْ[٣]

الزَّجّـاج: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشـارة إلـى الجملـة[٤]، وردَّ عليـه أبـو علـيٍّ فـي «إصلاحِ الإغفـالِ»[٥]، والحـقُّ مـع أبي علـيٍّ[٦].

= (ف ر ض)، و«الصحاح» للجوهري (٣/ ١٠٩٨) مادة: (ف ر ض).

(١) «من هذا»: ليس في (ن).

(٢) أي: قام الجمع مقام التثنية؛ لأنَّ (بين) يضاف إلى شيئين فصاعداً، والمبهمات أسماء الإشارة، قال سيبويه: (وأما الأسماء المبهمة فنحو هذا وهذه، وهذان وهاتان، وهؤلاء، وذلك وتلك، وذانك وتانك، وأولئك، وما أشبه ذلك، وإنما صارت معرفة لأنها صارت أسماء إشارة إلى الشيء دون سائر أمّته). انظر: «الكتاب» (٢/ ٥).

(٣) في (ن): «ذلك قول وعمل». والبيت لعبد الله بن الزِّبعري، وهو مطلع قصيدة قالها بعد أُحُد شامتاً، ونسبه أبو حيان للبيد. انظر: «شعر عبد الله بن الزِّبعري» (ص: ٤١)، و«سيرة ابن هشام» (٤/ ٩٢)، و«الأغاني» للأصفهاني (١٥/ ١٧٢)، و«البحر المحيط» (١/ ٤٠٦). والوجهُ: الغاية، والقَبَل: ما يُقبَل عليه.

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزَّجّاج (١/ ١٥٠).

(٥) أبو علي: هو الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسيّ (ت: ٣٧٧هـ)، واسم كتابه: «الإغفال فيما أغفله الزَّجّاج من المعاني». انظر: «الإغفال» لأبي علي الفارسي (ص: ٢١٤ ـ ٢٢٠).

(٦) وقد علَّل المصنِّف ذلك بوجهين:

﴿فَٱفۡعَلُواْ مَا تُؤۡمَرُونَ﴾: فامتثلوا ما أُمِرْتم به.

* * *

(٦٩) ـ ﴿قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوۡنُهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ صَفۡرَآءُ فَاقِعٞ لَّوۡنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ﴾.

﴿قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوۡنُهَا﴾: (ما)[1] للسُّؤالِ عن الجنسِ على أصلِه، طلبوا معرفةَ لونِها[2].

﴿قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ صَفۡرَآءُ﴾: أجابهم اللهُ إلى ما سألوا.

والصُّفرةُ هي المعروفة، وقيل: الصُّفرة هاهنا السَّواد، كقوله: ﴿جِمَٰلَتٞ صُفۡرٞ﴾ [المرسلات: ٣٣]، وكقول الشّاعرِ:

تِلْكَ خَيْلِي منها وتِلْكَ رِكابي[3] هُنَّ صُفْرٌ أولادُها كالزَّبِيْبِ[4]

وقيل: الصُّفرةُ السَّوادُ في الإبلِ خاصّة.

وقيل: أصفرُ[5]..

= أحدهما: أنَّ (بين) تستدعي اسماً عُطِفَ على اسم، وليس جملة.

والثاني: أن (ذلك) لا يقع مواقع الجمل في الصلة وغيرها، وقول القائل في جواب (ظننتَ زيداً قائماً؟): ظننتُ ذلك. إنَّما هو إشارة إلى الظن، وهو المصدر؛ أي: ظننتُ ذلك الظنَّ. انظر: «غرائب التفسير» (١/ ١٤٦).

(١) في (ن) زيادة: «هاهنا أيضاً».

(٢) ذكر المصنِّف أنَّ من المفسرين مَن جعلها للكيفية. انظر: «غرائب التفسير» (١/ ١٤٦).

(٣) «تلك خيلي منه وتلك ركابي» من (ن).

(٤) البيت للأعشى. انظر: «ديوانه» (ص: ٢٧).

(٥) كذا في الأصول الخطيّة، لو قال: صفراء، لكان أنسب.

القرونِ[١] والظِّلْفِ، وقيل: أصفرُ حتى القرونُ[٢] والظِّلْفُ.

وقولـهِ: ﴿فَاقِعٌ لَّوْنُهَا﴾ اتباعٌ للتَّأكيـد، كمـا تقـول: أبيـضُ يَقَقٌ، وأحمـرُ قانٍ، وأصفـرُ فاقـعٌ؛ أي: مشـبَعُ اللَّونِ خالـصٌ صافٍ.

ولم يقل: فاقِعة؛ لأنَّ الفعلَ للَّون[٣]، ويجوزُ أن يكونَ لـمّا كانَ تَبعًا لم يحتج إلى العلامة[٤]، كقوله:

وإنِّـي لأسْـقِي الشَّـرْبَ صَفـراءَ فاقِعًا ... كـأنَّ ذكِـيَّ الـمِسْكِ فيهـا يُفَتَّـقُ[٥]

﴿تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ﴾: تعجبُهم لحُسنِها[٦].

***

(٧٠) ـ ﴿قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾.

﴿قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا﴾: استزادوا وصفًا آخرَ لوجودِهم[٧] على الصِّفتَيْنِ الأُولَيَيْن بقرًا كثيرة.

---

(١) في (و): «اللَّون»، وما في (ن) هو الأنسب؛ لأن معنى العبارة هنا: أنها صفراء القرن والظلف خاصة، أما العبارة التالية فمعناها أنها صفراء اللون وصفراء القرن والظلف.

(٢) في (و): «القرن».

(٣) فابتدأ البيان القرآنيُّ أولًا بوصف البقرة بالصفرة، ثم أكَّد ذلك بوصف اللون بها، فكأنه قال: هي صفراء، ولونها شديد الصفرة.

(٤) أي: تاء التأنيث.

(٥) البيت لعديٍّ بن زيد، كما في: «تفسير الثعلبي» (٣/ ٣٨٢)، و«الوسيط» للواحدي (١/ ١٥٥).

(٦) في (و): «بحسنها».

(٧) أي: لأنهم وجدوا.

والتَّشابهُ: الدُّخولُ في الشَّبه.

﴿وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهۡتَدُونَ﴾؛ أي: إلى وصفها، ورُوي عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «لو لم يَستثنوا لَما بُيِّنَتْ لهم آخِرَ الأبدِ»(١).

***

(٧١) ـ ﴿قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ لَّا ذَلُولٞ تُثِيرُ ٱلۡأَرۡضَ وَلَا تَسۡقِي ٱلۡحَرۡثَ مُسَلَّمَةٞ لَّا شِيَةَ فِيهَاۚ قَالُواْ ٱلۡـَٰٔنَ جِئۡتَ بِٱلۡحَقِّۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفۡعَلُونَ﴾.

فأجابَهمُ اللهُ إلى ذلكَ ﴿قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ لَّا ذَلُولٞ تُثِيرُ ٱلۡأَرۡضَ﴾: مذلَّلةٌ بالعملِ وإثارةِ الأرضِ للزِّراعةِ، وهي كِرابُها(٢)، تقول: دابّةٌ ذَلولٌ بيِّنةُ الذِّلِّ بالكسر، والجمعُ ذُلُلٌ(٣).

﴿وَلَا تَسۡقِي ٱلۡحَرۡثَ﴾؛ أي: ليست بناضِحةٍ تسقِي الحرث، وهي الأرض المزروعة.

أبو حاتم والزَّجّاج: ﴿لَّا ذَلُولٞ﴾ وقفٌ؛ أي: هي تثيرُ الأرض؛ لأنَّها خُلِقَتْ للزِّراعةِ بها(٤)، ولا تسقِي الحرث(٥).

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٩٩ ـ ١٠٠) مقطوعًا عن ابن جريج وقتادة.

(٢) الكراب: الحرث، وكَرَبتَ الأرضَ: إذا قلبتها للحرث. انظر: «الصحاح» للجوهري (١/ ٢١١) مادة: (ك ر ب).

(٣) في (و): «والذُّلُل جمعه».

(٤) «بها» من (ن).

(٥) نقله الأنباري في «إيضاح الوقف والابتداء» (١/ ٥٢١) عن أبي حاتم، واعترض عليه فقال: (وهذا القول عندي غير صحيح؛ لأن الَّتي تثير الأرض لا يعدم منها سقي الحرث، وما روى أحد من الأئمة الَّذين يلزمنا قَبول قولهم أنهم وصفوها بهذا الوصف، ولا ادَّعوا لها ما ذكره هذا الرجل، بل المأثور =

﴿مُسَلَّمَةٌ﴾ من العيبِ وآثارِ العمل.

﴿لَّا شِيَةَ فِيهَا﴾: لا لونَ فيها يخالفُ[١] الصُّفرةَ من بياضٍ وغيره، وهي مصدر وَشَى يَشِي وَشْيًا وشِيةً.

﴿قَالُوا۟ ٱلْـَٔـٰنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ﴾ قيل: هذا يدلُّ على أنَّ بعضَهم كان شاكًّا في صحَّتِه ابتداءً، وذلك كفرٌ من قائلِه.

وقيل: معناه: ﴿جِئْتَ بِٱلْحَقِّ﴾؛ أي: بالوصفِ التّامِّ الَّذي لا مزيدَ عليه.

قتادة: تبيَّنّا الحقَّ[٢].

﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ قيل: معناه: كادوا لا يفعلون.

ابن عيسى: كانوا قبلَ ذبحِها على تلك الصِّفةِ ثم ذبحوها.

وقيل: ﴿وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ لغلاءِ ثمنها، وقيل: خشيةَ العار[٣]، وقيل: لكثرةِ تسويفِهم ومراجعتِهم.

الحسن: ﴿وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾؛ لأنَّهم لم يجدوا على تلك الصِّفة إلّا واحدةً عند الرَّجلِ[٤].

= في تفسيرها: ليست بذلول فتثير الأرض وتسقي الحرث. وقوله أيضًا يفسر بظاهر الآية؛ لأنها إذا أثارت الأرض كانت ذلولًا، وقد نفى الله هذا الوصف عنها، فقولُ السجستاني في هذا لا يُؤخَذ به ولا يُعرَّج عليه). أما النقل عن الزجاج ففي المطبوع من «معاني القرآن» (١/ ١٥٢) ما يخالفه، ففيه: (معناه ليست بذلول ولا مثيرة)، والله أعلم.

(١) في (ن): «مخالف».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ١١١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١٤٣).

(٣) نقله المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ١٤٩) عن عكرمة، واستغربه.

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٣٩٠) عن محمد بن كعب.

(٧٢) ـ ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَءْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾.

﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا﴾ قال صاحب النَّظم[1]: القصّة محمولةٌ على أنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ أنزلها على فصلَيْنِ، في وقتَيْنِ مختلفَيْنِ، وفي معنيَيْنِ غيرِ متَّفقَيْنِ[2].

غيرُه: فيه تقديمٌ وتأخيرٌ، كما سبق[3].

﴿فَادَّارَءْتُمْ فِيهَا﴾: فاختلفتم[4] فيها.

وعن الزَّجّاج: تدافعتم[5]، والتَّدارُؤُ: التَّدافعُ[6].

ويقوِّي الوجهَ الأوَّلَ تعديتُه بـ(في).

﴿وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾؛ أي: مُظهِرٌ، ونونُه للاستقبال[7]؛ لأنَّه حكايةُ حالٍ. يعني: الَّذين علموا القاتِلَ وكتموه، لا القاتلَ؛ لأنَّ ذلك منه جَحْدٌ، لا كتمانٌ.

***

---

(١) هو الحسين بن يحيى الجرجاني، كما ذكر المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٢٩)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ٤٦١)، وقد أكثر المصنِّف من النقل عنه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ١٤٩).

(٣) تقدَّم قول المصنف في تفسير: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً﴾ [البقرة: ٦٧]: أجمع المفسِّرون على أنَّ أوَّلَ القصّةِ مؤخَّرٌ في التِّلاوة، وهو قوله: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَءْتُمْ فِيهَا﴾ [البقرة: ٧٢].

(٤) في (ن): «ثم اختلفتم».

(٥) انظر: «معاني القرآن» للزَّجّاج (١/ ١٥٣).

(٦) في (ن): «التدافع والاختلاف».

(٧) أي: إثبات التنوين في ﴿مُخْرِجٌ﴾ دليل الاستقبال؛ لأنَّ اسم الفاعل إذا دلَّ على الماضي أُضيف إلى ما بعده.

(٧٣) - ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَٰلِكَ يُحْيِ اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ﴾؛ أي: القتيلَ.

﴿بِبَعْضِهَا﴾: ببعضٍ من البقرةِ[١]، قيل: اللِّسان، وقيل: الذَّنَب، وقيل: العَجْب، وجاء في الخبر: «أنَّه أوَّلُ ما يُخْلَق، وآخِرُ ما يَبلَى»[٢]، وقيل: الفخذ اليمنى، وقيل: الغضروف.

﴿كَذَٰلِكَ يُحْيِ اللَّهُ الْمَوْتَىٰ﴾؛ أي: فضُرِبَ به فحَييَ، فقامَ بإذنِ اللهِ وأوداجُه تشخُبُ دمًا وقال: قتلنِي ابنُ أخي[٣]، وقيل: ابنُ عمِّي، ثم سقط، فمات مكانَه.

﴿كَذَٰلِكَ﴾؛ أي: كما أُحْيِيَ هذا القتيلُ، يحيي الله الموتى يومَ القيامة للبعث والنُّشور، والتَّشبيهُ للإحياءِ فقط.

﴿وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾: آياتِ قُدرتِه على الإحياءِ وغيرِه ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ذلك.

وذكر بعض المفسِّرين: إنَّما أُمِروا بذبحِ البقرةِ دونَ غيرِها لأنَّهم عبدوا العجلَ، فأراد الله أن يهوِّن عندَهم ما كانوا يرونَه من تعظيمِه[٤].

---

(١) الظاهر أنَّ المصنف يميل إلى عدم التحديد؛ لأنَّه ذكر وجوه ترجيح بعض هذه الأشياء على بعض في «غرائب التفسير» (١/ ١٥٠).

(٢) ذكره البغوي في «تفسيره» (١/ ١٠٩) عن مجاهد وسعيد بن جبير، والوارد في الصحيح أنه لا يبلى، كما روى البخاري (٤٩٣٥)، ومسلم (٢٩٥٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس من الإنسان شيء إلا يبلى، إلا عظما واحدًا وهو عجب الذنب، ومنه يركب الخلق يوم القيامة»، وفي رواية لمسلم: «لا تأكله الأرض أبدًا».

(٣) في (و): «فلان بن فلان ابن أخي».

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ١٥٠).

(٧٤) ـ ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم﴾ يا معشرَ اليهود؛ أي: اشتدَّتْ وصلُبَتْ بالتَّجرُّؤِ على اللهِ بمعاصيه، والقساوةُ: الصَّلابة.

﴿مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ ابن عبّاسٍ: إشارةٌ إلى إحياءِ اللهِ عاميل؛ لأنَّ القاتلَ أنكرَ مع ذلك البرهانِ[١].

غيرُه: إشارةٌ إلى ما تقدَّمَ من الآياتِ من ابتداءِ السُّورة.

﴿فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ﴾ في الصَّلابةِ والغِلَظ.

﴿أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾؛ أي: بعضُها في قسوةِ الحجارةِ وبعضُها أشدُّ، والشِّدّةُ ضدُّ الرَّخاوة.

واختلفوا في تأويل (أو) هذه؛ فذهب الزَّجّاجُ إلى أنَّه للإباحة[٢]، وذلك في الأمر، وقد سبقَ[٣].

ابن عيسى: هو للشَّكِّ على أصلِهِ، وتقديره: أشدُّ قسوةً عندكم[٤].

---

(١) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (٢/ ١٢٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما وعن قتادة.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ١٥٦).

(٣) يخالف المصنِّف الزجاج، ويرى أنَّ واو الإباحة تأتي بعد الأمر فقط، وقد تقدَّم كلامه في هذا عند تفسير ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة: ١٩].

(٤) ذكره الماوردي في «تفسيره» (١/ ١٤٦) دون نسبة.

المفضَّل: هو كما تقول: ما أطعمته إلَّا حلوًا أو حامضًا، وما نركب إلّا الفرسَ أو البغلَ؛ أي: هذينِ الضَّربَيْنِ لا غير[١].

﴿وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ﴾ ثم فضَّلَ الحجارةَ على قلوبِهم[٢] لتفجُّرِ الأنهارِ من بعضها ـ والتَّفجُّرُ: انصبابُ الماءِ، كالانفجارِ ـ وتشقُّقِ بعضِها عن الماءِ، وهو الَّذي لا يبلغُ أن يكون نهرًا.

﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ﴾: ينزِلُ من عُلْوٍ إلى سُفْلٍ.

﴿مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾: خوفًا من اللهِ بعد أن جعلَ فيهِ التَّمييزَ، كقولِه: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ﴾ [الحشر: ٢١] الآيةَ.

مجاهدٌ: كلُّ حجرٍ تفجَّرَ منه الماءُ أو تشقَّقَ عن ماءٍ أو تردَّى عن رأسِ جبلٍ فهو من خشيةِ اللهِ، نزلَ به القرآنُ[٣].

وقيل: المرادُ بالحجرِ المتفجِّرِ منه الأنهارُ والمتشقِّقِ عن الماء: الحجرُ الَّذي ضربَه موسى عليه السلام بعصاه فانفجرَتْ منه اثنتا عشرة عينًا، والمرادُ بالحجرِ الَّذي يهبطُ من خشيةِ الله: الجبلُ الَّذي ذكرَه في قوله: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ [الأعراف: ١٤٣][٤].

---

(١) ذكر نحوه الأخفش في «معاني القرآن» (١/ ١١٥)، وذكره الطبري في «تفسيره» (٢/ ١٣١) دون نسبة.

(٢) في (و): «بعضهم».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ١٣٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١٤٧)، وذكره المصنِّف في «غرائب التفسير» (١/ ١٥٠).

(٤) ذكره المصنِّف في «غرائب التفسير» (١/ ١٥١)، واستغربه.

وقيل: هذا مثلٌ ضربَه الله؛ أي: لو كان ممّا يعقِلُ لهبطَ من خشيةِ الله، وأنتم عقلاء لا تخشونَه!

وقيل: المرادُ بالحجر: البَرَدُ، والمرادُ بقوله: ﴿مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾: بإخشاءِ اللهِ عبادَه وزجرِهِ إيّاهم عن الكفر والمعاصي[1].

وقيل: الهاءُ في قوله: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ تعودُ إلى القلوب[2]؛ أي: من القلوبِ قلوبٌ تطمئنُّ وتستكنُّ إلى ذكرِ اللهِ تعالى؛ يعني: قلوب المؤمنين المخلصين.

﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ﴾: بساهٍ[3] ﴿عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾: التّاءُ للخطاب، والياءُ للاستئنافِ[4].

* * *

(٧٥) ـ ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾.

﴿أَفَتَطْمَعُونَ﴾: الخطابُ للنَّبيِّ ﷺ والمؤمنين.

والطَّمعُ: رجاءُ الشَّيءِ والرَّغبةُ فيه.

﴿أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ﴾: قيل: الباء واللّام يتعاقبان، نحو قوله: ﴿يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ٦١][5].

---

(١) ذكره المصنِّف أيضاً في «غرائب التفسير» (١/ ١٥١)، وعدَّه من العجيب.

(٢) ذكره المصنِّف في «غرائب التفسير» (١/ ١٥١)، وعدَّه من العجيب أيضاً.

(٣) «بساه» من (ن).

(٤) قُرئت ﴿عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ بوجهين؛ قرأ ابن كثير بالياء، وباقي السبعة بالتاء. انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ١٦٠)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٤).

(٥) يذهب النحويون الكوفيون إلى أن حروف الجرِّ تتعاقب، وذهب ابن قتيبة إلى أن الباء واللام =

ابن عيسى: يستجيبوا لكم بالتَّصديقِ[1].

وقيل: يُظهِروا لكم أنَّهم واجدون نعتَ محمَّدٍ[2] ﷺ في كتابِهم وصفتَه[3].

وقيل: يصدِّقوا لكم لأجلِ سؤالِكم إيّاهم عن صِحّةِ نبوّةِ محمَّدٍ ﷺ ونعتِه.

وقيل: الخِطابُ لليهود، وفيه بُعْدٌ.

﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾؛ يعني: التَّوراة.

﴿ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ﴾: التَّحريفُ على وجهَيْن:

١ ـ تحريفِ لفظٍ إلى لفظٍ.

٢ ـ وتحريف معنى، وهو حَمْلُه على غيرِ ما قُصِدَ له.

وذلك أنَّ اليهودَ حرَّفوا بعضَ أحكام التَّوراة، وحرَّفوا صفةَ محمَّدٍ النَّبيِّ ﷺ.

ابن عبّاسٍ: هم السَّبعونَ الَّذين اختارَهم موسى عليه السَّلام ليسمعوا كلامَ اللهِ، وتحريفُهم أنَّهم قالوا: سمِعْنا اللهَ يقولُ في آخرِ كلامه: إن استطعتم أن تفعلوا هذه الأشياء فافعلوا، وإن شئتم فلا تفعلوا ولا بأسَ[4].

﴿مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾: فهِموه.

﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾؛ أي: كان ذلك عن علمٍ منهم وتعمُّدٍ، لا عن جهلٍ وخطأٍ.

= في قوله تعالى: ﴿يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ زائدتان. انظر: «تأويل مشكل القرآن» لابن قتيبة (ص: ١١٧)، و«الحجة» لأبي علي الفارسي (٣/ ٥٤).

(١) فسَّر ابن عيسى الآية على مذهب البصريين في التضمين، فجعل الفعل (يؤمنوا) متضمناً معنى الفعل (يستجيبوا).

(٢) في (ن): «نعت النبي».

(٣) في (ن): «وصفاته».

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٣٩٨).

(٧٦) ـ ﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓا۟ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾.

﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا ﴾: نزلت في منافقِي اليهود[١]؛ أي: إذا اجتمعوا مع المؤمنين أظهروا كلمةَ الإيمانِ، وحدَّثوهم بما في كتابِهم من نَعْتِ محمَّدٍ ﷺ وصفتِه.

﴿وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ﴾؛ أي: رجعوا إلى رؤسائِهم، لاموهم ﴿قَالُوٓا۟ أَتُحَدِّثُونَهُم ﴾: أتخبرونَ أصحابَ محمَّدٍ ﷺ.

والتَّحديثُ: الإخبارُ عن حوادثِ الزَّمانِ[٢]، وأصلُه الحدوثُ.

﴿بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ ﴾ ابن عبّاسٍ والحسن: بما علَّمَكم الله[٣]، من قوله: افتحْ على الإمام؛ أي: علِّمْه وذكِّرْه.

وقيل: ﴿فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ ﴾: أنزلَه.

مجاهدٌ: حكمَ به عليكم، مِن جَعْلِه منكم قِردةً وخنازير ـ والفَتْحُ: الحُكْمُ، والفتّاحُ: الحاكم[٤] ـ ....

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ١٤٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما والسدي، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١٤٩) عن الربيع بن أنس.

(٢) «الزمان» من (ن).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ١٤٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ: (بما أمركم الله به)، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١٥١) عن الحسن، بلفظ: (قال بعضهم: لا تحدثوا أصحاب محمد بما فتح الله عليكم مما في كتابكم ليحاجوكم به عند ربكم فيخصمونكم)، وهذا هو القول الذي يميل إليه المصنِّف. انظر: «غرائب التفسير» (١/ ١٥٢).

(٤) في (و): «القاضي».

قالوا ذلك حين دعاهم النَّبيُّ ﷺ: «يا إخوانَ القِردةِ والخنازِير»[(١)].

ابن عيسى: ﴿بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ﴾: حكمَ به عليكم وألزمَكُموه باتِّباعِ[(٢)] محمَّدٍ ﷺ[(٣)].

المفضَّل: أظفرَكُم بعلمِهِ، والفَتْحُ: الظَّفَرُ[(٤)].

﴿لِيُحَآجُّوكُم﴾: ليجادلوكم ويُلْزِموكم الحجّةَ بما أخبرتموهم ﴿بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ﴾: يومَ القِيامة.

المفضَّل: عند كتابِ ربِّكم، فحذفَ المضاف؛ أي: إذا تلوتم كتابَ ربِّكم احتجُّوا به عليكم.

وقيل: في حُكمِ ربِّكم، كقوله: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾؛ أي: في حُكمِه.

الحسن: ﴿عِندَ رَبِّكُمْ﴾: في ربِّكم، فيقولوا: نحن أولى بالله منكم[(٥)].

ومعناه: إنَّكم مقرُّون بنبوَّته، ثم جحدتم نبوَّته بعد الإقرار.

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أنَّ الإقرارَ بالشَّيءِ التزامٌ.

الحسن: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ خطابٌ للمؤمنين.

ثمَّ استأنفَ فقال:

(٧٧) ـ ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ١٤٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١٥٠).

(٢) في (ن): «من اتباع».

(٣) ذكر نحوه الواحدي في «الوسيط» (١/ ١٦١) عن ابن الأنباري.

(٤) ذكر نحوه ابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٨١).

(٥) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ١٤٩)، والرازي في «تفسيره» (٣/ ٥٦٢) عن الحسن، وروى نحوه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١٥٠) عن السدي.

﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ﴾؛ يعني: اليهود ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ﴾ في الخلوةِ ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ من الإيمانِ عندَ النَّبيِّ ﷺ.

وقيل: هو عامٌّ في جميعِ ما يخفونَه وما يعلنونه.

***

(٧٨) ـ ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾.

﴿وَمِنْهُمْ﴾: من اليهودِ ﴿أُمِّيُّونَ﴾؛ أي: قومٌ أمِّيُّون لا يقرؤون ولا يكتبون.

والأمِّيُّ: منسوبٌ إلى (الأُمِّ)(١).

المفضَّل: لأنَّه تربَّى معها، ولم يربِّه الرِّجال، فيتعلَّم ما يتعلَّمه الرِّجال(٢).

وقيل: منسوبٌ إلى الأُمّة؛ أي: الجماعة؛ لأنَّ معظمَهم لا يكتبون(٣).

أبو عبيدة: الأميُّون: الَّذين نزل عليهم الكتاب(٤)؛ أي: يقرؤونه ولا يعرفونه، كأنهم نُسِبوا إلى أمِّ الكتابِ، وهو كتاب الله عزَّ وجلَّ.

والأمِّيُّ أيضًا في غير هذه: المنسوبُ إلى أمِّ القرى مكّةَ.

﴿لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾: لا يفهمون ما فيه.

---

(١) قال ابن الأنباري: إنما سُمّي الذي لا يكتب ولا يقرأ أمّيّاً؛ لأنه نسب إلى أمّه؛ إذ كان النساءُ لا يكتبن في ذلك الدَّهر. انظر: «التفسير البسيط» للواحدي (٣/ ٨٤).

(٢) ذكره الطبري في «تفسيره» (٢/ ١٥٣) دون نسبة، ورجحه.

(٣) هذا ما اختاره ابن قتيبة في «غريب الحديث» (١/ ٣٨٤).

(٤) لم أقف على هذا عن أبي عبيدة، وقد ذكر الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٤٠٢) نحوه عن ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة، وروى ابن المنذر في «تفسيره» (١/ ١٥٢) عن أبي عبيدة خلاف هذا المعنى فقد قال: (الأميّون: الَّذين لم يأتهم الأنبياء بالكتب، والنبيُّ الأميُّ: الَّذي لا يكتب)، وهو الذي في «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ٩٠).

﴿إِلَّآ أَمَانِىَّ﴾: إلَّا تلاوةً. استثناءٌ منقطعٌ، معناه: لكن[١].

والأمنيّـةُ: التِّـلاوةُ؛ قـال الله عـزَّ وجـلَّ: ﴿إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾ [الحـج: ٥٢]؛ أي: تلاوتـه[٢]، قال الشّـاعر:

تَـمَنَّى كِـتـابَ اللهِ آخِــرَ لَـيـلـةٍ ... تَـمَنِّيَ داودَ الزَّبورَ على رِسْلِ[٣]

ابن عبّاسٍ: إلّا كذبًا[٤]. من قوله: ما تمنَّيْتُ منذ أسلمْتُ[٥].

قتادة: تشهِّياً، يتمنَّون على الله ما ليس لهم أن يتمنَّوه[٦].

﴿وَإِنْ هُمْ﴾: وما هم ﴿إِلَّا يَظُنُّونَ﴾: لا يدرونَ ما فيه، فيَجحدونَ نبوَّتَك بالظَّنِّ.

* * *

(٧٩) - ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾.

﴿فَوَيْلٌ﴾ روى أبو سعيدٍ الخدْريُّ عن النَّبيِّ ﷺ: «ويلٌ وادٍ في جهنَّمَ يَهوِي فيه الكافرُ أربعينَ خَريفًا قَبلَ أنْ يَبلُغَ قَعْرَهُ»[٧].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للأخفش (١/ ١٢٣).

(٢) في (ن): «تلاوته ثم».

(٣) البيت بلا نسبة في: «المنجد» لكراع النمل (١/ ١٥٤)، و«الزاهر» لأبي بكر الأنباري (٢/ ١٥١)، و«الغريبين» لأبي عبيد الهروي (٦/ ١٧٨٢).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ١٥٦).

(٥) هو قول عثمان رضي الله عنه، رواه عنه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٢٠٥٥)، وابن شبة في «تاريخ المدينة» (٢/ ٢١٣)، والفسوي في «المعرفة والتاريخ» (٢/ ٢٨٢).

(٦) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٧٩)، والطبري في «تفسيره» (٢/ ١٥٦).

(٧) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١١٧١٢)، والترمذي (٣١٦٤)، وقال: (حديث غريب لا نعرفه مرفوعًا إلا من حديث ابن لهيعة).

عثمانُ بنُ عفّانَ: هو جبلٌ في النَّار(١).

وقيل: وادٍ من صديدٍ في جهنَّم.

الكلبيُّ: الشَّديدُ من العذاب(٢).

الأصمعيُّ: الويلُ: تقبيحٌ(٣).

وقيل: الويلُ: الهلاكُ، يُستعمَلُ لمن لا يُرجَى خلاصُه.

﴿لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ﴾؛ أي: تولَّوا كتابتَه بأيديهم، لم يأمروا غيرَهم بالكتابة.

وقيل: لتحقيقِ الإضافة.

قال ابن السَّرّاج: من تلقاءِ أنفسِهم(٤).

والوجهُ هذا؛ لِقولِهِ: ﴿ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾؛ لأنَّهم غيَّروا صفةَ محمَّدٍ ﷺ وغيَّروا بعضَ أحكامِه، ثم قالوا: هذا من عند الله.

﴿لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾: عوضًا يسيرًا، وهو ما كانوا يُصيبونَه من سفلَتِهم.

﴿فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ لتحريفِهم ﴿وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ من الحرامِ، والاكتسابُ: الاجتلابُ للنَّفع.

* * *

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ١٥١) عن عثمان رضي الله عنه، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ١٦٤) وابن كثير في «تفسيره» (١/ ٣١٢) عن عثمان رضي الله عنه مرفوعًا، وقال ابن كثير: (وهذا غريب أيضاً جدّاً).

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٠/ ٤٨٣).

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ١٥١)، والواحدي في «البسيط» (٣/ ٩١).

(٤) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ١٥١)، والواحدي في «البسيط» (٣/ ٩٣).

(٨٠) ـ ﴿وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ عكرمةُ عن ابن عبّاسٍ رضي الله عنه قال: قدِمَ رسولُ اللهِ ﷺ المدينةَ ويهود تقول: إنَّما هذه الدُّنيا سبعةُ آلافِ سنةٍ، وإنَّما يُعذَّبُ النَّاسُ في النّارِ بكلِّ ألفِ سنةٍ من أيّامِ الدُّنيا يومًا واحدًا في النّارِ من أيّامِ[1] الآخرة، إنَّما هي سبعةُ أيّامٍ ثم ينقطعُ العذابُ، فأنزل الله عزَّ وجلَّ في ذلك: ﴿وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾[2].

الضَّحّاكُ عن ابنِ عبّاسٍ قال: وجَدَ أهلُ الكتابِ: ما بينَ طرفَي جهنَّمَ مسيرةُ أربعين، فقالوا: لن نُعذَّبَ في النّارِ إلَّا ما وجَدْنا في التَّوراة، فإذا كان يومُ القِيامةِ أُقْحِموا في النّارِ فصاروا في العذابِ حتى انتهوا إلى سَقَر، وفيها شجرةُ الزَّقُّومِ إلى آخرِ يومٍ من الأيّامِ المعدودةِ، قال: فيقولُ لهم خزنةُ أهل النّار: يا أعداءَ الله، زعمتم أنَّكم لن تُعذَّبوا في النّارِ إلّا أيّامًا معدودةً، فقد انقضى العددُ وبقيَ الأبد[3].

الحسن وقتادة: عنَوا بها الأيّام الَّتي عبدوا فيها العِجْلَ[4].

---

(١) في (و): «الأيام».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ١٧٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١٥٥).
وورواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١١/ ٩٦) من طريق مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما، وحسَّنَ إسنادَه الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (١٠/ ٢٤٦).

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١٥٦)، وورواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ١٧١) بأوجز من هذا.

(٤) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٨١)، والطبري في «تفسيره» (٢/ ١٧١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١٥٦) عن قتادة.

وقيل: معنى ﴿مَّعۡدُودَةً﴾: قلائل، كقوله: ﴿دَرَٰهِمَ مَعۡدُودَةٖ﴾ [يوسف: ٢٠].

... [١] ثم يشفعُ لنا آباؤُنا الأنبياءُ عليهم السلام، فآيسَهم اللهُ، وأنزلَ هذه الآية.

وقوله: ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ﴾: لن تصيبنا، والمسُّ: الجمعُ بين الشَّيئين على نهايةِ القُرْبِ، واللَّمسُ مثلُه، لكنَّه معَ الإحساس[٢].

﴿قُلۡ أَتَّخَذۡتُمۡ عِندَ ٱللَّهِ عَهۡدٗا﴾: عقدًا، وقيل: وعدًا، ﴿فَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ عَهۡدَهُۥٓۖ أَمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ جهلًا وكذبًا.

وتقديره: أتقولون على الله ما تعلمون أم تقولون على الله ما لا تعلمون؟ ويجوز أن تكون (أم) المنقطعة؛ أي: بل أتقولون على الله ما لا تعلمون؟[٣]

* * *

(٨١) ـ ﴿بَلَىٰۚ مَن كَسَبَ سَيِّئَةٗ وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

﴿بَلَىٰ﴾: ردٌّ لجوابِ النَّفي؛ استفهامًا كان أو خبرًا[٤].

﴿مَن كَسَبَ سَيِّئَةٗ﴾: قيل: الشِّركُ، وقيل: الكبائرُ من الذُّنوب.

﴿وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾؛ أي: ذنوبُه، وسدَّتْ عليه مسالِكَ النَّجاة، وهو أن يموتَ على الكفرِ، والإحاطةُ: الإدارةُ حولَ الشَّيء.

---

(١) في الكلام اختصار، والمراد: اليهودُ كانوا يقولون: لن تمسَّنا النّار إلاّ أيّامًا معدودةً.

(٢) انظر: «النكت والعيون» للماوردي (١/ ٤٢٦).

(٣) وعلى التقدير الأول تكون (أم) المعادلة، وقد ذكر جوازَ الوجهين الواحدي في «البسيط» (٣/ ٩٥)، والزمخشري في «الكشاف» (١/ ١٥٨).

(٤) بلى: حرف جواب لا يقع إلا بعد نفي في اللفظ أو المعنى، ومعناها ردُّ النفي، سواء كان مقروناً باستفهام، أو لا. انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان الأندلسي (١/ ٤٣٧).

﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ﴾: مُلازمُوها والدّاخلونَ فيها.

﴿هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾: دائمون.

* * *

(٨٢) ـ ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَٰتِ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَٰتِ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾: والخلودُ: الوجودُ[١] إلى غيرِ نهايةٍ.

* * *

(٨٣) ـ ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ لَا تَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَانٗا وَذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنكُمۡ وَأَنتُم مُّعۡرِضُونَ﴾.

﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾: الجمهور: اذكر إذ أخذنا، فيكون استئنافًا.

قال الشَّيخ رحمه الله[٢]: ويحتملُ أن يكونَ جميعُ ما تقدَّم وما سيأتي إلى انقضاءِ القصّةِ عطفًا على قولهِ: ﴿ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ﴾؛ أي: حينَ أنعمتُ عليكم وفعلتُم كذا وفعلنا كذا.

والميثاقُ: العقدُ[٣] المؤكَّدُ غايةَ التَّوكيد.

---

(١) «الوجود» من (ن).

(٢) «قال الشيخ رحمه الله»: ليس في (ن).

(٣) في (و): «العهد».

﴿لَا تَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ الكلبيُّ[١]: بأن لا تعبدوا، فحذف الجارَّ، وتعدَّى الفعل من غير واسطةٍ، ثم حذف (أن) فارتفع الفعل، كقولِ الشّاعرِ:

ألا أيُّهذا الـزّاجِـرِي أحـضُـرُ الـوَغَـى وأنْ أشهَدَ اللَّذّاتِ هل أنتَ مُخْلِدِي[٢]

«الحجّة»: (الأَخْذُ) من الألفاظِ الَّتي تجري مَجرى القَسَم، فتُجابُ بجوابِ القسم، فيكون تقديره: حلَّفناهم لا تعبدون، ومثله: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٨٧][٣].

قطرب: ﴿لَا تَعۡبُدُونَ﴾ حال؛ أي: غير عابدين إلّا الله[٤].

الفرّاء: اللَّفظُ خبرٌ، والمرادُ بِهِ النَّهي[٥]، كقولِهِ: ﴿تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الصف: ١١] في (الصَّف)، وجَزْمُ ﴿يَغۡفِرۡ﴾ [الصف: ١٢] يدلُّ عليه[٦].

ومَن قرأ بالتّاء[٧] فبإضمارِ القول، وإضمارُ القولِ لا يضيقُ.

---

(١) كذا في النسخ الخطية، والصواب أن القول للكسائي. انظر: «تفسير الثعلبي» (٣/ ٤٢١)، و«البسيط» للواحدي (٣/ ١٠٣)، و«تفسير الراغب الأصفهاني» (١/ ٢٤٦)، و«تفسير الرازي» (٣/ ٥٨٥). وأجازه الفراء والأخفش والزجاج. انظر: في «معاني القرآن» للفراء (١/ ٥٣)، وللأخفش (١/ ١٤٠)، وللزّجّاج (١/ ١٦٤).

(٢) البيت لطرفة بن العبد من معلقته. انظر: «ديوانه» (ص: ٢٥)، و«جمهرة أشعار العرب» للقرشي (ص: ٣٢٥).

(٣) انظر: «الحجة» لأبي علي الفارسي (٢/ ٧٣).

(٤) ذكره الواحدي في «البسيط» (٣/ ١٠٣).

(٥) ذكر الفراء هذا الوجه، وذكر الوجه الأول والثاني أيضاً. انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٥٣ ـ ٥٤).

(٦) كلام المصنِّف على آية (الصف) التي أيَّد بها قول الفراء، فهو يرى أن الخبر فيها معناه الأمر، ولذلك جُزم جوابُه، وهو في رأيه هذا موافق للزجاج، وفي كلامه ردٌّ على المبرِّد الذي رأى أن الجزم جواب للاستفهام بـ(هل). انظر: «المقتضب» للمبرد (٢/ ٨٢)، و«معاني القرآن» للزجاج (٥/ ١٦٦).

(٧) قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي بالياء، وباقي السبعة بالتاء. انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد =

﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾: الوالدُ: الأب، والوالدان: الأبُ والأمُّ، والولدُ: نتيجتُهما، وأصلُه من الوِلادةِ، كالنِّتاجِ للنّاقة.

والإحسانُ: النَّفع.

الحسن[١]: والباءُ متَّصلٌ بالإيصاء؛ أي: أوصينا بهما إحسانًا، كقولِهِ: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا﴾ [الأحقاف: ١٥][٢].

وقيل: يتَّصلُ بفعلٍ من الإحسان؛ أي: وأحسِنوا بالوالدينِ، تقول: أحسِنْ به، قال الله تعالى: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ﴾ [يوسف: ١٠٠]، وأحسنْ إليهِ، قال الله سبحانه[٣]: ﴿كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [القصص: ٧٧][٤].

وقيل: متَّصِلٌ بالأخْذِ؛ أي: أخذنا ميثاقَ بني إسرائيلَ بأن لا تعبدوا إلَّا الله وبالوالدينِ إحسانًا[٥].

= (ص: ١٦٣)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٤).

(١) كذا في النسخ الخطية، والصواب أنه: «الحجة»؛ فالقولان ذكرهما أبو علي الفارسي في «الحجة»، كما أن مثل هذا الكلام يبعد أن يصدر عن الحسن رحمه الله، ولم ينسبه أحد إليه. انظر: «الحجة» (٢/ ١٣٠).

(٢) في (و): ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا﴾ [العنكبوت: ٨]. انظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة (ص: ٥٦).

(٣) في (و): «كقوله».

(٤) اختار هذا الوجه الأخفش والزجاج، وذكره والذي قبله العكبري. انظر: «معاني القرآن» للأخفش (١/ ١٣٤)، وللزجاج (١/ ١٦٣)، و«إعراب القرآن» للعكبري (١/ ٨٤).

(٥) انظر هذه الأقوال بلا نسبة في: «تفسير الطبري» (٢/ ١٩١)، و«البسيط» للواحدي (٣/ ١٠٧)، و«المحرر الوجيز» لابن عطية (١/ ١٧٢)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (١/ ٤٥٨)، وقد رجَّح الطبري القول الأخير؛ لأنه أنسب لسياق الآية، ورجَّح الأخفش والزجاج والواحدي وأبو حيّان تعلُّقَ الباء بالإحسان؛ لأنَّه أقرب إلى قياس اللغة، أما الكرماني فقدَّم هنا الأول؛ لشبهه بالقرآن، =

﴿وَذِي ٱلْقُرْبَىٰ﴾: القريبُ المعتدُّ بقرابتِه.

﴿وَٱلْيَتَـٰمَىٰ﴾: جمعُ يتيمٍ، وهو الَّذي فقدَ أباه قبل الحُلُمِ إلى الحُلُم(١).

﴿وَٱلْمَسَـٰكِينِ﴾: جمع مسكِينٍ، وهو الَّذي ضمَّ إلى فقرِه الذُّلَّ وانقطاعَ المعونة.

﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾: قيل: النّاسُ عامٌّ، وقيل: خاصٌّ للمؤمنين، وقيل: المرادُ به النَّبيُّ ﷺ؛ أي: وقولوا للنّاس في شأنِ محمَّدٍ ﷺ حُسنًا.

وقيل: الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر.

وقيل: هو محكمٌ، وقيل: هو منسوخٌ بآية السَّيف.

والحُسْنُ والحَسَنُ لغتان، كالبُخْلِ والبَخَلِ، وقيل: الحَسَنُ وصفٌ؛ أي: قولًا حَسَنًا، والحُسْنُ المصدر؛ أي: قولًا ذا حُسْنٍ.

﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ المفروضةَ، ﴿وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ الواجبة.

ابن عيسى: كان زكاةُ أموالهم قربانًا تهبطُ إليه نارٌ فتحمله(٢).

﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾: أعرضتم، والتّولِّي: الذَّهابُ عن الشَّيء خلافَ التَّولِّي إليه.

﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ﴾؛ فإنَّهم بقوا على الميثاق.

﴿وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ﴾: خطابٌ لليهود الَّذين كانوا في عصرِ النَّبيِّ ﷺ؛ أي: أنتم معرضون كأوائلكم، وقيل: تأكيدٌ للأوَّل، وهم الغُيَّبُ.

= ولأنه أنسب لسياق نظائر هذه الآية في القرآن كلِّه، وقدَّم في «غرائب التفسير» (١/ ١٥٤) تعلُّقَ الباء بالإحسان؛ لأنه الأشهر عند المفسرين.

(١) في (و): «وإلى الحلم»، والصواب ما أثبتناه من (ن)؛ لأنَّ المراد: أنَّ هذه التسمية تُطلق عليه إلى الحلم.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ١٩٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٨٤) ـ ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴾.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ ﴾؛ أي: لا يسفكُ بعضُكم دمَ بعضٍ.

وقيل: لا يَقتلُ فيُقتَلُ قَودًا، فيكون كأنَّه سفكَ دمَه؛ أي[1]: تسبَّبَ له.

وقيل: نُهوا عن قتلِ أنفسِهم، وهذا[2] محرَّمٌ.

وقيل: لا تأتوا ما يجبُ قتلُكم به في حكمِ الله.

وقيل: كان فرضًا عليهم قتلُ أنفسِهم من الكبائر، ثم رُفِعَ عنهم.

﴿وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ ﴾؛ أي: لا يُخرِجُ بعضُكم بعضًا من داره، فيستولي عليها.

قال الشَّيخ رحمه الله تعالى[3]: ويحتملُ بعضَ وجوهِ الأوَّل.

والنَّفسُ: الذّاتُ.

والدّار: اسمٌ جامع للعَرْصةِ والبناءِ والمحلَّةِ، واشتقاقُه من الدَّورِ، وهو التَّحجيرُ حولَ الشَّيء.

﴿ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ ﴾؛ أي: اعترفتم، والإقرار: الإخبارُ على طريقِ الإيجابِ[4] بـ(نعم).

وقيل: ﴿أَقْرَرْتُمْ ﴾: قبلتم، من (الإقرارِ) الَّذي هو الرِّضا، قال البُعيْثُ:

---

(١) في (ن): «إذ».

(٢) في (و): «وذلك».

(٣) «قال الشيخ رحمه الله تعالى»: ليس في (ن).

(٤) «الإيجاب»: من (ن).

ألسْـتَ كُلَيْبِيًّـا إذا سِـيْمَ خُطّـةً   أقرَّ كإقـرارِ الحَليلـةِ للبَعْـلِ[1]

﴿وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ على إقرارِ أسلافِكم، ويجوزُ أن يكونَ خطابًا لأسلافِهم، فيدخلُ هؤلاء في معناه، فيكون الكلامُ على نسقٍ واحدٍ.

وإعرابُ ﴿لَا تَسْفِكُونَ﴾ ﴿وَلَا تُخْرِجُونَ﴾ كإعرابِ ﴿لَا تَعْبُدُونَ﴾.

***

(٨٥) - ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ﴾ الزَّجّاج: (هؤلاء) بمعنى: الذين، و(تقتلون) صلتُه، قال: ومثله: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه: ١٧][2].

ابن عيسى: يا هؤلاءِ[3].

وقيل: (هؤلاء)[4] تأكيدٌ لـ(أنتم)، و(تقتلون) خبره[5].

---

(١) انظر: «الشعر والشعراء» لابن قتيبة (١/ ٤٤٨)، و«العقد الفريد» لابن عبد ربه (٥/ ٢٦٤).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزّجّاج (١/ ١٦٧)، وقد ذكره المصنِّف في «غرائب التفسير» (١/ ١٥٥).

(٣) ذكره بلا نسبة الطبري في «تفسيره» (٢/ ٢٠٥)، والسمرقندي في «تفسيره» (١/ ٧٠)،، والواحدي في «البسيط» (٣/ ١١٧).

(٤) «وقيل هؤلاء» من (ن).

(٥) ذكره المصنِّف في «غرائب التفسير» (١/ ١٥٥).

﴿وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَـٰرِهِمْ﴾: من مقامِهم؛ أي: أنتم[١] تسفكون الدِّماءَ، وتخرجونَ الموحِّدينَ من ديارِهم غيرَ مُراقبينَ ميثاقَ الله عليكم.

﴿تَظَـٰهَرُونَ عَلَيْهِم﴾: تتعاونون، والمعاونةُ والمظاهرةُ واحدٌ، وأصلُه: تتظاهر، فأُدغمَ التّاءُ عند بعضٍ، وحُذفَ عند بعضٍ.

﴿بِٱلْإِثْمِ﴾: بما فيه إثمٌ، والإثمُ: الفعلُ الَّذي يُستحَقُّ عليه اللَّومُ.

﴿وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾: وهو مجاوزةُ الحدِّ، وقيل: الإفراطُ في الظُّلم.

﴿وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَـٰرَىٰ تُفَـٰدُوهُمْ﴾ أَسْرَى: جمعُ (أسيرٍ) على القياس، وأُسارى: جمعُ الجمع، وقيل: أُجرِي (أسيرًا) مَجرى (سكران)، فجُمِعَ جمعَه، ولا فرقَ بينهما، ورُوي عن أبي عمرٍو: أنَّه فرَّقَ بينهما[٢].

وأصلُه: الشَّدُّ بالأسرِ، وهو القِدُّ.

والفِداءُ: البدلُ من الشَّيءِ صِيانةً له.

والأظهرُ أنَّ (فدى) و(فادى) بمعنى واحدٍ، والمفعولُ الثّاني[٣] محذوفٌ؛ أي: تفدوهم بأموالِكم أو أُسرائِكم.

---

(١) في (ن): «أي من مقامهم ثم أنتم».

(٢) روى الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٤٣١) عن أبي عمرو أنه قال: (ما أُسِرَ فهو أسارى، وما لم يُؤسَر فهو أسرى، ورُوي عنه من وجهٍ آخرَ قال: ما صار في أيديهم فهم أسارى، وما جاء مستأسرًا فهو أسرى)، وذكر عن ثعلب إنكاره للفرق بينهما. ومعنى (ما أُسر) في كلام أبي عمرو: ما شُدَّ بالإسار، و(ما لم يُؤسَر): ما أخذه العدوُّ أسيراً ولم يربطه بالإسار.

(٣) الفعل (فدى) يتعدَّى إلى مفعولين، ويتعدَّى إلى الثاني بحرف الجرِّ. انظر: «الحجة» لأبي علي الفارسي (٢/ ١٤٦ ـ ١٤٨).

﴿وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ﴾ فيه تقديمٌ وتأخيرٌ، والتَّقدير: وتخرجون فريقًا منكم[١] من ديارِهم، وهو محرَّمٌ عليكم إخراجُهم، وإن يأتوكم أسارى تفادوهم[٢].

و(هو) كنايةٌ عن الإخراج، وقيل: كنايةٌ عن الأمرِ والشَّأن، وقيل: كنايةٌ بشريطةِ التَّفسيرِ، وقيل: عمادٌ.

ابن عبّاسٍ: كانت قريظةُ والنَّضيرُ أخوَيْنِ، والأوسُ والخزرجُ أخوَيْن، وكانت قريظةُ مع الأوس، والنَّضيرُ مع الخزرج، فإذا اقتتلا عاونَ كلُّ فريقٍ حلفاءَها[٣]، فإذا وضعت الحربُ أوزارَها فَدوا أسراها[٤].

﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ﴾؛ يعني: فداءَ الأسرى، ﴿وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾: بما سواه.

قال السُّدِّيُّ: أخذَ اللهُ عليهم أربعةَ عُهودٍ: تركَ القتال، وتركَ الإخراج، وتركَ المظاهرة، وفداءَ أُسرائِهم، فأعرضوا عن كلِّ ما أُمروا إلَّا الفداء[٥].

﴿فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ﴾ الجزاء: المقابلةُ على الخيرِ بالثَّواب، وعلى الشَّرِّ بالعِقاب.

و﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى الإيمانِ ببعضٍ والكفرِ ببعضٍ.

﴿إِلَّا خِزْيٌ﴾: هوانٌ.

---

(١) «منكم» من (ن).

(٢) في (ن): «أسرى تفدوهم».

(٣) أعاد الضمير بصيغة المؤنث؛ لأنه أراد بالفريق القبيلة.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٢٠٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١٦٤).

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٤٣٢)، والواحدي في «البسيط» (٣/ ١١٦).

ابن السَّرّاج: يصلحُ أن يكون أصلُه من الخَزايةِ، وهو الاستحياءُ؛ أي: يقف موقفًا يُسْتَحيا منه(١).

﴿فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾: بالقتلِ والأسرِ والجِزيةِ والجلاء.

﴿وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ﴾: يُصرَفون، والرَّدُّ: الرَّجع، والرَّدُّ: المردود، وجمعُه: الرُّدود.

﴿إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلۡعَذَابِ﴾: هو الَّذي لا رَوْحَ فيه ولا فَرَحَ، وقيل: إلى أشدَّ من(٢) عذاب الدُّنيا.

﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ﴾: بساهٍ ﴿عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾: التّاءُ تدلُّ على أوَّلِ الآية، والياءُ على آخرها(٣).

* * *

(٨٦) ـ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ﴾.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا﴾: اختاروها على الآخرةِ اختيارَ المعطي والمشتري.

﴿فَلَا يُخَفَّفُ﴾: لا يهوَّنُ ﴿عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ﴾، والتَّخفيفُ: التَّسهيلُ والتَّهوين.

﴿وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ﴾: يُمنَعون من عذابِ الله، والنُّصرةُ: المعونةُ على العدوِّ.

* * *

---

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (٣/ ١٢٧)، وانظر: «الأصول» لابن السراج (٣/ ١٠٧).

(٢) «من» من (ن).

(٣) قرأ نافع وابن كثير وشعبة ويعقوب وخلف بالياء، وباقي العشرة بالتاء. انظر: «النشر» لابن الجزري (٢/ ٢١٨).

(٨٧) ـ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا﴾: أعطينا، والإيتاءُ: إخراجُ المأخوذِ[١] إلى الآخذ.

﴿مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾[٢]: التَّوراة.

﴿وَقَفَّيْنَا﴾: أتْبَعنا، والتَّقفِيةُ: إلحاقُ الشَّيءِ بالشَّيء[٣].

﴿مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾: بعدَه.

﴿بِٱلرُّسُلِ﴾: جمع رسولٍ، والرَّسولُ: المؤدِّي عن اللهِ ما أوحاه إليه، المبانُ عن غيرِهِ بالمعجزةِ الدّالةِ على صدقِه، واشتقاقُه من (الرِّسْلِ)، وهو اللَّبنُ.

والمعنى[٤]: جعلنا الرُّسلَ يتلو بعضُهم بعضًا بعدَه.

وقيل: جعلنا الرُّسلَ بعد موسى إلى عيسى تابعينَ لشريعتِه.

﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: المعجزات من إحياءِ الموتى وإبراءِ الأكمَهِ والأبرصِ وغيرها.

وقيل: ﴿ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: الإنجيل.

﴿وَأَيَّدْنَٰهُ﴾: قوَّيناه، والأيْدُ والآدُ: القوّة.

---

(١) في (و): «الإخراج للمأخوذ».

(٢) في (ن) زيادة: «يعني».

(٣) في (ن): «الشيء بعده».

(٤) في (و): «ومعناه».

﴿بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ الحسن وجماعةٌ: هو جبريلُ عليه السّلام[١].

وسُمِّي روحَ القدسِ لأنَّه يأتي بما فيه حياةُ القلوب، وقيل: سُمِّي به لأنَّ الغالبَ على الملائكة الرُّوحُ، والرُّوحُ معنًى يَبينُ[٢] به الحيُّ عن[٣] الميت، والملائكةُ هم الرُّوحانيُّون.

والقدسُ: الطَّهارةُ، وقيل: القدسُ: البركة.

الحسن: القدس: هو الله عزَّ وجلَّ[٤].

وتأييده إيّاه: إتيانُه بكلامِ الله، وقيل: صعودُه به إلى السَّماءِ لمّا أرادوا قتلَه.

ابن عبّاسٍ: روح القدس: هو الاسمُ الَّذي كان يُحيي به الموتى، ويعملُ العجائبَ به[٥].

وقيل: هو الإنجيل.

﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ﴾: تحبُّ وترضى، والهوى: المحبّةُ، تقول: هَوِيَ يَهوَى هَوًى، وأصلُه من (الميلِ).

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٤٣٧)، والماوردي في «النكت والعيون» (١/ ١٥٦) عن الحسن وغيره، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٢٢٢) عن الربيع والضحاك والسدي وقتادة. وهذا هو القول الذي يميل إليه المصنِّف؛ فقد قال في «غرائب التفسير» (١/ ١٥٦): (روح القدس: يعني جبريل، والقدس: هو الله، أُضيفَ إليه تشريفاً، كبيت الله، وناقة الله).

(٢) أي: يمتاز ويختلف.

(٣) في (و): «به يَبينُ الحيُّ من».

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٤٣٧)، والماوردي في «النكت والعيون» (١/ ١٥٦) عن الحسن، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٣٨) عن مجاهد.

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٢٢٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١٦٩).

﴿ٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ﴾: تعظَّمتم عن(١) الإيمان.

﴿فَفَرِيقٗا كَذَّبۡتُمۡ﴾ مثل عيسى ومحمَّد عليهما السَّلام.

﴿وَفَرِيقٗا تَقۡتُلُونَ﴾ كزكريّا ويحيى عليهما السَّلام.

وإنَّما قال(٢): ﴿تَقۡتُلُونَ﴾ لأنَّه فاصلةٌ وحكايةُ حال(٣).

* * *

(٨٨) ـ ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ فَقَلِيلٗا مَّا يُؤۡمِنُونَ﴾.

﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢ﴾: جمع أغْلَف؛ أي: عليها حجابٌ، فلا نفهمُ منك ما تقولُ، كقولِه: ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ﴾ [فصلت: ٥].

وقيل: هو جمعُ غِلافٍ؛ أي: هي أوعيةُ العلم(٤).

وأصلُه غُلُف، فسُكِّنَ كـ(رُسُل)، وقد قُرِئَ في الشَّواذِّ مثقَّلًا(٥).

والغِلافُ: وعاءُ الشَّيءِ وصِوانُه.

﴿بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ﴾: طردَهم ﴿بِكُفۡرِهِمۡ﴾، والطَّرْدُ واللَّعنُ واحِدٌ، وذِئبٌ لعينٌ؛ أي: طريد، قال:

---

(١) في (ن): «على»، وفي الهامش: «عن».

(٢) «قال»: ليس في (و).

(٣) وتقديره: فريقاً كذَّبتم وأنتم تقتلونَ فريقاً، فلذلك جاء (تقتلون) بلفظ المضارع مع أن معناه: وفريقاً قتلتم.

(٤) في (ن): «للعلم».

(٥) قال ابن مجاهد في «السبعة في القراءات» (ص: ١٦٤): (كلهم قرأ ﴿غُلۡفُۢ﴾ مخفَّفة، وروى أحمد بن موسى اللؤلؤي عن أبي عمرو أنه قرأ ﴿غُلُف﴾ بضمِّ اللام، وروى الباقون عنه أنه خفَّف، والمعروفُ عنه التخفيف).

ذَعَـرْتُ بِـهِ القَطـا ونَفَيْـتُ عَنْهُ مَقـامَ[١] الذِّئـبِ كالرَّجُـلِ اللَّعِيـنِ[٢]

أراد: مقامَ الذِّئبِ اللَّعينِ كالرَّجل.

﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ قيل: معناه: فإيمانُهم قليلٌ، ونصبُه على أنَّه صفةُ مصدرٍ محذوف؛ أي: يؤمنون إيمانًا قليلًا، و(ما) صلةٌ[٣].

وقيل: معناه: فقليلٌ مؤمنوهم، والنّاصبُ مُضمَرٌ، تقديره: فصاروا قليلًا يؤمنون، حكاه[٤] عليُّ بن عيسى[٥].

وقيل: (ما) للنَّفي؛ أي: ما يؤمنون لا قليلًا ولا كثيرًا، وهذا لا يجوزُ؛ لأنَّ ما بعدَ (ما) لا يعملُ فيما قبله[٦].

* * *

(٨٩) ـ ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

---

(١) في (ن): «مكان»، وهي كذلك في بعض المصادر.

(٢) البيت للشَّمّاخ بن ضرار. انظر: «ديوان الشَّمّاخ» (ص: ٣٢٠)، و«المعاني الكبير» لابن قتيبة (١/ ١٩٤)، و«تفسير الطبري» (٢/ ٢٣٢).

(٣) وقد استحسن المصنف هذا الوجه في «غرائب التفسير» (١/ ١٥٧).

(٤) في (و): «حكاهما».

(٥) هو الرمّاني، وقد استغرب المصنِّف هذا الوجه في «غرائب التفسير» (١/ ١٥٧)، وروى الطبري في «تفسيره» (٢/ ٢٣٢ ـ ٢٣٣) المعنيين؛ الأول عن معمر، والثاني عن قتادة، وذكرهما الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ١٥٧) بلا نسبة.

(٦) «وهذا لا يجوز لأن ما بعد ما لا يعمل فيما قبله» من (ن). ذكر الثعلبي هذا الوجه عن الواقدي في «تفسيره» (٣/ ٤٤٢)، وعدَّه المصنِّف من العجائب في «غرائب التفسير» (١/ ١٥٧).

﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ﴾؛ أي: هؤلاء اليهود.

﴿كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ قال ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما: كانت يهودُ خيبرَ تقاتلُ غطفان، فكلَّما التقوا هُزِمَتْ يهود، فعاذَتِ اليهودُ بهذا الدُّعاء وقالت: اللَّهمَّ إنّا نسألُكَ بحقِّ النَّبيِّ الأمِّيِّ الَّذي وعدْتَنا أن تخرجَه لنا في آخرِ الزَّمان إلَّا نصرتنا عليهم، قال: فكانوا إذا التقَوا دعَوا بهذا الدُّعاء، فهزمُوا غطفان، فلمّا بُعِثَ النَّبيُّ ﷺ كفروا به، فأنزل الله هذه الآية[١].

﴿مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾؛ يعني: القرآن.

﴿مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾؛ أي: يصدِّقُ القرآنُ التَّوراة؛ لأنَّ فيهِ ذكرَ مجيءِ النَّبيِّ ﷺ والقرآنِ، ومجيءُ الـمُخبَرِ به يجعلُ الـمُخبِرَ بوقوعِه صادقًا.

وقيل: يصدِّقُ التَّوراةَ والإنجيلَ أنَّهما من عند الله.

وقيل: موافقٌ بجُلِّ أحكامِه.

﴿وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ﴾؛ أي: من قبلِ القرآنِ ومحمَّدٍ ﷺ[٢] ﴿يَسْتَفْتِحُونَ﴾: يستنصِرونَ الله ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾: على أعدائهم، ويقولون: اللَّهمَّ انصرنا بحقِّ النَّبيِّ على أعدائِنا فيُنصَرون.

وقيل: يسألون اللهَ القضاءَ بينهم وبينَ عدوِّهم به.

---

(١) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٨)، ورواه الحاكم في «المستدرك» (٣٠٤٢)، وقال: (أدَّت الضروة إلى إخراجه في التفسير، وهو غريب جدًا)، وعلَّق الذهبي قائلًا: (لا ضرورة في ذلك؛ فعبدُ الله متروك هالك).

(٢) في (ن): «والنبي عليه السلام».

وقيل: ﴿يَسْتَفْتِحُونَ﴾: يَستعلِمونهم[١]: هل وُلِدَ فيهم مَن هو بصفةِ محمَّدٍ ﷺ؟[٢]

﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ﴾: جحدوا نبوَّته وأنكروه.

والمعرفةُ: ظهورُ الشَّيء للنَّفسِ على ثقةٍ.

وجوابُ (ولـمّا) مُضمَرٌ دلَّ عليه ما بعدَه، وجوابُ (فلمّا): ﴿كَفَرُواْ بِهِۦ﴾.

وقيل: لـمّا طالَ الكلامُ أعادَ ﴿فَلَمَّا﴾، كقوله: ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ﴾ [المؤمنون: ٣٥][٣].

قال الفرّاء: ﴿فَلَمَّا﴾ بالفاء جواب ﴿وَلَمَّا﴾، و﴿كَفَرُواْ بِهِۦ﴾ جواب ﴿فَلَمَّا﴾[٤].

﴿فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: كلمةٌ تُستعمَلُ للبُعدِ من الرَّحمة، وأصلُه من (الطَّرد).

* * *

(٩٠) ـ ﴿بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾.

﴿بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾: (بئسَ): كلمةٌ تُستعمَلُ للذَّمِّ خلاف (نِعْمَ)، والمعنى: بئس شيئًا باعوا به أنفسَهم الكفرُ.

واشترى بمعنى: باع، وقيل: إنَّما يستعملُ (اشترى) بمعنى (باع)؛ إذا وقع التَّبايُعُ بغير الذَّهب والفضّة؛ لأنَّ كلَّ واحدٍ منهما بائعٌ ومشترٍ.

---

(١) في (و): «يستعلمون».

(٢) ذكر المصنِّف هذا الوجه في «غرائب التفسير» (١/ ١٥٧)، واستغربه.

(٣) وهذا القول منسوب للمبرِّد. انظر: «البسيط» للواحدي (٣/ ١٤١).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٥٩)، وفيه: (ليس للأولى جوابٌ؛ فإن الأولى صار جوابها كأنه في الفاء الَّتي في الثانية، وصارت ﴿كَفَرُواْ بِهِۦ﴾ كافية من جوابهما جميعًا).

وقيل: هو على ظاهرِ ما يُعرَفُ من الشِّرى، فيكونُ المعنى: بئسَ شيئًا فدَوا به أنفسَهم الكفرُ.

و(ما) في (بئسما) هي النَّكرةُ الموصوفة، و﴿أَن يَكۡفُرُواْ﴾ رفعٌ مثلُه في[1]: بئسَ رجلًا زيدٌ، ويجوزُ أن تكونَ الموصولةَ[2]، وجازَ وقوعه بعد (بئس) كما جاز وقوع (الذي) بعدها.

قال الفرّاء: (بئس) مع (ما) بمنزلة اسمٍ واحدٍ؛ أي: المذموم اشتروا به أنفسهم، تقول العرب: بئسما تزويجٌ ولا مهر، فيكونُ قولُه: ﴿أَن يَكۡفُرُواْ﴾ بدلًا من الهاء[3].

﴿بَغۡيًا﴾: تطاولًا وحسدًا، والبغي: شدّةُ الطَّلبِ للتَّطاوُل.

﴿أَن يُنَزِّلَ﴾: لأنْ يُنزِّل ﴿ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ﴾ الكتاب والنُّبوّة.

﴿عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ﴾؛ يعني: محمَّدًا ﷺ، وذلك أنَّ اليهودَ كفروا بمحمَّدٍ ﷺ بغيًا وحسدًا؛ لأنَّهم كانوا يرجونَ أن يكونَ النَّبيُّ المبعوثُ من بني إسحاق، فلمّا كان من بني إسماعيل، كفروا به بغيًا وحسدًا، ولم يكن كفرُهم عن شكٍّ وارتيابٍ.

﴿فَبَآءُو﴾: انصرفُوا واحتملُوا، وقد سبق.

﴿بِغَضَبٍ﴾: بكفرهم بمحمَّدٍ ﷺ.

﴿عَلَىٰ غَضَبٍ﴾: بكفرهم بعيسى عليه السلام، وقيل: بقولهم: ﴿عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠] و﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌ﴾ [المائدة: ٦٤]، وتغييرِ أحكامِ التَّوراة.

وقيل: أراد التَّتابعَ والاستدامة.

---

(١) «في» من (ن).

(٢) وتقديره: بئس الذي اشتروا به أنفسَهم الكفرُ.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٥٦ ـ ٥٧).

﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾: مُذِلٌّ، والهوانُ: الاستخفافُ، وأصلُ الباب: السُّهولةُ.

والعذابُ المهينُ هو[1] الموصوفُ بالتَّخليدِ، والذي مآلُ صاحبِه إلى الكرامةِ والنَّعيمِ ليس بمهينٍ.

وقيل: كلُّ عذابِ الله مهينٌ، والـمُهينُ هو الله عزَّ وجلَّ، وجازَ وصفُ العذابِ به لأنَّ الإهانةَ تقعُ به.

* * *

(٩١) - ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾؛ أي: لهؤلاء اليهود ﴿ءَامِنُوا بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ يعني: القرآن ﴿قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ يعني: التَّوراة.

﴿وَيَكْفُرُونَ﴾؛ أي: وهم يكفرون، وقيل: ﴿يَكْفُرُونَ﴾ حال[2].

﴿بِمَا وَرَآءَهُۥ﴾ يعني: بعدَه، والوراءُ: الخلفُ[3].

وقيل: بما سواه.

﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ﴾؛ أي: القرآنُ ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ﴾ سَبَقَ.

---

(١) «هو»: ليس في (ن).

(٢) في (و): «وهو القرآن».

(٣) والجملة استئنافية أو حالية، وظاهر صنيع المصنِّف أنَّه يرجِّح الاستئناف.

﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ﴾ وإنَّما ذُكِرَ بلفظِ الخِطاب؛ لأنَّه إذا اجتمع الغائبُ والمخاطَبُ، فالغلبةُ للخطاب.

المفضَّل: فلم كنتم تقتلون؟

وقيل: فلم تتولَّون الَّذين قتلوهم؟

وقيل: مستقبلٌ وقعَ موقعَ الماضي[١]؛ أي: لم قتلتم؟

قال الشَّيخ رحمه الله[٢]: ويحتملُ أن يكونَ ﴿مِن قَبْلُ﴾ ظرفًا للخبر[٣]، نحو قولك في المناظرة: لِمَ فعلْتَ كذا أوَّلًا[٤]، أو متعلِّقًا بـ﴿قُلْ﴾[٥].

﴿مِن قَبْلُ﴾؛ أي: من[٦] قبلِ محمَّدٍ ﷺ.

قال الكلبيُّ: قَتلوا في يومٍ واحدٍ ثلاث مئةِ نبيٍّ في بيتِ المقدس[٧].

﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ حيثُ قلتم: ﴿نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ [البقرة: ٩١]؛ أي: أيُّ كتابٍ رُخِّصَ فيه قتلُ النَّبيِّين؟

الكلبيُّ: ما كنتم مؤمنين[٨].

---

(١) وقد نقل المصنِّف عن ابن السراج أنَّه قال: إنَّ هذه أمثلةٌ جازَ وقوعُ بعضها موقعَ بعض إذا لم يورث التباساً، واستغربه. انظر: «غرائب التفسير» (١/ ١٥٨).

(٢) «قال الشيخ رحمه الله»: ليس في (ن).

(٣) في (و): «للتخبير».

(٤) وقد عدَّ المصنِّف هذا من العجائب. انظر: «غرائب التفسير» (١/ ١٥٩).

(٥) في (ن): «قال ويحتمل أنه متصل بقل».

(٦) «من» من (ن).

(٧) روى نحوه ابن المنذر في «تفسيره» (١/ ١٥٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١٢٦) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٨) ذكره الزَّجّاج في «تفسيره» (١/ ١٧٥)، والسمعاني في «تفسيره» (١/ ١٠٩)، وابن الجوزي في =

(٩٢) - ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: الآيات التِّسع، ﴿ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ﴾ إلهًا ﴿مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾: بعد انطلاقِه إلى الطُّور، وقيل: بعد مجيئِه بالبيِّنات، ﴿وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ﴾: واضِعون العبادة غيرَ موضعِها.

* * *

(٩٣) - ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُواْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُواْ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم﴾ سَبقَ تفسيرُه، وأُعيدَ لأنَّ الأوَّلَ ذُكِرَ للاعتبارِ بأخبارِ مَن مضى، وقيل: لتعدادِ النِّعمِ على بني إسرائيل، والثّاني للحِجاج.

﴿بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُواْ﴾؛ أي: اقبلُوا ما سمعتُم، كقولنا: (سمعَ الله لمَن حمدَه)؛ أي: قَبِلَ اللهُ حمدَه[1].

وقيل: اسمعوا متدبِّرين له واعملوا.

المفضَّل: معناه: أطيعوا[2].

= «زاد المسير» (١/ ١١٦) دون نسبة، و(إن) على هذا القول نافية بمعنى (ما)، وذُكر عن الكسائي أنها بمعنى (قد)، وعن أبي زيد الأنصاري أنها بمعنى (إذ). انظر: «تاج العروس» للزبيدي (٣٤/ ٢٠٧).

(١) «أي قبل الله حمده» من (ن).

(٢) ذكره الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (١/ ٥١١)، والثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٤٤٨) دون نسبة.

﴿قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ قال الشَّيخ رحمه الله[١]: يحتملُ أنَّ ذلك كانَ منهم قولًا، ويحتملُ أنَّ حالَهم دلَّتْ على ذلك.

الحسن: ﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ من قول اليهود الَّذين كانوا في عصرِ رسولِ الله ﷺ، ثمَّ عادَ إلى القصَّة[٢].

وقيل: قالوا: ﴿سَمِعْنَا﴾ في الظَّاهر، ﴿وَعَصَيْنَا﴾ في السِّرِّ.

﴿وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ﴾ هو من قولِهم: هذا مُشْرَبٌ حُمرةً أو صُفرةً؛ أي: مخالِطٌ، والمعنى: خالطَ قلوبَهم حبُّ العِجل، فحذفَ المضافَ كقولِه:

حَسِبْتُ بُغامَ راحِلَتي[٣] عَناقًا ... وما هيَ وَيْبَ غَيْرِكَ بِالعَناقِ[٤]

أراد: بُغامَ عَناقٍ، وهو كثيرٌ جدًّا.

قال أكثرُ المفسِّرين: إنَّ موسى عليه السَّلام أحرقَ العجلَ، وذرا رمادَه في البحر، فلم يشربْ من مائِه أحدٌ إلَّا بقيَتْ محبَّةُ العجلِ في قلبِه[٥]، فيكون المعنى: سُقوا، وفيه بُعدٌ، لا يُقال: أشربتُه الماءَ، وإنَّما يُستعمَلُ ذلك في الحبِّ، والقلوبُ تدلُّ على ذلك، قال زهيرٌ:

---

(١) «قال الشيخ رحمه الله»: ليس في (ن).

(٢) وقد عدَّ المصنِّف هذا من الغرائب. انظر: «غرائب التفسير» (١/ ١٥٩).

(٣) في (و): «ناقتي».

(٤) البيت لذي الخرق الطهوي، كما في «النوادر في اللغة» لأبي زيد الأنصاري (ص: ٣٦٦)، و«تفسير الطبري» (٣/ ٧٧). والبغام: صوت للناقة لا تفصح به، والعناق: الأنثى من المعز، وويب: كلمة مثل: ويل.

(٥) انظر: «تفسير الطبري» (٢/ ٢٦٤)، و«تفسير الماتريدي» (١/ ٥١٢).

فصَحَوْتُ عَنها بَعدَ حُبٍّ داخِلِ والحُبُّ يُشْرَبُهُ فؤادُكَ داءُ(١)

الحسنُ: كان قد بقيَتْ من بني إسرائيلَ طائِفةٌ لم يتوبُوا من عبادةِ العجل.

﴿بِكُفْرِهِمْ﴾: باعتقادِهم التَّشبيهَ ورُسُوخَ الكفرِ في قلوبِهم.

﴿قُلْ﴾ يا محمَّد ﴿بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ﴾؛ أي: بئس شيئًا يأمرُكم بهِ إيمانُكم قولُكم: سمعنا وعصينا.

﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾: يحتملُ أنَّه محمولٌ على الأوَّلِ؛ أي: إن صدقْتُم في قولِكُم: ﴿نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ [البقرة: ٩١].

وقيل: تقديره: إن كنتم مؤمنين فلا تقولُوا ولا تفعلُوا مثلَ هذا.

المفضَّل: ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ بعبادةِ العجلِ.

* * *

(٩٤) ـ ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾.

﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ﴾؛ يعني: الجنَّة ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾: في القِيامةِ ﴿خَالِصَةً﴾: من غيرِ شِرْكةٍ، وخُلوصُ الشَّيءِ: صَفوُهُ من كُلِّ شائبٍ.

﴿مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ﴾؛ أي: سائر النَّاس.

ابن عبَّاسٍ: من دونِ محمَّدٍ ﷺ والمؤمنين(٢).

---

(١) البيت لزهير. انظر: «ديوانه» (ص: ٣٣٩)، و«تفسير الطبري» (٢/ ٢٦٥)، و«أساس البلاغة» للزمخشري مادة: (ش ر ب).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٢٧٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١٧٧).

ومعنى (دون) هاهنا: الاختصاصُ، بخلافِ الشِّركة(١)، ويُقالُ أيضًا: فلانٌ دونَه في المكان، ودونَه في الشَّرف.

﴿فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ﴾ ابن عبّاسٍ: ادعُوا بالموتِ على أيِّ الفريقَيْن أكذبَ(٢).

الزَّجّاج في جماعةٍ: لمّا قالتِ اليهودُ: ﴿لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا﴾ [البقرة: ١١١]، وقالَت: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ [المائدة: ١٨]، أنزلَ الله عزَّ وجلَّ: ﴿فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ﴾(٣).

﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ فيما تقولون؛ فإنَّ مَن علمَ قطعًا أنَّه صائرٌ إلى الجنّةِ فهي آثَرُ عندَه منَ الدُّنيا.

ابن عيسى: التَّمنِّي: قولٌ يُقدَّرُ فيهِ معنىً يُحَبُّ بالطِّباعِ بأداةٍ تميِّزُه(٤) من الإخبارِ، كـ(ليت)، و﴿فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ﴾ [الأعراف: ٥٣].

* * *

(٩٥) ـ ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾؛ أي: الدَّهرَ(٥).

---

(١) وربَّما كانت (دون) هنا بمعنى (غير). انظر: «شرح كافية ابن الحاجب» للرضي الاستراباذي (١/ ٥٠٠)، و«خزانة الأدب» للبغدادي (٣/ ٣٤٢)، و«دراسات لأسلوب القرآن الكريم» لمحمد عبد الخالق عضيمة (٣/ ٦٧٥).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٢٦٩).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزّجاج (١/ ١٧٦)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٢٧٠) عن قتادة وأبي العالية والربيع بن أنس.

(٤) في (ن): «تمييز».

(٥) وقف المصنِّف على سرِّ استخدام (لن) في هذه الآية، و(لا) في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ =

﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾: بما أسلفُوا من الأعمالِ القبيحةِ، والتَّقديمُ: تحصيلُ شيءٍ بعدَ[1] شيءٍ.

ابن عيسى: بما عرفوا أنَّ محمَّدًا ﷺ نبيٌّ حقٌّ، فكتموه.

﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾: تهديدٌ لليهود، وقيل: عامٌّ.

فأبَوا أن يتمنَّوا ذلك، وقال ﷺ: «واللهِ لا يقولُها أحدٌ منهم إلَّا غَصَّ بِرِيْقِهِ»[2].

وقيل[3]: لو تمنَّوْهُ بقلوبِهم لَماتوا عن آخرِهِم.

***

= إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الجمعة: ٦] فقال: (قال في هذه السورة: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ﴾، وفي الجمعة ﴿ولا يتمنونه﴾؛ لأن دعواهم في هذه السورة بالغة قاطعة، وهو كون الجنة لهم بصفة الخلوص، فبالغ في الردِّ عليهم بـ(لن)، وهي أبلغ ألفاظ النفي، ودعواهم في الجمعة قاصرة متردِّدة، وهي زعمهم أنهم أولياء الله، فردَّ بـ (لا). انظر: «البرهان في متشابه القرآن» (ص: ٧٦).

(١) في (ن): «قبل».

(٢) رواه البيهقي في «الدلائل» (٦/ ٢٧٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما، ولا يصحُّ بهذا اللفظ، وذكر نحوه السمرقندي في «بحر العلوم» (١/ ٧٥)، والثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٤٥١)، وقد رُوي بمعناه آثارٌ موقوفة صحيحة عن ابن عباس.

وروى الإمام أحمد في «المسند» (٢٢٢٥)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١٠٩٩٥) بسند صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لو أن اليهود تمنوا الموت لماتوا». وانظر: «تفسير الطبري» (٢/ ٢٦٨)، و«تفسير ابن كثير» (١/ ٣٣١).

(٣) «قيل»: من (ن).

(٩٦) - ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ﴾ يعني: اليهودَ.

والوجودُ: الإحساسُ بالشَّيء.

﴿أَحْرَصَ النَّاسِ﴾: العربِ[١] ﴿عَلَىٰ حَيَوٰةٍ﴾، والحرصُ: شدّةُ الطَّلب؛ لأَنَّهم قد علموا أنَّ آخرتَهم قد أفسدوا على أنفسِهم بالكفر بمحمَّدٍ ﷺ.

﴿وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾؛ أي: وأحرص منَ الذين أشركوا؛ يعني: المجوس، وقيل: مشركي العرب.

ومَن أنكر البعثَ أحبَّ طُولَ البقاء؛ لأَنَّه لا يرجو حياةً[٢] بعدَه.

والإشراكُ في عبادة الله: الكفر، وأصله من الشَّركة، وهي ضدُّ الاختصاص.

﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ﴾: يحبُّ أحدُ اليهود ﴿لَوْ يُعَمَّرُ﴾: يطولُ عمرُه ﴿أَلْفَ سَنَةٍ﴾ ابن عبّاسٍ: هو تحيّةُ بعضِهم بعضًا: عِشْ ألفَ عامٍ[٣].

والألفُ: عشرُ مئاتٍ في عقدٍ، وأصلُه من التَّأليف، وهو ضمُّ شيءٍ إلى شيء.

---

(١) تفسير الناس بالعرب هنا يحتاج إلى تأمُّلٍ، ولعلَّه منبنٍ على تفسير الذين أشركوا بالمجوس الأعاجم، فلا يعود في الآية تخصيص بعد تعميم على ما ذهب إليه الأكثرون. انظر: «تفسير الراغب الأصفهاني» (١/ ٢٦٨).

(٢) «حياة»: ليس في (و).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٢٧٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١٧٩)، والحاكم في «المستدرك» (٣٠٤٤)، ولفظ الحاكم: «هو قول الأعاجم إذا عطس أحدهم: ده هز أرسال»، وهو كلام فارسي، ومعناه: عش ألف سنة. وهذا ما يبرِّر ترجيح الكرماني وبعض المفسرين أن المراد بالمشركين في هذه الآية المجوس.

﴿وَمَا هُوَ﴾ قيل: كنايةٌ عن (أحد) المتقدِّم[١] ذكرُه.

وقيل: كنايةٌ بشريطةِ التَّفسير، وتفسيرُه: ﴿أَن يُعَمَّرَ﴾، وفيه ضعفٌ.

وقيل: كنايةٌ عن الأمرِ والشَّأن[٢]، والباء يأباه[٣].

والمعنى: ما أحدٌ ﴿بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ﴾: تعميره ألفَ سنةٍ، والزَّحزحةُ: الإبعادُ، من قوله: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

وقيل: الوقفُ[٤] عند قوله: ﴿عَلَىٰ حَيَوٰةٍ﴾، على تقدير: ومن الذين أشركوا مَن يودُّ. وهذا لا يجوزُ عند البصريِّين[٥].

وقيل: ومن الذين أشركوا قومٌ يودُّ. وهذا أيضًا بعيدٌ[٦]؛ لأنَّ النَّكرة إذا حُذفت أُقيمَ مقامَها اسمٌ مثلُها.

وقيل: في الآية تقديمٌ وتأخيرٌ؛ أي: ولتجدنَّهم ومن الذين[٧] أشركوا أحرصَ النّاس.

---

(١) في (و): «المقدم».

(٢) «والشأن»: ليس في (ن).

(٣) أي: الداخلة على كلمة (مزحزحه) تمنع هذا الوجه، وهذا الوجه ذكره أبو علي الفارسي، وعدَّه المصنِّف من العجائب، وضعَّفه أبو حيان، ورجَّح الوجه الأوَّل الذي قدَّمه المصنِّف. انظر: «غرائب التفسير» (١/ ١٦٠)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (١/ ٥٠٥).

(٤) في (و): «الوقوف».

(٥) لأنه من باب حذف الموصول وإبقاء الصلة. انظر: «غرائب التفسير» (١/ ١٦٠).

(٦) لأنه من باب حذف الموصوف وإبقاء الصفة، وقد أجازه النحاس لغةً، لكنَّه ذكر أنَّ المعنى يأباه، أمّا المصنِّف ففرَّق بين الصفة إذا كانت اسماً فيجوز حذف موصوفها وإبقاؤها مكانه، وبين الصفة إذا كانت جملة فلا يجوز ذلك. انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٦٩)، و«غرائب التفسير» (١/ ١٦٠).

(٧) في (و): «والذين».

﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ﴾: عالـمٌ ﴿بِمَا يَعْمَلُونَ﴾: بعمـل هؤلاء الكفّـار، فيجازيهم على فعلهم.

* * *

(٩٧) ـ ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ﴾ قال ابن عبّاس: إنَّ حبرًا من أحبار اليهود، يُقال له: عبد الله بن صُوريا حاجَّ النَّبيَّ ﷺ وسألَه عن أشياءَ، فلمّا اتَّجهت الحجّةُ عليه قال: أيُّ مَلَكٍ يأتيك من السَّماء؟ قال: جبريل، ولم يبعث الله نبيًّا إلَّا وهو وليُّه، قال: ذلك عدوُّنا من الملائكة، ولو كان ميكائيلَ[1] مكانَه آمنّا بك، إنَّ جبريلَ ينزلُ بالعذاب والقتال، وإنَّه عادانا مرارًا كثيرةً، وكان أشدَّ ذلك[2] علينا أنَّ الله أنزل على نبيِّنا أنَّ بيتَ المقدس سيخرب على يدي رجلٍ يُقالُ له: بُختَنصَّر، وأخبرنا بالحينِ الذي يخربُ فيه، فلمّا كان وقتُه بعثنا رجلًا من أقوياءِ بني إسرائيلَ في طلبِ بُختنصَّرَ ليقتلَه، فانطلقَ يطلبُه حتى لقيَه ببابلَ غلامًا مسكينًا ليسَت له قوّة، فأخذَه صاحبُنا ليقتلَه، فدفعَ عنه جبريل، وقال لصاحبِنا: إنْ كان ربُّكم هو الذي أذِنَ لهذا[3] في هلاكِكم فلن تسلَّطَ عليه، وإنْ لم يكن هذا فعلى أيِّ ذَنْبٍ تقتلُه؟ فصدَّقَه صاحبُنا ورجعَ إلينا، فكَبِرَ بُختنصَّر وقَوِي، وغزانا وخرَّبَ بيتَ المقدس، ولهذا نتَّخذُه عدوًّا. فأنزلَ اللهُ هذه الآية[4].

---

(١) في (و): «وغيره من الملائكة».

(٢) في (ن): «من ذلك».

(٣) في (و): «أذن لهذا».

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٤٥٥)، والواحدي في «أسباب النزول» (١/ ٣٠)، وقال ابن حجر =

مقاتلٌ: قالت اليهود: إنَّ جبريلَ عدوُّنا، أُمِرَ أنْ يجعلَ النُّبوّةَ فينا فجعلَها في غيرِنا، فأنزل الله هذه الآية[١].

﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ﴾: مُبغِضًا، واشتقاقُه من (عَدوَتي الوادي)، والمعاداةُ: المحادّةُ[٢] والمشاقّةُ.

وجبرئيل: اسمٌ أعجميٌّ[٣] لا ينصرفُ، وفيه[٤] لغاتٌ[٥].

وقيل: (جبر): هو العبدُ بالسُّريانيّة، و(أيل): اسمُ الله.

وكذلك ميكائيل[٦].

= في «العجاب في بيان الأسباب» (١/ ٢٩٧): (يتعجب من جزمه ـ أي: الواحدي ـ بهذا عن ابن عباس مع ضعف طريقه؛ فإنه من تفسير عبدالغني بن سعيد الثقفي، وقد قدَّمت أنه هالك).

هذا وقد نقل الطبري في «تفسيره» (٢/ ٢٨٣) الإجماعَ على سبب نزول الآية فقال: (أجمع أهل العلم بالتأويل جميعًا على أن هذه الآية نزلت جواباً لليهود من بني إسرائيل، إذ زعموا أن جبريل عدوٌّ لهم، وأن ميكائيل وليٌّ لهم. ثم اختلفوا في السبب الذي من أجله قالوا ذلك).

(١) انظر: «تفسير مقاتل بن سليمان» (١/ ١٢٥).

(٢) في (ن): «كالمحادة».

(٣) في (ن): «عجمي».

(٤) في (و): «وفيها».

(٥) وقد اختلف القراء في قراءة ﴿جبريل﴾؛ فقرأ ابن كثير بفتح الجيم وكسر الراء من غير همز، وقرأ حمزة والكسائي وخلف بفتح الجيم والراء وهمزة مكسورة، واختلف عن أبي بكر، وقرأ الباقون بكسر الجيم والراء من غير همزة. انظر: «النشر» لابن الجزري (٢/ ٢١٩).

(٦) اختلف القراء أيضاً في قراءة ﴿ميكائيل﴾؛ فقرأه البصريان وحفص: ﴿ميكال﴾ بغير همز ولا ياء بعدها، وقرأه المدنيان بهمزة من غير ياء بعدها، واختلف عن قنبل؛ فرواه ابن شنبوذ عنه كذلك، ورواه ابن مجاهد عنه بهمزة بعدها ياء كالباقين. انظر: «النشر» لابن الجزري (٢/ ٢١٩).

وجوابُ الشَّرط مُضمَرٌ؛ قيل: هو: فَلْتَمُتْ غيظًا.

وقيل: جوابُه: فإنِّي له صديقٌ يأتيني بالوحي.

وقيل: جوابه: فإنَّه رسولُ الله إليك[١]؛ شاؤوا أم كرهوا.

﴿فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ﴾ ابن عبّاسٍ: فإنَّ جبريلَ نزَّلَ القرآن[٢]. وقيل: فإنَّ اللهَ نزَّلَ جبريلَ.

﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾: خصَّ القلبَ لأنَّه محلُّ الحفظِ، كقوله: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ [الشعراء: ١٩٣]، وقيل: على عقلِك.

﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾: بأمرِه، وتأتي بمعنى: علمِه.

﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ من الكتاب، ﴿وَهُدًى﴾ لمَن اتَّبعه، ﴿وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ بالجنّة.

* * *

(٩٨) ـ ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾.

﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾: خُصّا بالذِّكرِ بعدَ العموم لشرفِهما، ولأنَّ ذكرَهما[٣] في سببِ النُّزول.

وجوابُ الشَّرط مُضمَرٌ تقديرُه: فهو كافرٌ، ودلَّ عليه قوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾.

---

(١) «إليك» من (ن).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٢٩٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١٨٠).

(٣) أي: ولأنهما ذُكرا في سبب النزول.

قال الشَّيخ رحمه الله: الواو هاهنا بمعنى التَّفصيل؛ أي: مَن كان عدوًّا لأحد هؤلاء.

ابن عيسى: الواو هاهنا بمعنى: (أو)، وليس للجمع؛ لأنَّ ذلك يجري مَجرى التَّسهيلِ بعداوةِ الواحدِ منهم إذا انفردَ[1]، ولا يجوزُ ذلك.

***

(٩٩) ـ ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ ابن عبَّاسٍ: هذا جوابٌ لابن صُوريا حيثُ قال لرسول الله ﷺ: يا محمَّدُ[2]، ما جئتنا بشيءٍ نعرفُه، وما أُنزِلَ عليك من آيةٍ بيِّنةٍ[3] فنتَّبعَك لها، فأنزل الله تعالى هذه الآية[4].

والآياتُ البيِّناتُ: هي المعجزاتُ، وقيل: هي القرآنُ، وقيل: هي الشَّرائعُ والفرائضُ[5].

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ١٦٠)، وذكره الواحدي في «الوجيز» (ص: ١٢٠)، والبغوي في «تفسيره» (١/ ١٢٥) بلا نسبة، ويعدُّ هذا القول للرماني غريباً؛ لأنه يحمل معنى الواو على حرف آخر، ولأنَّ معنى التفصيل الذي ذكره المصنِّف، أو التقسيم كما يسميه النحويون المتأخرون عنه، يخرج من الإشكال الذي يدلُّ عليه معنى الجمع، ولذلك وافق المرادي وابن هشام المصنِّف في ترجيحه. انظر: «الجنى الداني» للمرادي (ص: ١٦٦)، و«مغني اللبيب» لابن هشام (ص: ٤٦٨).

(٢) «يا محمد» من (ن).

(٣) «بينة»: ليس في (ن).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٣٠٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١٨٣).

(٥) في (و): «الفروض».

﴿وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ﴾: قيل: هم اليهود، وقيل: هم الفاسقونَ عن أديانِهم؛ أي: الخارجون منها.

* * *

(١٠٠) ـ ﴿أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُمۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ﴾ يعني: اليهود.

﴿عَهْدًا﴾: هو ما عُهِدَ[1] إليهم في التَّوراةِ من الإيمانِ بمحمَّدٍ ﷺ، وقيل: ما عاهدوا[2] مع النَّبيِّ ﷺ بأن لا يُعينُوا عليه، فنقضُوا، وأعانُوا عليه قريشًا.

﴿نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم﴾: تركَه وألقاه.

قتادة: نقضَه[3].

والنَّبْذ: الطَّرْحُ على وجهِ الاستحقارِ له.

﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾؛ أي: كفرَ فريقٌ بنقضِ العهدِ، وكفرَ أكثرُهم بجحدِ الحقِّ.

* * *

(١٠١) ـ ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ يعني: محمَّدًا.

---

(١) في (ن): «عاهد».

(٢) كذا في (ن)، وفي (و): «عهدوا مع»، وتعدي الفعلين بـ(مع) لا يخلو من إشكال، والله أعلم.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٣٠٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١٨٤).

وقيل: الرَّسولُ هاهنا: الرِّسالةُ، قال:

فَقَدْ كَذَبَ الواشونَ ما بُحْتُ عِنْدَهُمْ بِلَيْلَى ولا أَرْسَلْتُهُمْ بِرَسُولِ[١]

والمرادُ بها: الكتابُ؛ فإنَّ قوله: ﴿مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾ صفةٌ للكتابِ[٢] في مواضعَ[٣].

﴿نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ يعني: التَّوراة.

﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾ ابن عبَّاسٍ: القرآن.

وقيل: التَّوراة؛ لأنَّهم لمّا لم يعملوا به، فقد نبذوه.

﴿وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾؛ أي: خلفَهم، وهي عبارةٌ عن التَّضييع.

﴿كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾؛ أي: ما أُمروا به من اتِّباع محمَّدٍ ﷺ.

***

(١٠٢) - ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾.

---

(١) البيت لكثير. انظر: «ديوانه» (ص: ١١٠)، وجاء في بعض المصادر: «بسوء» في موضع: «بليلى».

(٢) في (و): «الكتاب».

(٣) من مثل قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [البقرة: ٨٩]، ويُلاحظ أنَّ الكرماني يميل إلى تقديم تفسير القرآن بالقرآن، ويستشهد لصحة المعنى بوروده في آيات مشابهة، وهذا معلَم مهم من معالم منهجه، فهو ينظر إلى القرآن الكريم نظرة كليّة.

﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ السُّدِّيُّ: نبذوا التَّوراة واتَّبعوا السِّحرَ[١].

ومعنى: ﴿تَتْلُواْ﴾ قال ابن عبّاسٍ: تتبَعُ[٢]، من (التُّلُوِّ).

قتادة: تقصُّ وتقرأ[٣]، من (التِّلاوة).

﴿عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ﴾؛ أي: في عهدِه وزمانِه، كما تقولُ: كان هذا على عهدِ فلانٍ وزمانِه، وفي عهدِه وزمانِه. قال:

فَهْيَ على الأُفْقِ كَعَيْنِ الأَحْوَلِ[٤]

وقيل: ﴿تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ﴾؛ أي: تكذبُ عليه، كما يقالُ: قال عليه، وروى عليه؛ إذا كذبَ، قال:

وما كلُّ مَنْ يَظنُّني أنا مُعْتِبٌ وما كلُّ ما يُرْوَى عليَّ أقولُ[٥]

الزَّجّاج: ما كانت تتلوا[٦].

---

(١) في (و): «السحرة». والأثر رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٣١٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١٨٤).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٣٢٠).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٤٧٢) عن الحسين بن الفضل.

(٤) من أرجوزة لأبي النَّجم العجلي يصفُ بها الشمس، وصدر البيت:

صغواءُ قد كادَتْ ولـمّا تفعلِ

انظر: «ديوان أبي النجم» (ص: ٢٤)، و«الشعر والشعراء» لابن قتيبة (٢/ ٥٨٩)، و«الكامل» لابن المبرد (٣/ ٧١).

(٥) البيت بلا نسبة في: «معاني القرآن» للفراء (١/ ١٤٠)، و«غريب الحديث» لأبي عبيد (٥/ ٥١٦)، و«الألفاظ» لابن السكيت (ص: ١٨١)، و«الصحاح» للجوهري (٦/ ٢١٦٠).

(٦) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ١٨٣).

«الحجّة»: ﴿تَتْلُواْ﴾ حكاية حال، كما تقول: رأيت زيدًا أمسِ يقرأ[1].

وقيل: مستقبلٌ وقعَ موقعَ الماضي، كقولِ الشّاعرِ يرثي:

فانْضَحْ جَوانِبَ قَبْرِهِ بِدِمائِها فلقَدْ يكونُ أخا دمٍ وذَبائِحِ[2]

أي: كان.

﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ﴾ ابن عبَّاسٍ والحسن: قالت اليهود: إنَّما مَلَكَ سليمانُ الجنَّ والإنسَ والطَّيرَ بالسِّحر[3].

قال ابن إسحاق[4]: قال بعضُ أحبار اليهود لـمّا ذكرَ النَّبيُّ ﷺ سليمانَ النَّبيَّ وعدَّه في جملةِ الأنبياءِ: إنَّ محمَّدًا يزعمُ أنَّ سليمانَ كان نبيًّا! واللهِ ما كان إلّا ساحرًا، فأنزلَ الله تعالى: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ﴾، فبرَّأه من السِّحرِ والكفر[5].

﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ﴾ وذلك أنَّ الشَّياطين عمَدوا إلى كتابٍ، فكتبوا فيه السِّحرَ والكهانةَ والنِّيْرَنْجات[6]، فدفنوه تحتَ مجلسِ سليمانَ عليه السَّلام من غيرِ علمِه، فلمّا فارقَ الدُّنيا استخرجوا ذلك السِّحرَ وخدعوا به النَّاس، وقالوا: هذا عِلمٌ كان سليمانُ يكتمُه ويحسدُ النّاس عليه.

---

(١) في (و): «يقول».

(٢) البيت لزياد الأعجم. انظر: «ديوانه» (ص: ٥٤).

(٣) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٣٢٣-٣٢٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما وعن سعيد بن جبير وقتادة، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١٨٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) في النسخ الخطيّة: «أبو إسحاق»، والمثبت موافق لمصادر التخريج.

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٣١٦) عن ابن إسحاق، وروى نحوه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١٨٧)، وابن هشام في «السيرة النبوية» (١/ ٥٤٤).

(٦) النيرنجات، أو النيرنجيات: تشبيه وتلبيس كالسحر، وليس به. انظر: «تاج العروس» للزبيدي مادة: (ن ر ج).

وقيل: إنَّ الشَّياطين كانوا يسترقون السَّمعَ، ويستخرجون السِّحر، فجمعَ سليمانُ تلك الكتبَ وأخرجَها من أيديهم ودفنَها في خزانتِه؛ لئلَّا يُعْمَل به(١)، فلمّا مات سليمانُ دلَّت الشَّياطينُ النّاسَ على تلك الكتب، وقالت: بهذا كان يتمُّ ملكه، فقَبِلتْه اليهودُ، وشاعَ فيهم السِّحر.

﴿يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ﴾ قيل: ألقوه في قلوبهم فعلموه(٢)، وقيل: دلُّوا النّاسَ على تلك الكتبِ فأخرجوها، واشتغلوا بتعلُّمها.

والسِّحرُ: قيل: هو قلبُ الأعيانِ واختراعُها، وتغييرُ صورِ النّاس، وفعلُ المعجزاتِ، كالطَّيران وقطع المسافات(٣) في ليلةٍ واحدة.

قال القفّال(٤): ومَن يدَّعي هذا فهو كافرٌ، وكذلك مَن يصدِّقُ به؛ لأنَّه لا يتميَّزُ عنده(٥) السِّحرُ من علامات النُّبوّة(٦).

وقيل: هو خدعٌ وتمويهاتٌ ومخاريقُ وشعوذةٌ يُخيَّلُ إلى المسحور أنَّ لها

---

(١) في (و): «يعمل عليه».

(٢) في (ن): «فتعلموه».

(٣) في (و): «المسافة».

(٤) هو الإمام محمد بن علي بن إسماعيل أبو بكر الشاشي الفقيه الشافعي المعروف بالقفال الكبير، وُلد سنة ٢٩١هـ، كان إمام عصره بما وراء النهر، فقيهاً، محدِّثاً، مفسِّراً، أصولياً، لغوياً، شاعراً، لم يكن للشافعيّة بما وراء النهر مثله في وقته، صنَّف في التفسير والأصول والفقه، وقال النووي: القفّال الكبير، يتكرَّر ذكره في التفسير والحديث والأصول والكلام، بخلاف القفّال الصغير المروزي، فإنه يتكرر في الفقه خاصة. انظر: «تهذيب الأسماء واللغات» للنووي (٢/ ٢٨١)، و«طبقات المفسرين» للسيوطي (١/ ١٠٩)، و«طبقات المفسرين» للداودي (٢/ ١٩٨).

(٥) «عنده»: من (ن).

(٦) نقله المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ١٦٢).

حقيقةً كقوله عزَّ وجلَّ: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ [طه: ٦٦]، كالسَّرابِ أغرَّ مَن رآه، وأخلفَ مَن رجاه(١).

وصاحبُ هذه فاسقٌ؛ لأنَّه مُخبِرٌ أنَّه مموِّه.

وقيل: هو أخذٌ بالعينِ على جهةِ الحيلةِ، كقوله: ﴿سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الأعراف: ١١٦] الآية.

قيل: ومنه ما يكونُ كالتَّضريبِ بين النّاسِ(٢) والنَّميمةِ والباطل، حتَّى يتوهَّمَ المبلَّغُ أنَّ ذلك حقٌّ.

وقيل: إنَّه(٣) ضَرْبٌ من خدمةِ الجنِّ(٤).

﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ﴾: الجمهور أنَّ (ما) بمعنى الذي، وهو نصبٌ عطفًا عند بعضهم على ﴿مَا تَتْلُواْ﴾، وعند بعضهم على ﴿ٱلسِّحْرَ﴾.

وقيل: محلُّه جرٌّ عطفاً على ﴿مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ﴾.

الحسن والرَّبيع: ﴿مَا﴾ نفيٌ؛ أي: ولم ينزل على الملكين(٥).

وكلا القولين عن ابن عبّاسٍ(٦).

---

(١) في (و): «من جاءه».

(٢) أي: إيقاع الفتنة بينهم.

(٣) «إنه» من (ن).

(٤) أخذ أبو حيان هذه الأقوال عن الكرماني في أغلب الظن. انظر: «البحر المحيط» (١/ ٥٢٥).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٣٣١) عن الربيع، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١٨٨) عن أبي العالية، وقال: وروي عن خالد بن أبي عمران، والربيع بن أنس نحو ذلك.

(٦) روى معنى الأول: الطبري في «تفسيره» (٢/ ٣٣٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١٨٨)، وروى الثاني: الطبري في «تفسيره» (٢/ ٣٣١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١٨٨).

ومَن جعل ﴿مَا﴾ إثباتًا قال: لـمّا كَثُرَ السِّحرُ والتَّمويهُ بين النّاس التبسَ أمرُ الأنبياء، فبعث اللهُ ملكين يبيِّنان للنّاس ماهيّة السِّحر، وممَّ يكون، وكيف يكون، والوجوه التي منها يَتوصَّلُ السَّحرةُ إلى الاحتيالِ على الجهّال؛ ليستخفَّ النّاسُ بالسِّحرِ ويعرفوا حقيقتَه، وكانا لا يعلِّمان أحدًا[1] السِّحرَ ولا يصفانه ولا يكشفان وجوهَ الاحتيالِ فيه حتى يبذلا له النَّصيحةَ فيقولا: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾؛ أي: نحن محنةٌ لك فلا تكفر؛ أي: فلا تستمعْه لتستعملَه فيما نُهِيْتَ عنه، ولكن إذا وَقَفْتَ عليه تحرَّزْ من أن ينفُذَ لساحرٍ عليك تمويهٌ، واعلم أنَّهم مبطِلون.

وقيل: إنَّ اللهَ امتحنَ النّاسَ بالملَكَين في ذلك الوقت، وجعل المحنةَ في الكفرِ والإيمانِ أن يَقْبَلَ القابلُ تَعَلُّمَ السِّحر؛ فيكفرَ بتعلُّمِه، ويؤمنَ بترك التَّعلُّم، ولله أن يمتحنَ عبادَه بما شاء.

وما ذكره الثَّعلبيُّ وغيره أنَّهما ملَكان اختارهما الملائكةُ للتَّكليف لـمّا أمرهم اللهُ بذلك حين قالوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ [البقرة: ٣٠] وأنَّه ركَّبَ الشَّهوة فيهما، وكانا يحكمان بين النّاس، فجاءتهما زهرةُ فافتتنا بها، وشربا الخمر وزنيا وقتلا، وعلَّما زهرةَ ما صعدَتْ به إلى[2] السَّماء، ومُسِخَتْ كوكبًا، وخُيِّرا بين عذاب الدُّنيا وعذاب الآخرة، فاختارا عذاب الدُّنيا على الآخرة، وهما يعلِّمان النّاس السِّحرَ[3] = فكلامٌ غيرُ مرضيٍّ عند المحقِّقين منهم، ومرضيٌّ عند[4] بعضهم.

---

(١) في (و): «أحدًا إلا».

(٢) «إلى» من (ن).

(٣) انظر: «تفسير الثعلبي» (٣/ ٤٨٦).

(٤) في (و): «على».

ومَن جعل ﴿مَا﴾ نفيًا قال: زعم سحرةُ اليهود أنَّ الله أنزل السِّحرَ على لسان جبريلَ وميكائيلَ إلى سليمان، فكذَّبَهم اللهُ وأنزلَ: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ﴾، ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ﴾، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾.

﴿بِبَابِلَ﴾: ابن مسعود[1]: بابل هي الكوفة وسوادها[2]، قتادة: نصيبين[3]، وقيل[4]: جبلُ دماوند[5]، وقيل: هي هَدّة في[6] الأرض.

﴿هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ﴾: عائشة: هما الملَكان، مَن دنا منهما يسمعُ كلامَهما ولا يراهما[7].

السُّدِّيُّ: رجلان[8]، وقيل: شيطانان؛ فهما بدلٌ من ﴿ٱلنَّاسَ﴾ في قوله: ﴿يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ﴾، أو من قوله: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ﴾.

وقيل: هما جبريل وميكائيل خاصّةً، فيكونان بدلًا من: ﴿ٱلْمَلَكَيْنِ﴾.

---

(١) «ابن مسعود» من (ن).

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ١٦٨)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٩٦).

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ١٦٨)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٩٦).

(٤) في (و): «وهي» بدل «وقيل».

(٥) دماوند: لغة في دنباوند، ودباوند، جبل قرب الري وكورة. انظر: «معجم البلدان» لياقوت (٢/ ٤٦٢).

(٦) في (ن): «من».

(٧) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٣٣٢ـ٣٣٣) عن عبد الله بن مسعود وقتادة وابن زيد، و(٢/ ٣٤١ـ٣٤٨) عن ابن عباس وعلي بن أبي طالب وابن عمر رضي الله عنهم وكعب الأحبار والسدي والربيع ومجاهد.

(٨) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٤٨٠) عن ابن عباس والحسن والضحاك ويحيى بن أبي كثير.

الضَّحّاك: عِلْجان[١].

﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ﴾: ﴿مِنْ﴾ زيادةٌ؛ أي: وما يعلِّمان أحدًا، و﴿أَحَدٍ﴾ هنا للعموم، كقوله: ﴿مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَـٰجِزِينَ﴾ [الحاقة: ٤٧].

﴿حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾: بلاءٌ واختبارٌ.

﴿فَلَا تَكْفُرْ﴾؛ أي: بتعلُّمِه، وقيل: بالعملِ به.

هذا إذا جعلته كنايةً عن الملَكَين؛ لأنَّ الملَكَين كانا يعلِّمان النّاس ما[٢] السِّحر، ويأمران باجتنابه، ومَن جعله كنايةً عن الشَّيطانَين أو الرَّجلَين فإنَّ المعنى بقوله: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ معنى كلام الخليع الضّالِّ؛ أي: أنا في ضلالٍ فلا تُرِدْ ما أنا فيه.

﴿فَيَتَعَلَّمُونَ﴾ الزَّجّاج: هو عطفٌ على المعنى؛ أي: فيأبون فيتعلَّمون[٣].

وقيل: عطفٌ على قوله: ﴿يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ فيتعلَّمون.

وقيل: عطفٌ على قوله: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ﴾ فيتعلَّمون.

﴿مِنْهُمَا﴾: قيل: من[٤] هاروت وماروت، وقيل: من الكُفْر والسِّحْر.

قال الشَّيخ[٥]: ويحتمل أن يكون كنايةً عن السِّحر وعمّا أُنزِل على الملَكَين.

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٤٨١) عن الحسن، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ١٦٥) عن أبي الأسود الدؤلي.

(٢) في (ن): «ماهية».

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ١٨٥).

(٤) «قيل من» من (ن).

(٥) «قال الشيخ»: ليس في (ن).

قال ابن جريرٍ: مَن جعل ﴿مَا﴾ جحدًا والملَكَين جبريل وميكائيل، جعل (مِن) في قوله: ﴿مِنْهُمَا﴾ بمعنى المكان والبدل[١]، كقول الشّاعر:

فَلَيْتَ لنا مِنْ ماءِ زَمْزَمَ شَرْبةً مُبَرَّدةً باتَتْ على طَهَيانِ[٢]

فيكون التَّقدير: فيتعلَّمون مكانَ ما علَّماهُم.

﴿مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾ قتادة: يُؤْخَذُ كلُّ واحدٍ عن صاحبِه ويبغِّضُه إليه[٣].

القفّال وابن عيسى: إذا عمل بالسِّحر كفر، فحَرُمَتْ عليه زوجتُه[٤].

﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ﴾: بالسِّحر ﴿مِنْ أَحَدٍ﴾: أحدًا ﴿إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾: بعلمِه.

والإِذْنُ والأَذَنُ لغتان كالشِّبْهِ والشَّبَهِ، وقيل: الأَذَنُ المصدر، والإِذْنُ ـ بالكسر ـ الاسمُ، كالحَذَرِ والحِذْرِ.

﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾ في الآخرة.

﴿وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ﴾: اختاره، وقيل: كنايةٌ عن السِّحر، وقيل: عن الكفر.

﴿مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾: دينٍ[٥]، الحسن: خيرٍ، وقيل: نصيبٍ[٦].

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٢/ ٣٣٧).

(٢) نسب البيت للأحول الكندي، كما في «تهذيب اللغة» للأزهري مادة: (ط ه و)، و«معجم البلدان» لياقوت (٤/ ٥٢). ويروى: (حمنان) بدل (زمزم)، وقد تقدم.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٣٥٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١٩٣).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ١٦٥).

(٥) «دين» من (ن).

(٦) في (و): «الحسن من خير وقيل من نصيب».

﴿وَلَبِئۡسَ مَا شَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡ﴾: اشتروا به أنفسهم، وقيل: باعوا به أنفسهم السِّحر والكفر.

﴿لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ﴾ وإنَّما قال: ﴿لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ﴾ مع قوله: ﴿وَلَقَدۡ عَلِمُواْ﴾ لأنَّهما فريقان؛ فريقٌ علموا وعاندوا، وفريقٌ ضيَّعوا وجهلوا.

وقيل: الأوَّلُ للمعلِّمين، والثّاني للمتعلِّمين.

* * *

(١٠٣) ـ ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَمَثُوبَةٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ خَيۡرٞۚ لَّوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ﴾.

﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ﴾: أنَّ اليهود ﴿ءَامَنُواْ﴾ بمحمَّدٍ ﷺ ﴿وَٱتَّقَوۡاْ لَمَثُوبَةٞ﴾؛ أي: لأثيبوا ﴿مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾ ما هو ﴿خَيۡرٞ﴾ لهم، مصدرٌ[١] وقعَ موقعَ الماضي.

الفرّاء: تقديره: لو كانوا يعلمون لآمنوا؛ أي: ليس ذلك فعلَ مَن يعلم[٢]، والله أعلم.

* * *

(١٠٤) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرۡنَا وَٱسۡمَعُواْۗ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا﴾ عن ابن عبّاسٍ: أنَّ العرب كانت تتكلَّم بها، فلمّا سمعتهم[٣] اليهودُ يقولونها للنَّبيِّ ﷺ أعجبَهم ذلك، فكان (راعنا)

---

(١) الكلام عائد على ما سبق؛ أي: (مثوبة) وقعت موقع (أثيبوا).

(٢) ذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١/ ١٨٩) دون نسبة.

(٣) في (و): «سمعت».

في لغة[١] اليهود: السَّبَّ القبيح، وقالوا: كنّا نسبُّ محمَّدًا سرًّا، والآن أعلِنوا السَّبَّ لمحمَّدٍ ﷺ؛ لأنَّه من كلامهم، فكانوا يأتون النَّبيَّ ﷺ فيقولون: يا محمَّد راعنا، ويضحكون، ففطِنَ بها رجلٌ من الأنصار، وهو سعد بن عبادة، وكان عارفًا بلغة اليهود فقال: يا أعداء الله، عليكم لعنة الله، والذي نفسُ محمَّدٍ بيده لئن سمعْتُها من رجلٍ منكم لأضربنَّ عنقَه، فقالوا: ألستم تقولونها له؟ فأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا﴾[٢].

السُّدِّيُّ: كان القائل لها رجلًا من اليهود يُقال له: رفاعة بن زيد[٣].

و(راعنا) لفظُ أمرٍ من (راعى يراعي)[٤]، تقول العرب: أَرْعِني سمْعَك وراعني؛ أي: استمع منِّي، فذهبَت اليهودُ به إلى معنى الرُّعونة، وهو الاضطراب.

قال القفّال: كانوا يقولون: راعونا، يوهمون التَّعظيم، كقوله: ﴿رَبِّ ٱرْجِعُونِ﴾ [المؤمنون: ٩٩]، وهو (فاعولا) من (الرُّعونة) كعاثورا[٥]، فنهاهم الله عن هذه اللَّفظة التي تجد اليهودُ إلى تحريفها سبيلًا[٦]، من قوله عزَّ وجلَّ: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ﴾ الآية.

وقرأ ابن مسعودٍ: (راعونا)[٧].

---

(١) في (ن): «كلام».

(٢) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٣).

(٣) في (و): «يزيد». رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٣٧٧)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٧٣٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١٩٨).

(٤) في (و): «ولفظ راعنا أمر راعي».

(٥) هو المكان الوعر الذي يُعثر فيه، واستعير للورطة، فقيل: وقع فلان في عاثور شرٍّ.

(٦) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ١٦٦).

(٧) نسبت إلى ابن مسعود رضي الله عنه في «المختصر في شواذ القراءات» لابن خالويه (ص: ١٦)، و«تفسير الطبري» (٢/ ٣٧٧).

قال عطاءٌ: ﴿لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا﴾؛ أي: خلافًا[١]، ولعلَّه أراد: (راعنًا) كقراءة الأعمش[٢]، فأجرى الوصلَ مجرى الوقف[٣].

ابن عبَّاسٍ ومجاهدٌ: نُهوا عنها لأنَّها لفظةٌ تُنبِئ عن المساواة، والمسلمون مأمورون بأن يخاطِبوا الرَّسولَ ﷺ بما فيه خضوعٌ وخشوعٌ وتذلُّلٌ[٤].

يقوِّيه قولُه: ﴿لَّا تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ﴾ [النور: ٦٣] الآية، وقوله: ﴿لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ﴾ [الحجرات: ٢] الآية.

وقيل: هذه كلمةٌ تقولها الأنصار في الجاهليّة، فنُهوا عنها في الإسلام، فالنَّهيُ وقع على اللَّفظِ دون المعنى، ومثلُه قولُه ﷺ: «لا تسمُّوا العنبَ كرمًا»[٥].

وقيل: عنَوا بـ(راعنا): يا راعي إبلنا.

﴿وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا﴾؛ أي: وقولوا بدلَ (راعنا): انظرنا.

مجاهد: معناه: بيِّن لنا[٦].

وقيل[٧]: انظر إلينا.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٣٧٣).

(٢) نسبت للأعمش في «الكامل في القراءات» لليشكري (ص: ٤٩٠)، و«زاد المسير» لابن الجوزي (١/ ٩٧)، ونسبت لغيره أيضًا.

(٣) في حذف التنوين.

(٤) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (١/ ٧٣) عن مجاهد، وذكر نحوه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٣٧٧) دون نسبة، وروى نحوه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١٩٧) عن مفضل بن فضالة.

(٥) رواه البخاري (٦١٨٢)، ومسلم (٢٢٤٧)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٣٨٣)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٧٣٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١٩٨).

(٧) «أي وقولوا بدل راعنا انظرنا، مجاهد معناه بين لنا وقيل» من (ن).

وقيل: ﴿ٱنظُرۡنَا﴾: توقَّف علينا حتى نفهمَ ما تقول ونحفظه، وقيل: حتى نسألَك عن جميع مشكلاتنا، كقوله: ﴿ٱنظُرُونَا نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ﴾ [الحديد: ١٣].

﴿وَٱسۡمَعُواْ﴾ الحسن: ما يأتيكم به الرَّسول[1]، وقيل: اقبلوا ما يأمركم به.

﴿وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾: مؤلمٌ.

* * *

(١٠٥)- ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَلَا ٱلۡمُشۡرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ خَيۡرٖ مِّن رَّبِّكُمۡۗ وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾.

﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ قال المفسِّرون: إنَّ المسلمين كانوا إذا قالوا لحلفائهم من اليهود: آمِنوا بمحمَّدٍ ﷺ قالوا: ما هذا الذي تدعوننا إليه بخيرٍ ممَّا نحن فيه، ولوددنا لو كان خيرًا، فأنزل الله تكذيبًا لهم: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بمحمَّدٍ ﷺ ﴿مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ يعني: اليهود والنَّصارى ﴿وَلَا ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾؛ أي: لا يحبُّون ولا يتمنَّون ﴿أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ خَيۡرٖ﴾ من الحكمة والقرآن والنَّصر والغَلَبة.

﴿مِّن رَّبِّكُمۡ﴾: من عند ربِّكم.

﴿وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾: بنبوَّته وحكمته ونُصْرته مَن يشاء.

﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾: الثَّواب الكثير.

والاختصاصُ بالشَّيء: الانفرادُ به.

* * *

---

(١) روى نحوه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١٩٨).

(١٠٦) ـ ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ﴾ قال المفسِّرون: إنَّ المشركين قالوا: ألا ترون إلى محمَّدٍ ﷺ يأمرُ أصحابَه بأمرٍ ثم ينهاهم عنه ويأمرُهم بخلافه، ويقولُ اليومَ قولًا ويرجعُ عنه غدًا، ما هذا القرآنُ إلَّا كلامُ محمَّدٍ يقوله من تلقاء نفسِه، وهو كلامٌ يناقضُ بعضُه بعضًا، فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً﴾ [النحل: ١٠١] الآية، وأنزل أيضًا: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ﴾.

والنَّسخُ: الرَّفعُ للشَّيء قد كان يلزم العملُ به إلى مدّةٍ يبدَّلُ منه، وكلُّ شيءٍ خلَفَ شيئًا فقد انتسخَهُ، ونسخَتِ الشَّمسُ الظِّلَّ وانتسخَتْه؛ إذا أزالَتْه وحلَّتْ محلَّه، ومنه (نسخْتُ الكتاب)؛ إذا نقلْتُه من نسخةٍ إلى نسخةٍ.

وأجمعَتِ الأمّةُ على أنَّ في القرآن النَّاسخَ والمنسوخَ إلّا شِرذمةً قليلين سلكوا غيرَ سبيلِ الحقِّ، فأنكروا أنَّ في القرآن[١] ناسخًا ومنسوخًا[٢].

والنَّسخُ يقع في الأمر والنَّهي وما في معناهما، ومنهم مَن أجاز النَّسخَ في الأخبار، وهذا في العِظَمِ كالإنكارِ[٣] للنّاسخ والمنسوخ أصلًا[٤].

---

(١) «الناسخ والمنسوخ إلا شرذمة قليلين سلكوا غير سبيل الحق فأنكروا أن في القرآن» من (ن).

(٢) وهم طائفة قليلون من المعتزلة، كما في «البحر المحيط» (٥/ ٢٠٨).

(٣) في (ن): «كإنكار».

(٤) لأنه يفضي إلى الكذب، لكن إن كان مما يصح تغييره بأن يقع على غير الوجه المخبر عنه، فهو موضع الخلاف، وقد ذهب أبو عبد الله وأبو الحسين البصريان، والقاضي عبد الجبار، والإمام الرازي إلى جوازه، كما في «البحر المحيط» (٥/ ٢٤٥).

ومنهم مَن قال: إنَّ ذلك إلى الإمامِ ينسخُ ما يشاء، وهو ثالث ثلاثةٍ مبتدعين[١].

والنَّسخ في القرآن على وجوهٍ:

أحدها: أن يكون المنسوخُ ثابتًا في المصحف متلوًّا، نحو قوله: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ [السجدة: ٣٠]، ﴿فَاصْفَحْ عَنْهُمْ﴾ [الزخرف: ٨٩]، و﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ٦]، وما أشبهَ ذلك، فإنَّها منسوخةُ الحكم بآية السَّيف، وهي قوله: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ٥] وهذا الوجهُ هو المطَّردُ في القرآن.

والثاني: أن يكون اللَّفظُ منسوخًا غيرَ ثابتٍ في المصحف والحكمُ باقيًا، نحو ما رُوي عن ابن عبّاسٍ قال: خطبنا عمرُ بن الخطّاب فقال: كنّا نقرأ: (الشَّيخُ والشَّيخةُ إذا زَنَيا فارجموهما البتّة بما قضيا من اللَّذّةِ نَكالًا من اللهِ واللهُ عزيزٌ حكيمٌ)، ولولا أنّي أكرَهُ أنْ يُقالَ: زادَ عمرُ في القرآن، لزدْتُها[٢].

والثالث: ما نُسِخَ حكمُه ولم يثبُتْ لفظُه، وذلك ما رُوي عن أبي بكرٍ الصِّدِّيق[٣] أنَّه قال: كنّا نقرأ: (لا ترغبوا عن آبائكم إنَّه كفرٌ)[٤].

والرابع: ما نُسِخَ لفظُه[٥] ولم يكن له حُكْمٌ، كما رُوي عن أنسٍ قال: كانت تُقرأ مرّةً: (أخبروا قومَنا أنّا لَقِيْنا ربَّنا فأرضانا ورضيَ عَنَّا)[٦].

---

(١) يعني الأقوال الثلاثة السابقة، وهي إنكار النسخ، ومن قال بنسخ الأخبار، ومن قال: إن ذلك للإمام.

(٢) روى نحوه البخاري (٧٣٢٣)، ومسلم (١٦٩١).

(٣) «الصديق» من (ن).

(٤) رواه البخاري (٦٨٣٠) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن عمر رضي الله عنه.

(٥) في (و): «حكمه».

(٦) رواه البخاري (٢٨٠١)، ومسلم (٦٧٧)، ولفظ البخاري: «فكنا نقرأ: أن بلغوا قومنا أن قد لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا، ثم نسخ بعد».

ورُوي أيضًا: كنّا نقرأ في القرآن: (لو أنَّ لابنِ آدمَ واديَيْنِ مِنْ ذهبٍ لابتغى إليهِما ثالثًا، ولا يملأُ جَوْفَ ابنِ آدمَ إلّا التُّراب، ويتوبُ الله على من تاب)[1].

والخامس: ما نُسِخَ لفظُه وبقيَ بعضُ حكمِه، وذلك ما رُوي عن عائشةَ قالت: كان فيما نزلَ من القرآن: (عَشْرُ رَضَعاتٍ معلوماتٍ)، فنُسِخْنَ بـ(خمسٍ[2] معلوماتٍ يحرِّمْنَ)، قالت: وتُوفِّي رسولُ الله ﷺ وهو ممّا يُقرَأ من القرآن[3].

وإليه ذهب الشّافعيُّ[4].

وقوله: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ﴾: هي ما نُسِخَ لفظُها وبقيَ حكمُها، أو ما نُسِخَ حكمُها وبقيَ لفظُها.

﴿أَوْ نُنسِهَا﴾: هي ما نُسِخَ لفظُها وحكمُها، من (النِّسيان) الذي هو ضدُّ الحفظ.

وقيل: من النِّسيان الذي[5] معناه: التَّرْكُ؛ أي: نتركُها محكمةً فلا ننسخُها.

قال أبو عليٍّ الفارسيُّ: وهذا لا يجوز؛ لأنَّ قوله: ﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ﴾ إنَّما يُحمَلُ على المنسوخِ لا على المتروك[6].

---

(١) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (١٩٦٢٣)، ورواه مسلم (١٠٤٨) وفيه يقول أنس رضي الله عنه: «فلا أدري أشيء أنزل أم شيء كان يقوله»، وروى نحوه البخاري (٦٤٣٧)، ومسلم (١٠٤٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) في النسخ الخطيّة: «إلا خمسًا»، والمثبت من مسلم.

(٣) رواه مسلم (١٤٥٢).

(٤) انظر: «الأم» للشافعي (٥/ ٢٩).

(٥) «هو ضد الحفظ وقيل من النسيان الذي» من (ن).

(٦) انظر: «الحجة للقراء السبعة» لأبي علي الفارسي (٢/ ١٩٢).

و﴿نُنْسِخ﴾ بضمِّ النُّون[١]، «الحجّة»: نجدها منسوخةً، فهو إذًا بمعنى: ﴿نَنسَخْ﴾ بالفتح[٢].

وقرأ أبو عمرٍو: ﴿نَنْسَأْها﴾[٣]؛ أي: نؤخِّرْها فلا ننسخها[٤].

وقيل: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ﴾ من اللَّوح المحفوظ ﴿أَوْ نُنسِهَا﴾: نؤخِّرْ إنزالها.

﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ﴾ في الثَّواب، وقيل: أخفُّ للمكلَّف بها.

﴿أَوْ مِثْلِهَآ﴾: في الثَّواب والعمل بها.

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ﴾ من النَّسخِ والتَّبديلِ وغيرِهما ﴿قَدِيرٌ﴾: قادرٌ، لفظُ مبالغةٍ.

والاستفهامُ تقريرٌ؛ أي: أنتَ عالمٌ بهذا، وقيل: الخطابُ للنَّبيِّ ﷺ والمرادُ به غيرُه.

***

(١٠٧) ـ ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾.

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: فهو أعلم بمصالح عباده في النّاسخ والمنسوخ.

---

(١) وهي قراءة ابن عامر. انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ١٦٨)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٦).

(٢) انظر: «الحجة للقراء السبعة» لأبي علي الفارسي (٢/ ١٨٦).

(٣) كذا قرأها أبو عمرو وابن كثير من السبعة. انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ١٦٨)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٦).

(٤) في (و): «ننساها».

﴿ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ ﴾: يلي أمرَكم، والوليُّ: القيِّمُ بالأمر.

﴿وَلَا نَصِيرٍ ﴾: ناصرٍ يمنعكم.

* * *

(١٠٨) ـ ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾.

﴿ أَمْ تُرِيدُونَ ﴾ قيل: هي المعادلة للألف في قوله: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ ﴾[١].

وقيل: تقديره: بل أتريدون[٢].

﴿أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ﴾ هو خطابٌ[٣] لليهود، وقولُه: ﴿رَسُولَكُمْ ﴾؛ أي: الذي أتاكم الآن، ﴿كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ﴾؛ أي: سألَه أسلافُكم.

وقيل: خطابٌ للمشركين.

وقيل: خطابٌ للمؤمنين، كقوله: ﴿لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ ﴾ [المائدة: ١٠١].

وقيل: نزلت في رجلٍ قال: يا رسول الله، لو كانت لنا كفّاراتٌ ككفّاراتِ بني إسرائيل[٤].

ابن عبّاسٍ: نزلت في عبد الله بن أبي أميّة ورهطٍ من قريشٍ قالوا: يا محمَّد،

---

(١) وهي بمعنى: أتريدون. انظر: «الصاحبي في فقه اللغة» لابن فارس (ص: ٨٨)، و«منازل الحروف» للرماني (ص: ٥٨).

(٢) واختاره الزجاج. انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ١٩٢).

(٣) في (و): «قيل: هي خطاب».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٤١١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٢٠٣) عن أبي العالية.

اجعل لنا الصَّفا ذهبًا، ووسِّع لنا أرضَ مكّة، وفجِّر الأنهارَ خلالها تفجيرًا، نؤمِنْ بك، فأنزلَ الله هذه الآية[١].

وهو القائل أيضًا: ائتنني بكتابٍ من السَّماء فيه: من ربِّ العالمين إلى ابن أبي أميّة، اعلم أنِّي قد أرسلْتُ محمَّدًا إلى النّاس[٢].

ورُوي أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ سألَه قومٌ أن يجعلَ لهم ذاتَ أنواطٍ كما كان للمشركين ذاتُ أنواطٍ، وهي شجرةٌ كانوا يعبدونها ويعلِّقون عليها الثَّمرة وغيرَها من المأكولات، كما سأل موسى بنو إسرائيلَ فقالوا: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨][٣].

وأظهرُ من هذه كلِّها قولُهم: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ﴾ [الإسراء: ٩٠] الآية.

﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَـٰنِ﴾ لأنَّ اقتراحَ الآياتِ بعدَ ظهورِ المعجزات كفرٌ.

والتَّبديلُ والإبدالُ والتَّبدُّلُ واحدٌ، وهو أخذُ البدلِ، والبدلُ: ما يقومُ مَقامَ الشَّيء، سواءٌ[٤] سدَّ مسدَّه أم لم يسدَّ.

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ٢٥)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٤)، وروى نحوه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٤٠٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما، لكنه سمى السائلين: رافع بن حريملة ووهب بن زيد، وروى نحوه أيضًا الطبري في «تفسيره» (٢/ ٤١٠) عن مجاهد، دون تسمية من سأل.

(٢) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٥)، وذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٩٩) عن محمد بن إسحاق الأنباري.

(٣) رواه الترمذي (٢١٨٠) من حديث أبي واقد الليثي رضي الله عنه، وقال: حديث حسن صحيح.

(٤) «سواء» من (ن).

﴿فَقَدۡ ضَلَّ﴾: أخطأ ﴿سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ قَصْدَه، والسَّواء: الوسط، والسَّبيل: الطَّريق؛ يُذكَّر ويُؤنَّث.

* * *

(١٠٩) ـ ﴿وَدَّ كَثِيرٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِكُمۡ كُفَّارًا حَسَدٗا مِّنۡ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾.

﴿وَدَّ كَثِيرٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِكُمۡ كُفَّارًا﴾ ابن عبَّاسٍ: نزلَتْ في نفرٍ من اليهود قالوا للمسلمين بعد وقعة أحدٍ: ألم تروا إلى ما أصابكم؟! ولو كنتم على الحقِّ ما هُزِمْتُم، فارجعوا إلى دينِنا؛ فهو خيرٌ لكم[1].

أي: تمنَّى وأحبَّ كثيرٌ من اليهود ـ وهم علماؤهم[2] ـ ردَّكم إلى الكفر بعد الإيمان.

﴿حَسَدٗا﴾؛ لأنَّهم يحسدون العرب على كونِ النَّبيِّ ﷺ منهم.

و(ودَّ) و(تمنَّى) يتعدَّيان إلى المعاني دون الأعيان، وقد يُزاد مع (ودَّ): (لو)[3].

---

(١) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٥)، وعلَّق عليه ابن حجر في «العجاب في بيان الأسباب» (١/ ٣٥٤): هذا لعله من تفسير الكلبي، والذي ذكره ابن إسحاق في «المغازي» عن ابن عباس قال: كان حيي بن أخطب وأبو ياسر بن أخطب من أشد اليهود للعرب حسدًا، إذ خصهم الله تعالى برسوله، وكانا جاهدين في ردِّ الناس عن الإسلام بما استطاعا، فأنزل الله تعالى فيهما هذه الآية، ثم ذكر قولًا آخر.

(٢) في (و): «علماؤكم».

(٣) انظر: «غرائب التفسير» (١/ ١٧٠).

قوله: ﴿مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾: ﴿مِّنْ﴾ صلة ﴿وَدَّ﴾؛ أي: مودَّتهم لكفركم من عند أنفسهم؛ أي: في تديُّنِهم؛ لم يُؤمروا به.

قال الزَّجّاج: وليس ﴿مِّنْ﴾ متعلقًا بالحسد؛ لأنَّ حسدَ الإنسانِ لا يكون إلّا من عند نفسِه[١].

ابن عيسى: يجوز أن يكون تأكيدًا، كقوله: ﴿وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ [الأنعام: ٣٨][٢].

والحسدُ: تمنِّي إزالةِ النِّعمةِ عن صاحبها.

وقيل: الحسدُ: الأسفُ على من له خيرٌ لسبب الخير الذي له.

﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾؛ أي: ظهرَ ووضحَ أنَّ رسولَ اللهِ محمّدٌ ﷺ وأنَّ دينَ اللهِ الإسلامُ.

﴿فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟﴾: نزلت في كعبِ بن الأشرف[٣]، وكان شاعرًا يهجو النَّبيَّ ﷺ ويحرِّضُ عليه كفّارَ قريشٍ.

﴿حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ﴾: بالقتال، وهو قولُه: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ٣٦]، وقيل: ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٢٩]؛ فإنَّها نسخَتْ: ﴿فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟﴾، وقيل: بالموت، وقيل: بالجلاء في بني النَّضير والسَّبيِ في بني[٤] قريظةَ.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ١٩٣).

(٢) ذكره المصنف في «غريب التفسير» (١/ ١٧٠)، وذكره الواحدي في «البسيط» (٣/ ٢٤١)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (١/ ١٩٦) دون نسبة.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٤١٩) عن الزهري وقتادة، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٢٠٤) عن الزهري وعبد الله بن كعب بن مالك.

(٤) «بني» من (ن).

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىۡءٍ﴾ من ذلك ﴿قَدِيرٌ﴾[١].

* * *

(١١٠) - ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ تذلُّلًا لله[٢] وخشوعًا له، ﴿وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ طاعةً لله في مواساةِ عبادِه.

﴿وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٍ﴾: طاعة وعبادة ﴿تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: مسطورًا في كُتُبِ الحفَظة.

ابن عبَّاسٍ: تجدوا جزاءَه[٣].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾: عالمٌ؛ فيجازيكم على الإحسان إحسانًا، وعلى الإساءة إساءةً أو غفرانًا.

* * *

(١١١) - ﴿وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ تِلۡكَ أَمَانِيُّهُمۡۗ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾.

﴿وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ﴾: هذا إيجازٌ، وتقديرُه: قالت

---

(١) في (و): «قديرٌ من ذلك».

(٢) «لله» من (ن).

(٣) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٤٢٦) عن الربيع، وروى نحوه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٢٠٧) عن أبي العالية، ولفظهما: «تجدوا ثوابه عند الله».

اليهود: لن يدخل الجنّةَ إلّا من كان يهوديًّا، وقالت النَّصارى: لن يدخل الجنّة إلّا من كان نصرانيًّا، فأخبر عنهما إيجازًا من غير إخلالٍ.

و(هود): قيل[١]: جمع هائدٍ، كحائلٍ وحُولٍ، وقيل: مصدرٌ، وقيل: حُذفَ فاؤه[٢].

﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾: التي تمنَّوها على الله كاذبةً.

المورِّج[٣]: ﴿أَمَانِيُّهُمْ﴾: أباطيلُهم بلغة قريشٍ[٤].

وقيل: أقاويلُهم وتلاوتهم.

﴿قُلْ هَاتُوا۟﴾: أحضروا وعجِّلوا وقرِّبوا[٥]؛ أمرُ تعجيزٍ.

﴿بُرْهَانَكُمْ﴾: حجَّتكم.

ابن عيسى: البرهانُ: بيانٌ عن معنًى يشهدُ بمعنًى آخر حقٍّ في نفسِه وشهادتِه.

﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾؛ أي: في دعواكم.

ثمَّ بيَّنَ مَن يدخلُها فقال:

---

(١) «قيل» من (ن).

(٢) وأصله: يهود.

(٣) هو العلامة مورج بن عمرو، شيخ العربية أبو فَيْدٍ السدوسي، روى عن أبي عمرو بن العلاء وشعبة وطائفة، وأخذ عن الأعراب، كان من أصحاب الخليل بن أحمد، يُعدُّ مع سيبويه والنضر بن شُميل، وله عدة تصانيف منها: «غريب القرآن»، و«كتاب جماهير القبائل»، و«كتاب المعاني»، توفي سنة (١٩٥ هـ) يوم موت أبي نواس الشاعر، ويقال: مات بعد المئتين بالبصرة. انظر: «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٩/ ٣١٠).

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ٣٤) بلا نسبة.

(٥) «وقربوا» من (ن).

(١١٢) ـ ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾.

﴿ بَلَىٰ ﴾ ردًّا عليهم وإيجابًا لِما نفَوه؛ أي: يدخلُها ﴿مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ ﴾؛ أي: أخلصَ بقلبِه ولسانِه، وأصلُه[١]: الانقيادُ.

وذكرَ الوَجْهَ لأنَّه أكرمُ الأعضاء، ولأنَّ الوجهَ إذا خضَعَ تبِعَه غيرُه.

الفرّاء: أخلصَ عملَه لله[٢].

﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾؛ أي: في أعماله.

﴿فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ ﴾: ثوابُ عملِه معدًّا[٣] ﴿عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾؛ أي: هم من أهل الجنّة، فإنَّ هذا صفتُهم، وذلك جامعٌ لأسباب السَّعادة.

***

(١١٣) ـ ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾.

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ ﴾؛ أي: على حقٍّ وصوابٍ وأمرٍ يُعتدُّ به، ﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ أي: الفريقان يتلوان

---

(١) أي: أصل الإسلام.

(٢) ذكره الواحدي في «الوسيط» (١/ ٤٢٣) عن الفراء، وروى نحوه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٤٣٢) عن الربيع، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٢٠٨) عن أبي العالية وسعيد بن جبير.

(٣) «ثواب عمله معدًا» ليس في (و).

التَّـوراة والإنجيـل، والكتـابُ يحمِـلُ علـى الحقِّ وتعرُّفِـه(١). وهـذا تعجيبٌ.

نزلَتْ في يهود المدينة ونصارى نجران، وذلك أنَّ وفد نجران لَمّا قدموا على رسول الله ﷺ أتاهم أحبارُ اليهود فتناظروا حتى ارتفعَتْ أصواتُهم، فقالت اليهود: ما أنتم على شيءٍ من الدِّين، وكفروا بعيسى والإنجيل، وقالت لهم النَّصارى: ما أنتم على شيءٍ من الدِّين، وكفروا بموسى والتَّوراة، فأنزل الله هذه(٢) الآية(٣).

﴿كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾؛ أي: الكتاب ﴿مِثۡلَ قَوۡلِهِمۡ﴾؛ أي: أهل الكتاب(٤).

السُّدِّيُّ: مشركو العرب(٥).

عطاء: هم قومٌ قبلَ اليهود والنَّصارى(٦).

أي: سبيلُ أهـلِ الكتاب سبيلُ الكفّار في إنكارِهم الحقَّ وتكذيبِهم الأنبياءَ والاختلافِ عليهم، ﴿فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ﴾ فيريهم المحقَّ من المبطل.

***

(١١٤) ـ ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمۡ أَن يَدۡخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَۚ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾.

---

(١) في (ن): «ومعرفه».

(٢) في (ن): «فأنزلت هذه».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٤٣٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٢٠٨).

(٤) «أي أهل الكتاب»: ليس في (و).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٤٣٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٢٠٩).

(٦) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٢٠٩).

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ﴾: روى الكلبيُّ عن ابن عبّاسٍ: أنها نزلَتْ في حقِّ طَطُوسَ الرُّوميِّ وأصحابِه من النَّصارى، غزوا بني إسرائيل، فقتلوا مقاتِلَتَهم، وسبوا ذرارِيَهم، وحرَّقوا التَّوراة، وخرَّبوا بيت المقدس، وقذفوا فيه الجِيَف[١].

قتادة والسُّدِّيُّ: هو بختَنصَّرُ وأصحابُه، وأعانتهم على ذلك النَّصارى[٢].

عطاء: نزلت في مشركي أهل مكّة[٣] ومَنْعِهم المسلمين عن البيت[٤].

ويجوز أن يكونَ عامًّا في كلِّ مَن منع مسلمًا عن ذكر الله وعن الصَّلاة[٥]؛ لأنَّ النَّبيَّ ﷺ يقول: «جُعِلَتْ لي الأرضُ مَسجدًا وطَهورًا»[٦].

---

(١) كذا في «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٣٦)، وذكره السمرقندي في «تفسيره» (١/ ٨٦) عن الكلبي.

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٠٩) عن قتادة، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٤٤٣) عن قتادة والسدي.

قال الجصاص في «أحكام القرآن» (١/ ٧٥) متعقّبًا: «ما روي في خبر قتادة يشبه أن يكون غلطًا من راويه؛ لأنه لا خلاف بين أهل العلم بأخبار الأولين أن عهد بختنصر كان قبل مولد المسيح عليه السلام بدهرٍ طويلٍ، والنصارى إنّما كانوا بعد المسيح وإليه ينتمون، فكيف يكونون مع بختنصر في تخريب بيت المقدس، والنصارى إنما استفاض دينهم في الشام والروم في أيام قسطنطين الملك، وكان قبل الإسلام بمئتي سنة وكسور... ومع ذلك فإن النصارى تعتقد من تعظيم بيت المقدس مثل اعتقاد اليهود، فكيف أعانوا على تخريبه مع اعتقادهم فيه؟».

(٣) في (ن): «مشركي مكة».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٤٤٤) عن ابن زيد، وذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما من طريق عطاء.

(٥) في (و): «وعن النبي». والمساجد على هذا القول هي الأرض كلُّها، وقد ذكر المصنِّف هذا القول في «غرائب التفسير» (١/ ١٧١)، واستغربه. انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ١٩٦)، و«تفسير الماتريدي» (١/ ٥٤٣).

(٦) رواه البخاري (٣٣٥)، ومسلم (٥٢١)، من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

والمنعُ: أن تحولَ بين المرءِ وبين الشَّيء يريده.

وقوله: ﴿أَن يُذْكَرَ﴾ يجوزُ أن يكون بدلًا من المسجد[(١)].

الزَّجّاج: يجوز أن يكون تقديره: كراهةَ أنْ يُذكَرَ[(٢)].

الفرّاء: يجوز أن تكون (من) مقدَّرة؛ أي: منعَ مِنْ أنْ يُذْكَرَ[(٣)].

قال الشَّيخ رحمه الله: ويحتملُ أن يكون المفعولَ الثّاني كقول أبي بكرٍ: «لو منعوني عِقالًا»[(٤)]؛ لأنَّه في معنى حرَّم[(٥)].

﴿وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآ﴾: خراب أبنيتها ومحاريبها.

وعلى الوجهَين الآخرَين[(٦)]: ﴿خَرَابِهَآ﴾: منع النَّاس عن العبادة فيها؛ لأنَّ عمارَتَها بالعبادة، والخرابُ نقيضُ العمارة.

---

(١) أي: من كلمة (مساجد)، والمصدر المؤوَّل على هذا في موضع نصب، وقد ذكر هذا الوجه الأخفش والزجاج والنحّاس. انظر: «معاني القرآن» للأخفش (١/ ١٥١)، وللزجاج (١/ ١٩٦)، و«إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٧٥).

(٢) لم أقف على هذا القول له في «معاني القرآن»، وقد نقله عنه الرازي في «تفسيره» (٤/ ١٢)، والمصدر المؤوَّل على هذا الوجه مفعول لأجله، وقد أجازه الزمخشري في «الكشاف» (١/ ١٧٩)، وانظر: «إعراب القرآن» للعكبري (١/ ١٠٧).

(٣) ذكره الأخفش في «معاني القرآن» (١/ ١٥١)، والطبري في «تفسيره» (٢/ ٤٤١)، والنحاس في «إعراب القرآن» (١/ ٧٥)، وابن عطية في «تفسيره» (١/ ١٩٩) دون نسبة.

(٤) رواه البخاري (٧٢٨٤)، ومسلم (٢٠)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) هذا الوجه الذي قدّمه الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ٣٩)، وذكره المصنِّف في «غرائب التفسير» (١/ ١٧١)، واستغربه.

(٦) وهما: أنها نزلت في مشركي أهل مكَّة، أو أنها عامة في كلِّ مَن منع مسلمًا عن ذكر الله والصَّلاة.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ﴾: لا يدخل النَّصرانيُّ بيتَ المقدس إلّا خائفًا من أن يُعاقَب.

وعلى القول الثّاني: أن يدخلوها خائفين؛ فإنَّ رسول الله ﷺ نادى: «أن لا يحجَّ بعد العام مشركٌ، ولا يطوفَ بالبيتِ عُرْيان»[١].

وقيل: هذا وعدٌ للنبيِّ ﷺ بفتح مكّة.

﴿لَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ بالصَّغار والجزية، وقيل: بفتح بلادهم عمُّوريّة والرُّوميّة وقسطنطينيّة.

﴿وَلَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾: دائمٌ.

* * *

(١١٥) ـ ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ لمّا ذكر منعَ مساجدِ الله[٢] عن ذكر الله فيها على ما سبق قال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ﴾، فصلُّوا من الأرض حيث شئْتُم.

وعن جابر بن عبد الله، وعامر بن ربيعة، قال: نزلت رخصةً للمتحرِّي عندَ اشتباه القِبلة، وهي محكمةٌ[٣].

---

(١) رواه البخاري (١٦٢٢)، ومسلم (١٣٤٧)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) في (ن): «منع المساجد».

(٣) رواه الترمذي (٣٤٥)، وابن ماجه (١٠٢٠) من حديث عامر بن ربيعة رضي الله عنه، وقال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث أشعث السمان أبي الربيع عن عاصم بن عبيد الله، وأشعث يُضعَّف في الحديث.

ورواه الدارقطني في «سننه» (١٠٦٢)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٢٢٤٣)، وقال: لم نعلم لهذا الحديث سندًا قويًّا.

ابن عمر: نزلَتْ في التَّطوع بالنّافلة؛ تصلِّي حيثما توجَّهت بك راحلتُك في التَّطوع، وهي محكمةٌ[(١)].

ابن عبّاسٍ في رواية عطاءٍ: نزلت في النَّجاشيِّ حين صلَّى عليه رسول الله ﷺ وأصحابه، فقالت الصَّحابة: كيف صلَّينا على رجلٍ ماتَ وهو يصلِّي لغير قبلتنا؟ فأنزل الله: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾[(٢)].

قتادة: ولمّا نزلت: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ﴾ صلَّى رسولُ الله ﷺ نحو بيت المقدس، وترك البيت العتيقَ بضعةَ عشرَ شهرًا، ثم نُسِخ بقوله: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٤٤][(٣)].

قال: وأوَّل ما نُسِخَ من القرآن شأنُ القِبلة[(٤)].

قال القفّال: زعمَت اليهود أنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ لمّا خلق الأرض صَعِدَ إلى السَّماء من الصَّخرة، فاتَّخذوها قبلةً، والنَّصارى استقبلوا المشرق لولادة مريم من جهته[(٥)].

---

(١) رواه مسلم (٧٠٠) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، ولفظه: كان رسول الله ﷺ يصلي وهو مقبل من مكة إلى المدينة على راحلته حيث كان وجهه، قال: وفيه نزلت: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾.

(٢) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٨)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٤٥٥) عن قتادة، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٥٤٢) عن ابن جريج.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٤٥٢).

(٤) رواه أبو عبيد الهروي في «الناسخ والمنسوخ» (٢١)، والطبري في «تفسيره» (٢/ ٤٥٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٢١٢)، والحاكم في «المستدرك» (٣٠٦٠)، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. ورواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٦٢٢) عن عكرمة والحسن البصري.

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ١٧١)، وذكره الرازي في «التفسير الكبير» (٤/ ١٩) بلا نسبة.

مجاهدٌ والحسن: الآية ناسخةٌ مثل قوله: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة: ١٤٤] والمعنى: فأينما تولُّوا مقبلين ومدبرين فثمَّ وجهُ الله الذي أمركم بالتَّوجُّه إليه؛ يعني: الكعبة، فتوجَّهوا إليها، فإنَّه ممكنٌ لكم التَّوجُّه إليها من كلِّ مكانٍ. والتَّقديمُ والتَّأخيرُ لا يمنعُ صحّةَ هذا التَّأويل(١).

وزاد القفّال وجهًا آخر فقال: ليس في الآية ذكر القبلة والصَّلاة، وإنَّما أخبرهم عن علمه بهم ولحوقِ سلطانه إيّاهم حيث كانوا، كما قال الله تعالى: ﴿إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُواْ مِنْ أَقْطَارِ﴾ [الرحمن: ٣٣] الآية، وكذلك قوله: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ﴾ [المجادلة: ٧] الآية(٢).

والمشرقُ: موضعُ شروق الشَّمس، وهو طلوعُها، والمغربُ: موضعُ الأُفُول، وكلاهما خارجان عن القياس.

و(ثَمَّ): إشارةٌ إلى المكان المتراخي كـ(هنالك)، بُنِيَ لتضمُّنِه معنى الإشارة، وحُرِّكَ لالتقاء السّاكنين، وفُتح تخفيفًا وتشبيهًا بالظَّرف.

﴿وَجْهُ ٱللَّهِ﴾؛ أي: جهته التي أمركم بالتَّوجُّه إليها، وقيل: الوجه صلةٌ؛ أي: فقد صادفتم المقصود بعبادتكم، وقيل: معناه القصد والتَّقرُّب، قال:

أستغفرُ اللهَ ذنبًا لستُ مُحْصِيَهُ رَبَّ العبادِ إليهِ الوَجْهُ والعَمَلُ(٣)

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ١٧١)، وروى نحوه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٤٥٧) عن مجاهد.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ١٧١).

(٣) البيت لا يعرف قائله. انظر: «الكتاب» لسيبويه (١/ ٣٧)، و«معاني القرآن» للفراء (١/ ٢٣٣)، و«أدب الكاتب» لابن قتيبة (١/ ٥٢٤)، و«المقتضب» للمبرد (٢/ ٣٢١)، و«تفسير الطبري» (١/ ١٦٦).

وقيل: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا﴾ بالدُّعاء ﴿فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾.

﴿إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ﴾: قادرٌ.

المفضَّل: محيطٌ، والسَّعة: الإحاطة[١].

وقيل: واسع الشَّريعة.

﴿عَلِيمٌ﴾: عالمٌ.

***

(١١٦) ـ ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ﴾.

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ نزلت في اليهود حيث قالوا: ﴿عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠]، وفي نصارى نجران حيث قالوا: ﴿الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠]، ومشركي العرب حيث قالوا[٢]: الملائكة بنات الله[٣].

ثم نزَّهَ نفسَه عن اتِّخاذ الولد؛ لأنَّ البُنُوَّة تقتضي المجانسة، والله تعالى منزَّهٌ عن الوصفِ بالجنس والنَّوع، وجازَ له اتِّخاذُ الخليل حيث لا يقتضي نقصًا.

﴿سُبْحَانَهُ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: واللّام للمِلْك، والرَّجلُ لا يملكُ ابنَه.

---

(١) ذكره مكي بن أبي طالب في «الهداية» (٢/ ١٤٩١) بلا نسبة.

(٢) «﴿عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾ وفي نصارى نجران حيث قالوا ﴿الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾ ومشركي العرب حيث قالوا» من (ن).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٤٥٥) عن السدي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٠]، وذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٩).

﴿كُلٌّ﴾؛ أي: كلُّ ما فيهما ﴿لَّهُۥ﴾: لله ﴿قَٰنِتُونَ﴾: مطيعون، من قوله: ﴿يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ﴾ [آل عمران: ٤٣].

وقنوتُ كلِّ شيءٍ على حسب ما يوجَد منه؛ فمنه ما يشمل الجميع لظهور آيات الصَّنعة، ومنه ما يخصُّ العقلاء، كالملائكة والجنِّ والإنس.

قال الفرّاء: المراد به أهل طاعته(١).

وأصل القُنوت: الدَّوام، ويُستعمَلُ للسُّكوت والطّاعة والقيام على حالةٍ واحدةٍ.

ومَن قرأ: ﴿قَالُوا۟﴾ بغير واو العطف، اكتفى عنه بواو الضَّمير(٢).

***

(١١٧) ـ ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾.

﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: مُبْدعُهما ومُخْترعُهما لا على مثالٍ سبَق، وضدُّ الإبداع: الاحتذاءُ، فعيلٌ بمعنى: مُفْعِل، ورُوي عن قُطْرُب: بَدَعَ بمعنى: أبْدَعَ(٣).

﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا﴾: حتمَ بأنَّه يفعل فعلًا، وقيل: حكم، وقيل: أحكم، قال الشّاعر:

وعليهِما مَسْرُودتان قَضاهُما داوُدُ أو صَنَعُ السَّوابغِ تُبَّعُ(٤)

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٧٤).

(٢) قرأ ابن عامر الشامي بغير واو، وباقي السبعة بالواو. انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ١٦٩)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٦).

(٣) في (ن): «بدعه بمعنى أبدعه». وانظر الرواية عن قطرب في «الإبانة في اللغة العربية» للصحاري (٢/ ٣٠١).

(٤) البيت لأبي ذؤيب الهذلي. انظر: «ديوان الهذليين» (١/ ١٩)، و«المفضليات» للمفضل الضبي (ص: ٤٢٨)، و«جمهرة أشعار العرب» للقرشي (ص: ٥٥٠)، و«تفسير الطبري» (٢/ ٤٦٦). والـمَسْرُودَتان: دِرعان، والصَّنَع: الحاذق بالصَّنعة، وقد ذُكر أنَّ تبعاً لم يصنع الدروع وأنَّ أبا ذؤيب =

وقيل: وإذا خلق شيئًا، من قوله: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ﴾ [فصلت: ١٢].

اللَّفظُ للماضي، والمعنى للمستقبل، كقوله: ﴿وَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ [الإسراء: ٤٥]، و﴿إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [المائدة: ٦].

﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن﴾: حمل بعضُهم القولَ والأمرَ على الحقيقة، وجعلَ المخاطبَ هو الموجودُ الذي أراد نفوذَ الأمر[1] فيه، كقوله: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ﴾ [المؤمنون: ١٢] الآية، لا ما يخترعه ابتداءً.

ومنهم من قال: كلُّ ما هو كائنٌ فهو في علم الله كالموجود، فصحَّ الخطاب.

ومنهم مَن حمل القولَ والكونَ على سرعة التَّكوين وسهولته، وألّا نَصَبٌ هنالك ولا تَعَبٌ؛ لأنَّ المعدومَ لا يُخاطَب، والموجودَ لا يُؤمَرُ بالوجود.

﴿فَيَكُونُ﴾؛ أي: فيكون ذلك على حَسبِ ما أراد سبحانه[2].

والوجهُ الرَّفعُ على تقدير: فهو يكونُ، وقراءة النَّصب[3] بعيدةٌ في المعنى، محمولةٌ على ظاهر لفظ الأمر، وهو ﴿كُن﴾[4]، وكذلك قال الأخفش في قوله: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [الإسراء: ٥٣]، وما أشبه ذلك[5].

* * *

= توهَّم ذلك؛ لنسبتها إليه، ولقولهم: دروع تبعية.

(١) في (ن): «أمره».

(٢) في (ن): «أراده الله».

(٣) قرأ ابن عامر الشامي بنصب النون، وباقي السبعة بضمها. انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ١٦٩)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٦).

(٤) «وهو كن»: ليس في (ن).

(٥) انظر: «معاني القرآن» للأخفش (١/ ٨٢).

(١١٨) ـ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْۘ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْۗ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ابن عبّاسٍ: اليهود[1].

مجاهد: النَّصارى[2].

الحسن وقتادة: مشركو العرب[3].

﴿لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ﴾ أنَّك نبيُّه ﴿أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ﴾ توافِقُ مرادَنا.

و(لولا) للتَّحضيض، كقوله: ﴿لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ [المنافقون: ١٠].

﴿كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ﴾؛ يعني: أسلافهم اقترحوا الآيات بقولهم: ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [النساء: ١٥٣]، و﴿أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [المائدة: ١١٤].

﴿تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ بالكفر وقلّةِ التَّدبُّرِ في آيات الله.

﴿قَدْ بَيَّنَّا ٱلْءَايَٰتِ﴾؛ أي: نَصَبْنا الأدلّة، فأنزلنا من القرآن ما عجزتم عن الإتيان بمثله، وذلك دليلٌ وبيانٌ.

﴿لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ اليقينُ: علمُ ما[4] يُثْلَجُ به الصَّدرُ.

* * *

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٤٧٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٢١٥)، وفيهما أن قائل ذلك هو رافع بن حريملة.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٤٧٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٢١٥).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٤٧٤) عن قتادة والربيع والسدي، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٢١٥) عن أبي العالية، وقال: وروي عن قتادة والربيع نحو ذلك.

(٤) «ما»: من (ن).

(١١٩) ـ ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۖ وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ ﴾.

﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ ﴾: بالإسلام.

﴿بَشِيرٗا ﴾: مبشِّرًا للمؤمنين.

﴿وَنَذِيرٗا ﴾: منذِرًا للكافرين.

﴿وَلَا تُسۡـَٔلُ﴾ قيل: هو حالٌ؛ أي: غيرَ مسؤولٍ عنهم، إنَّما عليك البلاغُ وعلينا الحساب.

وقيل: هو استئنافٌ؛ أي: وأنت لا تُسألُ.

ومَن جزمَ[١] فمعناه: ولا تسألْ عنهم؛ فلن[٢] تنفعَهم شفاعةُ الشّافعين.

وقيل: هو على التَّعظيم والتَّهويل.

وروى القرظيُّ[٣]: أنَّ النَّبيَّ ﷺ كان يقولُ: «لَيْتَ شِعْري ما فعلَ أبواي»؟ فأنزل الله تعالى: **﴿ولا تَسْألْ عن أصحاب الجحيم﴾**[٤].

---

(١) قرأ نافع (ولا تَسألْ) مفتوحة التاء مجزومة اللام، وقرأ الباقون مضمومة التاء مرفوعة اللام. انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ١٦٩)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٦).

(٢) في (و): «فلم».

(٣) في (و): «القرطبي».

(٤) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٢٦)، وأبو عمر الدوري في «جزء فيه قراءات النبي ﷺ» (ص: ٧٣)، والحربي في «غريب الحديث» (١/ ١٤٤)، والطبري في «تفسيره» (٢/ ٤٨١). قال ابن حجر في «العجاب في بيان الأسباب» (١/ ٣٦٩): «من مرسل محمد بن كعب القرظي، وفي سنده موسى بن عبيدة وهو ضعيف، واستبعد الفخر الرازي صحة هذا السبب قال: لأنه ﷺ يعلم حال من مات كافرًا»، وانظر: «التفسير الكبير» للرازي (٤/ ٣٢).

ورُوي أيضًا أنَّه قال: «لو أنزل اللهُ بأسَه باليهود لآمنوا»، فأنزلَ اللهُ عزَّ وجلَّ هذه الآية[١].

والجحيمُ: النّارُ إذا شبَّ وَقودُها.

***

(١٢٠) ـ ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾.

﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ﴾ ابن عبّاسٍ: نزلَتْ في شأن القِبْلة، وذلك أنَّ يهود المدينة ونصارى نجران كانوا يرجون أنَّ النَّبيَّ ﷺ يصلِّي إلى قبلتهم، فلمّا صُرِفَتِ القِبلةُ إلى الكعبة شقَّ ذلك عليهم، ويئسوا منه أن يوافقَهم على دينِهم، فأنزل الله تعالى هذه الآية[٢].

غيرُه من المفسِّرين: إنَّ اليهود والنَّصارى كانوا يسألون النَّبيَّ ﷺ الهدنةَ، ويُطمِعُونه في موافقتِهم إيّاه واتِّباعهم إنْ هادنَهم وأمهلَهم، فأنزلَ اللهُ تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ﴾[٣].

﴿حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾: دينَهم وقِبْلتَهم.

والمِلّةُ: الدِّينُ، مشتقٌّ من (أمللْتُ)؛ لأنَّها تُبْتنى على مسموعٍ ومَتْلُوٍّ.

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ٦٦)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٠)، و«البسيط» (٣/ ٢٨٠)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ١٠٦) عن مقاتل، ولعلَّ مقاتلاً هو ابن حيان. انظر: «العجاب» لابن حجر (١/ ٣٦٨).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ٦٨)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٠).

(٣) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٤٠).

﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ﴾؛ أي: هدى الله الذي رضيَ لعبادِه.

﴿هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾: الإسلامُ والقرآنُ والكعبة.

﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم﴾: ما ابتدعوه في أديانِهم، وأجبْتَهم إلى ما يتمنَّونه عليك ﴿بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾: أنَّ دينَ اللهِ الإسلامُ، وقِبلتَه الكعبةُ، ﴿مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾: غلَّظَ في التَّهديدِ قطعًا لطمعِهم.

***

(١٢١) ـ ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾.

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ ابن عبّاس والكلبيُّ: نزلَتْ في أصحابِ السَّفينة الذين أقبلوا مع جعفر بن أبي طالبٍ من أرض الحبشة، كانوا أربعين رجلًا من الحبشة وأهل الشّام(١).

الضَّحّاك: نزلَت فيمن آمنَ من اليهود(٢).

قتادة وعكرمة: نزلَت في أصحاب رسولِ الله ﷺ(٣).

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ٦٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٠) عن ابن عباس من رواية ابن عطاء والكلبي.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ٧٠) عن الضحاك، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٤٨٦) عن ابن زيد، ورجَّحه لأن السياق عن اليهود، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٢١٨) عن قتادة.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٤٨٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٢١٨) عن قتادة، وذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٠)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ١٠٧) عن عكرمة وقتادة.

ومعنى ﴿حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾: عن ابن عبّاسٍ وابن مسعودٍ: يتَّبعونَه حقَّ اتِّباعِه ولا يحرِّفونَه(١).

غيرُهما: يقرؤونَه حقَّ قراءتِه.

والتِّلاوةُ: القراءةُ والاتِّباعُ.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ بالمصيرِ إلى النّار.

* * *

(١٢٢ ـ ١٢٣) ـ ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٢﴾ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾.

﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٢﴾ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ الآيتان مضى تفسيرُهما، وإنَّما كرَّر؛ لأنَّ كلَّ واحدٍ منهما صادفَ معصيةً يقتضي تنبيهًا ووعظًا، ولأنَّ كلَّ واحدٍ منهما وقعَ في غيرِ وقتِ الآخر(٢).

* * *

(١٢٤) ـ ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِىۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ رَبُّهُۥ﴾: عاملَه معاملةَ المختبِر، وقيل: أمرَه.

وإبراهيمُ: اسمٌ أعجميٌّ، وفيه لغاتٌ، والمعروفُ المقروءُ منها: إبراهيم وإبراهام(٣)، وقيل: معناه: أبٌ رحيمٌ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٤٨٧ ـ ٤٨٨).

(٢) ذكر المصنِّف نحو هذا في «البرهان» (ص: ٧٨).

(٣) قرأ هشام: (إبراهام) في جميع سورة البقرة، وفي مواضع متفرقة عددها ثلاثةٌ وثلاثون موضعًا، =

﴿بِكَلِمَـٰتٍ﴾ مجاهدٌ: هي الآياتُ التي بعدها: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ الآيات[١].

ابن عبّاس: مناسك الحجِّ[٢].

وعن ابن عبّاس أيضًا وقتادة: أنَّها خمسُ خصالٍ في الرَّأس: المضمضةُ والاستنشاقُ وقصُّ الشّارب والسِّواكُ والفَرْقُ، وخمسٌ في البدن: تقليمُ الأظفار، ونتفُ الإبطين، وحلقُ العانة، والاستنجاءُ بالماء، والختان[٣].

وجاء في الحديث: أنَّه اختتَنَ وكان ابنَ ثمانين سنةً، وجاء أيضًا: أنَّه اختتنَ بقَدُومٍ[٤]؛ فذهب بعضُهم إلى أنَّه اسمُ بقعةٍ[٥]، وبعضهم إلى أنَّه آلةُ النَّجّار[٦].

الحسن: ابتلاه بالنَّجم والقمر والشَّمس، وبالختانِ، وذبحِ ابنِه، وبالنّارِ، والهجرة[٧].

= ولابن ذكوان بالوجهين في البقرة خاصة، وباقي القراء بالياء في الجميع. انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ١٧٠)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٦ ـ ٧٧).

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٥٠١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٢٢١).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٥٠٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٢٢١).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٤٩٩ ـ ٥٠٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٢١٩).

(٤) ذُكِرَ الأمران في حديث واحد رواه البخاري (٣٣٥٦)، ومسلم (٢٣٧٠)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) ذهب إلى هذا المبرِّد، و(قدومُ) قرية بالشام، وهي غير مصروفة على هذا الوجه. انظر: «غرائب التفسير» للمصنِّف (١/ ١٧٤).

(٦) و(قدومٌ) مصروفة على هذا الوجه. انظر: «غرائب التفسير» للمصنِّف (١/ ١٧٤).

(٧) روى نحوه عبد الرزاق في «تفسيره» (١١٤)، والطبري في «تفسيره» (٢/ ٥٠٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٢٢١).

وعن ابن عبّاسٍ أيضًا: أنَّها ثلاثون خصلة: عشرٌ[1] في (براءة): ﴿ٱلتَّـٰٓئِبُونَ ٱلْعَـٰبِدُونَ﴾ [التوبة: ١١٢]، وعشرٌ في (الأحزاب): ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَـٰتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥]، وعشرٌ في أوَّل (المؤمنين) و(المعارج)[2].

قال الشَّيخ[3]: ويُحتمَلُ أن تكونَ الكلماتُ: أوامرَ الله ونواهيَه، فتندرجُ تحتَهما الأقاويلُ كلُّها.

﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾: أتى بهنَّ[4] تامّاتٍ وافياتٍ، والإتمامُ: الإكمالُ.

ويحتملُ أنَّ الفعلَ لله تعالى؛ أي: ابتلاهُ بكلماتٍ، فأتمَّ له تلك الكلمات.

﴿قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾: قدوةً؛ يُؤتَمُّ بك وتُتَّبَعُ، فجعلَه شجرةَ الأنبياء؛ لأنَّ الأنبياء بعدَه من ولدِه صلّى الله عليهم أجمعين.

﴿قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى﴾؛ أي: اجعلْ منهم أئمّةً يُقتَدى بهم، وذرِّيّةُ الرَّجلِ: أولادُه ذكورُهم وإناثُهم، ويجوز بالحركات الثَّلاث[5]، واشتقاقُه من (الذَّرْوِ)[6]،

---

(١) في (ن): «عشرة»، وكذا في المواضع التالية.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٤٩٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٢٢٠)، وذكره المصنِّف في «غرائب التفسير» (١/ ١٧٤).

(٣) «قال الشيخ»: ليس في (ن). وهذه العبارة وأمثالها تشير إلى أن هذا الكلام من المصنِّف، وهو يعكس طريقتَه في الجمعِ بين أقوال المفسِّرين، والاستنادِ إلى البيان القرآني، وميلَه إلى الحفاظ على عمومه، كما يُلحظ فيه ورع المصنِّف وتحرُّزه.

(٤) في (ن): «أي: أداهنّ»، وفي هامشها: «أتى بهنّ».

(٥) وقد قرأها عامة الناس بالضمِّ، ورُوي الفتح والكسر عن زيد بن ثابت رضي الله عنه. انظر: «المحتسب» لابن جني (١/ ١٥٦).

(٦) وهو البثُّ والتطاير والانتشار، وهو الخلق على غير مثال أيضاً، ويُهمز. انظر: «جمهرة اللغة» لابن دريد (٢/ ٦٩٥)، و«الصحاح» (١/ ٥١).

وقال الشَّيخ[١]: ويُحتمَل من (الذَّرِّ)[٢]، ومن (الذَّرْي)[٣].

﴿قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي﴾؛ أي: نبوَّتي ورسالتي.

الحسن: طاعةٌ يُحتسَب بها في الآخرة[٤].

مجاهدٌ: الإمامة[٥].

﴿الظَّالِمِينَ﴾[٦]؛ أي: في ذرِّيَّتك كافرٌ ومؤمنٌ، فلا ينالُ عهدي الكافرين منهم[٧].

وقرئ: (الظالمون)[٨]؛ لأنَّ ما نالَكَ فقد نلْتَه، والنَّيلُ: اللُّحوقُ.

* * *

(١٢٥) ـ ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾.

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ﴾ يعني: الكعبة.

﴿مَثَابَةً لِلنَّاسِ﴾: مَعادًا ومَرجعًا يثوبون إليه كلَّ عامٍ[٩]، ولا يملُّون.

---

(١) «وقال الشيخ»: ليس في (ن).

(٢) وهو التفريق والنثر. انظر: «القاموس المحيط» (ص: ٣٩٦).

(٣) وهو النشر والتفريق والبذر. انظر: «مقاييس اللغة» لابن فارس (٢/ ٣٥٣).

(٤) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٥١٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٢٢٣).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٥١٢).

(٦) «الظالمين»: ليس في (و).

(٧) «منهم»: من (ن).

(٨) قراءة شاذة نسبت لعبد الله بن مسعود رضي الله عنه. انظر: «تفسير الطبري» (٢/ ٥١٦)، و«المختصر في شواذ القراءات» لابن خالويه (ص: ١٦).

(٩) «كل عام»: ليس في (ن).

الزَّجّاج: سُمِّي بالمصدر كالـمَقامة[١].

والمثابة: اسمٌ للمكان.

قال الأخفش: ودخولُ التّاء للمبالغة[٢].

ابن عبّاسٍ: ﴿مَثَابَةً﴾؛ أي: مَن قصدَه تمنَّى العودَ إليه[٣].

وقيل: ﴿مَثَابَةً﴾ من الثَّواب؛ أي: يحجُّون فيُثابون عليه.

﴿وَأَمْنًا﴾؛ أي: ذا أمنٍ، إذا التجأ إليه الجاني لا يُقام عليه الحدُّ.

وقيل: أهلُه آمنون ويُتخطَّفُ النّاسُ من حولهم.

قال الشَّيخ: ويحتمل مَن حجَّ البيت أَمِنَ من عذابِ الله.

﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾: هو الحجرُ الذي فيه أثرُ قدمَيْه.

وروى المفسِّرون أنَّ النَّبيَّ ﷺ أخذَ بيدِ عُمرَ فلمّا أتى المقام، قال عمرُ: هذا مقامُ أبينا؟ قال: نعم، قال: يا رسول الله، أفلا تتَّخِذُ مقامَ إبراهيم مصلًّى، فأنزل الله تعالى: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾[٤].

مجاهدٌ: الحرمُ كلُّه مقامُ إبراهيم[٥].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٧٦).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للأخفش (١/ ١٥٤).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٥١٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٢٢٥).

(٤) رواه البخاري (٤٠٢)، ومسلم (٢٣٩٩)، من حديث عمر رضي الله عنه.

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٥٢٦)، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٢٢٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وقال: وروي عن مجاهد وعطاء مثل ذلك.

ابن عبّاسٍ: الحجُّ كلُّه مقامُ إبراهيم[١].

عطاء: عرفة[٢].

﴿مُصَلًّى﴾ مجاهدٌ: مَدْعًى[٣]، غيره: موضع صلاةٍ.

و﴿وَٱتَّخِذُواْ﴾: عطفٌ على قوله: ﴿ٱذْكُرُواْ﴾ [البقرة: ١٢٢].

وقيل: عطفٌ على ﴿وَٱتَّقُواْ﴾ [البقرة: ١٢٣].

وقيل: عطفٌ على[٤] (واذكروا إذ جعلنا البيت)، و(اتخذوا من مقام إبراهيم).

وقيل: تقديره: وإذ جعلنا البيتَ مثابةً للنّاس وأمنًا، وقلنا: اتَّخذوا.

ومن قرأ: ﴿واتَّخَذوا﴾ بالفتح[٥]، فهو عطفٌ على ﴿جَعَلْنَا﴾.

«الحجّة»: وإذ جعلنا، وإذ اتَّخَذوا[٦].

القفّال: ﴿وَٱتَّخِذُواْ﴾ أمرٌ لأمّة محمَّد ﷺ، واعتراضٌ بين المعطوف والمعطوف عليه[٧].

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٢٨)، والطبري في «تفسيره» (٢/ ٥٢٥)،

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٥٢٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما من طريق عطاء.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٥٢٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٢٢٧). ومعنى (مدعى): موضع دعاء. انظر: «البسيط» للواحدي (٣/ ٣٠٦).

(٤) أي: على فعل مقدَّر قبل (إذ)، وتقديره ما ذكره المصنِّف.

(٥) قرأ نافع وابن عامر مفتوحة الخاء على الخبر، وباقي السبعة مكسورة الخاء. انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ١٧٠)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٦).

(٦) انظر: «الحجة للقراء السبعة» لأبي علي الفارسي (٢/ ٢٢٠)، وفيه أنَّ وجه قراءة مَن قرأ: ﴿واتَّخَذوا﴾ أنه معطوف على ما أضيف إليه، إذ كأنه: وإذ اتَّخَذوا... ومن قرأ: ﴿وَٱتَّخِذُواْ﴾ بالكسر فتقديره: افعلوا، وصيغة الأمر آكد.

(٧) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ١٧٥).

﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ﴾: أمرناهما أمرًا مؤكَّدًا.

﴿أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ﴾ السُّدِّيُّ: ابنياه على الطَّهارة(١)؛ من قوله: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ﴾ [التوبة: ١٠٩](٢).

سعيد بن جُبير ومقاتل: من الأوثانِ والرِّيبِ وقولِ الزُّور(٣).

وقيل: بخِّراه وخلِّقاه(٤).

القفّال: عرِّفا النّاس أنَّ بيتيَ طُهرةٌ لمن حجَّ وزارَ(٥).

﴿لِلطَّآئِفِينَ﴾: للنُّزّاعِ إليه من البلاد.

﴿وَٱلْعَٰكِفِينَ﴾: المقيمينَ من أهل مكّة.

﴿وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾: المصلِّين من أيِّ جهةٍ كانوا.

القفّال: الطّائفون(٦) الذين يطوفون بالبيت، والعاكفون: هم المقيمون في المسجد، والرّكّع السجود: هم المصلُّون، قال: والنَّاس في ذلك المسجد على هذه المنازل الثَّلاثة.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٥٣١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٢٢٧)، ولفظهما: «ابنيا بيتي».

(٢) ذكر المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ١٧٥) أن هذا قول الجمهور، وبيَّن بالاستدلال بالآية وجه هذا القول ومستنَده.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (١/ ١٣٨) وفيه فقط ذكر الأوثان، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٢٢٧) عن مجاهد وسعيد بن جبير.

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ٩٧) عن يمان بن رئاب، والمعنى عطراه بالبخور والخَلوق.

(٥) ذكره الرازي في «التفسير الكبير» (٤/ ٤٦) دون نسبة.

(٦) في (ن): «للطائفين هم».

(١٢٦) - ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكونَ هذا دعاءً من إبراهيمَ قبل البناء، فيكون ﴿هَٰذَا﴾: إشارةٌ إلى الوادي من قوله: ﴿بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾ [إبراهيم: ٣٧]، و﴿بَلَدًا﴾: مفعولٌ، و﴿آمِنًا﴾: صفته.

وفي الأخرى: ﴿هَٰذَا الْبَلَدَ آمِنًا﴾ [إبراهيم: ٣٥] دعاءٌ منه بعد البناء، فيكون ﴿هَٰذَا﴾: مفعولًا، و﴿الْبَلَدَ﴾: عطف بيانٍ أو وصفٌ، و﴿آمِنًا﴾: المفعول الثّاني.

والوجه الثّاني: أن يكون تقديره: هذا البلد بلدًا آمنًا، فيكون كالآية الأخرى.

والبلدُ والمِصْرُ واحدٌ.

﴿آمِنًا﴾؛ أي: ذا أمنٍ.

القفّال: مأمونًا فيه، كقولك: ليلٌ نائمٌ، وليلٌ ساهِرٌ(١).

وقيل: آمنًا أهلُه.

﴿وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾: أنواع حَمْلِ الأشجار.

﴿مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ خَصَّ إبراهيمُ المؤمنَ بالرِّزق دون الكافر لـمَّا قال سبحانه: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤].

﴿قَالَ﴾ فأجابه سبحانه بقوله: ﴿وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ﴾؛ أي: فأمتِّعُه بالأمن والرِّزق.

﴿قَلِيلًا﴾: تمتيعًا قليلًا، أو زمانًا قليلًا إلى حين أجله، سمّاه قليلًا لسرعة انقضائه.

---

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (٣/ ٣١٠)، والزمخشري في «الكشاف» (١/ ١٨٦) دون نسبة.

وقيل: إلى وقت خروج محمَّد ﷺ.

وقرئ: ﴿فَأُمْتِعُهُ﴾(١) من الإمتاع، والإمْتاعُ والتَّمتيعُ: النَّفعُ والتَّنعيم، واشتقاقُه من (مَتَعَ النَّهارُ)؛ إذا طال(٢).

﴿ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ﴾: أُلجِئُه، والاضطرارُ: فعلُ ما لا يتهيَّأ له الامتناعُ منه.

﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾: المرجع.

ابن عيسى: المصيرُ: الحالُ التي يؤدِّي إليها أوَّلُ لها.

* * *

(١٢٧) ـ ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾.

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ﴾: يُعلي، والرَّفعُ: الإعلاءُ.

﴿ٱلْقَوَاعِدَ﴾: الأساس، واحدتُها: قاعدةٌ.

الزَّجّاج: أصله في اللُّغة: الثُّبوتُ والاستقرار(٣).

ابن عبّاسٍ وعطاءٌ: كان آدم عليه السَّلام بنى البيت ثمَّ عفا أثرُه، فجدَّده إبراهيمُ عليه السَّلام(٤).

---

(١) بالتخفيف، وهي قراءة ابن عامر من السبعة. انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ١٧٠)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٦).

(٢) وإذا ارتفع أيضاً. انظر: «الصحاح» للجوهري (٣/ ١٢٨٢).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٢٠٨)، وفيه: (القواعد واحدتها قاعدة، وهي كالأساس والأس للبنيان، إلا أن كل قاعدة فهي للتي فوقها).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٥٤٩).

وقيل: كان معه أُهبِطَ من السَّماء، فدَرَس.

مجاهدٌ وعَمرو بن دينارٍ: أنشأه إبراهيمُ بأمر الله إيّاه[١].

﴿مِنَ ٱلْبَيْتِ﴾ يعني: بيتَ الله، وهو الكعبة.

﴿وَإِسْمَٰعِيلُ﴾ السُّدِّيُّ في جماعةٍ: عطفٌ على ﴿إِبْرَٰهِـۧمُ﴾؛ أي: يرفعانه[٢].

ابن عبّاسٍ: كان إبراهيمُ يبني وإسماعيلُ يناولُه الحجارة[٣]، فجازَ وصفُهما برفع القواعد.

وقيل: ﴿وَإِسْمَٰعِيلُ﴾ رفعٌ بالابتداء، والمعنى: كان إبراهيمُ يبني، وكان إسماعيلُ يقول: ربّنا تقبّل منّا[٤]، وفي هذا بُعْدٌ.

والوجهُ: ويقولان: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ﴾؛ أي: تَقَرُّبَنا إليك ببناء هذا البيت، من قَبول الرَّجل ما يُهدَى إليه، والتَّقبُّلُ: الإثابةُ على العمل، ودلَّ هذا على أنَّهما بنَياه مُتعبَّدًا لا مَسكنًا.

﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لدعائِنا ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بنيّاتِنا.

* * *

(١٢٨) - ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٥٥٤) عن مجاهد.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٥٥٦).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٥٥٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٢٣٢).

(٤) «تقبل منا»: من (ن).

﴿ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ ﴾؛ أي: أدمْ لنا توفيقَكَ للإسلام، وقيل: اجعلْ إسلامَنا لك ولوجهِكَ وحدَك.

﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً ﴾: جماعةً ﴿مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ خصَّ البعضَ؛ لأنَّ الله أعلمَهما أنَّ في ذرِّيتهما الظَّالمَ بقوله: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة: ١٢٤].

﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾: علِّمنا أعمالَ الحجِّ، وما يُفعَل في المواقف كالطَّواف والسَّعي والوقوف والصَّلاة، فتكون (مناسك) جمع (مَنْسَكٍ) للمصدر، وجُمعَ لاختلافها[1].

وقيل: ﴿وَأَرِنَا﴾: من رؤية العين، ﴿مَنَاسِكَنَا﴾: المواقف التي تُقام فيها شرائعُ الحجِّ، كمنًى وعرفاتٍ والمزدلفة، فتكون جمع (مَنْسِكٍ) و(مَنْسَكٍ)، وهو موضعُ العبادة.

﴿وَتُبْ عَلَيْنَآ﴾ ما جرى من التَّقصير والسَّهو والذَّنب الصَّغير، وليس الأنبياءُ بمعصومين عن الصَّغائر[2].

وقيل: ضمّا الذُّريّةَ إليهما في الدُّعاء.

وقيل: قالا على وجه التَّسبيح؛ ليقتديَ بهما من بعدهما.

﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ﴾: يتوبُ على عبده إذا تاب إليه من ذنبه.

﴿ٱلرَّحِيمُ ﴾ حيث رخَّصَ لهم في التَّوبة وغفرَ لهم.

---

(١) وهذا اختيار أبي علي الفارسي. انظر: «الحجة» (٢/ ٢٢٤).

(٢) هذه مسألة فيها خلاف بين بعض العلماء، وما ذهب إليه المصنِّف من جواز وقوع الصغائر من الأنبياء هو مذهب ابن فورك من الأشاعرة، وثمة مَن أجاز وقوع كلِّ معصية إلا الكذب في التبليغ، وذهبت جماهير أهل السنة والمعتزلة والخوارج والشيعة إلى أنه لا يجوز البتة أن تقع من نبي معصية عمداً. انظر: «الفصل في الملل والأهواء والنحل» لابن حزم (٤/ ٢)، و«غرائب التفسير» للمصنِّف (٢/ ٦٩٦).

(١٢٩) ـ ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾.

﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ ﴾ في الذُّرِيّة ﴿ رَسُولًا مِّنْهُمْ ﴾ هو: محمَّد ﷺ، ومنه قوله ﷺ: «أنا دعوةُ إبراهيمَ، وبُشْرى عيسى»(١)، ولم يكن نبيٌّ بعد إسماعيلَ في مكّة إلّا محمَّدٌ ﷺ.

﴿ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ ﴾: خبر مَن مضى وخبر مَن بقيَ إلى يوم الدِّين.

المفضَّل: يبيِّنُ لهم دينَك.

وقيل: الآيات: القرآن.

﴿ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ ﴾: هو القرآن.

﴿ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾ قيل: هي القرآنُ أيضًا، وقيل: الفقه، وقيل: السُّنّة، وقيل: الحكمُ والقضاء.

﴿ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾: ويعلِّمُهم ما يصيرون به أزكياء.

وقيل: ﴿ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾ يشهدُ لهم بالزَّكاء، من تزكيةِ العُدولِ.

﴿ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ﴾: الغالبُ في نَقْمَتِك ﴿ ٱلْحَكِيمُ ﴾: في حُكْمِك.

* * *

(١٣٠) ـ ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾.

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١٧١٥٠)، والبزار في «مسنده» (٤١٩٩)، وابن حبان في «صحيحه» (٦٤٠٤) من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه.

﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾: استفهامٌ بمعنى الـجَحْد؛ أي: ما يرغَبُ عن دينِ إبراهيمَ، وأصل الرَّغبة: رفعُ الهمّةِ عن الشَّيءِ تنزُّهًا، وإلى الشَّيءِ سُموًّا.

﴿إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾: جهلَها وجهلَ خالقَها، تقول: سَـفَهَ يَسْـفُهُ سَـفاهةً، وسَفِهَ يَسْفَهُ[1] سَـفَـهًا.

أبو عبيدة: ﴿سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾: أهلكَها[2].

الفرّاء: ﴿نَفْسَهُۥ﴾ نصبٌ على التَّمييز[3].

الأخفش: ﴿سَفِهَ﴾ بمعنى: سَفَّهَ[4].

الزَّجّاج: سَفِهَ في نفسِه، كقوله: ﴿وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ﴾ [البقرة: ٢٣٥][5].

وأصل السَّفَهِ: الخِفّة، وهو ضدُّ رَزِينِ الحِلْم.

﴿وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَـٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا﴾؛ أي: اخترناه واستخلصناه للرِّسالة والخُلّة، وأصلُ الصَّفاء: الخلوصُ من الشّائب.

﴿وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ المفضَّـل: الذيـن يستوجبون صالـحَ الجـزاء وحُسْـنَ الثَّواب.

---

(١) «يسفه»: ليس في (ن).

(٢) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ٥٦).

(٣) فالفعل لازم، والمعنى عنده: إلا مَن سفِهَ نفساً، وقد ضعَّف المصنف هذا الوجه؛ لأن التمييز لا يكون إلا نكرة. انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٧٩)، و«غرائب التفسير» (١/ ١٧٧).

(٤) فالفعل متعدٍّ، و(نفسَه) مفعولٌ به، وهذا القول إنما حكاه عن أهل التأويل، ولعلَّه عنى أبا عبيدة، والظاهر أنه يميل إلى أنه منصوب بنزع الخافض. انظر: «معاني القرآن» للأخفش (١/ ١٥٧).

(٥) فالفعل لازم، و(نفسه) منصوب بنزع الخافض. انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٢١٠).

وقيل: ﴿مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾: لنفسِه حين نجّاها من الهلكة[١].

وقيل: ﴿مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾: من الأنبياء[٢].

* * *

(١٣١) ـ ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾.

﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ﴾؛ أي: ولقد اصطفيناه حين قال له ربُّه: أسلم.

وقيل: ﴿إِذْ﴾ ظرفٌ؛ لقوله: ﴿قَالَ أَسْلَمْتُ﴾[٣].

ومعنى ﴿أَسْلِمْ﴾: أخلِصْ دينَكَ وعمَلَكَ لله واعبدْهُ ووحِّدْهُ.

﴿قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾: انقدْتُ وأخلصْتُ لله؛ إذ هو مالكُ كلِّ شيءٍ ومدبِّره.

القفّال: لمّا امتُحِنَ بالكواكب والشّمس والقمر، قال له عقيب الامتحان: أسلم. قال: ويجوز أن يكونَ جعل الدِّلالةَ قولًا، كقوله: ﴿أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا۟ بِهِۦ يُشْرِكُونَ﴾ [الروم: ٣٥].

* * *

(١٣٢) ـ ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَـٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾.

﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ﴾ قيل: ﴿بِهَآ﴾: بالملّة، وقيل: بالكلمة، وهي: ﴿أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾.

---

(١) انظر: «النكت والعيون» للماوردي (١/ ١٩٣).

(٢) انظر: «غرائب التفسير» للمصنف (١/ ١٧٧).

(٣) ففي الآية تقديم وتأخير. انظر: «النكت والعيون» للماوردي (١/ ١٩٣).

وقُرِئَ: ﴿وأوصى﴾[(١)]، والإيصاءُ والتَّوصية بمعنى، والتَّشديدُ أبلغ، وأصله: الوصايةُ، وهي الاتِّصال.

«الحجّة»: كأنَّ الموصيَ وصلَ حبلَ أمرِه بالموصَى إليه[(٢)].

﴿وَيَعْقُوبُ﴾ الزَّجّاج: عطفٌ على ﴿إِبْرَٰهِـۧمُ﴾؛ أي: وصَّى إبراهيمُ بنيه ويعقوبُ بنيه[(٣)]، ورُوي عن يعقوبَ عليه السّلام[(٤)].

و(يعقوبَ)؛ أي: وصَّى بنيه وأسباطَه[(٥)].

الحسن[(٦)]: يجوز أن يكون استئنافًا؛ أي: يعقوبُ قال[(٧)]:

﴿يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ﴾: اختار[(٨)] ﴿لَكُمُ ٱلدِّينَ﴾: الملّة الحنيفيّة.

وكسر ﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾ حيث كان الوصيّةُ قولًا.

---

(١) قرأ نافع وابن عامر: ﴿أوصى﴾ بالألف مخففًا، وقرأ الباقون: ﴿وَوَصَّىٰ﴾ بغير ألف مشددًا. انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ١٧١)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٧).

(٢) انظر: «الحجة للقراء السبعة» لأبي علي الفارسي (٢/ ٢٢٨).

(٣) لم أقف عليه عند الزجاج، وقد ذكر هذا الوجه الفراء في «معاني القرآن» له (١/ ٨٠)، والأخفش في «معاني القرآن» له (١/ ١٥٨).

(٤) وهو ما حكاه القرآن عنه في الآية التالية.

(٥) وهذا على قراءة مَن نصب (يعقوب)، وهم إسماعيل بن عبد الله المكي، والضرير، وعمرو بن فائد الأسواري، والمعنى على هذه القراءة: وصَّى إبراهيم بنيه ويعقوبَ وأسباطَه، فقال: يا بنيَّ... انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (١/ ٦٣٦).

(٦) كذا في النسخ الخطية، ولعلَّ الصواب: أبو الحسن، وهو الأخفش.

(٧) وذكر هذا الوجه الأخفش في «معاني القرآن» (١/ ١٥٨).

(٨) «اختار»: من (ن).

﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ ظاهرُه نهيٌ عن الموت، والمعنى: دُوموا على الإسلام، ولا يكن حالُكم عند الموت غيرَ حالِ الإسلام.

* * *

(١٣٣) ـ ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾.

﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ﴾ استفهامٌ بمعنى الجحد؛ أي: لم تكونوا حضورًا فَلِمَ تدَّعون أنَّ إسرائيل أوصى بنيه باليهوديّة، وذلك أنَّ اليهود قالت لرسول الله ﷺ: ألسْتَ تعلمُ أنَّ يعقوبَ يوم مات أوصى بنيه باليهوديّة، فأنزل الله هذه الآية[1].

والشُّهداءُ: جمع شهيدٍ.

﴿إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ﴾؛ أي: أسبابه.

﴿إِذْ قَالَ﴾ يجوز أن يكون بدلًا من الأوَّل، ويجوز أن يكون ظرفًا لـ﴿حَضَرَ﴾.

﴿لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى﴾؛ أي: من بعد موتي.

﴿قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ﴾ نزَّلَ العمَّ منزلةَ الأب.

﴿إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾: بدل من الأوَّل، أو حال.

﴿وَنَحْنُ لَهُۥ﴾: لله[2] ﴿مُسْلِمُونَ﴾: منقادون الآن.

* * *

---

(١) ذكره مقاتل بن سليمان في «تفسيره» (١/ ١٤٠)، والثعلبي في «تفسيره» (٤/ ١٤٦)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٤) بلا سند.

(٢) «لله»: من (ن).

(١٣٤) ـ ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿تِلْكَ أُمَّةٌ﴾: جماعةٌ، والأمّة: جماعةٌ تؤُمُّ جهةً واحدةً.

﴿قَدْ خَلَتْ﴾: قد مضَتْ ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ من معصيةٍ أو طاعةٍ، فهم محاسَبون بها ومجازَون عليها.

﴿وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ﴾ إنْ خيرًا فخيرًا، وإنْ شرًّا فشرًّا[1].

﴿وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ لكلِّ امرئٍ ما كسَبَ، وعليه ما اكتسَب.

القفّال: ﴿قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾؛ أي: قد مضَتْ على ما دانَتْ به في عصرها، ﴿وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ﴾: ما تدينون به الآن ممّا شرعَه اللهُ في عصركم؛ فإنَّ الدِّينَ للهِ يشرَعُ منه ما يشاء، وينقلُ ما[2] يشاء إلى ما يشاء.

***

(١٣٥ ـ ١٣٦) ـ ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾.

﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ﴾ ابن عبّاسٍ: نزلَتْ حين قالت اليهودُ: نبيُّنا موسى أفضلُ الأنبياء، وكتابُنا التَّوراةُ أفضلُ الكتب، ودينُنا أفضلُ الأديان، وكفرَتْ

---

(١) الأكثر والأحسن في مثل هذا أن يقال: إنْ خيراً فخيرٌ وإن شراً فشرٌّ، ولكن ما ذكره المصنِّف صحيح، وهو كلام بعضِ العرب، وهو على تقدير فعل؛ أي: إن كان الذي عَمل خَيراً جُزيَ خيراً، وإن كان شرّاً جُزيَ شرًّا. انظر: «الكتاب» لسيبويه (١/ ٢٥٨).

(٢) في (ن): «وينقل عن من».

بعيسى والإنجيلِ ومحمَّدٍ والقرآنِ، وقالت النَّصارى: نبيُّنا عيسى أفضلُ الأنبياء، وكتابُنا الإنجيلُ أفضلُ الكتب، ودينُنا أفضلُ الأديان، وكفَرَتْ بموسى والتَّوراةِ ومحمَّدٍ والقرآن، وقال كلُّ واحدٍ من الفريقَين للمؤمنين: كونوا على دينِنا، فلا دينَ إلَّا ذلك(١).

والمعنى: قالت اليهود: كونوا هودًا، وقالت النَّصارى: كونوا نصارى، فأخبر عنهما معًا.

﴿تَهۡتَدُواْ﴾: تصيبوا الحقَّ.

﴿قُلۡ بَلۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِـۧمَ﴾؛ أي: نتَّبعُ، أو: اتَّبعوا ملَّةَ إبراهيم، وقيل: أهلَ ملَّةِ إبراهيم.

﴿حَنِيفٗا﴾: مائلًا، من (حَنَفِ القدمِ)(٢).

وقيل: مستقيمًا، وأصلُ الحَنَفِ: الاستقامة، فسُمِّي معوجُّ القدمِ أحنفَ تفاؤلًا، وكانت العربُ في الجاهليّة تُسمِّي مَن اختتنَ وحجَّ واغتسلَ من الجنابة حنيفًا(٣).

﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٣٥ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا﴾: القرآن ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ﴾: أسباط(٤) يعقوب، جمع سِبْطٍ، والسِّبْطُ: قومٌ يرجعون إلى أبٍ واحدٍ.

و(إلى) للانتهاء، والكتبُ منتهيةٌ إليهم(٥) ومنزَّلةٌ على الأنبياء(٦)، فكان

(١) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٥٨٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٢٤١).

(٢) حنف القدم: أن تُقبل كلُّ واحدة من الإبهامين على صاحبتها. انظر: «أدب الكاتب» لابن قتيبة (ص: ١٣٩).

(٣) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ٥٨).

(٤) كُتب في (ن) فوق «أسباط»: «أولاد».

(٥) أي: الأسباط.

(٦) «ومنزلة على الأنبياء»: زيادة من (ن).

هاهنا بلفظ: (إلى) لقوله: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا﴾، وكان في (آل عمران) ﴿عَلَيۡنَا﴾؛ لقوله: ﴿قُلۡ ءَامَنَّا﴾(١).

﴿وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ﴾: كرَّر ﴿أُوتِيَ﴾ هاهنا، ولم يكرِّر هناك(٢)؛ لأنَّه تقدَّم هناك ميثاق النَّبيين: ﴿لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم﴾ [آل عمران: ٨١].

﴿مِن رَّبِّهِمۡ﴾؛ أي: من عند ربِّهم.

﴿لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ﴾: فنؤمنُ ببعضٍ ونكفرُ ببعضٍ.

و﴿أَحَدٖ﴾ هاهنا للعموم؛ أي: لا نفرِّق بينهم.

وقيل: بين أحدٍ منهم والآخر(٣).

وقيل: معناه: لا نقول: إنَّهم متفرِّقون في أصول الدِّيانات.

وقيل: ﴿بَيۡنَ﴾ هاهنا: الدِّينُ، وهو كما تقول: شقَّ عصا المسلمين؛ إذا فارقَ جماعَتَهم(٤).

﴿وَنَحۡنُ لَهُۥ﴾: لأمره ﴿مُسۡلِمُونَ﴾: منقادون، وقيل: لله مخلصون.

* * *

(١٣٧) ـ ﴿فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾.

---

(١) فالخطاب لـمّا كان للأمة في سورة (البقرة) ناسب استخدام (إلى)، ولـمّا كان للنبي في سورة (آل عمران) ناسب استخدام (على). وانظر: «البرهان» للمصنف (ص: ٧٩).

(٢) أي: في سورة (آل عمران).

(٣) «والآخر» من (و).

(٤) ذكره المصنِّف في «غرائب التفسير» (١/ ١٨١)، واستغربه.

﴿فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ﴾ قيل: الباء زائدة، والمعنى: فإن آمنوا إيمانًا مثلَ إيمانكم، ولم يفرِّقوا بينَ الله وأنبيائه.

وقيل: (مثل) زيادة؛ أي: فإن آمنوا بما آمنتم.

وقيل: فإن آمنوا بالقرآن، والقرآنُ مثلُ التَّوراة[1].

﴿فَقَدِ ٱهْتَدَواْ﴾؛ أي: فقد صاروا مهتدين.

﴿وَّإِن تَوَلَّوْاْ﴾: أعرضوا عن هذه الجملة، ولم يقبلوها، ولم يؤمنوا كإيمانكم.

﴿فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾: في مُباينةٍ وخلافٍ.

﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ﴾؛ أي: يكفيك كيدَهم وعداوتَهم، فأنجزَ سبحانَه وعدَه، فأمر نبيَّه بقتلِ بعضٍ وإجلاءِ بعضٍ وأخذِ الجزية عن بعضٍ.

﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لما يقولونه ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بما يسرُّون.

* * *

(١٣٨) ـ ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ﴾.

﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾ بدل من ﴿مِلَّةَ إِبْرَٰهِۦمَ﴾، وقيل: نصب على الإغراء؛ أي: عليكم دينَ الله.

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً﴾: دينًا، وعن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما: أنَّ الأصل في تسمية الدِّين صبغةً من جهة عيسى بن مريم حين قصد يحيى بن زكريا، فقال: جئْتُك لأصطبغَ منك، وأغتسل في نهر الأردن، فلمّا خرجَ نزلَ عليه روح القدس[2].

---

(١) ذكره المصنِّف في «غرائب التفسير» (١/ ١٨١)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ١٨١)، وانظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (١/ ٦٥٥).

وكانت النَّصارى إذا وُلِد لأحدهم ابنٌ وأتى عليه سبعةُ أيامٍ صبغوه في ماءٍ لهم يُقالُ له: المعموديُّ؛ ليطهِّروه بذلك، ويقولون: هذا طهورٌ مكان الختان، فإذا فعلوا ذلك قالوا: الآن صار نصرانيًّا حقًّا، فأنزل الله تعالى: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾[1].

وروى القفّال: في ماءٍ لهم يُقالُ له: المعموديّة. قال: ويسمُّون ذلك الفعل: التَّعميد، ومنهم من يسمِّيه الصَّبغ، وفي الإنجيل بزعمهم في ذكر يحيى: الصّابغ. قال: وفي بعض تراجمهم: المعمداني. قال: ووقعَتِ[2] العبارةُ عن الدِّينِ بلفظ الصِّبغةِ لخروج الكلام مخرَجَ المحاجّة في الصَّبغ والمقابلة، وسمِّي الدِّين صِبغةً لبيان أثره على الإنسان من الصَّلاة والصَّوم والطَّهور والسَّكينة والسَّمت[3].

قال ابن الأنباريِّ: العرب تقول: فلان يصبغُ فلانًا في الشَّرِّ؛ إذا أدخلَه فيه، وألزمه إيّاه، كما يلزمُ الثَّوبَ الصَّبغُ[4].

﴿وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ﴾: موحِّدون مطيعون.

* * *

(١٣٩) ـ ﴿قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ﴾.

﴿قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا﴾ ابن عبّاسٍ: أتجادلوننا[5].

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ١٥٩)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤١) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) في (ن): «وقعت».

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ١٨١ ـ ١٨٢).

(٤) انظر: «الزاهر» لابن الأنباري (١/ ٣٤١).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٦٠٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٢٤٥).

مجاهدٌ: أتخاصموننا[1].

﴿فِي ٱللَّهِ﴾؛ أي: في دين الله، وتدَّعون الزُّلفى عندَه، وذلك أنَّهم قالوا: ديننا أفضلُ الأديان، ونحن أبناءُ أنبيائِه.

﴿وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾: خالقنا ومدبِّرنا وخالقُكم ومدبِّرُكم، والله عنّا جميعًا غنيٌّ.

﴿وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ﴾: يجازي كلَّ إنسانٍ بعملِه، وعلى الأعمالِ يقعُ الثَّوابُ والعقاب، لا على قِدَمِ الدِّينِ والانتساب.

﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ﴾: لا نشركُ به غيرَه، ومنكم مَن عبَدَ العجل، ومنكم مَن عبَدَ المسيح، ومنكم مَن قال: نحن أبناء الله وأحبّاؤه، فظهر أنَّكم مُبطلون في الدَّعوى.

* * *

(١٤٠) ـ ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

﴿أَمْ تَقُولُونَ﴾ استفهام توبيخٍ وتعجيبٍ.

﴿إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا﴾: على دين موسى ﴿أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾: على دين عيسى، وليس ذلك كما يقولون؛ إذ كانوا سابقين اليهوديّة والنصرانيَّة، وما كانوا إلَّا على الدِّين الذي نحن عليه، فهكذا أخبرنا الله تعالى عنهم بقوله: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا﴾ [آل عمران: ٦٧] الآية.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٦٠٧).

﴿قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾ وقد علم منكم خلافَ ما تقولون، وأخبرَنا أنَّهم كانوا مسلمين.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَـٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ﴾ القفّال وابن عيسى: أي: فلا أظلمَ منَ اللهِ إن كتمَ الشَّهادة، فـ(مِن) الأولى بمعنى: في، والثّانية للتَّفضيل[1].

وقيل: ومَن أظلم منكم معاشرَ اليهود والنَّصارى إن كتمتم من الله شهادةً عندكم، وفي كتابكم أنَّهم لم يكونوا هودًا ولا نصارى[2].

وقيل: ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ صفةٌ للشَّهادةِ عندكم، وتقديره: شهادة ثابتة أو كائنة أو جائية من الله، وهي صفةُ محمَّدٍ ﷺ، وهذا الوجهُ أظهر[3].

﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ من تكذيبِ الرُّسلِ وكتمانِ الشَّهادة.

* * *

(١٤١) ـ ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.

---

(١) (من) الأولى هي الداخلة على (مَن)، والثانية هي الداخلة على لفظ الجلالة، والمعنى: إن من كتم شهادة الله فلن يعاقبه أحد عقاباً أشد من عقاب الله، ولكن جرى على هذا التقدير التعبير عن شدة العقاب بالظلم، وقد ذكر المصنف هذا القول في «غرائب التفسير» (١/ ١٨٢)، ووصفه بالعجيب، وهو عنده ما فيه خلل.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ١٨٢)، واستغربه.

(٣) هذا أظهر الأقوال عند المصنِّف، وقد خالف في هذا الموضع الغالب على منهجه من تقديم الأقوال الراجحة على غيرها، فقدَّم قولاً يرى ضعفه، وأتبعه بقول يعدُّه غريباً، لكنَّه استدرك، وصرَّح بترجيح آخر الأقوال، ولـمّا صنَّف «غرائب التفسير» عاد إلى الغالب من منهجه، فقدَّم القول الظاهر، ثم ذكر الغريب، ثم العجيب. انظر: «غرائب التفسير» (١/ ١٨٢).

﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ سبق تفسيرها، وكُرِّرت لتأكيد الأوَّل، وقيل: المرادُ بالأوَّل الأنبياءُ صلوات الله عليهم، والمرادُ بالثّاني أسلافُ اليهود والنَّصارى.

وقيل: الأوَّلُ لنفي ما هو ثابتٌ من إقرار بني إسرائيل، والثّاني لإثبات ما هو نفيٌ من كون إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب هودًا أو نصارى.

***

(١٤٢) ـ ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾.

﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ عن البراء قال: لـمّا قدم رسول الله ﷺ المدينةَ، فصلَّى نحو بيت المقدس ستّة عشر شهرًا أو سبعة عشر شهرًا، وكان يحبُّ أن يُوجَّهَ نحو الكعبة، وأنزل الله: ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ [البقرة: ١٤٤]، ونُسِخَتِ القِبلةُ الأولى، قالت السّفهاء من النَّاس[١].

ابن مسعودٍ: هم اليهود[٢]، السُّدِّيُّ: هم المنافقون[٣]، الحسن: هم المشركون[٤]، وقيل: هو عامٌّ فيهم، وهم الذين لا وزنَ لهم في عقولهم.

﴿مَا وَلَّىٰهُمْ﴾: أيُّ شيءٍ صرفَهم؟ من قوله: ﴿ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥ ﴾ [الأنفال: ١٦].

﴿عَن قِبْلَتِهِمُ﴾ والقِبلةُ: الجهةُ التي يستقبلُها الإنسانُ في الصَّلاة وغيرها، مشتقّةٌ من (المقابلة)؛ لأنَّ المصلِّي يقابلُها.

---

(١) رواه البخاري (٣٩٩)، ومسلم (٥٢٥).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٦١٦ ـ ٦١٧) عن البراء وابن عباس رضي الله عنهم.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٦١٧).

(٤) ذكره الواحدي في «البسيط» (٣/ ٣٦٧).

﴿ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيۡهَاۚ﴾ يعنون: بيت المقدس.

قال المفضَّل: قالت كفّار قريشٍ بمكّة: ما ولّاهم عن قِبلتهم التي كانوا عليها ـ يعني: الكعبة[1] ـ إلى قبلة اليهود؟ وقالوا: يوشِكُ أن يدَعَ دينَه ويرجع إلى دين آبائه، فأنزل الله تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾: إلى دينٍ مستقيمٍ يؤدِّي بسالكِه إلى مطلوبه.

الواقديُّ: صُرفَت القِبلةُ يوم الإثنين للنِّصف من رجبٍ على رأس سبعة عشر شهرًا في صلاة الظُّهر[2].

***

(١٤٣) ـ ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ وَمَا جَعَلۡنَا ٱلۡقِبۡلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِۚ وَإِن كَانَتۡ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾.

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ﴾؛ أي: كما جُعلَتْ قبلتُكم خيرَ القِبلِ جعلْتُكم خيرَ الأمم.

وقيل: كما جعلنا قِبلتَكم متوسِّطةً بين المشرق والمغرب جعلناكم ﴿أُمَّةٗ وَسَطٗا﴾: بين الغلوِّ والتَّقصير.

---

(١) في (و): «يعنون: القبلة».

(٢) رواه عنه ابن سعد في «الطبقات» (١/ ١٨٦)، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (٣/ ٩٣)، وابن سيد الناس في «عيون الأثر» (١/ ٢٦٨)، وذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ١٢١) عن البراء بن عازب ومعقل بن يسار، وابن سيد الناس في «عيون الأثر» (١/ ٢٦٨) عن ابن إسحاق، وذكر الطبري في «تاريخه» (٢/ ٤١٦) عن الواقدي أنها في شعبان.

الزَّجّاج: ﴿وَسَطًا﴾: عدلًا، والاعتدالُ هو التَّوسُّط[١].

أبو عبيدة: الوسط: الخيار، من (واسطة العقد)[٢]، ومن قوله سبحانه: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾ [القلم: ٢٨][٣].

﴿لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ ابن عبّاس: يأتي كلُّ نبيٍّ مع أمَّته، فيُسْأَل النَّبيُّ ﷺ: «هل بلَّغْتَ؟» فيقول: «قد بلَّغْتُ»، فتقول الأمّةُ: ما بلَّغَنا أحدٌ عنك شيئًا؛ يُكذِّبون أنبياءَهم، فيُجاءُ بأمّة محمَّد ﷺ فيُصدِّقون الأنبياء، ثم يأتي محمَّدٌ ﷺ، فيصدِّقُ أمَّته، فهذا معنى قوله: ﴿لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾[٤].

﴿وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ ورُوي عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «إنَّ الأممَ السّالفةَ تقولُ لهم: كيفَ تشهدونَ علينا، ولم تُشاهدونا؟ فتقولُ: أعلَمَنا نبيُّ اللهِ ﷺ بما أُنْزِلَ عليه من كتابِ الله»[٥].

والشَّهادةُ تكونُ بالمشاهدة، ومنها ما تكون بخبر الصّادق كالشَّهادة على

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٢١٩)، وذكر أيضًا معنى آخر، وهو الخير، وقد قيل في صفة النبي ﷺ: «إنه من أوسط قومه جِنْسًا»؛ أي: من خيارها، والعربُ تصف الفاضِل النَّسب بأنه من أوسط قومه. وقد بيَّن الزجاج اتفاق معنيي الوسط فقال: «واللفظان مختلفان والمعنى واحد؛ لأن العدل خير والخير عدل».

(٢) هي الجوهرة التي في وسط العقد المنظوم، وهي أفضل ما نُظم منه. انظر: «البارع في اللغة» لأبي علي القالي (ص: ٦٧٥)، و«شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم» لنشوان بن سعيد الحميري (١١/ ٧١٥٩).

(٣) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ٥٩).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٦٠٣)، وروى البخاري أصلَه (٤٤٨٧) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٥) لا يصحُّ مرفوعاً. انظر: «تفسير الطبري» (٢/ ٦٣٤)، «النكت والعيون» للماوردي (١/ ١٩٩).

الشَّهادة، ومنها ما تقعُ بالاستفاضة كالشَّهادة على الأنساب، ومنها ما تقعُ بالدِّلالة كالشَّهادة على الأملاك، وكتعديلِ الشّاهدِ وجَرحِه.

وقيل: ﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ﴾ تشهدونَ على النَّاسِ بأعمالهم التي خالفوا الحقَّ فيها.

الزَّجّاج: لتكونوا حجّةً على النّاس فيما تشهدون به، ﴿وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗا﴾: بعدالتِكم يومَ القيامة[1].

و(على) بمعنى: اللّام، كقوله: ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾ [المائدة: ٣][2].

وقيل: ﴿شَهِيدٗا﴾ لكم بإيمانكم.

وقيل: حجّةً عليكم[3].

وقيل: يكون في كلِّ زمان قومٌ يشهدون بما شاهدوا من أعمال النّاس في زمانهم، فيُعملُ بشهاداتهم، والرَّسولُ شهيدٌ على أهل زمانه فقط.

﴿وَمَا جَعَلۡنَا ٱلۡقِبۡلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ﴾ يعني: بيت المقدس.

وقيل: أنت عليها[4]؛ يعني: الكعبة.

﴿إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ﴾ فيثبتُ على إيمانه ﴿مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ﴾ فيرتدُّ عن الدِّين.

والعَقِبُ: مؤخَّرُ القَدَم.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٢٢٠).

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (١/ ٥٨٤)، و«تفسير السمرقندي» (٢/ ٤٧٢).

(٣) و(على) على أصل معناها على هذا القول، وليست بمعنى اللام.

(٤) انظر: «الصاحبي في فقه اللغة» لابن فارس (ص: ١٧٩)، و«تفسير الثعلبي» (٤/ ١٧٩).

ومعنى ﴿لِنَعْلَمَ﴾ هاهنا وما أشبهه في القرآن: عِلْمُ المشاهدة، وهو الذي يُستحَقُّ به الثَّوابُ والعقابُ، وأمّا علمُ الغيب فلا يُستحَقُّ به الثَّوابُ والعقاب.

وقيل: معناها: لنرى، وقيل: لِنَمِيْزَ، وقيل: ليعلمَ أولياؤُنا، كما يُقال: أجُوعُ في غير بطني وأعرى في غير ظهري[1]، وقيل: نعملُ معاملةَ المختبِرِ الذي كأنَّه لا يعلم.

﴿وَإِن كَانَتْ﴾ هي المخفَّفةُ من المثقَّلة[2]، ويلزم ما بعدها لام الفرق[3]؛ أي: وإن كانت القِبلةُ ﴿لَكَبِيرَةً﴾: لثقيلةً، وقيل: التَّولية عن الكعبة، وقيل: عن بيت المقدس.

﴿إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ﴾؛ أي: عصمَهم الله واهتدوا بهدايته.

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ﴾ عن عبد الله بن عبّاسٍ: أنَّ أصحابَ رسولِ الله ﷺ قالوا: يا رسول الله، تُوفِّيَ إخوانُنا وهم يصلُّون إلى القِبلةِ الأولى، وقد صرفَك الله إلى قبلةِ إبراهيمَ، فكيف بإخواننا؟ فأنزل الله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ﴾[4].

أي: صلواتِكم إلى القِبلةِ الأولى.

وقيل: إيمانكم بالقبلة الثّانية، وإن شقَّ عليكم ذلك.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ أبو عبيدة: الرَّأفةُ: أشدُّ الرَّحمة[5].

والتَّكرارُ بمنزلة: ﴿ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾[6].

---

(١) كلمة سُمعت عن العرب، ومعناها: جوع أهله وعياله. انظر: «تفسير الطبري» (٢/ ٦٤٢).

(٢) في (ن): «المحققة».

(٣) في (و): «اللاَّم للفرق». ولام الفرق: للتفريق بين إن المخففة من الثقيلة وإن النافية.

(٤) رواه أبو داود (٤٦٨٠)، والترمذي (٢٩٦٤)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما بسند صحيح، ورواه البخاري (٤٤٨٦)، ومسلم (٥٢٥)، من حديث البراء رضي الله عنه.

(٥) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ٥٩).

(٦) فهو يفيد التوكيد، وقد ذكر أبو عبيدة: أنَّ فيه تقديماً وتأخيراً؛ وذلك أنَّ (رؤوف) آكد وأكثر مبالغة، =

(١٤٤) ـ ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾.

﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ قيل: هو متقدِّمُ النُّزول على ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٢] كما سبق، وذكر المفسِّرون: أنَّ رسول الله ﷺ قال لجبريل عليه السَّلام: «وددت أنَّ الله صرفني عن قِبلةِ اليهود إلى غيرها»، وكان يريد الكعبة، فقال له جبريل: إنَّما أنا عبدٌ مثلك، فسَلْ ربَّك أن يحوِّلك عنها إلى قبلة إبراهيم، ثم ارتفع جبريل، فجعل رسول الله ﷺ يديمُ النَّظرَ إلى السَّماء رجاءَ أن يأتيَه جبريلُ بما سأل، فأنزل الله هذه[1] الآية[2].

ومعنى: ﴿تَقَلُّبَ وَجْهِكَ﴾: تحوُّله[3] ﴿فِي ٱلسَّمَآءِ﴾؛ أي: إلى السَّماء، وقيل: في[4] جوانب السَّماء.

﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا﴾ أي: فلنجعلنَّك تستقبلُ قبلةً تحبُّها وتهواها طبعًا، وكانت الكعبة[5] أحبَّ القبلتَيْنِ إليه.

﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ﴾ يا محمَّدُ ﴿شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾؛ أي: قَصْدَه وناحيتَه.

= فكان الأصل أن تأتي بعد (رحيم) لتؤكِّدها، والله أعلم. انظر: «معجم الفروق اللغوية» (ص: ٢٤٦).

(١) «هذه»: ليس في (ن).

(٢) ذكره مقاتل في «تفسيره» (١/ ١٤٤)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٣)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (١/ ٣٤٣) إلى أبي داود في «ناسخه».

(٣) في (ن): «تحويله».

(٤) في (ن): «إلى»، وفي هامشها: في نسخة: «في».

(٥) في (و): «القبلة».

ثم عمَّم الخطابَ، فقال: ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ﴾ من الأرض ﴿فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾: شطرَ المسجد الحرام، وهو الكعبةُ عند المعاينة، أو تحرِّي جهتها عند فقدِ المعاينة.

﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾ لأنَّ الله أعلَمهم في الكُتب الأولى أنَّ قبلةَ محمَّدٍ قبلةُ إبراهيم عليهما السلام، ثم أوعدَ أهلَ الكتاب على كتمان ذلك ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾.

* * *

(١٤٥) ـ ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾.

﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ﴾ الزَّجّاجُ: أراد ذوي العِناد منهم[1].

الحسن: ﴿مَّا تَبِعُوا۟﴾ بأجمعهم[2].

﴿وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ﴾ هذا على المقابلة، وقيل[3]: قطعٌ لأطماع أهل الكتاب، وقيل: رفعٌ لتجويز النَّسخِ في القبلة، وقيل: ﴿وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ﴾ إذ ليس يمكنُ ذلك لاختلاف وجهتهم.

﴿وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ﴾؛ أي: لا اليهود تتبع النَّصارى، ولا النَّصارى تتبع اليهود.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٢٢٤).

(٢) ذكره الرازي في «التفسير الكبير» (٤/ ١٠٨).

(٣) «وقيل» من (و).

﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم﴾ فيما يدعونك إليه من أمرِ القِبلةِ وغيرِها.

﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ أنَّ قبلةَ الله الكعبةُ، وأنَّ دينَ اللهِ الإسلامُ.

﴿إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ غلَّظَ الوعيدَ لحسم الأطماع.

وقيل: معناه: إذا كان حالُك كذا، فكيف حالُ غيرك؟

واللّام في ﴿وَلَئِنِ﴾ لام توطئة القسم، فيُجاب بجواب القسم دونَ جواب الشَّرط، هذا مذهبُ سيبويه. وقال الأخفش: ﴿وَلَئِنِ﴾ بمعنى (لو)، ويُجاب بجواب (لو). والصَّوابُ قولُ سيبويه[1].

***

(١٤٦) ـ ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾.

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ يعني: عبد الله بن سَلامٍ وأصحابه.

﴿يَعْرِفُونَهُۥ﴾ يعني: محمَّدًا ﷺ ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾.

وقيل: الكنايةُ[2] تعودُ إلى أمر القبلة، وقيل: إلى العلم، من قوله: ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾.

نزلت في مؤمني أهل الكتاب، قال عبد الله بن سَلام: لأنا كنْتُ أشدَّ معرفةً برسول الله ﷺ منِّي بابني، فقال له عمر بن الخطّاب: وكيف ذلك يا ابن سلام؟ قال:

---

(١) انظر: «الكتاب» لسيبويه (٣/ ١٠٧ ـ ١٠٨)، و«معاني القرآن» للأخفش (١/ ١٦١)، وللزجاج (١/ ٢٢٣ ـ ٢٢٤).

(٢) يعني الضمير في كلمة ﴿يَعْرِفُونَهُۥ﴾، وتُنسبُ تسمية الضمير بالكناية إلى الكوفيين. انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ١٩ و٣٣٥)، و«ارتشاف الضرب» لأبي حيان (٢/ ٩١١).

لأنِّي أشهد أنَّ محمَّدًا رسول الله ﷺ حقًّا يقينًا، وأنا لا أشهد بذلك على ابني؛ لأنِّي لا أدري ما أحدثَتِ النِّساء، فقال عمر: وفَّقك الله يا ابن سلامٍ[1].

﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ يريد: الذين لم يُسلِموا منهم ليكتمون الحقَّ حسدًا وعنادًا وهم يعلمون.

* * *

(١٤٧) - ﴿الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾.

﴿الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ أنَّ ذلك الحقَّ من ربِّك ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾: الشَّاكِّين.

قيل: الخطابُ للنَّبيِّ ﷺ، والمرادُ به غيرُه[2].

وقيل[3]: لا تشُكَّنَّ في أنَّ أهل الكتاب لا يعترفون بذلك، وليس ينهاه عن الشَّكِّ في الله أو في أخباره.

* * *

(١٤٨) - ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

---

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ١٩٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما من طريق الكلبي، وقد تقدم الكلام على ضعف هذا الطريق، وذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٤).

(٢) ذكره الماتريدي في «تفسيره» (١/ ٥٩٠).

(٣) في (و): «الزَّجّاج» بدل «وقيل». ولم أقف على هذا في «معاني القرآن» للزجاج، ففيه (١/ ٢٢٥): «أي: من الشاكِّين، والخطاب أيضًا عام؛ أي: فلا تكونوا من الشاكين»، وفيه أيضاً (١/ ٤٢٢): «أي: من الشكاكين، والخطاب للنبي ﷺ خطابٌ للخلق».

﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ﴾ القفّالُ: هذه الآية متَّصلةٌ بقوله: ﴿وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ﴾ [البقرة: ١٤٥]. غيرُه: مستأنفٌ.

والمعنى: لكلِّ أهل ملّة وِجهةٌ؛ أي: قبلةٌ.

﴿هُوَ﴾ أي: الكلُّ ﴿مُوَلِّيهَا﴾ أي: يولِّي تلك الجهةَ وجهَه في الصَّلاة، فحذفَ المفعول.

وقيل: هو كنايةٌ عن الله تعالى، وتقديره: هو مولِّي الكلِّ تلكَ الجهة[1]، فحذف أحد المفعولَيْن.

ومَن قرأ: ﴿مُوَلّاها﴾[2] فهو كنايةٌ عن (الكلِّ) لا غير؛ أي: الكلُّ أُمِرَ بالتَّوجُّه إليها، وزُيِّنَتْ له تلك الجهة، وحُبِّبَتْ إليه، فهو مولِّي تلك الجهة، وليس فيها على هذه القراءة حذفٌ.

وقيل في[3] ﴿مُوَلّاها﴾؛ أي: أنَّ مَن ولَّيْتَه فقد ولّاكَ.

وقيل: ولكلِّ قومٍ يا معشر المسلمين ناحيةٌ من الكعبة يتوجَّهون إليها يمينًا وشمالًا ووراءً وقدّامًا.

﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾؛ أي: فالزموا أيُّها المسلمون وجهَتكم، واستبقوا الخيراتِ بالتَّوجُّه إليها من جميع الجهات.

---

(١) في (و): «الجهة أي وجهه في الصلاة».

(٢) هي قراءة ابن عامر الشامي. انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ١٧٢)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٧).

(٣) في (و): «هو في».

﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟﴾ من الأرض ﴿يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا﴾ يومَ القيامة، فيفصِلُ بين المحقِّ والمبطلِ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ﴾ من ذلك ﴿قَدِيرٌ﴾.

* * *

(١٤٩) ـ ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ﴾؛ أي: من البلاد ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ قال المفضَّل: قال النَّحويُّون: ﴿مِن﴾ هاهنا بمعنى: إلى؛ أي: وإلى حيث خرجت[1].

﴿وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾؛ أي: فإنَّه إيجابٌ من الله عليك، ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

* * *

(١٥٠) ـ ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾.

﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾، وفي تكرار هذه الأوامر الثَّلاثة مع استوائها في الحُكمِ أقوالٌ:

---

(١) لم أقف على مَن ذهب إلى أنَّ (مِن) بمعنى (إلى) في هذه الآية من النحويين، وهذا المذهب في غير الآية من مذاهب الكوفيين؛ فقد نقل أبو حيان الأندلسي في «ارتشاف الضرب» (٤/ ١٧٢٠)، و«التذييل والتكميل» (١١/ ١٣١) عنهم أن (من) تأتي لانتهاء الغاية، وأن البصريين أنكروا ورودَ هذا المعنى، وتأوَّلوا ما استدلَّ به الكوفيون.

أحدهـا: أنَّ الأولـى لنسـخ القبلة الأولـى، والثّانية: لاسـتواء الحكم في جميع الأمكنـة، والثّالثة: للدَّوام فـي جميع الأزمان.

وقيـل: الأولـى فـي مسـجد المدينـة، والثّانيـة: خـارج المسـجد، والثّالثـة: خـارج البلـد.

وقيل: الخروج خروجان؛ أحدها: إلى مكانٍ تُرى فيه الكعبة، والثّاني: إلى مكان لا تُرى فيه الكعبة؛ أي: الحالتان في ذلك سواءٌ.

وقيل: الخروجُ الأوَّل متَّصلٌ بالسَّبب، وهو: ﴿وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾، والثّاني متَّصلٌ بذكر العلّة، وهو قوله: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾.

قـال الشَّـيخ: ويحتمـلُ أنَّ الأوَّلَ لجميـعِ الأحـوال، والثّاني لجميـعِ الأمكنة، والثّالـث لجميـعِ الأزمنة[1].

﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ﴾: لليهود ﴿عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾: كلامٌ يحتجُّون به، وذلك أنَّ اليهود قالت: ما درى محمَّدٌ أين قبلتُه حتى هديناه[2].

وقيل: كانوا يقولون: إنَّ محمَّدًا يخالفنا في دينِنا ويتَّبعُ قِبلتَنا[3].

وقيل: المراد بالنّاس: قريشٌ؛ أي: يقولون: وافقَ اليهودَ مع قوله: إنِّي حنيفٌ أتَّبعُ ملّةَ إبراهيم.

وقيل: هو تحذيرٌ عن مخالفة الكعبة في موضعٍ ما؛ لئلّا يقولَ مخالفُكم: لا يقينَ لكم، ولا تثبُتون على دينٍ.

---

(١) انظر: «البرهان» للمصنف (ص: ٧٩)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٢/ ٤٠).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٦٥٨) عن ابن زيد.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٦٥٧) عن مجاهد.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ﴾ أكثرُهم على أنَّ الاستثناء منقطعٌ، وهو الذي تكون (إلَّا) فيه بمنزلة (لكن)[(١)]؛ أي: لكن الذين ظلموا يتعلَّقون بالشُّبهة، ويجعلونها مكان الحجّة، وذلك أنَّ المشركين قالوا: قد توجَّهَ محمَّد إلى قبلتنا، وعلم أنّا أهدى سبيلًا منه.

وقيل: الاستثناء صحيحٌ، ومعنى الحجّة: الاحتجاج؛ أي: لئلّا يكون لأحدٍ عليكم احتجاجٌ إلّا الذين ظلموا منهم؛ فإنَّهم يحاجُّونكم بالباطل.

أبو عبيدة: ﴿إِلَّا﴾ بمعنى: الواو؛ أي: ولا الذين ظلموا[(٢)]. قال الشّاعر:

مـا بالمدينـةِ دارٌ غَيْـرُ واحـدةٍ   دارُ الخليفـةِ إلّا دارُ مروانـا[(٣)]

أي: إلَّا دار الخليفة ودار مروان.

وليس هذا مذهب البصريِّين ولا أكثر الكوفيِّين[(٤)].

وأجاز قطرب أن يكون ﴿ٱلَّذِينَ﴾ في محلِّ جرٍّ بدلًا من الكاف والميم؛ أي: إلّا على الذين ظلموا[(٥)]، وهذا بعيدٌ لفظًا ومعنى.

---

(١) انظر: «المحتسب» لابن جني (١/ ١١٥).

(٢) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ٦٠)، وقد ذكره المصنِّف في «غرائب التفسير» (١/ ١٨٥)، واستغربه.

(٣) نسب البيت للفرزدق، وليس في ديوانه. انظر: «الكتاب» لسيبويه (٢/ ٣٤٠)، و«البصائر والذخائر» لأبي حيان التوحيدي (٤/ ٥٩).

(٤) وقد نقل الفراء هذا عن بعض النحويين، وقال: «إنه صواب في التفسير خطأ في العربية؛ لأن (إلا) تأتي بمعنى الواو بعد الاستثناء، كقولك: لي على فلان ألف إلا عشرة إلا مائة». انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٨٩)، وللزجاج (١/ ٢٢٦ ـ ٢٢٧)، و«الإنصاف في مسائل الخلاف» للأنباري (١/ ٢١٦)، و«الجنى الداني» للمرادي (ص: ٥١٨).

(٥) ذكره الثعلبي والواحدي، وذكر الواحدي أنَّ الأزهري قد اختار هذا المذهب، أما المصنِّف فذكره في «غرائب التفسير» (١/ ١٨٥)، وعدَّه من العجائب. وانظر: «تفسير الثعلبي» (٤/ ٢٠٥)، =

﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ﴾؛ أي: محاجَّتهم.

﴿وَٱخْشَوْنِي﴾ في ترك القِبلة.

﴿وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ﴾ عطف على قوله: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ﴾، والمعنى: تمَّت نعمتي عليكم بهدايتي إيّاكم إلى قِبلةِ إبراهيم.

﴿وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ من الضَّلالة.

***

(١٥١) ـ ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ﴾.

﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ﴾ الكاف متَّصلٌ بقوله: ﴿وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ... كَمَآ أَرْسَلْنَا﴾؛ أي: النِّعمةُ[1] في أمر القِبلةِ كالنِّعمة في أمر الرِّسالة.

وقيل: متَّصلٌ بقوله: ﴿فَٱذْكُرُونِيٓ﴾؛ أي: اذكروني ذكرًا يوازي إنعامي عليكم بإرسالِ رسولٍ هذه صفتُه[2].

﴿رَسُولًا مِّنكُمْ﴾؛ أي: من العرب.

﴿يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا﴾ يقرأُ عليكم القرآن، والتِّلاوةُ: ذكرُ الكلمةِ بعدَ الكلمة على نظامٍ.

﴿وَيُزَكِّيكُمْ﴾: يحملُكم على ما تصيرونَ به أزكياء، وقيل: يشهد لكم أنَّكم أزكياء.

= و«البسيط» للواحدي (٣/ ٤١٤)، و«همع الهوامع» للسيوطي (٣/ ١٨١).

(١) في (و): «للنِّعمة».

(٢) ذكره المصنِّف في «غرائب التفسير» (١/ ١٨٥).

﴿وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ﴾: القرآن.

﴿وَالْحِكْمَةَ﴾: مواعظَ القرآن، وقيل: الفقه، وقيل: السُّنّة.

﴿وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ هو الذي لا سبيلَ إلى معرفتِه إلّا بوحيٍ.

* * *

(١٥٢) ـ ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾.

﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ قد أكثرَ الأئمّةُ في هذه المقابلة، ومحصولُ كلامِهم يؤولُ[1] إلى معنى واحدٍ، وهو: ﴿فَاذْكُرُونِي﴾ بما فرضْتُ عليكم ذِكْرَه أو ندبْتُكم إلى ذِكْره، ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾: أجازِكم على ذلك، فسمّاه ذِكرًا على طريقِ المقابلة.

وقيل: ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾: أُثْني عليكم، فقد جاءَ في الخبر: أنَّ اللهَ تعالى قال في بعض الكتب: «أنا عند ظنِّ عبدي بي فليظنَّ بي ما شاء، وأنا معه إذا ذكرني، فمَنْ ذكرني في نفسِه ذكرْتُه في نفسي، ومَنْ ذكرني في ملأٍ ذكرْتُه في ملأٍ خيرٍ منه، ومَنْ تقرَّبَ إليَّ شبرًا تقرَّبْتُ إليه ذراعًا، ومن تقرَّبَ إليَّ ذراعًا تقرَّبْتُ إليه باعًا، ومن أتاني مشيًا أتيتُه هرولة، ومن أتاني بقُرابِ الأرضِ خطيئةً أتيتُه بملئِها[2] مغفرةً بعد ألّا يشركَ بي شيئًا»[3].

وجاء في الأخبار أيضًا: أنَّ اللهَ تعالى قال لموسى عليه السَّلام: قل للظَّلَمةِ: لا تذكروني؛ فإنِّي أوجبْتُ على نفسي أنْ أذكرَ مَنْ ذَكَرَني، وإنَّ ذِكْريَ للظّالمين أنْ ألعنَهم[4].

---

(١) في (و): «يؤدي».

(٢) في (ن): «بمثلها».

(٣) رواه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٢٥٣)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧٤٨٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وفيه: «أوحى الله إلى داود».

﴿وَٱشۡكُرُواْ لِي﴾ على هذه النِّعمة، وعلى سائر النِّعم.

﴿وَلَا تَكۡفُرُونِ﴾: ولا تكفروا نعمتي بالإعراضِ عن الشُّكر.

* * *

(١٥٣) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ﴾؛ فبِه تُنالُ كلُّ فضيلةٍ، وتُجتنبُ[1] كلُّ رذيلةٍ.

﴿وَٱلصَّلَوٰةِ﴾؛ فإنَّها تنهى عن الفحشاءِ والمنكر.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ أي: بالنَّصر، ومَن نصرَه اللهُ أدركَ مِن أعدائِه مُناه.

* * *

(١٥٤) ـ ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقۡتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتُۢۚ بَلۡ أَحۡيَآءٞ وَلَٰكِن لَّا تَشۡعُرُونَ﴾.

﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقۡتَلُ﴾: نزلَتْ في قتلى بدرٍ من المسلمين، وكانوا أربعةَ عشرَ رجلًا؛ ثمانيةً من المهاجرين وستّةً من الأنصار، وذلك أنَّ النّاس كانوا يقولون للرُّجل يُقتَل في سبيل الله: مات فلانٌ وذهبَ عنه نعيمُ الدُّنيا ولذَّتُها، فأنزلَ الله هذه الآية[2].

أي: لا تقولوا لمن يُقتَل ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: دينِه وطاعتِه وجهادِ عدوِّه.

﴿أَمۡوَٰتُۢ﴾ أي: هم أمواتٌ، ﴿بَلۡ أَحۡيَآءٞ﴾ أي: هم أحياءٌ في البرزخ قبلَ البعث يُرزَقون، كقوله: ﴿بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ١٦٩ فَرِحِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٩ ـ ١٧٠].

وذكر القفّال وجوهًا أُخر[3]:

---

(١) في (و): «وتتجنب».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ٢١٩)، والواحدي في «البسيط» (٣/ ٤٢٣).

(٣) ذكرها المصنِّف في «غرائب التفسير» (١/ ١٨٦)، واستغربها.

أحدها: أي: سيحيَون، فيُثابون ويتنعَّمون في الجنّة نعيمًا دائمًا.

والثاني: لا تقولوا: أمواتٌ في الدِّين كما يتوهَّمه المشركون، بل هم أحياءٌ في الدِّين، فارقوا الدُّنيا على هدى.

والثالث: نُهوا أن يقولوا للشُّهداءِ في سبيل الله: أمواتٌ، وأُمِروا أن يسمُّوهم: شهداء.

والوجه هو الأوَّل[(١)]؛ لأنَّ المسلمين جميعًا متساوون في حياة الجنَّة، فلا يبقى لتخصيص الشُّهداء فائدةٌ.

﴿وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾: لا تعلمون ذلك.

«الحجّة»: الشُّعور: الإحساس بالشَّيء، والمؤمنون يعلمون أن الشَّهداء أحياءٌ بإخبار الله إيّاهم ذلك[(٢)]، ولكن لا يشعرون؛ لأنَّ حياة الشَّهيد ممّا لا يُعلَم حسًّا[(٣)].

* * *

(١٥٥) ـ ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾.

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم﴾: نعاملكم معاملةَ المُبتَلِي.

﴿بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ﴾: خوفِ العدوِّ، و(من) تصلح أن تكون للتَّبعيض أو لتبيين الجنس.

---

(١) وهو أنهم أحياء في البرزخ يرزقون، وقال المصنِّف في «غرائب التفسير» (١/ ١٨٦): «واستبعد هذا قوم، وليس فيه استبعاد؛ لأن حياتهم ورزقهم وفرحهم مع امتناع أجسامهم عن التصرُّف تشبه حال النائم».

(٢) «ذلك»: ليست في (و).

(٣) انظر: «الحجة» لأبي علي الفارسي (١/ ٢٦٣ ـ ٢٦٤).

﴿وَٱلۡجُوعِ﴾؛ أي[1]: بشيءٍ من الفقر[2] والقحط.

ولم يقلْ: (بأشياءَ من الخوف والجوع)؛ كيلا يُتوهَّم أنَّه أشياء من كلٍّ واحدٍ.

﴿وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ﴾: خسرانِ المال، وقيل: هو موتُ المواشي، وقيل: النَّسل والضَّرع.

﴿وَٱلۡأَنفُسِ﴾: بالقتلِ والموت، وقيل: بالمرض، وقيل: بالشَّيب.

﴿وَٱلثَّمَرَٰتِ﴾: ثمراتِ الحرثِ والزَّرع، وقيل: موت الأولاد.

وذكر المفسِّرون عن الشَّافعي: ﴿مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ﴾: خوف الله، ﴿وَٱلۡجُوعِ﴾: صوم رمضان، ﴿وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ﴾: بالزكاة، ﴿وَٱلۡأَنفُسِ﴾: بالموت والمرض، ﴿وَٱلثَّمَرَٰتِ﴾: موت الأولاد[3].

﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ على هذه البلايا.

* * *

(١٥٦) ـ ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾.

﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ﴾: مكروهٌ، والمصيبة: اسم الفاعل، من (أصابَتْه شدّةٌ)؛ أي: لحقَتْه، وهي الحالةُ الموجِعة، ورُوي عن النَّبيِّ ﷺ: «كلُّ شيءٍ يُؤذي المؤمنَ فهو مصيبةٌ»[4].

---

(١) في (ن): «أو».

(٢) في (ن): «من الجوع والفقر».

(٣) انظر: «تفسير الشافعي» (١/ ٢٤٢)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ٢٢٥)، والواحدي في «البسيط» (٣/ ٤٢٦).

(٤) رواه أبو داود في «المراسيل» (٤١٢) عن عمران بن قصير يرفعه، ولفظه: «كل ما ساء المؤمن فهو =

﴿قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ﴾ مِلكًا وعَبيدًا يتصرَّفُ فينا كما يشاء.

﴿وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾ عند الموت، وقيل: عند البعث.

***

(١٥٧) - ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞ﴾ قيل: هو واقعٌ موقِعَ مفعولِ (وبشِّرْ)؛ أي: وبشِّرهم بأنَّ عليهم صلواتٌ.

ابن عبّاسٍ: الصَّلاة من الله رحمةٌ[(١)]، وقيل: مغفرةٌ، وقيل: ثناءٌ حسنٌ.

وجُمِعَ[(٢)]؛ أي: رحمةً بعد رحمةٍ، ومرّةً بعدَ أُخرى.

﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾ إلى البعث، وقيل: إلى الاسترجاع، وقيل: هم السّالكون طريقَ الجنّةِ.

ورُوي عن عمرَ أنَّه قال: نِعْمَ العِدْلان، ونِعْمَ العِلاوة[(٣)].

= مصيبة»، ورواه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٣٥٣) مرسلاً عن أبي إدريس الخولاني.
ورواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٧٨٢٤) مرفوعًا من حديث أبي أمامة رضي الله عنه بلفظ: «ما أصاب المؤمن مما يكره فهو مصيبة»، وضعَّفه السيوطي في «الدر المنثور» (١/ ٣٧٩)، ويشهد له ما رواه البخاري (٥٦٤١)، ومسلم (٢٥٧٣) من حديث أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما، ولفظه: «ما يصيب المؤمن من وصب، ولا نصب، ولا سقم، ولا حزن حتى الهم يهمه، إلا كفر به من سيئاته».

(١) ذكره يحيى بن سلام في «تفسيره» (٢/ ٧٢٥)، وابن أبي زمنين في «تفسيره» (٣/ ٤٠٥).

(٢) فقيل: صلوات من ربِّهم.

(٣) رواه الحاكم في «المستدرك» (٣٠٦٨)، والبيهقي في «سننه» (٧١٢٦)، وعلَّقه البخاري قبل حديث (١٣٠٢). =

(١٥٨) ـ ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ﴾ روى عمرُ بن حبشي قال: سألْتُ ابنَ عمرَ عن هذه الآية، فقال: انطلق إلى ابن عبّاسٍ فسَلْهُ، فإنَّه أعلمُ مَن بقي بما أُنزلَ[1] على محمَّدٍ عليه الصّلاة والسّلام، فأتيته فسألتُه، فقال: كان على الصَّفا صنمٌ على صورة رجلٍ يُقالُ له: إسافٌ، وعلى المروة صنمٌ على صورة امرأةٍ يُقالُ لها: نائلةُ[2]، زعمَ أهل الكتاب أنَّهما زنيا في الكعبة، فمسخَهما الله حجرَيْن، فوضعا على الصّفا والمروة؛ ليُعتبَرَ بهما، فلمّا طالت المدّةُ عُبِدا من دون الله، وكان أهل الجاهليّة إذا طافوا بينهما مسحوا الصَّنمين[3]، فلمّا جاء الإسلام وكُسِرت الأصنام، كرهَ المسلمون الطَّوافَ بينهما لأجل الصَّنمين، فأنزل الله: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾[4].

وعن عائشة قالت: أُنزلَت هذه الآية في ناسٍ من الأنصار كانوا إذا أَهَلُّوا أَهَلُّوا لمناةَ في الجاهليّة، ولا يحلُّ لهم أن يطَّوفوا بين الصَّفا والمروة، فلمَّا قدموا مع النَّبيِّ ﷺ في الحجِّ ذكروا ذلك، فأنزل الله الآية[5].

= والعِدلُ: نصف الحِملِ على أحد شقّي الدابة، والحملُ عِدلان في جهتيها، والعِلاوةُ: ما جُعلَ بينَ العِدلين. انظر: «مشارق الأنوار» للقاضي عياض (٢/ ٦٩) مادة: (ع د ل).

(١) في (و): «نزل».

(٢) في (ن): «امرأة تدعى نائلة».

(٣) في (ن): «الوثنين».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٧١٥) مختصرًا، وذكر نحوه الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ٢٤٣)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٦).

(٥) روى نحوه البخاري (١٦٤٣)، ومسلم (١٢٧٧).

وهما جبلانِ بمكّة.

والصَّفا: جمع صَفاةٍ، وهي من الحجرِ ما صفا من مخالطةِ التُّراب والرَّمل.

والمروةُ: الأبيضُ من الحجارة، وقيل: الشَّديدُ منها.

﴿مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾: أعلامُ متعبَّداتِه، جمعُ (شَعيرةٍ)، وهي مَعْلَمُ العبادة.

﴿فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ﴾: قصد الكعبةَ للزِّيارة على شرائطَ مخصوصةٍ.

﴿أَوِ ٱعْتَمَرَ﴾: زار الكعبة بشرائطَ غيرِها معلومةٍ، والاعتمارُ: زيارةُ المكانِ العامر.

المفضَّل: ﴿ٱعْتَمَرَ﴾: أقامَ بمكّة، والعمرةُ: الإقامة(١).

قطرب: العمرةُ: موضعُ العبادة، كالمسجدِ والبِيْعَةِ والكنيسة(٢).

﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ﴾: فلا إثمَ عليه، وهو جوابٌ لمن توهَّمَ أنَّ فيه جُناحًا، وأصلُه من (جَنَحَ)؛ إذا مال.

﴿أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ بالجبلَيْن، وأصلُ الطَّواف(٣): الدَّورُ.

وقيل: معناه: أن لا يطَّوَّف بهما، وقد قُرِئَ به(٤).

وقراءةُ مَن قرأ بزيادة (لا)؛ فظاهرُه النَّفي، ويُحتمَل أن تكونَ (لا) زيادة، كقوله: ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ﴾ [الحديد: ٢٩].

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ٢٣٩) عن المفضل بن سلمة.

(٢) ذكره الرازي في «التفسير الكبير» (٤/ ١٣٦) عن قطرب، وذكر أنه لغة عبد القيس.

(٣) في (و): «الطوف».

(٤) نُسبت هذه القراءة إلى علي بن أبي طالب وابن عباس وأنس وابن مسعود رضي الله عنهم وغيرهم، وهي قراءة شاذة وقد خالفت الرسم. انظر: «المحتسب» لابن جني (١/ ١١٥)، و«تفسير الطبري» (٢/ ٧٢٢-٧٢٣).

﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا﴾: فَعَلَ غيرَ الـمُفترَض، والتَّطوُّعُ: التَّبرُّرُ[١] بالنّافلة، والطّاعةُ: موافقةُ الإرادة، والأصلُ الطَّوعُ[٢]، وهو الانقيادُ.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ﴾: مُجازٍ بالقليلِ كثيرًا.

﴿عَلِيمٌ﴾ عالمٌ بالأشياءِ؛ صغيرًا وكبيرًا.

***

(١٥٩) - ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ نزلت في علماء أهل الكتاب في كتمانِهم[٣] آيةَ الرَّجم وأمرَ محمَّدٍ ﷺ[٤].

ابن مسعودٍ: هو عامٌّ، وقال: لولا آيةٌ من كتاب الله ما حدَّثتكم، وتلا هذه الآية[٥].

ورُوي عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «مَنْ سُئِلَ عن عِلْمٍ يَعْلَمُهُ فكَتَمَهُ أُلْجِمَ يومَ القِيامةِ بِلِجامٍ مِنْ نارٍ»[٦].

---

(١) في النسخ الخطيّة: «التبرُّز»، ولا أعرف له وجهاً.

(٢) في (و): «وأصل المطوع».

(٣) في (و): «وكتمانهم».

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ٢٥٦)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٧)، وهو في «تفسير مقاتل بن سليمان» (١/ ١٥٢).

(٥) رواه البخاري (١١٨)، ومسلم (٢٤٩٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه، ولم أقف عليه عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٦) رواه أبو داود (٣٦٥٨)، والترمذي (٢٦٤٩)، وابن ماجه (٢٦٦)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وقال الترمذي: حديث حسن.

والبيِّناتُ التي كتموها: شأنُ[١] محمَّد.

﴿وَٱلۡهُدَىٰ﴾: الذي يدلُّ على الرُّشد، ويدعو إلى طريقِ الحقِّ.

﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّـٰهُ لِلنَّاسِ﴾: لأهل الكتاب ﴿فِي ٱلۡكِتَـٰبِ﴾: الكتب المتقدِّمة.

وقيل: بيَّناه للمؤمنينَ في القرآنِ أنَّ ذلك مذكورٌ في التَّوراة.

﴿أُوْلَـٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ﴾: يبعدُهم من رحمتِه وثوابِه.

﴿وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّـٰعِنُونَ﴾: تتبرَّأ منهم الملائكةُ والجنُّ والإنس.

وقيل: ﴿وَيَلۡعَنُهُمُ﴾: يدعو عليهم باللَّعن، و﴿ٱللَّـٰعِنُونَ﴾ الملائكةُ والمؤمنون، كقوله: ﴿لَعۡنَةُ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ﴾ [البقرة: ١٦١].

مجاهدٌ: دوابُّ الأرضِ وهوامُّها، تقولُ: مُنِعنا القَطْرَ بمعاصي بني آدمَ[٢]. وأُجْرِيَتْ[٣] مجرى الآدميين لوصفها بفعلِهم.

ابن عبّاسٍ: كلُّ شيءٍ سوى الثَّقلَيْنِ؛ الإنس والجنِّ[٤].

ابن مسعود: إذا تلاعنَ الرَّجلانِ رجعَتِ اللَّعنةُ على المستَحِقِّ لها، فإن لم يستحقَّ واحدٌ منهما، رجعَتْ على اليهود الذين كتموا ما أنزلَ الله[٥].

---

(١) في (ن): «في شأن».

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١١٧)، والطبري في «تفسيره» (٢/ ٧٣٣ ـ ٧٣٥).

(٣) في (ن): «وأجري».

(٤) ذكره الزجاج في «معاني القرآن» (١/ ٢٣٥)، والثعلبي في «تفسيره» (٤/ ٢٥٧)، والواحدي في «البسيط» (٣/ ٤٤٦).

(٥) ذكره الزجاج في «معاني القرآن» (١/ ٢٣٥)، والثعلبي في «تفسيره» (٤/ ٢٥٩)، ورواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٥١٩٢) من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن مسعود رضي الله عنه، وتقدَّم الكلام على ضعف هذا الطريق.

(١٦٠) ـ ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾.

﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ ﴾ عن الكتمان، ﴿وَأَصۡلَحُواْ ﴾ السَّريرةَ، ﴿وَبَيَّنُواْ ﴾ ما كتموا من البِشارةِ بمحمَّد عليه السَّلام، وقيل: وبيَّنوا التَّوبة.

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ ﴾: أقبلُ توبتَهم.

﴿وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ﴾: كثيرُ قَبولِ التَّوبة، وقيل: يتوبُ على عبدِه برحمتِه إذا تابَ إليه من ذنبه.

﴿ٱلرَّحِيمُ ﴾: الرَّاحم.

* * *

(١٦١) ـ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةُ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ﴾.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ ولم يتوبوا ولم يُصلِحوا ولم يبيِّنوا، ﴿وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٌ ﴾ أي: ماتوا كافرين.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةُ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ﴾ أرادَ بـ﴿وَٱلنَّاسِ ﴾: المؤمنين لانتفاعِهم بالإنسانيّة، وأمّا الكفّارُ فكالأنعام، بل هم أضلُّ سبيلًا.

وقيل: يلعنهم المؤمنون والكافرون يومَ القيامة، من قوله: ﴿ثُمَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُ بَعۡضُكُم بِبَعۡضٖ وَيَلۡعَنُ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا ﴾ [العنكبوت: ٢٥]، وكقوله: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتۡ أُمَّةٞ لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَا ﴾ [الأعراف: ٣٨].

* * *

(١٦٢) ـ ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾: في اللَّعنة، وقيل: في النّار.

﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ فينقطعُ ساعةً أو ينقصُ منه شيءٌ.

﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾: لا يُمهَلون إذا أُمروا بالعذاب للاعتذار.

القفّال: لا يُنظَرونَ لَمّا يسألونَ اللهَ ويدعونَه، من قولِه: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا﴾ [المؤمنون: ١٠٧]، وقولِه: ﴿رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ [إبراهيم: ٤٤]، بل يُقالُ لهم: ﴿ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: ١٠٨].

وقيل: لا يُقطَعُ عنهم العذابُ فيؤخَّرُ إلى وقتٍ آخر.

* * *

(١٦٣) ـ ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

﴿وَإِلَٰهُكُمْ﴾؛ أي: معبودُكم الذي يستحقُّ عليكم أن تعبدوه.

﴿إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ الواحدُ يُؤوَّل على أربعة أوجهٍ:

أحدها: لا نظيرَ له ولا مِثلَ[1]، يُراد به نفيُ التَّشبيه، قال الشّاعر:

لكلِّ زمانٍ واحدٌ يُقتدَى به ... وهذا زمانٌ أنتَ لا شكَّ واحدُه[2]

والثاني: قديمٌ مُنفرِدٌ لم يكن معه في الأزلِ شيءٌ سواه.

والثالث: واحدٌ لا أبعاضَ له ولا أجزاءَ.

---

(١) في (ن): «شبه».

(٢) البيت للبحتري، كما في «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٦/ ٢٧)، و«تاريخ الإسلام» للذهبي (٦/ ٨٤٤).

والرابع: واحدٌ في استحقاقِ العبادةِ والإلهيّة.

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ فاعرفوه واقصدوا عبادَته دون مَن سواه.

و﴿هُوَ﴾ رفعٌ بدلٌ من ﴿إِلَٰهَ﴾ على المحلِّ، ولا يجوزُ فيه النَّصب هاهنا؛ لأنَّ البدلَ يدلُّ على أنَّ الاعتمادَ على الثّاني، والمعنى في الآية على ذلك، والنَّصبُ يدلُّ على أنَّ الاعتمادَ على الأوَّل[1].

﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ لجميع خلقه.

﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ بالمؤمنين.

عن عطاء قال: لـمّا نزلت هذه الآية بالمدينة قالت كفّارُ قريشٍ بمكّة: كيف يَسَعُ[2] النّاسَ إلهٌ واحدٌ، فأنزل الله:

(١٦٤) ـ ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِي تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖ وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾.

﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾[3].

وعن أبي الضُّحى قال: لـمّا نزلت هذه الآية تعجَّبَ المشركون، وقالوا: إلهٌ واحدٌ! إن كان صادقًا فليأتِنا بآيةٍ، فأنزل الله: ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾[4].

قيل: (الخَلْق) هاهنا زيادة، والتَّقدير: إنَّ في السَّماوات والأرض؛ لأنَّ الخَلْقَ

---

(١) انظر: «غرائب التفسير» للمصنف (١/ ١٨٨).

(٢) في (و): «يسمع».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٢٦٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١١٢٣).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٢٦٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٢٧٢).

إرادةُ تكوين الشَّيء، والآياتُ في المشاهدِ من السَّماوات والأرض، لا في إرادةِ الله.

وقيل: (خَلْقُ الشَّيء): هيئتُه، كما يُقال: هو حسنُ الخَلْقِ؛ أي: حسن الهيئة والأعضاء.

وقيل: (الخَلْق) بمعنى[1]: المخلوق، كقولهم: درهمٌ ضَرْبُ الأميرِ؛ أي: مضروبه[2].

والمعنى: إنَّ في خلقِ السَّماواتِ سقفًا مرفوعًا بلا عَمدٍ، فيها نجومٌ سيّارات على مقدارٍ لا يختلفُ، ونجومٌ ثوابتُ لا تزول، وفيها الشَّمسُ والقمرُ اللَّذان لا تُحصَى منافعُهما بعدَ ما جُرِّبَ وعُلِمَ صحّةُ ذلك من طبائعِهما، والأرضِ قرارًا للخليقة، وفيها من العجائبِ ما لا يأتي عليه العدُّ والحصر.

﴿وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾: تعاقبُهما، ومجيءُ الواحدِ بعدَ الآخر.

وقيل: ذهابُ أحدِهما في غيرِ جهة الآخر.

﴿وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِي تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ﴾: هي عند النُّحاة: جمع (فُلْكٍ)، من قوله: ﴿فِي ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ﴾ [الشعراء: ١١٩]، وفُعْل يُجمَع على فُعْل[3]، كما يُجمَعُ عليه فَعَلٌ وفَعْلٌ نحو: أَسَدٍ وأُسْدٍ، ووَرْدٍ ووُرْدٍ[4]، فالضَّمّةُ في بناء الجمعِ غيرُ الضَّمّةِ في بناءِ الواحد[5].

---

(١) «بمعنى»: ليس في (ن).

(٢) ذكر المصنف الأقوال الثلاثة مختصرة في «غرائب التفسير» (١/ ١٨٨).

(٣) أي: لفظ الواحد كلفظ الجمع، وهذا مذهب سيبويه والخليل.

(٤) يُقال: فرسٌ وَرْدٌ، وخيلٌ وُرْدٌ. والوَرْدُ من الخيلِ له لَونٌ يَضرِبُ إلى صُفرةٍ حَسَنة، وهو بين الكُميت والأشقر. انظر: «تهذيب اللغة» للأزهري (١٤/ ١١٦) مادة: (و ر د)، و«الصحاح» للجوهري (٢/ ٥٥٠).

(٥) انظر: «الكتاب» لسيبويه (٣/ ٥٧٧)، و«الخصائص» لابن جني (٢/ ١٠٢).

﴿بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾ في تجاراتِهم وأسفارِهم.

﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: من جانب السَّماء، وقيل: من السَّحاب، وجاء في التَّفسير: أنَّ السَّحابَ جسمٌ يخلو من الماء، وإذا أرادَ الله أن يُمطِرَ قومًا أمرَه أن يأخذَ الماءَ من بحرٍ في السَّماء، وصار إلى المكان المقصود[١] بالمطر.

﴿مِن مَّآءٍ﴾: من مطرٍ ﴿فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾: جعلَ حالةَ الإنباتِ حياةً للأرض، وجعلَ حالةَ عدمِ الإنباتِ موتًا لها، والعربُ تسمِّي الأرضَ التي لا تُنبِتُ: مَواتًا، وتسمِّي نَباتها: حياةً.

وقيل: وُصفَت الأرضُ بالحياة لإخراجها ما هو سببُ حياةِ الحيوان.

وقيل: شبَّهَ خروجَ النَّباتِ منها[٢] بخروجِ الأولاد من[٣] الحيوان.

﴿وَبَثَّ﴾: فرَّقَ وأظهر، من قوله: ﴿كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ﴾ [القارعة: ٤].

﴿فِيهَا﴾: في الأرض.

﴿مِن كُلِّ دَآبَّةٍ﴾: هي اسمٌ لكلِّ ما يدبُّ، من قوله: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦]، ولا تُطلَقُ على الإنسان إلّا شتمًا.

﴿وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ﴾ قتادة: مجيئُها بالرَّحمةِ مرّةً وبالعذابِ أخرى[٤].

الجمهور: هبوبُها جنوبًا وشمالًا ودَبُورًا وصَبًا[٥].

---

(١) في (ن): «المخصوص»، وفي هامش (ن): في نسخة: «المقصود».

(٢) في (و): «في الأرض».

(٣) في (و): «في».

(٤) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٨٢٩)، والطبري في «تفسيره» (٣/ ١٢).

(٥) الصبا ريح مَهبُّها من مطلع الشمس، وهي محمودة، والدبور مهبها من مغرب الشمس، وهي =

﴿وَٱلسَّحَابِ﴾: هو جسمٌ يملؤه اللهُ ماءً، كما قلنا[1].

وقيل: بخارٌ يرتفعُ من البحار والأرض، فيصيبُ الجبال فيستمسِكُ، ويناله البرْدُ فيصير ماءً وينزلُ، وهذا لا يقدحُ في الشَّرع والدِّين إن كان كما قيل.

﴿ٱلْمُسَخَّرِ﴾: المُذَلَّل المُنقاد لِما أرادَ الله.

﴿بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: في الهواء.

﴿لَأَيَٰتٍ﴾: لدلالاتٍ ﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾: لمن له[2] عقلٌ وتفكُّرٌ ونظرٌ وتدبُّر.

* * *

(١٦٥ ـ ١٦٦) ـ ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾؛ أي: ومع هذا البرهان الشّافي مِنَ النّاسِ ﴿مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾؛ يعني: مشركي العرب، وقيل: أهل الكتاب.

﴿أَندَادًا﴾: أصنامًا آلهةً يعبدونها، ويزعمون أنَّها تقرِّبهم إلى الله زُلْفَى، جمع نِدٍّ، وهو المِثْلُ المُناوِئ[3]، هذا قولُ أكثر المفسِّرين.

= مذمومة، وقد قال ﷺ: «نُصرت بالصبا، وأُهلكت عاد بالدبور». رواه البخاري (١٠٣٥)، ومسلم (٩٠٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(١) من أنَّ السَّحابَ جسمٌ يخلو من الماء، وأنَّه يأخذ ماء المطر من بحر في السَّماء.

(٢) «له» من (ن).

(٣) في (ن): «المساوي».

السُّدِّيُّ: الرُّؤساء المُطاعون[1]، وهو كقوله[2]: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ٣١] الآية.

وقيل: المراد بالأنداد: الشَّياطين والجنُّ.

﴿يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ يحبُّون الأصنامَ كما يحبُّون الله.

وقيل: يحبُّونهم كحبِّ المؤمنين اللهَ.

وقيل: كالحبِّ الذي يجبُ أن يكون للهِ.

وحبُّ المؤمنين اللهَ: لزومُ طاعتِه والثَّناءُ عليه سبحانَه، وحبُّ اللهِ المؤمنَ: ثناؤُه سبحانَه عليه وإثابته إيّاه، والحبُّ في غير هذا: مَيْلُ الطَّبْعِ إلى الشَّيء، وأصلُه في اللُّغة: اللُّزوم[3].

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِ﴾: للإخلاص له، ولأنَّهم علِموا أنَّ اللهَ هو الخالقُ لا الصَّنم، والمعنى: أشدُّ حبًّا لله من المشركين.

﴿وَلَوۡ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾ قُرئ بالياء[4] مُسنَدًا إلى ﴿ٱلَّذِينَ﴾[5]، والمفعولُ ﴿أَنَّ ٱلۡقُوَّةَ لِلَّهِ﴾، والمعنى: لو يعلم الذين كفروا ﴿إِذۡ يَرَوۡنَ ٱلۡعَذَابَ﴾: حين يَرونَ العذابَ في القيامة، أو يُريهم ربُّهم ـ فيمَن قرأ ﴿يُـرَوْنَ﴾ بالضَّم[6] ـ قدرةَ الله

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ١٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٢٧٦).

(٢) في (ن): «وقيل هي كقوله».

(٣) في (و): «من اللزوم».

(٤) قرأ الكوفيون، وأبو عمرو، وابن كثير بالياء. انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ١٧٤)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٨).

(٥) فـ(الذين) فاعل على هذه القراءة.

(٦) هي قراءة ابن عامر. انظر المرجعين السابقين.

علـى التَّعذيـب وشـدَّته؛ لعلمـوا مضـرّةَ اتِّخاذهم الأنـداد[١].

ويجوز أن يكونَ المفعولُ مقدَّرًا، والخبرُ[٢] مُضمَرًا عاملًا في ﴿أَنَّ﴾، والتَّقدير: لعلموا ﴿أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾.

ويُحتملُ أنَّ الخبر محذوفٌ، والتَّقدير: لأنَّ القوّة لله جميعًا[٣].

وقُرئ بالتّاء[٤] على خطابِ النَّبيِّ والمرادُ به غيرُه، و﴿ٱلَّذِينَ﴾ المفعول، و﴿أَنَّ ٱلْقُوَّةَ﴾ بدلٌ عن ﴿ٱلْعَذَابَ﴾[٥]، والخبرُ محذوفٌ.

ويجوز أن يكونَ (لأنَّ القوّة)[٦].

ويجوز أن يكونَ متعلِّقًا بالجواب؛ أي: لرأيتَ أنَّ القوّة لله.

---

(١) فالمحذوفُ على هذا التقدير هو جواب (لو) الذي قدَّره المصنِّف بقوله: «لعلموا مضرّةَ اتِّخاذهم الأنداد».

(٢) كلمة (الخبر) جاءت هنا على معناها اللغوي، وليس الاصطلاحي؛ فقد استخدمها المصنف في هذا الموضع وما بعده، ومراده بها جواب (لو)، وقد فعل الراغب مثل ذلك، واستخدم المصنف كلمة (الخبر) في جواب (لولا) أيضاً. انظر: «مفردات القرآن» للراغب الأصفهاني (ص: ٧٥٦)، و«غرائب التفسير» (١/ ٤٤٤).

(٣) فالمصدر المؤول منصوب انتصاب المفعول لأجله على هذا القول. انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (٢/ ٨٩).

(٤) قرأ نافع وابن عامر بالتاء. انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ١٧٤)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٨).

(٥) ذكر المصنف هذا القول وضعَّفه في «غرائب التفسير» (١/ ١٨٩).

(٦) فالمصدر المؤول منصوب انتصاب المفعول لأجله أيضاً.

و(رأيت)[١] في القراءتين من رؤية العين، ويجوز أن تكون من العلم مع الياء[٢].

وقراءة مَن كسرَ ﴿إنَّ القوة﴾[٣] على الاستئناف، وقيل: على الحكاية فيما حُذِفَ من الجواب؛ أي: لقالوا: إنَّ القوّة لله جميعًا.

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ﴾؛ أي: شديد العذاب إذ تبرَّأ، والمعنى: حين تبرَّأ، وقيل: بدل من ﴿إِذْ يَرَوْنَ﴾، وأصلُ التبرُّؤِ: التَّزيُّل والتَّباعدُ بالعداوة.

﴿ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟﴾: الـمَتْبُوعون.

قتادة: هم رؤساءُ الضَّلالةِ من الإنس[٤].

السُّدِّيُّ: من الجنِّ[٥].

وقيل: من الكلِّ.

﴿مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟﴾: من التّابعين.

﴿وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ﴾ السّادةُ والأتباعُ.

﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾ التَّقطُّعُ: التَّباعدُ بعد اتِّصالٍ.

مجاهدٌ: ﴿ٱلْأَسْبَابُ﴾: الوصلاتُ التي كانوا يتواصلون عليها[٦].

---

(١) كذا في النسخ الخطية، ولعلَّ المراد (يرى)، والله أعلم.

(٢) في (و): «بالياء».

(٣) هي قراءة أبي جعفر ويعقوب من العشرة. انظر: «النشر» لابن الجزري (٢/ ٢٢٤).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٢٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٢٧٧).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٢٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٢٧٨).

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٢٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٢٧٨).

ابن عبّاسٍ: الأرحامُ التي كانوا يتعاطفون عليها[1].

وقيل: الأعمالُ التي كانوا يؤمِّلونها.

***

(١٦٧) ـ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّا كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾: رجعةً إلى الدُّنيا، ﴿فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ﴾: نزايلَهم وننفصلَ منهم، ﴿كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّا﴾ الآن؛ تمنٍّ وتأسُّفٌ.

﴿كَذَٰلِكَ﴾؛ أي: كما أراهم العذابَ ﴿يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾.

وقيل: كتبرُّؤِ بعضِهم من بعضٍ ﴿يُرِيهِمُ ٱللَّهُ﴾، وذلك لانقطاعِ الرَّجاءِ من كلِّ أحدٍ.

﴿أَعْمَٰلَهُمْ﴾: معاصيَهم؛ لِمَ فعلوها؟

وقيل: طاعاتِهم؛ لِمَ ضيَّعوها.

وقيل: ثوابَ الطّاعات.

﴿حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ﴾ الحسرةُ: التَّلهُّفُ والنَّدامةُ على ما فاتَ.

﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ بل هم فيها دائمون.

***

(١٦٨) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٢٨)، والماوردي في «تفسيره» (١/ ٢١٩).

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا﴾ الكلبيُّ: نزلت في ثقيفٍ وخزاعةَ وعامرِ بن صعصعةَ حرَّموا على أنفسِهم من الحرث والأنعام، وحرَّموا البحيرةَ والسّائبةَ والوصيلةَ والحامي[١].

قوله: ﴿كُلُوا﴾ أمرُ إباحةٍ.

﴿مِمَّا فِي الْأَرْضِ﴾ (مِن) للتَّبعيض.

﴿حَلَالًا﴾: مرفوعَ الحظر عنه. ونصبُه يجوزُ أن يكون حالًا، ويجوز أن يكون مفعولًا به.

﴿طَيِّبًا﴾: طاهرًا، وهو تأكيدٌ؛ لأنَّ ما أحلَّه الله طيِّبٌ، وما حرَّمه خبيثٌ، ويجوز أن يكون المراد[٢]: مُستلَذًّا مُستطابًا.

وقيل: كلوا من وجهٍ يحلُّ لا من وجهٍ يحرم.

﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ ابن عبّاسٍ: عملَه[٣].

الزَّجّاج: طرقَه التي يدعوكم إليها[٤].

أبو عبيدة: هي محقَّراتُ الذُّنوب[٥].

والخَطوةُ: المصدرُ، والخُطوةُ: ما بين قَدَمي الماشي[٦].

---

(١) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٨) من طريق الكلبي عن أبي صالح. وذكره دون نسبة مقاتل بن سليمان في «تفسيره» (١/ ١٥٥)، والثعلبي في «تفسيره» (٤/ ٢٨٠).

(٢) «المراد» من (ن).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٣٨).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٢٤١).

(٥) ذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ٢٨٤)، وفي «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ٦٣): «هى الخطى، واحدتها: خُطوة، ومعناها: أثر الشيطان».

(٦) فهو اسم.

والمعنى: لا تأتمُّوا به.

﴿إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ﴾ بعداوتِه مكاشِفٌ بها.

وقيل: أبانَه لآدمَ ونسلِه في زمانِ آدم.

* * *

(١٦٩) ـ ﴿إِنَّمَا يَأۡمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلۡفَحۡشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾.

﴿إِنَّمَا يَأۡمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ﴾: بالسَّيئاتِ، قيل: هو الذي لا حدَّ فيه.

﴿وَٱلۡفَحۡشَآءِ﴾: الفواحش، وهي التي فيها الحدُّ، وقيل: هي البخل، والفاحشُ: كلُّ شيءٍ يجاوزُ القدر.

﴿وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ من تحريم الحرث والأنعام.

* * *

(١٧٠) ـ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ﴾.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ﴾ لهؤلاء الذين حرَّموا أشياءَ: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ من الحلال والحرام.

﴿قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآ﴾: صادفناهم عليه[1].

﴿أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا﴾: لا يفقهون ولا يضبطون.

---

(١) انظر توضيح المصنِّف لمناسبة لفظ (ألفينا) لهذه الآية، ومناسبة لفظ (وجدنا) للآية ﴿قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآ﴾ [لقمان: ٢١] في «غرائب التفسير» (١/ ١٩٠)، و«البرهان» (ص: ٨٠).

و﴿شَيْـًٔا﴾ يجوز أن يكون مفعولًا، ويجوز أن يكون مصدرًا[١]؛ أي: لا يعقلون شيئًا من العقل.

﴿وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ إلى الله.

وفي الآية مضمَرٌ تقديره: أيتَّبعونهم[٢]... وهذا حثٌّ على النَّظرِ ونهيٌ عن التَّقليد.

***

(١٧١) ـ ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾.

﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾؛ أي: في دعائِك إيّاهم ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ﴾؛ أي: كمثلِ النّاعقِ في دعائِه الأغنامَ[٣]، وهذا قول ابن عبّاسٍ[٤] والحسن[٥] والفرّاء[٦] والزَّجّاج[٧].

---

(١) أما الوجه الأول الذي ذكره المصنِّف في إعراب ﴿شَيْـًٔا﴾، وهو المفعول به، فظاهر، وأما هذا الوجه، وهو أنه مصدر، فيحتاج إلى بيان، وذلك أن كلمة (شيء) دلَّت على التقليل في هذا السياق، فصار المعنى: لا يعقلون عقلاً قليلاً؛ أي: لا يفهمون فهماً قليلاً، ثم ناب نعت المصدر عنه.

(٢) انظر: «تفسير الزمخشري» (١/ ٢١٣).

(٣) وقد أعاد المصنف صياغة هذا القول في «غرائب التفسير» (١/ ١٩١) وعلَّق عليه فقال: «مثل الذين كفروا معك يا محمد كمثل الناعق مع الغنم، فحذف من كل طرف ما يدل عليه الطرف الآخر، وله في القرآن نظائر، وهو أبلغُ ما يكون من الكلام».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٤٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٢٨٢).

(٥) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٤٥)، والثعلبي في «تفسيره» (٤/ ٢٩٤).

(٦) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ١٣١).

(٧) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٢٤٢).

وقال ابن جرير: مثل الذين كفروا في دعائهم آلهتهم كمثلِ النّاعقِ في دعائه الأغنام[1].

وحكى عليٌّ بن عيسى عن ابن زيدٍ: مثل الذين كفروا في دعائهم آلهتهم كمثل النّاعقِ، ودعاؤُه الصَّدى في الجبلِ وما أشبهه، يُخيَّلُ إليه أنَّه يُجابُ، وليسَ وراءَ القول شيءٌ[2].

وقيل: ومثلُ وَعظِ الذين كفروا كمثلِ نَعْقِ النّاعقِ ﴿بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً﴾.

قال الفرّاء وأبو عبيدة: وضعَ النّاعقَ موضعَ المنعوقِ به، وأنشد:

كانَتْ فريضةَ ما تقولُ كما ... كان الزِّناءُ فريضةَ الرَّجْمِ[3]

أي: كما كان الرَّجمُ فريضةَ الزِّنا[4].

والنَّعقُ: صياحُ الرّاعي وزجرُه الغنمَ، والنِّداءُ: طلبُ الجوابِ[5] بأداةِ مدِّ الصَّوت، والدُّعاءُ: الطَّلبُ لفعلٍ من المدعوِّ، والسَّمعُ: الإدراكُ للصَّوت.

﴿صُمٌّ﴾؛ أي: هم صمٌّ ﴿بُكْمٌ عُمْيٌ﴾؛ أي: عن الحقِّ، ﴿فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾؛ أي: هم كالأنعامِ في قلَّةِ الانتفاعِ بما يرون من الحجّة ويسمعون.

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٣/ ٤٤).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٤٩) عن ابن زيد، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ١٩١) عن علي بن عيسى، واستغربه.

(٣) البيت للنابغة الجعدي. انظر: «ديوانه» (ص: ١٦٩)، و«المنتخب من كلام العرب» لكراع النمل (١/ ٦٢٨).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٩٩)، و«مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ٦٤)، وقد عدَّ المصنِّف هذا القول من العجيب الذي فيه خلل ونظر. انظر: «غرائب التفسير» (١/ ١٩١).

(٥) في (و): «الطلب للجواب».

(١٧٢) - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ﴾: حلالات ﴿مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾.

وقيل: من المستلَذِّ الـمُستَطابِ كما سبق.

ولفظ ﴿كُلُواْ﴾ للإباحةِ في المستلَذِّ المستطاب، وللفرضِ في الحلال؛ إذ لا يجوزُ لأحدٍ أن يتركَ ذلك حتى يموتَ مع الإمكان.

﴿وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ﴾ على ما رزقكم، وأنعمَ به عليكم من الطَّيِّبات.

﴿إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ قيل: معناه (إذ)، وفيه ضعفٌ[١].

وقيل: معناه: إن كانت العبادةُ لله واجبةً عليكم بأنَّه إلهكم، فالشُّكرُ له واجبٌ عليكم بأنَّه محسنٌ إليكم.

* * *

(١٧٣) - ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ﴾: ﴿إِنَّمَا﴾ تأتي في كلام العرب لإثباتِ المذكورِ ونفيِ ما سواه.

والتَّحريمُ: المنعُ في اللُّغة، وقيل: التَّحريمُ يقع على التَّصرُّفِ دون العين[٢].

والميتةُ: ما فارقَه الرُّوحُ من غير ذكاةٍ حصلت فيه، وخُصَّ الجرادُ والسَّمكُ بالحديث[٣].

---

(١) انظر: «مشكل القرآن» لابن قتيبة (ص: ٢٩٤).

(٢) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (١/ ٢٤١).

(٣) يعني ما رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٥٧٢٣)، وابن ماجه (٣٢١٨) من حديث ابن عمر رضي الله =

﴿وَٱلدَّمَ﴾ يريد: الجاري منه، كقوله في الأخرى: ﴿أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا﴾ [الأنعام: ١٤٥].

﴿وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ﴾ يريد: الخنزيرَ بجميعِ أعضائه[١].

﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: ذُكِرَ عليه غيرُ اسم الله، هذا قولُ الجمهور.

قتادة ومجاهدٌ: ما ذُبح لغير الله[٢].

وأصلُ الإهلال: رفعُ الصَّوت.

﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ﴾: أُلجِئ بمجاعةٍ عند الجمهور[٣].

مجاهدٌ: أُكرِه[٤].

﴿غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ الحسن وقتادة ومجاهدٌ والرَّبيع: ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾ اللَّذةَ ﴿وَلَا عَادٍ﴾ سدَّ الجَوْعة[٥].

الزَّجاج: ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾ في الإفراط ﴿وَلَا عَادٍ﴾ في التَّقصير[٦].

مجاهدٌ ـ بخلافٍ ـ وسعيدٌ: ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾ على الإمام ﴿وَلَا عَادٍ﴾ بالمعصية[٧].

= عنهما قال: «أحلت لنا ميتتان: الحوت، والجراد»، وقد تُكلِّم على هذا الحديث. انظر: «التلخيص الحبير» لابن حجر (١/ ١٦٠). ٢٤١

(١) في (ن): «أجزائه».

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٥٥) عن قتادة، والطبري في «تفسيره» (٣/ ٥٦) عن مجاهد وقتادة.

(٣) انظر: «تفسير الطبري» (٣/ ٥٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٢٨٣).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٥٨).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٦٠ ـ ٦١) عن الأربعة.

(٦) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٢٤٣).

(٧) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٥٩).

والمُبيحُ هو خوفُ الموتِ مع عدم الحلال، ولو جُعل الخروجُ بالبغي والعدوان مانعًا، لحلَّ له بالخروج وإن لم يضطرَّ.

﴿فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِ﴾؛ أي: فأكلَ، فلا إثمَ عليه في الأكل.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ﴾ لمن أكلَ ﴿رَّحِيمٌ﴾ حيث رخَّص.

***

(١٧٤) - ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ﴾ الكلبيُّ عن أبي صالحٍ عن ابن عبّاسٍ: إنَّها نزلت في رؤساءِ اليهودِ وعلمائِهم وتغييرِهم نعتَ النَّبيِّ، وأخذِهم عن ذلك الرُّشا[1].

وقوله: ﴿يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ في صفةِ محمَّد عليه السَّلام ونعتِه، كتموه عن المشركين وعن سفلتِهم.

الحسن: كتموا أحكام التَّوراة[2].

والكتمانُ يقعُ على المعنى وعلى اللَّفظِ.

﴿وَيَشۡتَرُونَ﴾: ويستبدلون ﴿بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلًا﴾: عوضًا، وقيل: ذا ثمنٍ، وقد سبق.

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ٣١٦)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٩).
الرِّشْوة معروفة، ويُقال فيها: رُشْوة، وتُجمَع على: رُشا، ورِشا. انظر: «معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٥٢٦)، و«إصلاح المنطق» لابن السكِّيت (ص: ٩١).

(٢) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٢٨٥)

﴿أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ﴾ قيل: الأكلُ بالبطنِ حيث يُستعملُ لغيرِ التَّناول، وقيل: ليدلَّ على أنَّ النّارَ تدخلُ أجوافَهم.

﴿إِلَّا ٱلنَّارَ﴾ سمّاه نارًا؛ لأنَّ مآلَ آكلِه إليها، كقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا﴾ [النساء: ١٠] الآية.

وقيل: يصيرُ عينُ ذلك نارًا يومَ القيامة.

﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ كلامًا يسرُّهم، وقيل: يأمرُ الملائكةَ بأن يكلِّموهم، وقيل: هو كنايةٌ عن الغضبِ، كما يُقال: فلانٌ لا يكلِّم فلانًا.

الزَّجّاج: لا يُسمِعُهم كلامَه، والأبرارُ يسمعونَه(١).

﴿وَلَا يُزَكِّيهِمۡ﴾: لا يُثني عليهم، من (تزكية العدل).

وقيل: لا يطهِّرهم، ولا يخلِّصهم من النّار.

﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: مؤلِمٌ موجِعٌ.

* * *

(١٧٥) - ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡعَذَابَ بِٱلۡمَغۡفِرَةِۚ فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ﴾.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡعَذَابَ بِٱلۡمَغۡفِرَةِ﴾: تركوا الهدايةَ والمغفرة، وأخذوا الضَّلالةَ والعذاب.

﴿فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ ابن عبّاسٍ(٢)...............................

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٢٤٥).

(٢) كذا في النسخ الخطيّة، وقد ذكر ذلك بعض المفسرين عن ابن عباس. انظر: «الهداية إلى بلوغ النهاية» لمكي بن أبي طالب (١/ ٥٥٥)، و«تفسير السمعاني» (١/ ١٧١). ولعل الصواب: «ابن عياش» كما في «تفسير الطبري» (٣/ ٦٩)، والله أعلم.

والسُّدِّيُّ: ﴿مَا﴾ للاستفهام[١].

الحسن وقتادة ومجاهدٌ: للتَّعجب[٢].

الكسائيُّ والمبرِّد: توبيخٌ لهم وتعجيبٌ لنا[٣].

والمعنى عن الحسن وقتادة: ما أجرأهم على النار[٤]!

مجاهدٌ: ما أعملَهم بأعمالِ أهل النّار[٥]!

الزَّجّاج: ما أبقاهم على النّار[٦].

الفرّاء: ما أصبرهم على النّار؛ أي: ما حبسَهم عليها[٧].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٦٩ ـ ٧٠) عن السدي وعطاء وأبي بكر بن عياش وابن زيد، وهو اختيار أبي عبيدة. انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ٦٤)، و«غريب القرآن» (ص: ٧٠).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٦٩ ـ ٧٠)، وانظر: «البسيط» للواحدي (٣/ ٥٠٩).

(٣) انظر: «المقتضب» للمبرد (٤/ ١٨٣)، ونقل الفراء في «معاني القرآن» (١/ ١٠٣) عن الكسائي أنه بمعنى: فما أجرأهم! وهو توبيخ وتعجيب كما ذكر المصنِّف، وأشار الزجاج إلى نحوه أيضاً. انظر: «معاني القرآن» له (٥/ ٢٨٥).

(٤) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٥٩) عن قتادة، وروواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٦٨) عن قتادة والحسن وغيرهما.

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٦٩)، واستحسن هذا الوجه ابن قتيبة. انظر: «غريب القرآن» (ص: ٧٠).

(٦) ذكر الزجاج وجه الاستفهام والتعجب، وحمل التعجب على المعنى الذي ذكره المصنِّف، وشبَّهه بقولهم: ما أصبر فلانًا على الحبس؛ أي: ما أبقاه فيه. انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٢٤٥) و(٢/ ٣٩٢) و(٥/ ٢٨٥).

(٧) أجاز الفراء أن تكون (ما) للاستفهام، وأجاز أن تكون للتعجب بمعنى فما أجرأهم، ونقله عن الكسائي، وكلامه يفيد أن المراد بالنار حقيقتها. انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ١٠٣).

وقيل: على عملٍ يؤدِّي إليها(١).

* * *

(١٧٦) ـ ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴾.

﴿ ذَٰلِكَ ﴾: إشارةٌ إلى ما أعدَّه لأهل الكتاب على كتمانهم.

﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ﴾ فكتموه، فحذفَ؛ لأنَّ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ ﴾ يدلُّ عليه.

وقيل: ﴿نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ﴾ فاختلفوا فيه؛ فحذفَ؛ لدلالةِ ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟﴾ عليه.

فـ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾: التَّوراة(٢).

وقيل: ﴿نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ﴾ فكفروا به؛ يعني: القرآن.

و﴿ ذَٰلِكَ ﴾ مبتدأٌ، و﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ ﴾ خبرُه.

الزَّجّاج: ذلك الأمر، أو الأمر ذلك(٣)، بدلالة أنّ ﴿ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ﴾؛ يعني: القرآن ﴿بِٱلْحَقِّ ﴾.

وقيل: تقديره: ذلك الكتمانُ والجرأةُ على النّار بأنّ الله نزّلَ الكتابَ ـ أي: القرآن ـ بالحقِّ، وأخبرَ فيه أنَّهم لا يؤمنون؛ يعني: قوله: ﴿ وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ ﴾ [يس: ١٠] وغيرها من الآي.

---

(١) ذكر هذا الوجه الزجاج. انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٣٩٢).

(٢) قوله: «فحذف لأن إن الذين يكتمون يدل عليه... عليه فالكتاب التوراة»: من (ن).

(٣) فـ(ذلك) مبتدأ أو خبر. انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٢٤٦).

﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِي ٱلۡكِتَٰبِ﴾ قيل: هو اختلاف اليهود والنَّصارى في كتابيهما.

وقيل: أتوا بخلاف ما أنزل الله.

وقيل: اختلف اليهود والنَّصارى والكفّار في القرآن؛ فقالوا: سحرٌ، وكلامٌ عُلِّمَه، وكلامٌ تَقوَّلَه.

وقيل: معنى (اختلفوا فيه) هاهنا معنى: خَلَفُوا فيه[1]، من قوله: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ﴾ [الأعراف: ١٦٩][2].

﴿لَفِي شِقَاقِۭ﴾: خلافٍ.

﴿بَعِيدٖ﴾ عن الحقِّ، وقيل: ﴿بَعِيدٖ﴾ عن الأُلفة.

* * *

(١٧٧) ـ ﴿لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ﴾.

﴿لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ﴾ قال قتادة: ذكر لنا أنَّ رجلًا سأل نبيَّ الله عن البرِّ، فأنزل الله هذه الآية، قال: وقد كان الرَّجلُ قبلَ الفرائض إذا شهدَ أن لا إلهَ إلَّا الله وأنَّ محمَّدًا عبدُه ورسوله، ثمَّ مات على ذلك وجبَتْ له الجنّة، فأنزل الله تعالى هذه الآية[3].

---

(١) «فيه»: من (ن).

(٢) ذكر هذا المعنى الراغب الأصفهاني في «تفسيره» (١/ ٣٧٥).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٧٦).

والبرُّ هاهنا: الإيمان.

﴿أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾ للصَّلاة، والمعنى: لا تقع القُربةُ إلى الله باستقبال القِبلةِ بالصَّلاة وحدَها، بل بأمورٍ أُخَرَ معها قد أمر الله عبادَه بها، ثم بيَّنَ.

وقيل: إنَّه إشارةٌ إلى أهل الكتاب من اليهود والنَّصارى المتكلِّمين في أمرِ القِبلةِ مع اختلافِهم فيها، واستقبالِ اليهودِ المغربَ، والنَّصارى المشرقَ، وتفريقِهم بين أنبيائه وكتبه، ومعاداتِهم لملائكته، وكتمانِهم الحقَّ، وبخلِهم بحقوق الفقراء، والمعنى: لستم يا أهلَ الكتاب بالأبرارِ وإن كنتم تصلُّون عند أنفسكم إلى قبلة، بل الأبرارُ هم المسلمون المؤمنون، ثم وصفَهم فقال:

﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ﴾ والتَّقدير: ولكنَّ ذا البرِّ، أو: ولكنَّ البرَّ برُّ مَن آمن.

ويجوزُ أيضًا أن يُقامَ المصدرُ مقام الفاعل، كقوله:

.... فإنَّمـا هـي إقبـالٌ وإدبـارٌ(١)

﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾: صدَّقه.

﴿وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ يعني: يومَ البعثِ والنُّشورِ والعقاب والثَّواب.

﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ﴾ يجوزُ أن يكونَ للجنس، ويجوز أن يكون القرآن؛ فإنَّ الإيمانَ به إيمانٌ بجميع الكتب.

﴿وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾: جميع أنبيائه.

والإيمانُ بهذه الخمسةِ إيمانٌ بما لزمَ العبدَ من المعارف كلِّها.

---

(١) عجز بيت للخنساء تصفُ ناقة ترتع، وصدره:

تَرْتَـعُ مـا رَتَعَـتْ حتَّـى إذا ادكَـرَتْ

انظر: «ديوان الخنساء» (ص: ٣٨٣)، و«البيان والتبيين» للجاحظ (٣/ ١٣٧).

﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ قيل: على حبِّ المال؛ لقولِه ﷺ: «أفضلُ الصَّدقةِ أن تتصدَّقَ وأنت صحيحٌ شحيحٌ، تخشى الفقرَ وتأمُلُ الغِنى، ولا تُمْهِلُ حتّى إذا بلغَتِ الحناجرَ قلْتَ: لفلانٍ كذا، ولفلانٍ كذا»[١].

وقيل: على حبِّ الله.

وقيل: على حبِّ الإيتاء، ودلَّ على المصدرِ فعلُه.

﴿ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾: ذوي رحمٍ قريبةٍ.

﴿وَٱلْيَتَٰمَىٰ﴾: جمع يتيمٍ ويتيمةٍ.

﴿وَٱلْمَسَٰكِينَ﴾: جمع مسكينٍ، وهو الذي أسكنَه الفقرُ عن التَّصرُّف.

﴿وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾: المنقطع به والمجتاز، ووحَّد لأنَّ الابن هنا[٢] مجازٌ، كابن الماء[٣] وغيرِه.

﴿وَٱلسَّآئِلِينَ﴾: المحتاجين.

﴿وَفِى ٱلرِّقَابِ﴾؛ أي: في عتق الرِّقاب، وإعانةِ المكاتَب.

﴿وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ المفروضةِ.

﴿وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ﴾ قيل: هو تأكيدٌ للأوَّل.

وقيل: المرادُ بالأوَّل النَّوافل، وقيل: الأوَّل فيمَن لزمَك الإنفاقُ عليه من قرابتِك[٤].

---

(١) رواه البخاري (١٤١٩)، ومسلم (١٠٣٢)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) في (ن): «هاهنا».

(٣) يقال لطير الماء كلِّها. انظر: «المخصص» لابن سيده (٢/ ٣٣٩).

(٤) في (ن): «من ذوي قرابتك».

﴿وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْ﴾ مع الله وفيما بينهم.

﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ﴾: الفقر، اسمٌ لا وصفٌ.

﴿وَٱلضَّرَّآءِ﴾: المرض.

﴿وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِ﴾: وقتَ القتال.

قيل: الصَّومُ والحجُّ داخلانِ في الصَّبر[1]، فاشتملَتِ الآيةُ على جميع الواجبات.

وقوله: ﴿وَٱلۡمُوفُونَ﴾ رُفعَ بالعطف على خبرِ ﴿وَلَٰكِنَّ﴾، وقيل: رُفعَ بالابتداء وخبرُه مضمَرٌ، وتقديره: والموفون بعهدهم أيضًا أبرارٌ.

و﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾ قيل: نُصبَ على المدح[2]، وقيل: بالعطفِ على ﴿ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾[3]، وزيَّفه أبو عليٍّ[4]؛ لأنَّه لا يُحالُ بينَ الصِّلة وبين المعطوفِ على الصِّلةِ بأجنبيٍّ منها، ﴿وَٱلۡمُوفُونَ﴾ أجنبيٌّ منها إلَّا على الوجه الضَّعيف[5].

---

(١) في (و): «الصوم».

(٢) «أبرار والصابرين قيل هو نصب على المدح»: من (ن).

(٣) نقله المصنف عن الزجاج واستغربه. انظر: «غرائب التفسير» (١/ ١٩٥).

(٤) انظر: «الحجة» لأبي علي (٦/ ١٣٤ - ١٣٥). وقد نقل الواحدي في «البسيط» (٣/ ٥٢٦) والرازي في «التفسير الكبير» (٥/ ٢٢٠)، وأبو حيان في «البحر المحيط» (٢/ ١٤٠) عن أبي علي الفارسي أنَّه يستحسن في هذه الأوصاف التي تُعطف وتُذكر للرَّفع مِن شأن موصوفيها ومدحهم - أو النقص منهم وذمِّهم - أن يُخالف بإعرابها، ولا تُجعَل كلها جاريةً على موصوفيها؛ لأن المدح والذم يكون عندئذٍ بجملٍ، لا بجملة واحدة.

(٥) من قوله: «لأنه لا يحال» إلى قوله: «الضعيف»: ليس في (ن)، لكن في هامشها: «قال: إنما زيفه أبو علي لأنَّ (من) موصولة، ولا يجوز أن يُحال بين الموصول والعطف عليه بأجنبي نحو ﴿وَٱلۡمُوفُونَ﴾ الآية».

ويجوز أن يكون عطفًا على اسم ﴿وَلَٰكِنَّ﴾، كما أنَّ ﴿وَٱلۡمُوفُونَ﴾ رُفِعَ بالعطف على الخبر.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ﴾ في إيمانهم.

﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ﴾ الكفرَ ودواعيه.

* * *

(١٧٨) - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖۗ ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞۗ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ﴾ قال الشَّعبيُّ: كان بين حيَّين من أحياء العرب قتالٌ، وكان لأحدِ الحيَّين طَوْلٌ على الآخر، فقالوا: نقتلُ بالعبدِ منّا الحرَّ منكم وبالمرأةِ الرَّجل، فأنزل اللهُ هذه الآية[1].

حتى رُوي أنَّ بعضَ غَنِيٍّ[2] قَتَلَ شاسَ بنَ زهيرٍ، فجمعَ عليهم أبوه زهيرُ بن جَذِيمة[3]، فقالوا له أو بعضُ مَن يذبُّ عنهم: ماذا يرضيك[4] في قتلِ شاسٍ؟ فقال: إحدى ثلاثٍ لا يرضيني غيرهنَّ، قالوا: ما هي؟ قال: تُحْيُون لي شأساً[5]، أو تملؤون داري

(١) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٩٥)، وذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٩) عن الشعبي، وذكره أبو عبيد دون نسبة في «غريب الحديث» (٢/ ٢٥٠).

(٢) غني: حي من غطفان. انظر: «الصحاح» للجوهري مادة: (غ ن ي).

(٣) كذا في النسخ الخطيّة، والصواب: «زهير بن جذيمة»، كما في مصادر التخريج.

(٤) في (ن): «نرضيك سل».

(٥) في (و): «تُحْيُونه لي».

من نجوم السَّماء، أو تدفعون إليَّ غنيًّا بأسرِها فأقتلها، ثمَّ لا أرى أنِّي أخذتُ عوضًا(١).

ومعنى ﴿كُتِبَ﴾ فرضَ، من قولهم: الصَّلاة المكتوبة.

وقيل: كتبَ في اللَّوح المحفوظ.

وقيل: هذا لفظٌ مؤكَّدٌ من وجهين:

أحدهما: ﴿كُتِبَ﴾، وهو الوجوب.

والثاني: ﴿عَلَيْكُمُ﴾، وهو يفيدُ الوجوبَ أيضًا.

و﴿ٱلْقِصَاصُ﴾: الأخذُ من الجاني مثلَ ما جنى، من (قصِّ الأثر)؛ وهو تلوُّ الأثر.

﴿فِي ٱلْقَتْلَى﴾: جمع قتيلٍ.

والمعنى: كتب عليكم القصاصُ إن اختارَ الأولياءُ القصاصَ، وقيل: فُرِضَ تركُ مجاوزةِ ما حُدَّ لكم إلى التَّعدِّي.

﴿ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ﴾؛ أي: الحرُّ يُقتَلُ بسبب قتلِه الحرَّ.

والحرُّ: خلافُ العبد، وأصلُه: الخيارُ من كلِّ شيءٍ.

﴿وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ﴾ وأمّا الذَّكرُ بالأنثى والأنثى بالذَّكر، فهو مذكورٌ في قوله: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا﴾ [الإسراء: ٣٣].

﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ﴾ هذا ممّا خفَّف اللهُ على هذه الأمّة؛ فإنَّ حكمَه في اليهود حتمُ القصاص، وفي النَّصارى حتمُ الدِّية، وحكمُه في هذه الأمّةِ القصاصُ، أو العفوُ والدِّية، أو العفوُ(٢).

---

(١) ذكره الشافعي في «الأم» (٦/ ٩)، والبلاذري في «أنساب الأشراف» (١٣/ ١١٥).

(٢) نقل أبو حيان كلام المصنِّف، ونسبه إلى علماء التفسير. انظر: «البحر المحيط» (٢/ ١٤٨).

ومعنى ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ﴾؛ أي: تُرِكَ[١]، وقيل: تُفُضِّلَ عليه ﴿مِنْ أَخِيهِ﴾؛ أي: المقتول[٢]، وقيل: من الولي؛ فالهاءُ تعودُ إلى القاتل، الحسن: أخي المقتول[٣].

وقيل: هو مِن (عفا)؛ إذا سَهُلَ.

وقيل: من (عفا)؛ إذا كَثُر.

والأخُ يجوز أن يكون العافيَ، ويجوز أن يكون المعفوَّ عنه، ويجوز أن يكون القتيلَ.

﴿شَيْءٌ﴾؛ أي: الدَّم.

وقيل: شيءٌ من الدَّم، وهو أن يعفوَ بعضُ الأولياء.

﴿فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ﴾ ابن عبّاسٍ ومجاهدٌ والحسن وقتادة والزَّجّاج: على العافي اتِّباعٌ بالمعروف، وعلى المعفوِّ عنه الأداءُ بالإحسان[٤].

---

(١) يرى بعض اللغويين أنَّ أصل معنى العفو هو الترك؛ لذلك قدَّمه المصنِّف، وقد أنكر الزمخشري هذا المعنى. انظر: «معجم الفروق اللغوية» (ص: ٣١٠)، و«الكشاف» للزمخشري (١/ ٢٢٢).

(٢) ذهب إلى هذا المعنى الأزهري، فقال: «أي: مَن أُحِلَّ له أخذ الدية بدلَ أخيه المقتول عفواً من الله وفضلاً مع اختياره، فليطالب بالمعروف، و(مِن) في قوله: ﴿مِنْ أَخِيهِ﴾ معناها البدل، والعرب تقول: عرضت له من حقِّه ثوباً؛ أي: أعطيته بدل حقه ثوباً». انظر: «تهذيب اللغة» للأزهري (٣/ ١٤٤) مادة: (ع ف و).

(٣) ذكر ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٢٩٤) عن الحسن أنَّ العفو في أن يقبل الدية في العمد.

(٤) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٦٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما، و(١٦٥) عن قتادة، ورواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ١٠٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٢٩٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما وذكره عن جابر بن زيد والحسن وقتادة والربيع بن أنس والسدي وعطاء الخراساني.

وقيل[1]: كلاهما على المعفوِّ عنه.

والاتِّباعُ بالمعروف: أن يقضيَها برفقٍ، والأداءُ بالإحسان: أن لا يذهبَ بشيءٍ منه.

وقوله: ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾؛ أي: على ما أوجبَه الله، وقيل: ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾: ما تتعارفه العربُ بينها من ديةِ القَتلى.

﴿ذَٰلِكَ﴾؛ أي: الخيار ﴿تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾.

﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾؛ أي: بعد أخذ الدِّية فقَتَل، وقيل: بعد العفو، وقيل: بعد بيان الله هذه الأحكام، فقَتَلَ غيرَ القاتل، ﴿فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ عكرمة وسعيد بن جبير: هو أن يُقتَلَ قصاصًا[2].

ابن جريجٍ: يقتله الإمام عقوبةً لا عفوَ فيه[3].

الحسن: استرجاع الدِّية منه[4].

ورُوي عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «لا أعافي رجلًا قَتَلَ بعدَ أخذِ الدِّيةِ»[5].

* * *

(١) «وقيل»: من (ن).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ١١٧) عن الضحاك وسعيد بن جبير وعكرمة.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ١١٨) عن ابن جريج يرفعه من طريقين. ثم ضعَّف الطبري هذا القول؛ لأنه مخالف لكتاب الله والإجماع.

(٤) أي: ولا يقتل. رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢٨٠٦٦)، والطبري في «تفسيره» (٣/ ١١٩).

(٥) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١٤٩١١)، وأبو داود (٤٥٠٧)، من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، وفيه انقطاع.

(١٧٩) ـ ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾.

﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ ﴾؛ أي: في شَرْعِ القصاص ﴿حَيَوٰةٌ﴾؛ لأنَّ القاتلَ إذا أُقِيْدَ منه ارتدعَ مَن همَّ بقتلٍ، فيكون فيه حياتُه وحياةُ مَن همَّ بقتله.

وقال ابن[1] الجوزاء: أراد بالقصاص: قصص القرآن[2]، وزيَّفه المفسِّرون.

﴿يَا أُولِي الْأَلْبَٰبِ ﴾: يا ذوي العقول. ولُبُّ كلِّ شيءٍ: خالصُه.

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾: لكي تتَّقوا القِصاص، فتكفُّوا عن القتل.

وقيل: لتتَّقوا القتلَ حذرًا من القِصاص.

* * *

(١٨٠ ـ ١٨١) ـ ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾.

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ ﴾ الزَّجاج: فُرِض، و﴿الْوَصِيَّةُ ﴾ ترتفعُ به[3].

---

(١) كذا في النسخ الخطية، وصوابه: أبو الجوزاء. انظر: «تفسير ابن أبي حاتم» (١/ ٢٩٧)، و«غرائب التفسير» (١/ ١٩٦)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٢/ ١٥٤).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٢٩٧)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ٣٧١)، وذكر المصنف وغيره أنَّ أبا الجوزاء أوس بن عبد الله الربْعي قرأ: (ولكم في القَصَص)، وعدَّ من العجيب قول مَن حمل هذه القراءة على قصص القرآن. انظر: «غرائب التفسير» (١/ ١٩٦)، و«المختصر في شواذ القراءات» لابن خالويه (ص: ١٩)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٢/ ١٥٤).

(٣) يعني: أن (الوصية) نائب فاعل لـ(كتب)، وقد ذكر الزجاج هذا القول والذي يليه أيضاً. انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٢٤٩ ـ ٢٥٠).

الفرّاء: معنى ﴿ كُتِبَ ﴾: قيل لكم: عليكم الوصيّة للوالدين[1]، فتكون جملةً محكيّةً محلُّها رفعٌ[2].

﴿إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ ﴾؛ أي: أسبابُه.

وقيل: هو أن يقولَ في صحَّتِه: إذا متُّ فافعلوا كذا وكذا.

﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا ﴾: مالًا.

الزُّهريُّ: قليلًا أو كثيرًا[3].

غيرُه: ألف درهمٍ.

وعن عليٍّ رضي الله عنه أنَّه استقلَّ سبعمئة درهمٍ، فقال: إنَّما قال الله: ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا ﴾[4].

﴿ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾: بالعدل.

﴿حَقًّا ﴾ أي: حُقَّ ذلك حقًّا ﴿عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴾: الذين يتَّقون الشِّركَ مخافةَ الله.

---

(١) ذكر الفراء قولين؛ أحدهما: مثل قول الزجاج الذي قدَّمه المصنِّف، والثاني: أنَّ ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ ﴾ بمعنى: قيل لكم، و(الوصية) ترتفع باللام في (للوالدين)؛ فهي عنده جملة محكية، و(الوصية) فيها مبتدأ، لكنه مرفوع بالخبر على رأي الكوفيين، وقد ذكر المصنِّف في «غرائب التفسير» أن هذا أحد قولي الفراء. انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ١١٠)، و«غرائب التفسير» (١/ ١٩٦).

(٢) لأنها محكية بمبني للمجهول، فتقع نائب فاعل على رأي الواحدي والمصنِّف. انظر: «البسيط» للواحدي (٣/ ٥٤٥).

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٧١)، والطبري في «تفسيره» (٣/ ١٣٨)، وصوَّبه.

(٤) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (١٦٣٥١)، والدارمي في «سننه» (٣٢٣١)، والطبري في «تفسيره» (٣/ ١٣٧).

والحضورُ: وجودُ الشَّيء بحيث يمكن أن[١] يُدرَك.

والوصيَّةُ: العقدُ على ما يُرادُ من الأفعالِ في مستأنَفِ الأوقات.

واختلفوا في نسخها؛ فعن ابن عبَّاسٍ: نسخَها قولُه: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ﴾ [النساء: ٧] الآية[٢].

ومَن جوَّزَ نسخَ القرآن بالسُّنَّةِ قال: نسخَها قوله عليه السَّلام: «لا وصيَّةَ لوارثٍ»[٣].

مجاهدٌ: نسخَها ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ﴾ [النساء: ١١][٤].

الحسن: نُسخَت الوصيَّةُ للوالدين، وثبتَتْ للأقربين الذين لا يرثون[٥].

الشَّعبي: الوصيَّةُ للوالدينِ والأقربينَ على النَّدب، لا على الحَتْم[٦].

---

(١) «يمكن أن» من (ن).

(٢) رواه أبو عبيد في «الناسخ والمنسوخ» (٤٢٣)، والطبري في «تفسيره» (٣/ ١٣١)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٥٧٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٢٩٩)، وروى البخاري في «صحيحه» (٢٧٤٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان المال للولد، وكانت الوصية للوالدين، فنسخ الله من ذلك ما أحب، فجعل للذكر مثل حظ الأنثيين، وجعل للأبوين لكل واحد منهما السدس، وجعل للمرأة الثمن والربع، وللزوج الشطر والربع».

(٣) انظر: «الفصول في الأصول» للجصاص (١/ ١٧٤)، و«الناسخ والمنسوخ» للنحاس (ص: ٨٨)، والإحكام» لابن حزم (٤/ ٩٢).

والحديث رواه أبو داود (٢٨٧٠)، والترمذي (٢١٢٠)، وابن ماجه (٢٧١٣)، من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه. وقال الترمذي: «حديث حسن».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ١٣٣).

(٥) رواه أبو عبيد في «الناسخ والمنسوخ» (٤٢٥)، والطبري في «تفسيره» (٣/ ١٢٩).

(٦) ذكره النحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٨٨)، وابن الجوزي في «نواسخ القرآن» (ص: ٥٨).

الضَّحَّاك وطاوسٌ: الوصيّةُ للوالدين والأقربين واجبةٌ بنصِّ القرآن إذا كانوا لا يرثون(١).

وقال صاحب النَّظم(٢): لفظ (الأقربين) لا يقع إلّا على مَن يرث، واستدلَّ بقوله سبحانه: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ﴾ [النساء: ٧] الآية، ثمّ قال بعد هذا: ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ [النساء: ٨] يعني: ذوي القرابات الذين لا ميراثَ لهم، فسمّاهم باسمٍ غيرِ (الأقربين)(٣).

قوله:

﴿فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ﴾؛ أي: الوصيّة، فذكَّرَ حملًا على الإيصاء.

﴿بَعْدَ مَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ﴾؛ أي: إثمُ التَّبديل ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ﴾ من وليٍّ أو قاضٍ، إذا لم يكن الموصِي مضارًّا، وبرَّأ الموصِي من ذلك.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لما يقوله الموصي في الإيصاءِ.

﴿عَلِيمٌ﴾ بنيَّته، وقيل: عليمٌ بما يفعله الوصيُّ.

---

(١) ذكره النحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٨٨).

(٢) هو الحسين بن يحيى الجرجاني، وقد تقدم التعريف به.

(٣) لم أقف على هذا القول، ولكن هذا التفريق يحتاج إلى تأمُّل، فقد قال الإمام الشافعي: «فلما كان الأقربون ورثةً وغيرَ ورثةٍ، أبطلنا الوصية للورثة من الأقربين بالنص والقياس والخبر «ألا لا وصية لوارث»، وأجزنا الوصية للأقربين ولغير الورثة»، وقال قتادة: في قوله: ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [البقرة: ١٨٠]: «نُسخ الوالدان منها، وتُرك الأقربون ممن لا يرث»، وذكر الثعلبي قولاً يخص الأقربين فيه بذوي الميراث في قوله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِيَ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ﴾. انظر: «الأم» (٤/ ١١٨)، و«تفسير الطبري» (٣/ ١٢٨)، و«تفسير الثعلبي» (١٠/ ٢٨٢)، و«المحلى» لابن حزم (٨/ ٣٥٣).

(١٨٢) ـ ﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿فَمَنْ خَافَ﴾ أي: علم، ويأتي الخوف بمعنى: العلم[١]، قال أبو محجنٍ[٢]:

ولا تَدْفِنَــنِّي بالفَلاةِ فإنَّنـي أخافُ إذا ما مِتُّ أنْ لا أذوقُها[٣]

﴿مِن مُّوصٍ﴾ قرئ بالوجهَيْن[٤]؛ فحجّةُ التَّخفيف: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ﴾ [النساء: ١١]، وحجّةُ التَّشديد: ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً﴾ [يس: ٥٠].

﴿جَنَفًا﴾: ميلًا، والجَنَفُ: الميل عن الحقِّ، ﴿أَوْ إِثْمًا﴾ قيل: الجَنَفُ ما كان خطأً، والإثمُ ما كان عمدًا، وهو: أن يوصيَ للأجانب ويتركَ أولي القربى، أو يوصيَ بأكثرَ من الثُّلث.

﴿فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ﴾ ابن عبّاسٍ وغيره: بين الـمُوصَى لهم وبين[٥] الورثة، ولم يتقدَّم ذكرُهم لكنَّ التَّوصيةَ أو الإيصاءَ يدلُّ عليه[٦].

مجاهدٌ: ﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا﴾ [البقرة: ١٨٢] في حياته حالة إيصائه، ﴿فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ﴾؛ أي: حمل الموصِي على ما هو الصَّلاح[٧].

---

(١) ذهب الفراء إلى أنَّ الخوف يأتي بمعنى العلم وبمعنى الظنِّ أيضاً، ونقله عن العرب. انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ١٤٦ و٢٦٥).

(٢) في (ن): «قال الشاعر».

(٣) انظر: «ديوان أبي محجن الثقفي» (ص: ٤٨)، و«تفسير الثعلبي» (٤/ ٣٨٦).

(٤) قرأ حمزة والكسائي بتشديد الصاد، وقرأ الباقون بالتخفيف. انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ١٧٦)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٩).

(٥) «وبين»: ليس في (و).

(٦) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (٣/ ١٤٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٣٠٣).

(٧) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (٣/ ١٤٢)، وذكره الماوردي في «تفسيره» (١/ ٢٣٣).

﴿فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِ﴾؛ أي: ليس بمبدِّلٍ آثمٍ، والهاءُ كنايةٌ عن الموصِي، وقيل: عن المصلِح.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ﴾ للمصلِح؛ أي: ليس ذلك بإثمٍ.

﴿رَّحِيمٞ﴾ حيث رخَّصَ.

* * *

(١٨٣) - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾: فُرِضَ وأُوجِب.

و﴿ٱلصِّيَامُ﴾: مصدر: صام يصوم صومًا وصيامًا، والصِّيام في الشَّرع: إمساكٌ عن الطَّعام والشَّراب والنِّكاح من وقت طلوع الفجر إلى وقت غروب الشَّمس مع النِّيَّة.

﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾؛ أي: كتابةً كما كُتِبَ، فهو صفةُ مصدرٍ محذوفٍ، ويجوزُ أن يكون حالًا عن الصِّيام.

والمشابهةُ بينهما[١] من حيث إنَّ كلَّ واحدٍ صومُ أيَّامٍ.

الحسن والشَّعبي: كتب عليكم صوم رمضان كما كتب عليهم صوم رمضان، ثم حَوَّلوا وزادوا[٢].

---

(١) أي: بين الصيام المكتوب علينا، والصيام الذي كُتب على الذين من قبلنا.

(٢) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (٣/ ١٥٣) عن الشعبي، وروى نحوه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٣٠٥) عن الحسن.

الرَّبيع والسُّدِّي: من العَتمة إلى العَتمة؛ لا يحلُّ أكلٌ ولا شربٌ ولا نكاحٌ بعد النَّوم، ثم نُسِخَ[١].

و﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾ الحسن والشَّعبي: هم النَّصارى[٢].

مجاهدٌ وقتادة: أهل الكتاب[٣].

﴿لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾؛ أي: لتتَّقوا المعاصيَ بالصِّيام.

السُّدِّي: لتتَّقوا ما حُرِّم عليكم من المأكل والمشرب[٤].

وقيل: لتدخلوا في زمرةِ المتَّقين.

* * *

(١٨٤) ـ ﴿أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾.

﴿أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖ﴾ نُصبَت بـ﴿كُتِبَ﴾[٥]، ويجوز أن تُنصَب بـ(الصِّيامِ) إذا

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ١٥٤).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ١٥٣ ـ ١٥٤) عن الشعبي والسدي.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ١٥٥) عن مجاهد، وروى عن قتادة أنه كان على الناس كلهم.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ١٥٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٣٠٥).

(٥) على أنه مفعول به على السعة، وهو مذهب الفراء والأخفش، وقد عدَّه أبو حيان خطأ. انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ١١٢)، وللأخفش (١/ ١٦٩)، و«غرائب التفسير» (١/ ١٩٧)، و«البحر المحيط» (٢/ ١٨١)، و«ارتشاف الضرب» له (٣/ ١٤٠١).

جُعِلَت ﴿كما﴾ حالًا، فإن جُعِلَت مصدرًا فلا[(١)]، ويُحتمَلُ أن تتعلَّقَ بـ﴿تَتَّقُونَ﴾؛ أي: تتَّقون الأكلَ والشُّرب والنِّكاح أيّامًا[(٢)].

ومعنى ﴿مَّعۡدُودَٰتٍ﴾: قلائل، وهي ثلاثون يومًا أو تسعةٌ وعشرون يومًا.

وقيل: معيَّناتٍ، وهي شهرُ رمضان.

﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا﴾؛ أي: مرضًا يُخافُ من الصَّوم زيادةُ[(٣)] العلَّةِ.

﴿أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ﴾؛ أي: سفر يُرخَّصُ له القصرُ فيه، وهو مسيرةُ ثلاثةِ أيّامٍ فما فوقَها.

﴿فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ تقديره: فأفطرَ[(٤)]؛ لأنَّ[(٥)] الإفطارَ رخصةٌ، والصَّومُ أفضل.

---

(١) لأنك إن جعلتَه مصدراً حيل بين المصدر والمعمول بأجنبي، فلا يعمل فيه، وإن جعلته حالًا لم يمتنع عمله، وانتصابه على الظرفية، واستجاد هذا الوجه الزجاج، واختاره الزمخشري، وضعَّفه أبو حيان أيضاً، وذهب العكبري وأبو حيان إلى أنه مفعول به لفعل محذوف؛ أي: صوموا أياماً، وإلى هذا مال أكثر المعربين. انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٢٥٢)، و«غرائب التفسير» (١/ ١٩٧)، و«الكشاف» للزمخشري (١/ ٢٢٥)، و«التبيان» للعكبري (١/ ١٤٩)، و«البحر المحيط» (٢/ ١٨١).

(٢) لم أقف على أحد ذكر هذا الوجه ممن تقدَّم على المصنِّف، وقد أهمله المعربون بعده، وهو وجه وجيه عند التأمُّل، وإنما يوهم ضعفه أن التقوى لا ينبغي أن تتقيَّد بظرف أو أيام، لكن المصنِّف تنبَّه إلى هذا، وبيَّن أن هذا الوجه على معنى اتِّقاء الأكل والشرب، لا على معنى التقوى المعهود. انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٩٤)، و«الحجة» لأبي علي (١/ ٢٢)، و«التبيان» للعكبري (١/ ١٤٩)، و«الدر المصون» للسمين الحلبي (٢/ ٢٦٩).

(٣) «زيادة» من (ن).

(٤) وهذا من باب الاكتفاء بالمسبَّب من السبب، كما يسميه ابن جني. انظر: «الخصائص» (٣/ ١٧٦ ـ ١٧٧).

(٥) في (و): «فأن».

﴿فَعِدَّةٌ﴾؛ أي: فعليه عدّةٌ بعددِ ما أفطرَ فيها؛ إن شاء تابعَ، وإن شاء فرَّقَ.

﴿مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ سوى مرضِه وسفرِه. و(أُخَر): لا ينصرفُ للوصفِ والعَدْلِ عن الألفِ واللّام[1].

﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ﴾ أي: يكون لهم به طاقةٌ، وهي القوّة، والهاءُ تعودُ إلى الصَّوم.

ابن عباس[2] والشَّعبي: هذا في جميع النّاس؛ لأنَّ أوَّلَ ما وجبَ وجبَ بصفة الخيارِ ولزومِ الفداء، ثمَّ نُسِخَ بما يليه[3].

الحسن وعطاء: أراد الحاملَ والمرضعَ والشَّيخَ الكبير، فنُسِخَ الحاملُ والمرضعُ، وبقيَ الشَّيخُ الكبير[4].

السُّدِّيُّ: وعلى الذين كانوا يطيقونه، فعجزوا عنه[5].

وقيل: وعلى الذين لا يطيقونه، فأضمرَ (لا)[6].

---

(١) انظر: «شرح الكافية» للرضي (١/ ١١٦)، و«شرح شذور الذهب» لابن هشام (ص: ٥٨٩).

(٢) في (و): «عيسى».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ١٧٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٣٠٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما، ورواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ١٦٧) عن الشعبي.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ١٦٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما، و(٣/ ١٧٧) عن عطاء، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٣٠٨) عن الحسن وقتادة.

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ١٦٩).

(٦) وهذا على قراءة نُسبت لابن عباس ومجاهد وعكرمة؛ أنهم كانوا يقرؤون (يطوَّقونه). انظر: «تفسير عبد الرزاق» (١/ ٣٠٩)، و«المحلَّى» لابن حزم (٤/ ٤١٣).

﴿فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ﴾: هي مُدٌّ من طعام[1] لكلِّ يومٍ، يتصدَّقُ به على مسكينٍ.

و﴿طَعَامُ﴾ بدلٌ من الفدية، ومَن أضافَ جعلَه كقولهم: غرامةُ درهمٍ، ومن جمع (المساكين) فَلِجَمعِ ﴿ٱلَّذِينَ﴾[2].

وقيل: الهاءُ في ﴿يُطِيقُونَهُۥ﴾ تعود إلى الفداء، وفيه بُعدٌ.

﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا﴾؛ أي: فمن تطوَّعَ، فأطعمَ أكثرَ[3] من مسكينٍ واحدٍ؛ أي: زاد على ما يلزمه، ﴿فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥۚ﴾؛ أي: أنفع له؛ لأنَّه أعظم لثوابه.

﴿وَأَن تَصُومُواْ﴾ في المرض والسَّفر أفضلُ لأجرِكم وأعظمُ لثوابكم.

وقيل: هذا يرجعُ إلى أوَّل الآية؛ أي: كتب عليكم الصِّيام وأن تصوموا ﴿خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾.

﴿إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ أي: مميِّزين، وقيل: ﴿إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ أنَّ المشقّةَ فيه أكثر.

* * *

(١٨٥) ـ ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾.

---

(١) «طعام»: ليس في (و).

(٢) قرأ نافع وابن عامر: ﴿فديةُ طعامِ مساكينَ﴾ بالإضافة والجمع، وقرأ الباقون بالتنوين والإفراد. انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ١٧٦).

(٣) «أكثر»: ليس في (و).

﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ﴾ أي: تلك الأيَّامُ شهرُ رمضان(١).

ويجوز أن يكونَ بدلًا من الصَّوم، وتقديره: كُتِبَ عليكم شهرُ رمضان؛ أي: صيامُه(٢).

ويجوز أن يكونَ مبتدأ، وخبرُه: ﴿ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ﴾.

و(رمضانُ) مشتَقٌّ من (الرَّمَض)، وهو شدّة وَقْعِ الشَّمس على الرَّمل وغيره؛ لأنَّهم سمَّوُا الشُّهور بالأزمنة التي فيها، فوافقَ رمضانُ أيّامَ رَمَضِ الحرِّ، ويُجمَعُ على (رمضاناتٍ).

وذكر الثَّعلبيُّ أنَّه اسمٌ من أسماء الله تعالى، قال: ورُوي عن أنسٍ أنَّه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقولوا: رمضان، انسبُوه كما نسبَه الله في القرآنِ فقال: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ﴾»(٣).

---

(١) فهو خبر لمبتدأ محذوف.

(٢) أي: كتب عليكم الصيام صيام شهر رمضان، فحُذف المضاف، وأُقيم المضاف إليه مقامه.

(٣) انظر: «تفسير الثعلبي» (٤/ ٤٤١)، والحديثُ رواه الثعلبي عن أنس رضي الله عنه، وقد رُوي نحوه عن أبي هريرة وابن عمر وعائشة رضي الله عنهم، لكن لا يُفرَح بهذه الروايات؛ فكلها ضعيفة؛ فقد رواه ابن عدي في «الكامل» (٨/ ٣١٣)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٧٩٠٤)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ورواه تمام في «فوائده» (٢٤١)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

ورواه ابن النجار كما في «اللآلئ المصنوعة» للسيوطي (٢/ ٩٨) عن عائشة رضي الله عنها.

وقد قال الإمام النووي في «المجموع» (٦/ ٢٤٧): «ويقال: رمضان وشهر رمضان، هذا هو الصحيح الذي ذهب إليه البخاري والمحققون... وقولهم: إنه من أسماء الله تعالى ليس بصحيح، ولم يصحَّ فيه شيء، وأسماء الله تعالى توقيفية، لا تُطلق إلا بدليل صحيح، ولو ثبت أنه اسم لم يلزم منه كراهة، وقد ثبتَت أحاديث كثيرة في «الصحيحين» في تسميته (رمضان) من غير (شهر) في كلام رسول الله ﷺ».

﴿ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ أي: ابتُدِئ إنزالُ القرآنِ في شهرِ رمضان.

ابن عبّاسٍ وسعيد بن جبير والحسن: أُنزِلَ كلُّه في ليلةِ القدر إلى السَّماء الدُّنيا، ثم أُنزِلَ على النَّبيِّ ﷺ نجومًا[١].

وقيل: كان ينزلُ كلَّ[٢] ليلةِ قدرٍ ما يُحتاجُ إليه إلى مثلِها من القابلِ.

وقيل: قوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ [الدخان: ٣] يُرادُ بها ليلة القدر، كقوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ [القدر: ١]، وليلةُ القدر في شهرِ رمضانَ؛ لقوله: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾.

القفّال: ﴿أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾؛ أي: في إيجابِه وإلزامِ صومِه[٣].

وقيل: في شأنِه ومنزلتِه، كما تقولُ: نزلَ في عليٍّ سورةُ ﴿هَلْ أَتَىٰ﴾[٤].

﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ في أصولِ إيمانِهم.

﴿وَبَيِّنَٰتٍ﴾: شرائعَ ﴿مِّنَ ٱلْهُدَىٰ﴾: الحلال والحرام.

﴿وَٱلْفُرْقَانِ﴾؛ أي: بين الحقِّ والباطل.

---

(١) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (٧٩٣٥)، والطبري في «تفسيره» (٣/ ١٩٠)، والحاكم في «المستدرك» (٢٨٧٨)، عن ابن عباس رضي الله عنهما. ورواه سعيد بن منصور في «سننه ـ التفسير» (٧٩)، والدولابي في «الكنى والأسماء» (٦٤٣) عن سعيد بن جبير، وانظر قول الحسن في «تفسير الثعلبي» (١٢/ ١٩٠).

(٢) «كل» من (ن).

(٣) ذكره المصنِّف في «غرائب التفسير» (١/ ١٩٨) واستغربه، وذكره أبو العباس البسيلي في «التقييد الكبير» (ص: ٤٤٤)، وعدَّه تكلُّفًا لا داعي له.

(٤) روى ذلك الثعلبي في «تفسيره» (٢٨/ ٢٢٤ ـ ٢٢٧) في حديث طويل لا يصحُّ، وانظر: «تفسير السمعاني» (٦/ ١١٦)، و«مفاتيح الغيب» للرازي (١٢/ ٣٨٦).

﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ﴾ أدركَه وحضرَ وهو من أهلِ الخطاب.

﴿فَلْيَصُمْهُ﴾ حتمًا، ونُسِخَ الخيارُ، والهاء تعودُ إلى الشَّهر، وجعلَه مفعولًا به[1].

وقيل: فليصم فيه، فحذفَ الجارَّ[2].

﴿وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ ثمَّ أعادَ ذكرَ المريض والمسافر ليُعلَمَ أنَّهما على ما كانا عليه من الخيارِ المذكور في الآية الأولى.

وقيل: إنَّما أعادَ لأنَّ الآيةَ الأولى نزلَت على أنَّ المريضَ والمسافرَ بالخيار بين[3] الصَّوم والفداء، وفي هذه الآية مخيَّرٌ بين الصَّوم والإفطار والقضاء.

﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ﴾ حيث رخَّصَ للمريض والمسافر في الإفطار.

﴿وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ تأكيدٌ للأوَّل.

وقيل: ﴿ٱلْيُسْرَ﴾: الخير والصَّلاح كـ(اليُسرى)، و﴿ٱلْعُسْرَ﴾: الشِّدّة والشَّرُّ كـ(العُسرى).

﴿وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ﴾ لتتمُّوا العدّةَ في قضاءِ ما أفطرتم، ﴿وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ﴾ شكرًا على ما رخَّصَ لكم وأرشدَكم إليه.

---

(١) وهو ما يُعرف بالمفعول على السعة. انظر: «الكامل» للمبرد (١/ ٣٣)، و«غرائب التفسير» (١/ ١٩٧)، و«الكشاف» للزمخشري (١/ ٢٢٥)، و«التبيان» للعكبري (١/ ١٥٢)، و«اللباب» له أيضاً (١/ ٢٧٤)، و«المقاصد الشافية» للشاطبي (٣/ ١٢٧).

(٢) فانتصب انتصاب المفعول، وهو ما يُسمى النصب بنزع الخافض، وهو منبنٍ على أنَّ كلمة (الشهر) في قوله: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ﴾ مفعول فيه أيضاً، وهذا هو الوجه الذي كان أبو علي الفارسي يراه، واعتمده المصنِّف والزمخشري. انظر: «الحجة» لأبي علي (١/ ٣٤)، و«الخصائص» لابن جني (٢/ ٣٧٥)، و«غرائب التفسير» (١/ ١٩٨)، و«الكشاف» للزمخشري (١/ ٢٢٨).

(٣) في (و): «في».

وقيـل: ﴿وَلِتُكْمِلُواْ ٱلْعِدَّةَ﴾ عـددَ أيّامِ الشَّـهر؛ لقولِـه: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ﴾، ﴿وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ﴾؛ يعني: ليلةَ العيدِ وغداتَه.

﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾؛ أي: تشكرونَ على ما هداكم إليه.

وقيل: على الرُّخصةِ.

ودخل الواو عطفًا على المعنى؛ أي: رخَّص ليسهِّل لكم ولتكملوا.

وقيل: الواوُ لعطفِ جملةٍ على جملةٍ، والتَّقدير: ولتكملوا العدّة ولتكبِّروا الله.

﴿عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ﴾: فرَض عليكم، أو(١) رخَّصَ لكم.

***

(١٨٦) ـ ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾.

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى﴾ الضَّحّاك: قال: سأل رجلٌ رسولَ الله ﷺ فقال: أقريبٌ ربُّنا فنُناجيه أم بعيدٌ فنُناديه؟ فأنزل الله هذه الآية(٢).

وعن الكلبيِّ عن أبي صالح: نزلت في اليهودِ حين قالوا: يا رسولَ الله، كيف يكونُ ربُّنا قريبًا يُجيبُ دعاءَنا كما زعمْتَ، وأنت تخبرُنا أنَّ بينَنا وبينه سبعَ سماواتٍ، بينَ كلِّ سماءٍ وسماءٍ مسيرةُ خمسمئة عامٍ(٣)؟

---

(١) في (و): «أي».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ٥١٢) عن الضحاك. ورواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٢٢٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٣١٤)، والدارقطني في «المؤتلف والمختلف» (٣/ ١٤٣٥)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٣/ ٥٣٥)، عن الصلب بن حكيم عن أبيه عن جده. وانظر: حاشية الشيخ أحمد شاكر على «تفسير الطبري» (٣/ ٤٨٠).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ٥١١)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ١٤٥).

مجاهد: لما نزلت: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ﴾ [غافر: ٦٠] قيل: إلى أين ندعوه؟ فنزلت هذه الآية[١].

الحسن: سألتِ الصَّحابةُ: أين ربُّنا؟ فأنزلَ الله هذه[٢] الآية[٣].

قوله: ﴿عِبَادِي﴾ الضَّحاك: المؤمنون، الكلبيُّ: اليهود، مجاهدٌ والحسن: الصَّحابة[٤]، والأحسنُ أن يُجعَلَ عامًّا[٥].

﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ معناه: لا يخفى عليَّ شيءٌ من أقوالهم وأفعالهم[٦] وظواهرهم وبواطنهم.

وقيل: بالرَّحمة والثَّواب من قوله: ﴿إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦].

وليس المرادُ من القُربِ قُربَ المكان، تعالى الله عنه؛ لأنَّ العبادَ في أمكنةٍ متباعدةٍ، فيُوجبُ قربَه من واحدٍ بعدَه من آخر، ويوجب الأجزاء[٧] وكثرتها، والله سبحانه منزَّهٌ عن هذا[٨].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٢٢٥)، وفيه: «فنزلت: ﴿فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾»، وانظر: «النكت والعيون» للماوردي (١/ ٢٤٢).

(٢) في (ن): «فنزلت هذه».

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٩٦)، والطبري في «تفسيره» (٣/ ٢٢٣).

(٤) سلف تخريج هذه الأقوال في سبب نزول الآية.

(٥) يُلاحظ أنَّ المصنِّف نقل أقوال المفسرين من الصحابة والتابعين، ولكنَّه رأى فيها تخصيصاً لعموم اللفظ القرآني، فحاد عن هذه الأقوال، واستحسن التمسُّكَ بعموم النصِّ، وهذا منهج متبَّع عنده.

(٦) «وأفعالهم»:ليست في (و).

(٧) في (ن): «ويوجب كونه من الأجزاء».

(٨) ما جاء في الكتاب والسنة من قربه ومعيته فإنَّه ينبغي تنزيهه سبحانه وتعالى عن مشابهة المخلوقين؛ =

﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾: أستجيبُ لكم، من قوله: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[1]، وذلك إذا دعاه وقال: إن كان لي الخِيَرةُ فيما سألتُك.

وقيل: ﴿أُجِيبُ﴾ إن شئتُ، من قوله: ﴿فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ﴾ [الأنعام: ٤١].

وقيل: معنى ﴿أُجِيبُ﴾: أتقبَّلُ ﴿دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ﴾: عبادة العابد، من قوله عليه السَّلام: «الدُّعاء هو العبادة»[2].

وقيل: ﴿أُجِيبُ﴾: أسمع، كما تقول: أسمع بمعنى: أجيب، من قولهم: (سمع الله لمن حمدَه)؛ أي: أجاب.

﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى﴾ إذا دعوتُكم إلى طاعتي، وقيل: دوموا عليها.

﴿لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾: ليرشدوا ويدخلوا جنَّتي.

* * *

(١٨٧) ـ ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ وَلَا تُبَـٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَـٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَـٰجِدِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَـٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾.

= فإنه سبحانه ليس كمثله شيء في جميع صفاته.

(١) «من قوله ادعوني أستجب لكم»: ليس في (و).

(٢) رواه أبو داود (١٤٧٩)، والترمذي (٢٩٦٩)، وابن ماجه (٣٨٢٨)، من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه، وقال الترمذي: «حديث حسن صحيح».

﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ﴾ البراءُ بن عازبٍ قال: كان المسلمون إذا أفطروا يأكلون ويشربون ويمسُّون النِّساء مالم يناموا، فإذا ناموا لم يفعلوا شيئًا من ذلك إلى مثلِها، وإنَّ قيسَ بنَ صِرْمةَ الأنصاريَّ كان صائمًا، فأتى أهلَه عند الإفطار، فانطلقَتِ امرأتُه تطلبُ شيئًا، فغلبَتْه عينُه فنام، فلمّا انتصف النَّهار من غدٍ غُشِي عليه(١).

قال: وأتى عمرُ امرأتَه وقد نامَتْ، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ، فنزل: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾، ففرح المسلمون بذلك، فصارت الآية ناسخةً لآية(٢): ﴿كَمَا كُتِبَ﴾ على الوجه الذي سبقَ(٣).

﴿لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ﴾: هي كلُّ ليلةٍ يصبحُ الرَّجلُ في غداتها صائمًا.

﴿ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾ يعني: الإفضاء إليهنَّ بالجماع وغيره، والرَّفث: الجماع، والرَّفث أيضًا: ذِكْرُ الجماع والتَّعريضُ به، وقيل: الأصلُ فيه فُحْشُ القَول.

﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ نزَّلهنَّ منزلةَ اللِّباسِ لِما بين الزَّوجين من الاستمتاع والتَّضامِّ، قال الشّاعر:

---

(١) رواه البخاري (١٩١٥).

(٢) في (و): «لذلك».

(٣) لم أقف عليه بهذا اللفظ من حديث البراء رضي الله عنه، وقد رواه البخاري (٤٥٠٨) بغير تسمية لعمر رضي الله عنه، ورواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٢١٢٤)، والحاكم في «المستدرك» (٣٠٨٥) عن ابن أبي ليلى عن معاذ، وصحَّحه، ووافقه الذهبي. ورواه أبو داود (٥٠٦)، من حديث عبد الرحمن بن أبي ليلى رحمه الله ضمن حديث الأذان. ورواه الإمام أحمد في «المسند» (١٥٧٩٥) من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه.

إذا ما الضَّجيعُ ثَنَى جِيْدَها[١] تَثَنَّتْ[٢] فكانَتْ عَلَيْهِ لِباسا[٣]

﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ﴾: تخونونها بالمعاصي، والخيانةُ: انتقاصُ الحقِّ على جهة المساترة.

﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾: فخفَّف عنكم، ﴿وَعَفَا عَنكُمْ﴾ ما كان منكم من[٤] قبلُ.

﴿فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ﴾: جامعوهنَّ في ليالي الصَّوم، والمباشرةُ: إلصاقُ البشرةِ بالبشرة.

﴿وَٱبْتَغُوا۟﴾: واطلبوا ﴿مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ الحسن: الولد[٥].

قتادة: الحلال الذي في الكتاب ـ وهو القرآنُ ـ من تحليل النِّساء ليلةَ الصِّيام[٦].

وعن ابن عبّاسٍ: ﴿مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾: ليلة القدر[٧].

وقيل: معنى: ﴿وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ معنى قوله: ﴿فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٢٢]. وقيل: معناه: ﴿وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ من الأزواجِ وملكِ اليمين؛ أي: لا تبتغوا غيرَهنَّ.

﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ﴾: يظهر لكم.

---

(١) في (ن): «عطفها».

(٢) في (ن): «تداعت»، وكلاهما رواية في البيت.

(٣) البيت للنابغة الجعدي. انظر: «ديوانه» (ص: ٨١)، و«الشعر والشعراء» لابن قتيبة (١/ ٢٨٧)، و«تفسير الطبري» (٣/ ٢٣١).

(٤) «من»: ليس في (ن).

(٥) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٨٨)، والطبري في «تفسيره» (٣/ ٢٤٥).

(٦) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٨٩)، والطبري في «تفسيره» (٣/ ٢٤٧).

(٧) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٢٤٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٣١٧).

﴿ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ﴾ يعني: الفجر الثّاني.

﴿مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ﴾؛ أي: ممّا كان في مكانه من الظَّلام.

الزَّجّاج: هما فجران؛ أحدهما: يبدو أسود معترضًا، وهو الخيط الأسود، والثّاني: الأبيض الذي يطلعُ ساطعًا يملأ الأفق(١).

وقيل: النَّهار من اللَّيل، وجعل ذلك خيطًا؛ لأنَّه أوَّلَ ما يظهرُ يكونُ دقيقًا كالخيط، ثم ينتشرُ في الأفق.

قوله: ﴿مِنَ ٱلۡفَجۡرِ﴾ بيانٌ أنَّ الخيطين من الفجر، لا من غيرِهما.

وعن سهل بن سعدٍ: أنَّه نزل ﴿ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ﴾ ولم ينزل: ﴿مِنَ ٱلۡفَجۡرِ﴾، فكان رجالٌ إذا أرادوا الصَّومَ ربطَ أحدُهم في رجليه الخيط الأبيض والخيط الأسود، فلا يزالُ يأكل ويشرب حتى يتبيَّنَ له رِئْيُهُما، فأنزل الله: ﴿مِنَ ٱلۡفَجۡرِ﴾(٢).

وعن عديٍّ(٣) بن حاتمٍ قال: قلْتُ للنَّبيِّ ﷺ وضعتُ تحت رأسي خيطًا، فلم يتبيَّن لي شيءٌ، فقال لي: «إنّك إذًا لعريضُ الوِسادِ، إنَّما ذلك النَّهارُ من اللَّيل»(٤).

﴿ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِ﴾؛ أي: ولا رخصةَ لكم في شيءٍ آخر، والإتمامُ يصلحُ لابتداء الأمر، ويصلحُ لِما بعد الدخول(٥).

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٢٥٧).

(٢) رواه البخاري (١٩١٧)، ومسلم (١٠٩١).

(٣) في (و): «علي».

(٤) رواه البخاري (٤٥١٠)، ومسلم (١٠٩٠).

(٥) في (و): «بعد الأمر».

﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمۡ عَٰكِفُونَ فِي ٱلۡمَسَٰجِدِۗ﴾: لا تجامعُوا النِّساءَ[1] في ليالي الصَّومِ وأنتم عاكفونَ في المساجد؛ فإنَّ الجماعَ يفسدُ الاعتكاف.

والاعتكافُ: لزومُ عبادةِ الله في مسجدٍ[2] تُقامُ فيه الجماعةُ مع الصَّوم.

﴿تِلۡكَ﴾ إشارةٌ إلى ما تقدَّمَ من الأحكام.

﴿حُدُودُ ٱللَّهِ﴾ جمع حدٍّ، وهو اسمٌ لكلِّ ما أمرَ الله به أو نهى عنه، مشتقٌّ من (الحدِّ)، وهو المنعُ.

﴿فَلَا تَقۡرَبُوهَاۗ﴾؛ أي: لا تقربوا المنهيّاتِ منها بفعلِها، وقيل: لا تقربوها بالمخالفة والتَّغيير.

﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ﴾؛ أي: يبيِّنُ ما يتعبَّدُ به الخلْقُ[3] تَبْيينًا مثلَ هذا.

﴿ءَايَٰتِهِۦ﴾: أحكامَه وشرائعَه.

﴿لِلنَّاسِ﴾: للخلق.

﴿لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ﴾: لكي يتَّقوا المحارمَ والمحظوراتِ.

* * *

(١٨٨) ـ ﴿وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ وَتُدۡلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلۡحُكَّامِ لِتَأۡكُلُواْ فَرِيقٗا مِّنۡ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلۡإِثۡمِ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾.

﴿وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ﴾ مقاتل بن حيّان: نزلت في امرِئِ القيسِ بن

---

(١) في (و): «تجامعوهنَّ».

(٢) في (و): «موضع».

(٣) في (و): «الحق منه».

عابسٍ الكنديِّ وعبدانَ بنِ أشْوَع، اختصما إلى رسول الله ﷺ في أرضٍ، وكان امرُؤُ القيس المطلوبَ وعبدانُ الطّالبَ، فأنزلَ الله هذه الآية، فحكَّمَه عبدانُ في أرضه ولم يخاصمْه[1].

قولـه: ﴿بِٱلۡبَٰطِلِ﴾ أي: بغيـر الحـقِّ، وبغير الوجـهِ الذي أباحَه الله؛ أي: بسـببٍ باطلٍ يتعلَّقـونَ به.

﴿وَتُدۡلُواْ بِهَآ﴾ الزَّجّاج: بالحجّة[2].

غيرُه: بالأموال.

﴿إِلَى ٱلۡحُكَّامِ﴾؛ أي: ترفعوا أمرَها إلى القضاة، فتختصمُوا فيها عندهم.

والإدلاء: من (إدلاء الدَّلو)، وهو إلقاؤُها في البئرِ يُستسقى بها.

وقيـل: هـو إذا ائتمنكـم ربُّ الحـقِّ، ولا تكـونُ لـه بيِّنـة، وأنكرتُـم[3] وحلفتُم عنـد الحاكم[4].

وقيل: لا تدلوا بها إلى الحكّام؛ أي: لا ترشُوا بها إلى الحاكم.

وقيل: هو أن تأكلَ مالَ أخيك بشهادةِ الزُّور، وتُدلُوا بها إلى الحكّام، فتقيموا بيِّنةً غيرَ عادلةٍ، فيحكمُ القاضي بالظّاهر، وحُكمُ القاضي في بابِ الأموالِ لا يُحِلُّ حرامًا، ولا يحرِّم حلالًا.

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٧) عن مقاتل بن حيان وابن السائب، وذكره مقاتل بن سليمان في «تفسيره» (٢/ ٤٨٦)، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٣٢١) عن سعيد بن جبير أيضاً.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٢٥٨).

(٣) في (و): «فإن أنكرتم».

(٤) «عند الحاكم»: ليس في (ن).

و﴿وَتُدْلُواْ﴾ يجوزُ أن تكون جزمًا، ويجوزُ أن تكون نصبًا[١].

﴿لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا﴾: طائفةً ﴿مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ﴾: بالحرام، ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنَّكم مُبطِلون.

* * *

(١٨٩) - ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ وَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ﴾ سأل معاذُ بن جبلٍ وثعلبةُ بن غَنَمةَ الأنصاريَّين[٢] قالا: يا رسول الله، إنَّ اليهود تغشانا ويكثرونَ مسألَتنا عن الأهلّة، فأنزل الله هذه الآية[٣].

والمعنى: يسألونَكَ عن الحكمةِ في زيادةِ الهلال ونقصانِ القمر.

والأهلّةُ: جمع هلالٍ، والهلالُ: الطّالعُ في أوَّلِ كلِّ شهرٍ، ثم[٤] يزيدُ نورُه حتى يصيرَ قمرًا[٥]، مشتقٌّ من (الإهلال)؛ وهو رفعُ الصَّوتِ عند رؤيتِه.

﴿قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ﴾ فـي محلِّ ديونِهم، وعدّةِ نسائِهم، وحَملِ حواملِهم، وأُجرةِ أُجرائِهم.

---

(١) وجه الجزم العطف على الفعل المجزوم (لا تأكلوا)، ووجه النصب أنَّ الواو في (وتدلوا) للمعية، وإشكالُ هذا الوجه من جهة المعنى ظاهر. انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٩٨).

(٢) «الأنصاريين»: ليس في (و).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٧)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٥٣).

(٤) في (و): «ثم يزيد».

(٥) واسم القمر: الزبرقان، واسم دارته: الهالة، واسم ضوءه: الفخت، واسم ظله: السمر. انظر: «غرائب التفسير» (١/ ٢٠٢).

وجُمِعَ لتجدُّدِه في[1] كلِّ شهرٍ.

والميقاتُ: مُنتهى الوقت.

﴿وَٱلۡحَجِّ﴾: القصدُ إلى البيتِ بالعملِ المشروع.

﴿وَلَيۡسَ ٱلۡبِرُّ بِأَن تَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا﴾ قال المفسِّرون: كان النّاسُ في الجاهليّةِ وفي أوَّلِ الإسلامِ إذا أحرَمَ واحدٌ منهم بالحجِّ أو العمرة، لم يدخل حائطًا ولا بيتًا ولا دارًا من بابه، فإن كان من أهل الـمَدَرِ نقبَ نقبًا في ظهرِ بيتِه؛ منه يدخلُ ويخرج، أو يتَّخذُ سُلَّمًا فيصعدُ فيه، وإن كان من أهلِ الوَبرِ خرجَ من[2] خلفِ الخيمةِ والفُسْطاط، ولا يدخلُ من الباب ولا يخرجُ منه حتى يحلَّ من إحرامِه، ويرون ذلك برًّا، إلَّا أن يكونَ من الحُمْسِ؛ وهم قريشٌ وكِنانةُ وخُزاعةُ وثَقِيفٌ وجُشَمُ وبنو عامرِ بن صَعْصَعةَ وبنو نَضْرِ بن معاويةَ، سمُّوا حُمسًا؛ لتشدُّدِهم في دينهم.

قالوا: فدخلَ رسولُ الله ﷺ ذاتَ يوم بيتًا لبعض الأنصار، فدخلَ رجلٌ من الأنصار على أثَرِه من البابِ وهو محرِمٌ، فأنكروا عليه، فقالَ له رسول الله ﷺ: «لِمَ دخلْتَ مِنَ البابِ وأنتَ مُحرِمٌ؟» قال: رأيتُكَ دخلْتَ فدخلْتُ على أثَرِكَ، فقال رسول الله ﷺ: «إنِّي أحمسُ[3]» قال الرَّجلُ: إنْ كنْتَ أحمسَ فأنا أحمسُ[4]، دينُنا واحدٌ، رضيْتُ بهديِكَ وسَمْتِكَ ودِيْنِكَ، فأنزل الله هذه الآية[5].

---

(١) في (ن): «مع».

(٢) «من»: ليس في (ن).

(٣) في (و): «أحمسي».

(٤) في (و): «أحمسيًّا فأنا أحمسيٌّ».

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٢٨٨) عن الربيع، وانظر: «تفسير مقاتل بن سليمان» (١/ ١٦٧)، و«تفسير عبد الرزاق» (١/ ٣١٣)، و«معاني القرآن» للفراء (١/ ١١٦)، و«البسيط» للواحدي =

جابرٌ: كان الرجلُ قطبةَ بنَ عامرٍ الأنصاري[١].

﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ محارمَ الله.

﴿وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا﴾: جمعُ بابٍ، وهو الممرُّ الذي يُدخَلُ منه على العادات الجارية.

وقيل: إنَّما هو مثلٌ ضربَه الله؛ أي: ائتوا البرَّ مِن وجهِه.

وقيل: إنَّ قريشًا وأحياءً معها من العرب كانوا إذا خرجَ واحدٌ منهم إلى سفرٍ بحاجةٍ، ثم رجع قبل أن يبلغَها لم يدخل من باب بيتِه إلى الحولِ من يوم رجع، ولكن يدخل من ظهره أو ينقب نقبًا، وكانوا يفعلون ذلك طِيرةً، فنهاهم الله، وقال سبحانه: ﴿وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا﴾[٢].

﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ فيما أمركم به ونهاكم عنه.

﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾؛ أي: لتفوزوا بالنَّعيمِ والثَّوابِ الجزيل.

* * *

(١٩٠) ـ ﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾.

= (٣/ ٦١٨)، و«العجاب في بيان الأسباب» لابن حجر (١/ ٤٥٧).

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (١٧٧٧)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٥٤)، قال ابن حجر في «فتح الباري» (٣/ ٦٢١): «أخرجه ابن خزيمة والحاكم... وهذا الإسناد وإن كان على شرط مسلم لكن اختُلِفَ في وصله على الأعمش عن أبي سفيان؛ فرواه عبدُ بن حميد عنه، فلم يذكر جابرًا».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٠٣)، واستغربه.

﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ﴾ الكلبيُّ عن أبي صالحٍ عن ابن عبّاسٍ: نزلت هذه الآية في صُلحِ الحُدَيْبية، وذلك أنَّ رسول الله ﷺ لَمّا صُدَّ عن البيت هو وأصحابُه نحروا الهديَ بالحُدَيْبية، ثم صالحَه المشركون على أن يرجعَ عامَه القابلَ على أن يُخلوا له مكّةَ ثلاثةَ أيّامٍ؛ فيطوفَ بالبيت ويفعلَ ما يشاء، فصالَحهم رسولُ الله ﷺ، فلمّا كان العامُ المقبلُ تجهَّزَ رسولُ الله ﷺ وأصحابُه لعمرة القضاء، وخافوا أن لا تفيَ لهم قريشٌ بذلك، وأن يصدُّوهم عن المسجد الحرام ويقاتلوهم، وكرِهَ أصحاب رسول الله ﷺ قتالهم في الشَّهر الحرام في الحَرَم، فأنزلَ الله: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ﴾؛ يعني: قريشًا(١).

الحسن والرَّبيع وابن زيد: هي منسوخةٌ، نسخَتها: ﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ كَآفَّةٗ﴾ [التوبة: ٣٦](٢).

ابن عبّاسٍ: هي محكمةٌ(٣).

﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: تقرُّبًا إلى الله، وطلبًا لمرضاته.

﴿وَلَا تَعۡتَدُوٓاْ﴾ فتقاتلوا على غيرِ دينِ الله.

وقيل: ﴿وَلَا تَعۡتَدُوٓاْ﴾ فتقاتلوا مَن لا يقاتلُكم.

وقيل: ﴿وَلَا تَعۡتَدُوٓاْ﴾ فتتركوا القتالَ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾: المتجاوزين، والاعتداءُ: تجاوزُ الصَّلاحِ إلى الفساد.

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٣٤)، والواحدي في «البسيط» (٣/ ٦٢٣).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٢٨٩ ـ ٢٩٠) عن الربيع وابن زيد، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٧) عن الحسن.

(٣) هذا معنى ما رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٢٩١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٣٢٥).

(١٩١) ـ ﴿وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

﴿وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾: ظفرتم بهم.

﴿وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ﴾؛ يعني: مكّةَ، وعدَهم اللهُ فتحَ مكّةَ بهذه الآية، فأنجزَ وعدَه.

وقيل: ﴿مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ﴾؛ أي: لسببِ إخراجِهم إيّاكم.

﴿وَٱلْفِتْنَةُ﴾: الكفرُ، وقيل: الفتنةُ هاهنا[1]: تعذيبُهم نفرًا من المؤمنين بمكّةَ للارتداد.

﴿أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ في الحرم.

﴿وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ﴾؛ أي: لا تَبدؤوهم بقتلٍ أو قتالٍ في الحرم.

﴿فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ مَن قرأ بالألف فوجهُه ظاهرٌ، ومَن قرأ بغيرِ الألفِ أراد حتى يقتلُوا بعضَكم[2].

***

(١٩٢ ـ ١٩٣) ـ ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوْا فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْا فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

---

(١) في (و): «والفتنة أشدها هنا».

(٢) قرأ حمزة والكسائي ﴿ولا تقتلوهم﴾، ﴿حتى يقتلوكم﴾، ﴿فإن قتلوكم﴾ بغير ألف، والباقون بالألف. انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ١٧٩)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٠).

﴿فَإِنِ انتَهَوْا﴾ عن كفرِهم، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾؛ أي: لهم.

﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾؛ أي: كفرٌ.

﴿وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾ فلا يُعبَدُ معه غيرُه، قيل: أراد به أهلَ مكّةَ خاصّةً، وقال في الأنفال: ﴿الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩]؛ لأنّه أمرَ فيها بقتالِ الكفّارِ كافةً(١).

﴿فَإِنِ انتَهَوْا﴾ عن الكفرِ، ﴿فَلَا عُدْوَانَ﴾؛ أي: جزاء العدوان، وسمّاه (عدوانًا) على الازدواجِ، كما سبق (٢).

﴿إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾: الكافرين.

وقيل: هذه ناسخةٌ للأولى مرخِّصةٌ للقتالِ في الحرم.

وقيل: بل هي مُحكَمةٌ كما كانت.

* * *

(١٩٤) ـ ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ ۚ فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾.

﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾ قال قتادة: أقبلَ نبيُّ الله عليه السّلام وأصحابُه في ذي القعدة، حتى إذا كانوا بالحُدَيْبية صدَّهم المشركون، فلمّا كان العامُ المقبلُ دخلوا مكّةَ، فاعتمروا في ذي القعدة، ونحروا الهدي بمنًى، وأقاموا بها ثلاثةَ أيّامٍ(٣)، وكان

---

(١) لم أقف على مَن ذكر هذا قبل المصنف، وقد ذكره في «غرائب التفسير» (١/ ٢٠٤)، و«البرهان» (ص:٨٤).

(٢) في قوله: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾، وقد سمّاه هناك مزاوجةً، وانظر: «تأويل مشكل القرآن» لابن قتيبة (ص: ١٧١)، و«الحجة» لأبي علي الفارسي (١/ ٣١٥ ـ ٣١٦)، و«غرائب التفسير» (١/ ٢٠٤).

(٣) في (ن): «ثلاث ليال».

المشركون قد فخروا عليه حين ردُّوه يوم الحُدَيْبية، فأقصَّهُ الله منهم، وأنزل: ﴿ٱلشَّهۡرُ ٱلۡحَرَامُ﴾ الآية[١]؛ أي: الشَّهر الحرام بالشَّهر الحرام على جهة التَّعويضِ لما فاتَ في السَّنة الأولى.

وقيل: قتالُ الشَّهرِ الحرامِ[٢] بقتالِ الشَّهرِ الحرام، فـ﴿ٱلشَّهۡرُ﴾ مبتدأٌ، و﴿بِٱلشَّهۡرِ﴾ خبره.

والمعنى: للمسلمين أن ينتهكوا حُرمةَ الشَّهرِ الحرام بسبب انتهاك الكافرين لها أوَّلًا.

﴿وَٱلۡحُرُمَٰتُ قِصَاصٞ﴾؛ أي: وتركُ الحرماتِ قصاصٌ؛ أي: تُرفَض الحُرمةُ برفضِ الكفّار لها؛ لأنَّهم أرادوا أن يُغيروا [على][٣] النَّبيِّ ﷺ في الشَّهر الحرام، فيُقاتلوه[٤].

والأشهرُ الحرمُ أربعةٌ: ذو القَعدة، وذو الحِجّة، والمحرَّم، ورجبٌ.

والمرادُ به هاهنا: ذو القَعدة، وسمِّي «ذو القَعدة» لقعودِهم فيه عن القتال[٥].

وجمعَ (الحرمات) لأنَّها حرمةُ الشَّهر، وحرمةُ البلد، وحرمةُ الإحرام.

وقيل: لعمومها في جميع الحرمات.

﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ﴾ بقتلٍ أو قتالٍ.

﴿فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ﴾؛ أي: قابلوهم بمثلِه صورةً ومقدارًا.

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٠٠)، والطبري في «تفسيره» (٣/ ٣٠٦).

(٢) «الحرام»: ليس في (و).

(٣) زيادة يقتضيها السياق.

(٤) في (و): «فيقابلوا»، وفي (ن): «فيقابلوه»، والمثبت هو الصواب، والله أعلم.

(٥) انظر: «جمهرة اللغة» لابن دريد (٢/ ٦٦٢) مادة (ق ع د).

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في مجاوزةِ ما حُدَّ لكم.

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ بالنَّصرِ والمغفرة.

***

(١٩٥) ـ ﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: الطَّريقِ الذي شرعَه الله لعباده؛ أي: تعاونوا على مجاهدةِ الكفّارِ بالمالِ والعُدّةِ والسَّلاح.

﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ ابن عبّاسٍ والحسن وقتادة ومجاهدٌ والضَّحّاك: بالامتناعِ من الإنفاقِ في سبيل الله(١).

البراء بن عازبٍ: بارتكاب(٢) المعاصي؛ لليأسِ من المغفرة(٣).

وقيل: بتقحُّمِ الحربِ من غير نكايةٍ في العدوِّ.

أبو عليٍّ(٤): بالإسرافِ في الإنفاقِ الذي يأتي على النَّفسِ.

والإلقاءُ: تصييرُ الشَّيء إلى جهةِ السُّفل(٥).

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٣١٣ ـ ٣١٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وقتادة والحسن والضحاك.

(٢) في (و): «لارتكاب».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٣١٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٣٣٢).

(٤) «أبو علي» من (ن).

(٥) ذكر الواحدي في «البسيط» (٣/ ٦٣٢) عن أبي علي قوله: «المعنى: لا تقربوا مما يهلككم؛ لأن مَن ألقى يَدَهُ إلى الشيء فقد قَرُبَ منه، وهذا مبالغة في الزجر وتأكيد؛ لأن النهي إذا وقع عن مشارفته ومُقاربته فمباشرته أولى بالانتهاء، وكان المعنى: لا تقربوا من ترك الإنفاق في سبيل الله».

والباء يُحتمَل أن تكون زيادة[١]، ويُحتمَل أن يكون[٢] التَّقدير: ولا تلقوا أنفسَكم بأيديكم[٣].

والتَّهلُكةُ على هذا: كلُّ شيءٍ تصيرُ عاقبتُه إلى الهلاك، والهلاكُ: مصيرُ[٤] الشَّيءِ بحيثُ لا يُدرى أينَ هو.

﴿وَأَحْسِنُوٓاْ﴾ بالإفضالِ على المحتاج.

وقيل: أحسنوا الظَّنَّ باللهِ في الإخلافِ.

وقيل: في[٥] قَبولِ توبتِكم.

وقيل: أحسنُوا أداءَ[٦] ما فرضَ الله عليكم؛ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

* * *

(١٩٦) ـ ﴿وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُواْ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْيُ مَحِلَّهُۥ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾.

﴿وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ مجاهدٌ: هو بلوغُ آخرِ أعمالِهما بعد الدُّخولِ فيهما[٧].

---

(١) في (ن): «زائدة»، انظر: «الحجة للقراء السبعة» لأبي علي الفارسي (٥/ ٥٥).

(٢) «يكون»: ليس في (ن).

(٣) أي: أن الباء غير زائدة، ولكن المفعول محذوف. انظر: «النكت والعيون» للماوردي (١/ ٢٥٣)، و«الكشاف» للزمخشري (١/ ٢٣٧).

(٤) في (و): «تصيير».

(٥) «في» من (ن).

(٦) في (و): «بأداء».

(٧) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٣٢٧).

عطاءٌ والسُّدِّيُّ: أتمُّوهما؛ لأنَّهما واجبان[1].

وعن عليٍّ وابن مسعودٍ رضي الله عنهما: إتمامُهما أن تُحرِمَ من دُوَيْرةِ أهلِكَ[2].

وقيل: إتمامُهما أن تكونَ النَّفقةُ من حلِّهما.

والإتمامُ يُستعمَلُ قبلَ الشُّروع في الشَّيء وبعدَ الشُّروع فيه.

والحجُّ: قصدُ البيتِ بالأعمالِ المشروعة فرضًا وسنةً، وفرضُ الحجِّ ثلاثٌ: الإحرامُ، والوقوفُ بعرفة، وطوافُ الزِّيارة، وما سواها سُنَّة، ويفسدُه الجِماع.

والعمرةُ: زيارةُ البيت، وإتمامُها بالإحرامِ والطَّوافِ والسَّعيِ وحلقِ الرَّأس، وهي سُنَّةٌ عندنا[3]، وليس بفرضٍ؛ لقولِه تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾ [آل عمران: ٩٧].

﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ﴾؛ أي: منعَكُم خوفُ عدوٍّ أو مرضٍ، فامتنعتم لذلك.

وقيل: وإن منعكم قاهرٌ حابسٌ، وهذا يقتضي (حُصِرتم)، لا (أُحصِرتم).

﴿فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ﴾: شاةٌ أو بدنةٌ أو بقرةٌ، جمعُ هَدِيّة، واشتقاقُه من (اهتدَيْتُ إلى بيت الله)، وقيل: من (هَدَيْتُ إلى الطَّريق).

---

(١) ذهب عطاء إلى أنَّ العمرة واجبة. انظر: «الأم» للشافعي (٢/ ١٤٥)، و«تفسير عبد الرزاق» (١/ ٣١٦). وذهب السدي إلى ذلك أيضاً فقال: «أقيموا الحج والعمرة». انظر: «تفسير الطبري» (٣/ ٣٣٤).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٣٢٩) عن علي رضي الله عنه، وذكره الزجاج في «معاني القرآن» (١/ ٢٦٦)، والواحدي في «البسيط» (٤/ ٥) عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٣) ذهب إلى ذلك مالك وأصحاب الرأي وأبو ثور، ورُوي عن النخعي وابن مسعود، بينما ذهب إلى وجوبها الشافعي وأحمد والثوري وإسحاق وأبو عبيد، ورُوي عن عمر وابن عباس وابن عمر وجابر، وعطاء وابن المسيب وسعيد بن جبير والحسن البصري وابن سيرين والشعبي وغيرهم. انظر: «الإشراف» لابن المنذر (٣/ ٣٧٦).

﴿وَلَا تَحْلِقُواْ رُءُوسَكُمْ﴾؛ أي: لا تأخذوا من شعرِ رؤوسِكم بالـمَواسِي.

﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ﴾ ابن عبّاسٍ وابن مسعودٍ والحسن وعطاءٌ: محلُّه الحرمُ، فإذا ذُبِحَ يومَ النَّحرِ أحلَّ[1].

وقيل: محلُّه الموضعُ الذي صُدَّ فيه، فإنَّ النَّبيَّ ﷺ ذَبحَ بالحُديبية.

﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ﴾ يعني: يُؤذيه القملُ.

﴿فَفِدْيَةٌ﴾؛ أي: فحلَقَ، فعليه فديةٌ.

﴿مِّن صِيَامٍ﴾؛ أي: صيام ثلاثة أيّام عند الجماعة.

الحسن وعكرمة: صيام عشرة أيامٍ[2].

﴿أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾: إطعام ستّةِ مساكينَ لكلِّ مسكينٍ نصفُ صاعٍ.

وأجمع المفسِّرون على أنَّها نزلت في كعبِ بنِ عُجرةَ، قال كعبٌ: خرجنا مع رسول الله ﷺ مُحرمين، فوقع القملُ في رأسي ولحيتي وشاربي حتى وقع في حاجبي، فذكرتُ ذلك لرسول الله ﷺ، فقال: «ما كنْتُ أرى بلَغَ منكَ هذا، ادعُ الحالِقَ»، فجاء الحالِقُ فحلَقَ رأسي، فقال: «هل[3] تجد نَسِيْكةً؟» فقلْتُ: لا، وهي شاةٌ، قال: «فصُمْ ثلاثةَ أيّامٍ، أو أطعِمْ ثلاثةَ آصُعٍ[4] بينَ سِتّةِ مساكينَ»، فقال: فأُنْزِلَتْ فيَّ خاصّةً، وهي للنّاس عامّةً[5].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٣٦٥ ـ ٣٦٦) عن ابن عباس وابن مسعود، وذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٣٣٧) عن عطاء.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٣٩٤ ـ ٣٩٥)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ١٣٨)،

(٣) «هل» ليس في (و).

(٤) في (و): «أصوع».

(٥) رواه البخاري (٤٥١٧)، ومسلم (١٢٠١)، وقد أخرج هذا اللفظ سعيد بن منصور في «سننه ـ =

﴿فَإِذَآ أَمِنتُمۡ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلۡعُمۡرَةِ إِلَى ٱلۡحَجِّ فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِ﴾؛ أي: إذا زال الإحصارُ وحصل الأمنُ[١]، ﴿فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلۡعُمۡرَةِ﴾ وهو أن يُحرمَ بالعمرة، فإذا وافى البيتَ سعى وطافَ به وحلقَ أو قصَّر، فإذا فعلَ هذا[٢] حلَّ، فيتمتَّع[٣] بما كان يعملُه الحلالُ إلى أن يحرمَ بالحجِّ.

والتَّمتُّعُ: إطالةُ الانتفاع، من قول العرب: (مَتَعَ النَّهارُ)[٤].

فعلى المستمتِعِ[٥] شاةٌ أو بدنةٌ أو بقرةٌ، ﴿فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖ فِي ٱلۡحَجِّ وَسَبۡعَةٍ إِذَا رَجَعۡتُمۡ﴾؛ أي: مَن لم يجد الهديَ فعليه صيامُ ﴿ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖ فِي ٱلۡحَجِّ﴾؛ أي: في أيّامِ حجَّتِه[٦] إذا كان محرمًا، قيل: في العشر، وقيل: أيّام التَّشريق.

﴿وَسَبۡعَةٍ﴾ أيّامٍ ﴿إِذَا رَجَعۡتُمۡ﴾: إذا عادَ إلى وطنِه.

﴿تِلۡكَ عَشَرَةٞ كَامِلَةٞ﴾ الفائدةُ في هذا الجمع ـ مع أنَّ أحدًا لا يجهلُ أنَّ[٧] ثلاثةً وسبعةً عشرةٌ ـ كثيرةٌ:

الزَّجّاج: لإزالةِ التَّوهُّمِ أنَّ الغرضَ أحدُهما، كقولِه: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ [النساء: ٣][٨].

= التفسير» (٢٨٩).

(١) في (و): «المنع».

(٢) في (ن): «هذه».

(٣) في (و): «هذا فتمتَّع».

(٤) أي: طال وارتفع. انظر: «غريب الحديث» لابن قتيبة (١/ ٥٩٧)، و«الصحاح» للجوهري (٣/ ١٢٨٢) مادة (م ت ع).

(٥) في (ن): «المتمتع».

(٦) في (و): «الحج وهو».

(٧) «أن»: ليس في (و).

(٨) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٢٦٨).

القفّال: ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ عن الهدي، ولو قال: (تلك) التبَسَ.

المفضَّل: إنَّه لـمّا فَصَلَ بينَهما بإفطارٍ قيَّدَ فقال: إنَّها كالمتَّصلة[1].

المبرِّد: هو تأكيدٌ بإعادةِ الذِّكرِ مُجملًا بعدَ التَّفصيل[2]، ومثلُه قولُ الشّاعر:

ثلاثٌ واثنتانِ فهُنَّ خَمْسٌ وسادسةٌ تميلُ إلى شِمامِ[3]

أبو مسلمٍ[4]: هو بمنزلة قوله: فصيام عشرة أيامٍ؛ ثلاثةٍ في الحجِّ، وسبعةٍ إذا رجعتم.

قال: ويُحتمَل أنَّه لإزالةِ توهُّمِ أنَّ السَّبعةَ مع الثَّلاثة، كقوله: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾ [فصلت: ١٠]؛ أي: مع اليومَين اللَّذَينِ تقدَّما في قوله: ﴿خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت: ٩].

ويُحتمَل لإزالةِ توهُّمِ أنَّ السَّبعةَ منَ الكثرةِ لا من العدد؛ فإنَّه قد روى أبو عَمرو[5] وابن الأعرابيِّ عن العرب: سبَّعَ اللهُ لك الأجرَ؛ أي: أكثر لك، أراد التَّضعيف[6]، ولهذا جاء في الأخبار: فله سبعٌ، وله سبعون، وله سبعُمئةٍ.

---

(١) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٢/ ٢٦٨).

(٢) نقل مكيُّ بن أبي طالب عن المبرد أنه قال: «إنما قيل: ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ﴾ لأنه يجوز أن يظن السامع أن ثم شيئاً آخر بعد السبعة، فأزال اللبس». انظر: «الهداية إلى بلوغ النهاية» (١/ ٦٥٦).

(٣) البيت للفرزدق. انظر: «ديوانه» (٢/ ٨٣٥)، و«الغريبين» للهروي (٤/ ١٢٧٧).

(٤) محمد بن علي بن محمد بن الحسين بن مهربزد، أبو مسلم الأصبهاني، كان عارفاً بالتفسير، والنحو، والأدب، غالياً في مذهب الاعتزال، صنَّف التفسير في عشرين مجلدًا، مات في جمادى الآخرة سنة (٤٥٩هـ). انظر: «تاريخ الإسلام» للذهبي (١٠/ ١١٥)، و«معجم المفسرين» للسيوطي (ص: ٩٩)، و«طبقات المفسرين» للداودي (٢/ ٢١٣).

(٥) في (ن): «عمر»، وقد ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٢/ ٢٦٩) عن أبي عمرو بن العلاء.

(٦) انظر: «الغريبين» لأبي عبيد (٣/ ٨٥٨)، ونقله المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٠٦).

وقال الأزهريُّ في قولِه سبحانه وتعالى: ﴿إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً﴾: فهو جمعُ السَّبعِ الذي يُستعمَلُ للكثرة، ألا ترى أنَّه لو زاد على السَّبعين لم يُغفَرْ لهم(١).

﴿ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِي ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾؛ أي: ذلك الفرضُ ليس إلّا للغرباء(٢)، وليس لحاضري المسجدِ الحرام، وهو مكّةُ(٣)، وقيل: الحرمُ كلُّه.

﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ فيما يأمُركم به وينهاكم عنه.

﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ لمن خالفَه.

* * *

(١٩٧) ـ ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾.

﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ﴾: «الحُجّة»: تقديره: أشهرُ الحجِّ أشهرٌ معلوماتٌ(٤)، أو الحجُّ حجُّ أشهرٍ معلوماتٍ(٥)، لا ما كان تفعلُه النَّسَأةُ من التَّأخير(٦).

قال: ويجوز أن يُجعَلَ الشَّهرُ حجًّا على الاتِّساع؛ لوقوعِه فيها(٧)، كما قالت الخنساءُ:

---

(١) انظر: «تهذيب اللغة» للأزهري (٢/ ٧٠) مادة: (س ب ع).

(٢) في (و): «ليس للفقراء».

(٣) في (و): «بمكة».

(٤) «أشهر معلومات»: ليس في (ن).

(٥) فحذف المضاف من المبتدأ.

(٦) فحذف المضاف من الخبر.

(٧) انظر: «الحجة» لأبي علي الفارسي (١/ ٢٣ ـ ٢٤) و(٢/ ٢٧٩).

تَرْتَعُ ما غَفَلَتْ حتَّى إذا ادَّكَرَتْ فإنَّما هيَ إقْبالٌ وإدْبارُ[1]

و﴿أَشْهُرٌ﴾: جمع شهرٍ؛ وهي شوّالُ وذو القَعدةِ وتسعٌ من ذي الحجّة، جُمِعَ لوجود شهرَين[2] وبعضٍ من الثّالث.

﴿مَّعْلُومَٰتٌ﴾: مؤقّتةٌ.

﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ﴾ بالعزمِ والإحرامِ والتَّلبيةِ.

﴿فَلَا رَفَثَ﴾ ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما: التَّعريض بذِكرِ الجِماع[3].

ابن مسعود وابن عمر والحسن: الرَّفثُ: الجماعُ[4].

﴿وَلَا فُسُوقَ﴾ ابن عباس[5] وسعيد بن جبيرٍ والحسن: المعاصي[6]، من قوله: ﴿فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ بِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

ابن زيد: هو الذَّبحُ[7]، من قوله: ﴿أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٤٥].

---

(١) انظر: «ديوان الخنساء» (ص: ٧٨)، و«الكتاب» لسيبويه (١/ ٣٣٦). ووجه الشاهد فيه أنها جعلت الناقة هي الإدبار والإقبال لكثرة هذا منها توسُّعًا.

(٢) في (ن): «الشهرين».

(٣) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٣٢٢٥)، والطبري في «تفسيره» (٣/ ٤٥٨).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٤٦٥) عن ابن مسعود رضي الله عنه. ورواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٣٢٣٧)، والطبري في «تفسيره» (٣/ ٤٥٩) عن ابن عمر رضي الله عنهما. ورواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٣٢٣١)، والطبري في «تفسيره» (٣/ ٤٦٥) عن الحسن.

(٥) «رضي الله عنهما التعريض بذكر الجماع، ابن مسعود وابن عمر والحسن الرفث الجماع، ﴿وَلَا فُسُوقَ﴾ ابن عباس» من (ن).

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٤٧٠ ـ ٤٧١) عن ابن عباس رضي الله عنهما والحسن وسعيد ابن جبير.

(٧) يعني بالذبح: الذبح للأنصاب، كما في الآية. رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٤٧٥).

الضَّحاك: التَّنابزُ(١)، من قوله: ﴿بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ﴾ [الحجرات: ١١].

أبو عبيدة: لا لَغْوَ(٢)، من قولِ العجّاجِ:

.... عَنِ اللَّغا وَرَفَثِ التَّكَلُّمِ(٣)

﴿وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ﴾ أبو عبيدةَ: له تأويلان:

أحدُهما: أنَّه لاشكَّ في أنَّ فَرْضَ الحجِّ قد تقرَّرَ في ذي الحجّة، وبطلَ ما كان تفعلُه النَّسَأةُ من التَّأخير.

والثاني: لا تجادلْ صاحبَك ولا تُمارِه(٤).

﴿وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ﴾ فيجازيكم عليه.

﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ ابن عبّاسٍ قال: كان أهلُ اليمنِ يحجُّون ولا يتزوَّدون، ويقولون: نحن المتوكِّلون، فإذا قدموا مكّةَ سألوا النّاسَ(٥).

قال المفسِّرون: التَّقوى هاهنا: الكعكُ والزَّيتُ والسَّويق(٦).

القفّال: ادّخروا لأنفسِكم الخيرَ بتقوى الله في أمرِه ونهيِه.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٤٧٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٣٤٧).

(٢) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ٧٠).

(٣) انظر: «ديوان العجاج» (ص: ٥٩)، و«أدب الكاتب» لابن قتيبة (ص: ٥٢٧)، وصدره:

وَرَبِّ أَسْرَابِ حَجِيجٍ كُظَّمِ

(٤) يوهم صنيع المصنِّف أنه أخذ ذلك عن كتب أبي عبيدة، والظاهر أنه أخذه عن «الحجة» لأبي علي. انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ٧٠)، و«الحجة» لأبي علي (٢/ ٢٨٩).

(٥) رواه البخاري (١٥٢٣).

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٤٩٤ ـ ٤٩٩) عن ابن عمر وسعيد بن جبير والشعبي.

وقيل: تقديره: وتزوَّدوا التَّقوى؛ فإنَّها خيرُ زادٍ.

﴿وَٱتَّقُونِ﴾: امتنعوا من عقابي واحذروا خلافي.

﴿يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾: يا ذوي العقول.

* * *

(١٩٨) - ﴿لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَبۡتَغُواْ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكُمۡۚ فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِۖ وَٱذۡكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمۡ وَإِن كُنتُم مِّن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾.

﴿لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَبۡتَغُواْ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ ابن عبّاسٍ وابن عمر: نزلت في التُّجّار والجمّالين؛ وكانوا يتَّقون البيعَ والتِّجارةَ في الحجِّ، ويقولون: هذه أيّامُ ذكرِ الله؛ فأنزل الله هذه الآية[1].

والمعنى: لا جناحَ عليكم أن تبتغوا فضلًا من ربِّكم بالتِّجارةِ والكِراء.

﴿فَإِذَآ أَفَضۡتُم﴾: دفعتم ﴿مِّنۡ عَرَفَٰتٖ﴾ إلى منى بالتَّلبية، مشتقٌّ من (الفَيْض).

﴿فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِ﴾ هو المزدلفة، والذِّكرُ: الدُّعاءُ والتَّضرُّعُ والثَّناء.

وقيل: الذِّكرُ هاهنا: الجمعُ بين صلاتي المغربِ والعشاءِ بالمزدلفة، وليس يجبُ[2] هناك ذكرٌ غيرها.

﴿وَٱذۡكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمۡ﴾؛ أي: اشكروه شكرًا يُوازي هدايتَه إيّاكم.

---

(١) رواه عنهما الطبري في «تفسيره» (٣/ ٥٠٤ـ٥٠٥).

(٢) «يجب» من (ن).

﴿وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ﴾: وقد كنتم من قبلِ هُداه.

﴿لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾؛ أي: عن الرَّشاد.

* * *

(١٩٩) ـ ﴿ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾.

﴿ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ ﴾ عائشة قالت: كانت العربُ تفيضُ من عرفاتٍ، وقريشٌ ومَن دانَ بدينِها تفيضُ من جَمْعٍ، فأنزلَ الله: ﴿ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ ﴾[1]؛ أي: سائر النَّاس.

وقيل: المراد به إبراهيمُ عليه السَّلام.

وعن الحسنِ: ﴿الناسِ﴾ بالكسر[2]، وأراد به: آدمَ عليه السَّلام.

﴿وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَ﴾ لِما مضى من ذنوبِكم.

وقيل: ممّا جرى[3] من خللٍ أو تقصيرٍ في أعمال الحجِّ؛ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

* * *

---

(١) رواه البخاري (٤٥٢٠)، ومسلم (١٢١٩).

(٢) ذكر هذه القراءة الشاذة ابن خالويه في «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٢٠) و«إعراب ثلاثين سورة» (ص: ٢٣٨) عن سعيد بن جبير، وذكرها اليشكري في «الكامل في القراءات» (ص: ٥٠٢) عن القورسي عن أبي جعفر، وقد قرأ أبو المتوكل، وأبو نهيك، ومورِّق العجلي: (الناسي) باثبات الياء، ورويت عن سعيد بن جبير. انظر: «المحتسب» لابن جني (١/ ١١٩)، و«معاني القرآن» للنحاس (١/ ١٤١)، و«زاد المسير» لابن الجوزي (١/ ١٦٧)، و«البحر المحيط» (١/ ١١٩).

(٣) «مما جرى»: ليس في (ن).

(٢٠٠) ـ ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾.

﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ﴾: أتممْتُم الحجَّ والعمرةَ كما أُمِرْتُم.

المفضَّل: القضاءُ هاهنا: بمعنى تأديةِ الواجبِ في المناسك.

وقيل: إذا شرعتُم في مناسكِكم.

والمناسكُ: العباداتُ.

مجاهدٌ: ذبائحكم[1].

﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ﴾ مجاهدٌ: كان أهلُ الجاهليّةِ إذا اجتمعوا بالموسمِ ذكرُوا فِعلَ آبائهم في الجاهليّة وأيّامهم وأنسابهم فتفاخروا؛ فأنزل الله: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ﴾[2].

﴿أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾؛ أي: أكثرَ، وقيل: أرفعَ به صوتًا.

الحسن: كانت الأعرابُ إذا تحدَّثوا أو تكلَّموا قالوا: وأبيكَ لقد كان كذا، وأبيكَ لم يكن كذا[3].

عطاءٌ: اذكروه بالاستغفارِ كذكرِ الصَّبيِّ لأبيه إذا قال: يا أباه[4]؛ يريد: بالتَّضرُّعِ والاستكانة.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٥٣٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٣٥٥).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٥٣٦).

(٣) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٦٥)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ١٦٧).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٥٣٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٣٥٦).

ويُحتمَل أنَّ معنى ﴿كَذِكۡرِكُمۡ ءَابَآءَكُمۡ﴾: وحِّدوه ولا تشركوا معه كما تستنكفونَ إذا نُسِبتم إلى غيرِ أبٍ[1] واحدٍ، وعلى هذا معنى قوله: ﴿أَوۡ أَشَدَّ ذِكۡرٗا﴾ قطعُ مجازٍ تستعملُه العربُ في الوالد، من قولهم: الأبوان والوالدان؛ أي: وحِّدوه ولا تشركوا معه؛ لا حقيقةً ولا مجازًا[2].

وقيل: كذكر الصَّبيِّ أباه حين يفتحُ فاه.

وقيل: اغضبوا له كغضبِكم لآبائِكم[3].

وقيل: كذكرِ آبائِكم إيّاكم[4]؛ على القلب.

﴿فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖ﴾؛ أي: من النّاس مَن لا يسألُ اللهَ إلّا دنياه؛ لكفره بالآخرة، فلا نصيبَ لهذا في ثوابِ العُقبى.

والخَلاقُ: النَّصيبُ التّام.

الحسن: الخَلاقُ: الدِّين[5].

وقيل: مَن كان غرضُه بالحجِّ الدُّنيا، فليس له في الآخرةِ من نصيبٍ.

* * *

(١) «أب» من (ن).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٠٨)، وعدَّه من العجائب.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٠٨)، واستغربه.

(٤) في (و): «كذكركم آباءكم».

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٣٦٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١٩٥).

(٢٠١ ـ ٢٠٢) ـ ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾.

﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ ومَن أرادهما جميعًا بأن يؤمن بالله واليوم الآخر أُوتِيَ منهما ووُقي عذابَ النّار.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا۟﴾ ترجعُ إلى الفريق الثّاني الذينَ سألوا الدُّنيا والآخرة.

وقيل: تعودُ إلى الفريقَيْن؛ أي: لكلِّ هؤلاء نصيبٌ من عملِه.

﴿وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ يُوصِلُ إلى كلِّ عامل[1] جزاءَ عملِه من غير معاناةٍ لإحصائه.

***

(٢٠٣) ـ ﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾.

﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ﴾ أجمع المفسِّرون على أنَّ الأيّامَ المعدودات أيّامُ التَّشريق.

والمرادُ بالذِّكرِ هاهنا: التَّكبيرُ أدبارَ الصَّلاةِ المفروضةِ في الجماعة، ولفظُه: الله أكبر، الله أكبر[2]، لا إله إلّا الله، والله أكبر، ولله الحمد[3].

---

(١) في (ن): «فريق»، ولكن في هامشها: «في نسخة: عامل».

(٢) «الله أكبر» ذكرت مرتين في (ن).

(٣) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٥٦٣٣) عن ابن مسعود رضي الله عنه موقوفًا، ورواه الدارقطني في «سننه» (١٧٣٧) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما مرفوعًا، والبيهقي في «الدعوات الكبير» (٢/ ١٦٥) وضعَّفه، ورُوي نحوه عن عدد من الصحابة والتابعين.

ووقتُه بعدَ الفراغِ من الصَّلاةِ غداةَ عرفةَ إلى ما بعد صلاة[١] العصر من يومِ النَّحر، وهذا قولُ ابن مسعودٍ وعلقمة[٢].

وذهب عمرُ وعليٌّ رضي الله عنه وابن عبّاسٍ: إلى أنَّه يُقطَعُ بعد صلاة العصر من آخرِ أيّام التَّشريق[٣].

﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ هذا للحاجِّ خاصّةً، والأوَّل عامٌّ.

والمعنى: مَن نفرَ في اليوم الثّاني من أيّام التَّشريق، ﴿فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ﴾ فلم[٤] ينفر، ﴿فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾؛ أي: كلاهما مغفورٌ لهما مبرورٌ حجُّهما؛ لقوله ﷺ: «مَن حَجَّ فلم يَرفُثْ ولم يَفسُقْ خرجَ مِن ذنوبِه كيومَ وَلَدَتْه أُمُّه»[٥].

وقيل: ﴿فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾: على المتعجِّل لتعجُّله، ولا على المتأخِّر لتأخُّره؛ أي: هما سواءٌ.

وقيل: ذكرَ الأوَّلَ للترخُّص، وذكرَ الثّاني للازدواج.

وقيل: فلا إثمَ على المتعجِّلِ لتعجُّله، ولا على المتأخِّر؛ إذ بُرَّ حَجُّه.

---

(١) في (ن): «صلاة العصر».

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٥٦٣٤)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٩/ ٣٠٦)، والحاكم في «المستدرك» (١١١٥) عن ابن مسعود رضي الله عنه. ورواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٥٦٤٩) عن علقمة.

(٣) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٥٦٣١) عن علي رضي الله عنه. ورواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٥٦٣٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما. وانظر هذه الأقوال وغيرها في «المبسوط» للسرخسي (٢/ ٤٣)، و«المجموع» للنووي (٥/ ٤٤).

(٤) في (ن): «فلا».

(٥) رواه البخاري (١٥٢١)، ومسلم (١٣٥٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وقيل: فلا إثمَ على المتعجِّل لتعجُّله، ولا على المتأخِّرِ[1]؛ لتركِه الرُّخصةَ.

﴿لِمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ قيل: هذه اللّامُ متَّصلةٌ بقوله: فلا إثمَ عليه لمن اتَّقى[2].

وقيل: هذا الذي ذُكِرَ[3] لمن اتَّقى.

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ في جميعِ أموره[4].

﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾ حين يبعثُكم من قبورِكم.

* * *

(٢٠٤) - ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ﴾.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ﴾ قال السُّدِّيُّ: نزلت في الأخنسِ بنِ شَريقٍ الثَّقفيِّ، وهو حليفُ بني زُهرة، أقبل إلى النَّبيِّ ﷺ فأظهرَ الإسلام، وأعجبَ النَّبيَّ ﷺ ذلك منه، وقال: إنَّما جئْتُ أريد الإسلامَ واللهُ يعلم إنِّي لصادقٌ، وذلك قوله: ﴿وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ﴾، وخرج من عند النَّبيِّ ﷺ، فمرَّ بزرعٍ لقومٍ من المسلمين وحُمُرٍ، فأحرقَ الزَّرعَ وعقَرَ الحُمُرَ، فأنزل اللهُ فيه: ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [البقرة: ٢٠٥][5].

وقيل: كان مع المشركين يوم بدرٍ، فلمّا نزلوا جحفةَ قال لبني زُهرةَ[6]: إنَّ

---

(١) «إذ بر حجه وقيل فلا إثم على المتعجل لتعجله ولا على المتأخر» من (ن).

(٢) فهي متعلِّقة بمن تأخَّر فقط.

(٣) من رفع الإثم عن المتعجل والمتأخر.

(٤) كذا في النسخ الخطية، ولو كانت (في جميع أوامره) أو (في جميع أموركم) لزال الإشكال.

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٥٧٢) بتمامه، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٣٦٤) مختصرًا.

(٦) «لبني زهرة» من (ن).

محمَّدًا ابنُ أختِكم وابنُ عمِّكم فكفُّوا عنه؛ فإنْ يكُ صادقًا كنتم أسعدَ النّاس به، وإنْ يكُ كاذبًا كفتكم إيّاه ذُؤبانُ العربِ[1] ـ ويُروى: أوباشُ العربِ ـ قالوا: نِعْمَ الرَّأيُ ما رأيْتَ، وما يزال لك العقل الأصيل، فانصرف وانصرفوا معه، وسُمِّي الأخنسَ، وكان اسمُه أُبيًّا؛ لقولِه لهم: إذا نُودي بالرَّحيل فإنِّي أخنسُ بكم فاتَّبعوني، ففعل وفعلوا، فلمّا أُخبِرَ النَّبيُّ ﷺ أعجبَه ذلك، ثم إنَّه في رجوعِه إلى مكّةَ أحرقَ صُبْرةَ تمرٍ لمسلمٍ وقتلَ فرسَ آخر[2].

وقوله: ﴿يُعْجِبُكَ﴾ الإعجابُ: السُّرورُ بما امتنعَ[3] لشدّةِ العَجَبِ به.

﴿قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ يجوز أن يتعلَّق (في) بالقول؛ أي: قوله في الأمور التي تقعُ من أسباب الدُّنيا، ويجوز أن يتعلَّق بالإعجاب؛ أي: يعجبُك في الحياة الدُّنيا.

والحياةُ: ما يتميَّزُ به مَن يصحُّ إدراكُه ممَّن لا يصحُّ.

﴿وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ﴾ أي: ويستشهد اللهَ، وهو قولُه للنَّبيِّ ﷺ: إنِّي لك صادقٌ، وإنِّي لك محبٌّ.

﴿وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ﴾: شديدٌ، مشتقٌّ من (لَديدَي الوادي)[4].

و﴿ٱلْخِصَامِ﴾: جمع (خَصْمٍ) عند أكثرهم[5].

المبرِّد: هو مصدر (خاصَمَ)[6].

---

(١) هم الخبثاء المتلصِّصون. انظر: «إصلاح المنطق» لابن السكيت (ص: ١١٣).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٢٧٠)، والواحدي في «البسيط» (٤/ ٧٤).

(٣) في (و): «أمتع».

(٤) لديدي الوادي: جانباه؛ لأنه كلما أخذت عليه جانباً من الحجة أخذ في جانب آخر. انظر: «مشارق الأنوار» للقاضي عياض (١/ ٣٥٦).

(٥) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٢٧٧).

(٦) فسَّر المبرد (الألد) بأنه شديد الخصومة، واستشهد بالآية، ففُهم من صنيعه ما حكاه المصنِّف. =

(٢٠٥) ـ ﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴾.

﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ ﴾: أعرضَ، والتَّولِّي: الزَّوالُ عن الشَّيء إلى خلافِ جهتِه.

﴿سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا ﴾ بالكفر.

﴿وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ﴾ وهي الأرضُ فيها النَّباتُ.

﴿وَٱلنَّسْلَ﴾: نسلَ الدَّوابِّ.

وقيل: ﴿ٱلْحَرْثَ﴾: الرَّجل[1]، ﴿وَٱلنَّسْلَ﴾: الولد، مشتقٌّ من (نَسَلَ الشَّعرُ)؛ إذا خرجَ فسقط.

﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴾.

* * *

(٢٠٦) ـ ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾.

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ﴾ للأخنس: ﴿ٱتَّقِ ٱللَّهَ ﴾ في الإفسادِ والإهلاكِ، ﴿أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ ﴾: الأنَفةُ والحميّة.

الزَّجّاج: حملَه كِبرُه على الارتدادِ والكفر[2].

﴿بِٱلْإِثْمِ﴾ والإثمُ هاهنا: الكفرُ.

الحسن: ومعنى الباء؛ أي: أخذته العزّةُ من أجل الإثم الذي في قلبِه[3].

= انظر: «الكامل» للمبرد (٣/ ٤٤) و(٤/ ٣٦).

(١) وقيل: الحرث هنا: النساء. انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٢٧٧).

(٢) لم أقف على كلام للزجاج في هذه الآية.

(٣) فالباء للسببية. انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (٢/ ٣٣٢).

ابن عيسى: أي: دعته العزّةُ إلى الإثم، كما تقول: دعوْتُ فلانًا بأن يفعلَ كذا؛ أي: دعوته إليه[(١)].

﴿فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ﴾؛ أي: فيها كفايةٌ مِن جزاءِ كفرِه وسوءِ عمله.

وجهنَّمُ: اسمٌ للنّار[(٢)]، وقيل: للدَّرْكِ[(٣)] الأسفل.

وقيل: أصله من (الجَهْم)، وهو الغِلظةُ والكراهةُ، وزِيدَ فيها النُّونان.

وقيل: أصلها أعجميٌّ، وهو في الأصل: كَهْنام[(٤)]، وهو مَحْبَسٌ مَن جُعِلَ فيه، سقطَ اسمُه من الدُّنيا.

صاحب «المجمل»: جهنَّم: مشتقّةٌ من قول العرب: بئرٌ جِهِنّام؛ أي: بعيدةُ القَعْر[(٥)].

﴿وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾: المفرشُ؛ جهنَّم.

* * *

(٢٠٧) ـ ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ﴾ أكثر المفسِّرين على أنَّها نزلت في صُهيبِ ابنِ سنانٍ الرُّومي[(٦)].

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٢٦٦) دون نسبة.

(٢) في (و): «النار».

(٣) في (و): «الدرك».

(٤) كذا ضُبطت في (ن)، وكذا ضبطها مَن جعل أصلها فارسية، ومن جعل أصلها عبرية ضبطها كِهِنام. انظر: «التحرير والتنوير» لابن عاشور (٢/ ٢٧٢).

(٥) انظر: «مجمل اللغة» لابن فارس (ص: ٢٠٨).

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٥٩١)، والحاكم في «المستدرك» (٥٧٠٠) عن عكرمة، وذكره =

وقيل: كان عربيَّ النَّسب من ولد النَّمِرِ بن قاسِط من[1] ربيعة، سُبي صغيرًا، وصار[2] إلى الرُّوم، ولذلك سُمِّي صُهيبًا الرُّوميَّ، ثم اشتراه يزيد بن جدعان بالشّام[3].

قال سعيد بن المسيَّب: أقبل صهيبٌ مهاجرًا نحوَ النَّبيِّ ﷺ، فاتَّبعَه نفرٌ من قريشٍ من المشركين، فنزل عن راحلته، ونثرَ ما في كنانته، وأخذ قوسَه، ثم قال: يا معشرَ قريشٍ، لقد علمتم إنِّي لأرماكم رجلًا، وايمُ الله، لا تصلون إليَّ حتى أرميَ ما في كنانتي، ثم أضرب بسيفي ما بقي في يدي منه شيءٌ، ثم افعلوا ما شئتم، فقالوا: دلَّنا على بيتك ومالك بمكّة ونخلِّي عنك، وعاهدوه إن دلَّهم أن يدعوه، ففعل، فلمّا قدمَ على[4] النَّبيِّ ﷺ قال: «ربحَ البيعُ أبا يحيى، ربحَ البيعُ أبا يحيى»، فأنزلَ الله هذه الآية[5].

وروى غيره: أنَّ قريشًا كانوا يعذِّبونه، ففدى نفسَه بجميع ماله، وخرج إلى المدينة[6].

= السمرقندي في «تفسيره» (١/ ١٣٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢/ ١٢٥) عن ابن المسيب وعطاء، وانظر: «الدر المنثور» للسيوطي (١/ ٥٧٥ ـ ٥٧٧).

(١) في (و): «بن».

(٢) في (و): «أو سار».

(٣) انظر: «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٣/ ٢٢٦)، و«الاستيعاب» لابن عبد البر (٢/ ٧٢٧)، و«الإصابة» لابن حجر (٣/ ٣٦٤).

(٤) في (و): «إلى».

(٥) رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٣/ ٢٢٨)، وابن شبة في «تاريخ المدينة» (٢/ ٤٧٩)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٧٢٩٦)، والحاكم في «المستدرك» (٥٧٠٦) وصحَّحه، ووافقه الذهبي.

(٦) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٥٩٢) عن الربيع.

وعن عليٍّ وابن عبّاسٍ وابن عمر رضي الله عنهم: أنَّه كان رجلًا أمرَ بالمعروف ونهى عن المنكر فقُتل(١).

ومعنى ﴿يَشْرِي﴾: يشتري نفسَه بماله(٢).

وقيل: ﴿يَشْرِي﴾: يبيع؛ أي: يبيعُ شهواتِ نفسِه.

﴿ٱبْتِغَآءَ﴾؛ أي: لابتغاء، وهو الطَّلبُ.

﴿مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾: رضا اللهِ عنه، وهو موافقةُ الإرادةِ.

﴿وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ أي: رحيمٌ، والرَّأفةُ: أشدُّ الرَّحمة.

* * *

(٢٠٨) - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً﴾ ابن عبّاسٍ: نزلت في عبد الله ابن سلامٍ وأصحابِه، وذلك أنَّهم بعد إسلامِهم كرهوا لحمانَ الإبلِ وألبانَها، وعظَّموا السَّبتَ، وقاموا بشرائعِ الإسلام وشرائعِ موسى، وقالوا: إنّا نقوى على هذا وهذا(٣).

الحسن: نزلت في المسلمين، ومعنى ﴿ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ﴾: دوموا على الإسلام(٤).

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٥٨٨) و(٣/ ٥٩٣ ـ ٥٩٤) عن عمر وعلي وابن عباس رضي الله عنهم، وذكره الثعلبي عنهم في «تفسيره» (٥/ ٣٠٦ ـ ٣٠٧).

(٢) في (ن): «بجميع ماله».

(٣) روى نحوه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٩٤٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وروى نحوه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٥٩٩) عن عكرمة.

(٤) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٥٩٦) عن الربيع، ولفظه: «ادخلوا في الطاعة»، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١/ ١٧٤) عن مجاهد وقتادة.

وقيل: خطابٌ لليهود؛ والمعنى: يا أيُّها الذين آمنوا بموسى ادخلوا في الإسلامِ كافّة.

والسَّلمُ بالفتح: الإسلامُ، وبالكسر: الصُّلحُ(١)، على تقدير: اطلبوا الصُّلحَ بالدُّخولِ في الإسلام.

﴿كَآفَّةً﴾: جميعًا، حالٌ عن المخاطبين، وقيل: حالٌ عن ﴿ٱلسِّلْمِ﴾؛ أي: في جميعِ شرائعِه.

والكفُّ: المنعُ، وقيل: الجمعُ.

و(كافّة) مصدرٌ؛ كالطّاغية والكاذبة والخاطئة(٢).

﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ﴾: لا تُطيعوه.

﴿إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾: ظاهرُ العداوةِ لِما يدعوكم إليه.

وقيل: أبانَها لآدمَ.

* * *

(٢٠٩) ـ ﴿فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

﴿فَإِن زَلَلْتُم﴾: تنحَّيْتُم عن القصد.

﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ﴾: محمَّدٌ والقرآنُ.

---

(١) قرأ نافع وابن كثير والكسائي بالفتح، والباقون بالكسر. انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٨٠)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٠).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٤٣٦)، وللزجاج (٢/ ٤٤٦).

وقيل: المواعظُ الواضحةُ والآياتُ اللّائحة.

﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ تهديدٌ للعلماء؛ فإنَّ ذنبَهم أعظمُ من ذنبِ الجُهلاء.

* * *

(٢١٠) ـ ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾.

﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾؛ أي: ما ينتظرُ التّاركون الدُّخولَ في السِّلم؟

والنَّظرُ على وجهين:

تقليبُ العينِ نحوَ المرئيِّ، ويُعدَّى بـ(إلى)[1].

والثّاني: بمعنى التَّوقُّعِ والانتظارِ، وهو المرادُ في الآية.

﴿إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ﴾ مذهبُ السَّلفِ فيه وفي أمثالِه لزومُ القولِ باللَّفظِ دونَ اعتقادِ ما يوجبُ تشبيهًا لله سبحانه، وقالوا: يأتي الله إتيانًا لا نُقْلةَ[2] فيه ولا زَوالَ.

وقيل: يأتي أمرُ[3] اللهِ والأهوالُ الشَّديدةُ التي توعَّدَهم بها.

وقيل: (في) هاهنا بمعنى الباء؛ أي: يأتيهم بظُللٍ[4].

الزَّجّاج: أي: يأتيهم بما وعدَهم من الثَّواب والعقاب[5].

---

(١) «ويعدى بإلى» من (ن).

(٢) النُّقلة: الاسم من الانتقال. انظر: «معجم ديوان الأدب» للفارابي (١/ ١٧٣).

(٣) «أمر» من (ن).

(٤) انظر: «الدر المصون» للسمين الحلبي (٢/ ٣٦٣).

(٥) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٢٨٠).

ابن جريرٍ: يأتيهم الله لمحاسبتهم على الغمامِ على عرشِه، يحملُه ثمانيةٌ من الملائكة[١].

و﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ عطفٌ على الفاعل[٢].

﴿وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾ الزَّجّاج: أي: وصلَ إلى كلٍّ مُستَحَقُّه[٣].

وظُلَلٌ: جمع ظُلّةٍ؛ وهي كلُّ ما أظلَّك.

والغمامُ: السَّحابُ الأبيض.

﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ قرئ بالوجهين[٤]، ومعناهما واحدٌ.

* * *

(٢١١) ـ ﴿سَلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍۗ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾.

﴿سَلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾؛ أي: رؤساءَهم، وقيل: علماءَهم، وقيل: عامَّتَهم.

﴿كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم﴾: جئناهم بها ﴿مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ﴾ نحوِ فَلْقِ البحر، وتظليلِ الغَمام، وإنزالِ المنِّ والسَّلوى، وغيرِها، فبدَّلوا بخلافِهم على موسى حين عبدُوا العجل.

وقيل: فبدَّلوا بكتمانِ أمرِ محمَّد ﷺ.

---

(١) لم أقف على هذه العبارة لابن جرير في «تفسيره» وما بين يدي من كتبه، وقد نقلها أبو حيان عنه في «البحر المحيط» (٢/ ٣٤٤).

(٢) وهو لفظ الجلالة.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٢٨٠).

(٤) قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي ﴿تَرجِعُ الأمور﴾ بفتح التاء وكسر الجيم حيث وقع، والباقون بضم التاء وفتح الجيم. انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٨١)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٠).

﴿وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾؛ أي: له.

وقيل[١]: لمن استحقَّه، فدخلَ فيه المذكورون.

والسُّؤالُ: طلبُ الجواب، والمرادُ به هاهنا: التَّقريعُ والتَّبكيتُ، وفيه لغتان: سالَ يَسالُ؛ كهاب يَهاب، وسَأَلَ يَسْأَلُ؛ كقَرَأَ يَقْرَأُ.

و﴿سَلْ﴾: يُحتمَل[٢] أن يكونَ من الأوَّل كهَبْ، ويُحتمَل أن يكون من الثّاني؛ نُقِلَ[٣] حركةُ الهمزة إلى السِّين، فسقطَت الهمزتان.

وهو يتعدّى[٤] إلى مفعولَيْن كأعطيْتُ[٥]؛ قال:

سالَتاني الطَّلاقَ أنْ رأتاني ... قَلَّ مالي، قد جِئْتُماني بِنُكْرِ[٦]

ويجوز الاقتصارُ[٧]، كقوله: ﴿وَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقْتُمْ﴾.

ويُعدَّى بالباء: ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ﴾ [المعارج: ١]، ويُعدَّى بـ(عن)[٨]: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ﴾ [الأعراف: ١٦٣].

---

(١) في (ن) زيادة: «شديد».

(٢) في (ن): «محتمل».

(٣) في (و): «فنقل».

(٤) في (و): «متعد».

(٥) وهو بمعنى الطلب في هذه الحالة، كما ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٠٩).

(٦) البيت مختلف في نسبته؛ فهو لزيد بن عمرو بن نفيل في «الكتاب» لسيبويه (٢/ ١٥٥)، و(٣/ ٥٥٥)، و«الأصول» لابن السراج (١/ ٢٥١)، و«خزانة الأدب» للبغدادي (٦/ ٤١٠)، وهو لابنه سعيد بن زيد رضي الله عنه في «البخلاء» للجاحظ (ص: ٢٤٠).

(٧) أي: على أحد مفعولي سأل، وقد زيد في (و): «على أحدهما».

(٨) وهو بمعنى البحث عن الشيء في هذه الحالة، كما ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٠٩).

وقد يقعُ موقعَ المفعولِ الثّاني استفهامٌ؛ نحو: ﴿سَلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم﴾ [البقرة: ٢١١].

وقولُه: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾ [الأعراف: ١٨٧]، فالجملةُ بدلٌ عن المجرورِ[١].

***

(٢١٢) ـ ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ الحسن: زيَّنَ لهم الشَّيطانُ ذلك[٢].

وقيل: زيَّنَ شركاؤهم من الجنِّ والإنس.

وقيل: زيَّنَ اللهُ ذلك بخلقِ الشَّهوات.

﴿وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ يعني: بكتمانِ الكفر وإظهارِ الإيمان.

وقيل: سخريَّتُهم بضَعَفةِ[٣] المؤمنين الذين لم ينالوا حظًّا من الدُّنيا.

﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ بالمنزلةِ والمنزل، ﴿وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

قوله: ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ يجوزُ أن يعودَ إلى الله؛ أي: يُعطي ولا يَنقُصُ ما عنده.

الضَّحاك: أي: لا يحاسبُ نفسَه بما يُعطي العباد[٤].

---

(١) فليست مما وقع فيه الاستفهام موقع المفعول الثاني لـ(يسأل).

(٢) ذكره الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٢/ ١٠٦)، والماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٢٧٠)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ١٧٦).

(٣) في (و): «بضعف».

(٤) ذكره الطبري في «تفسيره» (٣/ ٦٢٠) بلا نسبة.

ويجوز أن يعود إلى العبد؛ أي: يعطيه فلا يحاسبُه عليه في الدُّنيا والآخرة، من قوله: ﴿يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [غافر: ٤٠].

ويجوز أن يعود إلى العطاء؛ أي: رزقًا كثيرًا دائمًا لا ينقطع.

وقيل: معناه بغير كفايةٍ، بل فوقها[١].

وقيل: من حيثُ لا يَحتسب[٢].

***

(٢١٣) - ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً﴾؛ أي: كان النّاس على عهد آدم، وقيل: على عهد نوحٍ، وقيل: حين[٣] أُخرجوا من ظهر آدم، وقيل: بعد موسى، وقيل: بعد[٤] إبراهيم.

﴿وَاحِدَةً﴾؛ أي: مجتمعين على الحقِّ ودينِ الإسلام.

وقيل: على غير دينٍ مشروعٍ ولا ملّةٍ موسومةٍ، وإن شذَّ منهم قومٌ كأصحابِ الكهفِ كانوا مستورين.

والأمّةُ: القومُ المجتمعون على الشَّيء يَقتدي بعضُهم ببعضٍ، مشتقّةٌ من (الائتمام).

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢١١)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢١١)، وعدَّه من العجائب.

(٣) «حين»: ليس في (و).

(٤) «قيل بعد» من (ن).

وقيل: الأمّةُ: الدِّينُ[١]، قال:

حَلَفْـتُ فَلَمْ أترُكْ لِنَفسِـكَ رِيْبةً وهل يأثمَـنْ ذُو أُمّةٍ وهوَ طائِعُ[٢]

فيكون التَّقدير: كان النّاس ذوي أمّةٍ واحدةٍ.

﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ وفي مصحف ابن مسعودٍ: (فاختلفوا، فبعث الله النَّبيين)[٣].

﴿مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾؛ أي: لتعريفِ الحقِّ، وردِّ مَن عَدَلَ عنه إليه، وتبشيرِ المطيعِ منهم بالجنَّة، وإنذارِ مَن عصى بالنّار.

﴿وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾: اللّام للجنس.

﴿بِٱلْحَقِّ﴾: بتبيانِ الحقِّ من الباطل.

﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾؛ أي: ليكـون الكتـابُ حَكمًـا باقيًـا بيـن أظهرهـم، يُرجَـعُ إلى مضمونِه فيما أشـكلَ من أمـورِ دينِهم، وليتلـوه[٤] أعقابُهم[٥]، ومَـن تنـأى عنهـم دارُهم.

وقيل: ليَحكُمَ اللهُ.

وقرئ: ﴿لِيُحْكَمَ﴾[٦].

---

(١) انظر: «الأضداد» للأنباري (ص:٦).

(٢) البيت للنابغة الذبياني. انظر: «ديوانه» (ص: ٥١)، و«العين» (٨/ ٤٢٨) مادة: (أ م م).

(٣) انظر: «تفسير الطبري» (٣/ ٦٢٥)، و«تفسير الثعلبي» (٥/ ٣٦٩)، و«البسيط» للواحدي (٤/ ١١١)، وذكر ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٣٧٦) أنها قراءة أُبي بن كعب أيضاً.

(٤) «وليتلوه» من (ن).

(٥) أي: ليتلو الأولادُ الكتاب بعد الآباء الذين نزل بينهم.

(٦) هي قراءة أبي جعفر من العشرة. انظر: «النشر» لابن الجزري (٢/ ٢٢٧).

﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ﴾؛ أي: في الحقِّ، وقيل: في الكتاب، وقيل: في محمَّد عليه السَّلام.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ﴾؛ أي: الحقَّ، وقيل: الكتاب.

﴿مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيَۢا بَيْنَهُمْ﴾؛ أي: اختلفوا بغيًا وحسدًا وطلبًا للرِّئاسةِ ومَيلًا إلى الدُّنيا.

واختلافُهم تكفيرُ بعضِهم بعضًا، وقيل: تحريفُهم وتغييرُهم الأحكامَ.

﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ﴾؛ أي: اختلفَ غيرُهم، ويُحتمَل أن يكونَ هم وغيرُهم، فكان هناك مطلوبٌ مختلفٌ[1] في عينِه، ففازَ بالهدى منهم مَن آمنَ.

وقيل: فهدى الله الذين آمنوا بمحمَّد لِما اختلفَ فيه مَن قبلَهم.

قال الأخفش: أي: فهدى الله الذين آمنوا للحقِّ ممّا[2] اختلفوا[3].

﴿مِنَ ٱلْحَقِّ﴾: الصَّوابِ، وقيل: الإسلامِ، و(مِن) فيه لبيانِ الجنس.

﴿بِإِذْنِهِۦ﴾ بأمرِ الله.

الزَّجّاج: بعلمِه؛ أي: بأنْ أعلمَهم ما اهتدوا به للحقِّ[4].

﴿وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾؛ أي: يوفِّقُ مَنِ استحقَّ التَّوفيقَ.

* * *

(١) في (ن): «مطلوباً مختلفا».

(٢) في (و): «آمنوا لما».

(٣) نسب الواحدي هذه العبارة للفراء، وهي أقرب إلى كلامه من كلام الأخفش. انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ١٣١)، وللأخفش (١/ ١٧٠)، وفيه: «والمعنى: عَرَّفَهم الاختلافَ حتى تركوه»، و«البسيط» للواحدي (٤/ ١١٤).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٢٨٥).

(٢١٤) - ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴾.

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ﴾ قال قتادةُ والسُّدِّيُّ: نزلت هذه الآيةُ في غزوةِ الخندقِ حين أصاب المسلمين ما أصابهم من الجهدِ والمشقَّةِ والشِّدَّةِ والخوفِ[1] والبردِ وضيقِ العيشِ وأنواعِ الأذى، فكان كما قال: ﴿ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ ﴾ [الأحزاب: ١٠][2].

قال عطاءٌ: لـمّا دخل رسولُ الله ﷺ وأصحابُه المدينةَ اشتدَّ الضُّرُّ عليهم؛ لأنَّهم خرجوا بلا مالٍ، وتركوا أموالَهم وديارَهم في أيدي المشركين، فأنزل الله تطييبًا لقلوبهم: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ ﴾ الآية[3]؛ أي: أحسبتم؟

وقيل: بل أحسبتم أن تدخلوا ﴿ٱلْجَنَّةَ ﴾؟[4]

﴿وَلَمَّا يَأْتِكُم ﴾؛ أي: ولم يأتكم.

والفرقُ بينهما: أنَّ (لم) للنفي، و(لَمّا) للنَّفي مع التَّوقُّع؛ قال:

أَزِفَ التَّرَحُّلُ غيرَ أنَّ رِكابَنا ... لَمّا تَزَلْ بِرِحالِنا[5] وَكَأَنْ قَدِ[6]

ويجوز الوقف على (لمّا) دون (لم)[7].

---

(١) «والخوف»: ليس في (ن).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٦٣٧).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢/ ١٣٥).

(٤) انظر: «ارتشاف الضرب» لأبي حيان (٤/ ١٩٧٨)، و«الجنى الداني» للمرادي (ص: ٢٠٥).

(٥) في (ن): «برحالها».

(٦) البيت للنابغة الذبياني. انظر: «ديوانه» (ص: ٩٤)، و«شرح الكتاب» للسيرافي (١/ ١٤٢).

(٧) انظر: «الجنى الداني» للمرادي (ص: ٢٦٨).

﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ﴾: مَثَل ومِثْل لغتان(١).

أي: لم تنزلْ بكم شدائدُ مثلُ ما نزلَ بالذين ﴿خَلَوْاْ﴾: مضوا ﴿مِن قَبۡلِكُم﴾.

ثم ذكرَ ما نزلَ بهم فقال: ﴿مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ﴾: البؤسُ، ﴿وَٱلضَّرَّآءُ﴾: الضُّرُ.

﴿وَزُلۡزِلُواْ﴾: وحُرِّكوا، وأُوذُوا بأنواعِ البلاء.

وأصلُ الكلمة عند الكوفيِّين من (زَلَّ)، و(زلزلَ) مبالغةٌ؛ كصَلَّ وصَلْصَلَ، وكَبَّ وكَبْكَبَ، وعند البصريين: هو مضاعف الرُّباعي(٢).

وقيل: معناه: جاءهم الشَّدائدُ من قِبَلِ أعدائِهم.

﴿حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِ﴾ قال القُتبيُّ(٣): استبطؤوا النَّصر(٤).

وقيل: الاستبطاءُ من القوم، والإجابةُ من الرَّسول، وتقديره: حتى يقولَ الذين آمنوا معه: متى نصر الله، ويقولَ الرَّسول: ﴿أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ﴾(٥).

وقيل تقديره: متى نصر الله؟ فأجابهم الله، وقال: ﴿أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ﴾.

---

(١) انظر: «غريب الحديث» لأبي عبيد (٢/ ٣٦٣)، و«أدب الكاتب» لابن قتيبة (ص: ٥٣٣).

(٢) انظر: «الشافية» لابن الحاجب (١/ ٧٥)، و«شرح الشافية» للرضى (١/ ٦٢).

(٣) هو أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينَوَريّ (ت ٢٧٦هـ). انظر: «الأنساب» للسمعاني (١٠/ ٣٤٠).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢١١)، وقال: «وفيه بُعد؛ لأن الأنبياء عليهم السلام واثقون بوعد الله، منتظرون لأمر الله»، وقد ذهب إلى هذا الزجاج، أما القتبي، فلم أقف على كلام له في الآية، لكنه ذهب إلى هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا﴾. انظر: «مشكل القرآن» له (ص: ٢٣٤).

(٥) ذكره ابن فارس في «الصاحبي في فقه اللغة» (ص: ١٨٨).

وقيل: تمَّ الكلامُ عند قوله: ﴿مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾، ثم قال الله[1] لنبيِّه محمَّد عليه السلام: ﴿أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾[2].

وقيل: هي من جُملةِ كلامهم.

وقيل: لم يكن منهم استبطاءٌ، بل كان استعلامًا لوقت النُّصرة، فأجابهم الله بقوله: ﴿أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾.

مَن نصبَ (يقول) فبإضمار (أن)، ومَن رفعَ فعلى حكاية الحال[3].

***

(٢١٥) - ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ﴾ ابن عبّاسٍ: نزلت في عَمرِو بنِ الجَموح الأنصاري، وكان شيخًا كبيرًا، وعنده مالٌ كثيرٌ، فقال: يا رسول الله، بماذا نتصدَّقُ؟ وعلى مَن ننفقُ؟ فنزلت: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ﴾[4].

ابن عبّاس[5]: كأنَّهم لَمّا أُمِروا بالإنفاقِ سألوا عن مصرفِه[6]، فقال:

﴿قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ﴾: من مالٍ.

---

(١) اسم الجلالة «الله» من (ن).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢١١)، واستغربه.

(٣) قرأ نافع بالرفع، وقرأ الباقون بالنصب. انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٨١)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٠).

(٤) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٦٧).

(٥) «ابن عباس» من (ن).

(٦) روى نحوه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٣٨١).

وقيل: من شيءٍ يُتقرَّبُ به إلى الله.

﴿فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ الحسن: أراد به التَّطوُّعَ[١].

والآيةُ محكمةٌ غيرُ منسوخةٍ بآية المواريثِ وآية الزَّكاة.

﴿وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾: فلن[٢] تُعدمُوا جزاءَه.

* * *

(٢١٦) ـ ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ﴾: فُرِضَ عليكم جهادُ الكفّار.

﴿وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾؛ أي: لا تهواه النُّفوس، بل تنفرُ عنه الطِّباع.

وقيل: كُرهٌ لكم قبلَ الفرض، فلمّا فرضَ اللهُ عليهم أرادوه لأمرِه[٣].

﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا﴾ في الحالِ ﴿وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ في المآلِ.

﴿وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا﴾ في الرّاهنةِ ﴿وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ﴾ في العاقبةِ.

وفي الجهاد إحدى الحُسنيَيْن؛ الشَّهادةُ أو الغَنيمة، وفي تركِه إحدى السَّيِّئَين[٤]: القتلُ أو الأسر.

﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ﴾ المصالحَ الخفيّةَ، ﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٦٤٢) عن ابن جريج، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٣٨١) عن مقاتل بن حيان.

(٢) في (و): «فلم».

(٣) أي: لـمّا أمرهم الله به لم يعد كُرهاً لهم، بل رغبوا به استجابة لأمر الله.

(٤) في (و): «الحسنيين».

(٢١٧) - ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾.

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ﴾ قال المفسِّرون: بعثَ رسولُ الله ﷺ عبدَ الله بنَ جحشٍ - وهو ابن عمّة النَّبيِّ ﷺ - في جمادى الآخرة قبل قتال بدرٍ بشهرين، على رأس سبعة عشر شهرًا من مَقْدمِه المدينة، وبعث معه ثمانية رهطٍ من المهاجرين؛ سعد بن أبي وقّاص الزُّهريَّ، وعكاشة بن محصنٍ الأسديَّ، وعُتبة بن غزوان السُّلميَّ، وأبا حذيفة بن عُتبة بن رَبيعة، وسُهيل بن بيضاء، وعامر بن ربيعة، وواقد بن عبد الله، وخالد بن بكيرٍ، وكتب لأميرهم عبد الله بن جحشٍ كتابًا وقال: «سِرْ على اسمِ اللهِ، ولا تنظرْ في الكتاب حتَّى تسيرَ يومَين، فإذا نزلْتَ منزلَيْن فافتَحِ الكتابَ، واقرأْهُ على أصحابِك، ثم امضِ لِما أمرْتُكَ، ولا تستكرِهَنَّ أحدًا[1] من أصحابِك على السَّيرِ معك»، فسارَ عبدُ الله يومَين، ثم نزل وفتح الكتاب، فإذا فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم، أمّا بعدُ، فسِرْ على بركةِ الله بمن تبعَكَ من أصحابِك حتى تنزلَ بطْنَ نخلةَ[2]، فترْصُدَ بها عيرَ قريشٍ؛ لعلَّك أن تأتيَنا منه بخبرٍ»، فلمَّا نظر عبد الله في الكتاب، قال: سمعًا وطاعةً، ثم قال لأصحابه ذاك، وقال: إنَّه نهاني أن أستكرهَ أحدًا منكم، حتى إذا كان بمَعْدَنٍ فوق الفَرْعِ أضلَّ سعدُ بنُ أبي وقّاص وعتبة بن غزوان بعيرًا لهما كانا يعتقبانه، فاستأذنا أن يتخلَّفا في طلب بعيرهما، فأذنَ لهما، فتخلَّفا في

(١) «أحدا»: ليس في (ن).

(٢) بطن نخلة: موضع بين مكة والطائف. انظر: «الصحاح» للجوهري مادة: (ن خ ل) (٥/ ١٨٢٧).

طلبه، ومضى عبد الله ببقيّة أصحابه حتى نزلوا بطنَ نخلة بين مكّة والطّائف، فبينا هم كذلك مرَّت بهم عيرٌ لقريشٍ تحمل زبيبًا وأَدَمًا وتجارةً من تجارة الطّائف، فيهم عَمرو بن الحضرميُّ، والحكم بن كيسان، وعثمان بن عبد الله بن المغيرة، ونوفل بن عبد الله المخزوميّان، فلمّا رأوا أصحابَ رسول الله ﷺ[١] هابوهم.

فقال عبد الله بن جحشٍ: إنَّ القومَ قد ذُعِروا منكم فاحلقوا رأسَ رجلٍ منكم فليتعرَّض لهم، فإذا رأوه محلوقًا أمنوا وقالوا: قومٌ عُمّارٌ، فحلقوا رأس عكاشة، ثم أشرف عليهم فقالوا: قومٌ عُمّارٌ لا بأسَ عليكم، فأمَّنوهم، وكان ذلك في آخر يوم من جمادى الآخرة، وكانوا يرون أنَّه جمادى وهو من رجبٍ، فشاورَ القومَ فيهم، وقالوا: لئن تركتموهم هذه اللَّيلةَ ليدخلُنَّ الحرمَ وليمتنعُنَّ منكم، فأجمعوا أمرَهم في مواقعة القوم، فرمى واقدُ بن عبد الله السَّهمي عَمرَو بن الحضرميَّ بسهمٍ فقتلَه، وكان أوَّلَ قتيلٍ من المشركين، واستأسرَ الحكمُ وعثمانُ، فكانا أوَّلَ أسيرين في الإسلام، وأفلَتَ نوفلٌ فأعجزَهم، واستاقَ المؤمنون العيرَ والأسيرين حتى قدموا على رسول الله ﷺ بالمدينة.

وقالت قريشٌ: قد استحلَّ محمَّدٌ الشَّهرَ الحرام، شهرًا يأمنُ فيه الخائفُ، ويَبْذَعِرُّ[٢] النّاسُ لمعايشهم، فسفَكَ فيه الدِّماء[٣]، وأخذ فيه الحرائب[٤]. وعيَّرَ بذلك أهلُ مكّةَ مَنْ كان بها من المسلمين، وقالوا: يا معشرَ الصُّباةِ، استحللْتُم الشَّهرَ

---

(١) في (ن): «أصحاب محمد عليه السلام».

(٢) أي: يتفرَّقون. انظر: «العين» (٢/ ١٠٣) مادة: (ب ذ ع)، و«غريب الحديث» لأبي عبيد (٢/ ١١).

(٣) «الدماء»: ليس في (ن).

(٤) الحرائب: جمع حريبة: وهي مال الرجل الذي يعيش به. انظر: «غريب الحديث» للخطابي (/ ٥٥٣).

الحرام وقاتلْتُم فيه، وتغالَتِ اليهود بذلك وقالوا: واقدٌ وقدَتِ الحرب، وعَمرٌو عَمرَتِ الحرب، والحضرميُّ حضرَتِ الحرب.

وبلغ ذلك رسولَ الله ﷺ فقال لابن جحشٍ وأصحابه: «ما أمرتكم بالقتال[١] في الشَّهرِ الحرامِ»، ووقف العيرَ والأسيرين، وأبى أن يأخذَ من ذلك شيئًا، فعظُمَ ذلك على أصحابِ السَّريّة، وظنُّوا أنْ قد هلكوا، وسُقِطَ في أيديهم، وقالوا: يا رسول الله، إنّا[٢] قتلْنا ابنَ الحضرميِّ، ثم أمسينا فنظرنا إلى هلال رجبٍ، فلا ندري أفي رجبٍ أصبناه أم في جمادى؟ فأكثرَ النّاسُ في ذلك، فأنزل الله هذه الآية، فأخذ رسولُ اللهِ ﷺ العيرَ، فعزلَ منها الخُمْس، وكان أوَّلَ خُمْسٍ في الإسلام، وقسمَ الباقي بين أصحابِ السَّريّة، وكان أوَّلَ غنيمةٍ في الإسلام، وبعث أهلُ مكّةَ في فداءِ أسيْرِهم، فقال: «بل نقفُهم حتى يقدمَ سعدٌ وعتبةُ، فإنْ لم يَقْدما قتلناهما بهما»، فلمّا قدما فاداهم.

فأمّا الحكمُ بنُ كيسانَ فأسلم، وأقام مع رسول الله ﷺ بالمدينة، وأمّا عثمانُ بن عبد الله فرجع إلى مكّة فمات بها كافرًا، وأمّا نوفلٌ فضربَ بطنَ فرسِه يوم الأحزاب؛ ليدخل الخندقَ على المسلمين، فوقع في الخندق مع فرسه فتحطَّما جميعًا وقتلَه الله، وطلب المشركون جيفتَه بالثَّمن، فقال ﷺ: «خذوه؛ فإنَّه خبيثُ الجيفةِ خبيثُ الدِّية»[٣]. فهذا سبب نزول: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ ﴾.

عن ابن عبّاسٍ قال: ما رأيت قومًا كانوا خيرًا من أصحاب رسول الله، ما

---

(١) في (و): «بالقتل».

(٢) في (ن): «إننا».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٦٥٤ ـ ٦٥٥) عن السدي، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٤٠٨ ـ ٤١٥)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٦٩ ـ ٧٠) عن المفسرين. وروى نحوه البيهقي في «السنن الكبرى» (١٧٩٨٩) عن عروة بن الزبير. وانظر: «تغليق التعليق» لابن حجر (٢/ ٧٥ ـ ٧٧).

سـألوه إلّا[1] عن ثلاثَ عشـرةَ مسـألةً حتى قُبِضَ عليه السَّـلام، وكلُّهنَّ في القرآن[2].

و﴿ٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ﴾ هنا: رجبٌ.

﴿قِتَالٖ فِيهِۖ﴾ بـدلٌ عـن ﴿ٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ﴾[3] بـدل الاشـتمال؛ أي: يسـألونك عن القتال فـي الشَّـهر الحرام.

والسّائلون هم الكفّار كما سبق؛ سألوه تشنيعًا عليه وعلى أصحابه فيما كان منهم.

وقيل: سألوه إرادةَ الفتكِ[4] في اغترارِ النَّبيِّ ﷺ والمؤمنين.

وقيل: السّائلون أصحاب رسول الله ﷺ الذين قتلوا ابنَ الحضرميِّ.

﴿قُلۡ قِتَالٞ فِيهِ كَبِيرٞۖ﴾؛ أي: ذنبٌ عظيمٌ.

﴿وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: منعٌ عنها، يريدُ صدَّهم المسلمين عن البيتِ عامَ الحُدَيبية.

﴿وَكُفۡرُۢ بِهِۦ﴾؛ أي: بالله، وقيل: بالشَّهر الحرام؛ لانتهاك حرمته، وقيل: بالمسجد فيمن قدَّرَه مقدَّمًا.

﴿وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ﴾: مكّة.

---

(١) «إلا» من (ن).

(٢) رواه الدارمي في «سننه» (١٢٥)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٢٨٨)، والضياء المقدسي في «المختارة» (١٠/ ٢٨١). قال الهيثمي في «مجمع الزوئد» (١/ ١٥٩): «وفيه عطاء بن السائب، وهو ثقة ولكنه اختلط، وبقية رجاله ثقات».

(٣) «الحرام» ليس في (و).

(٤) في (و): «القتل».

الحسن والفرّاء: هو عطفٌ على ﴿ٱلشَّهۡرِ﴾؛ أي: يسألونك عن الشَّهر الحرام والمسجد الحرام[١]، والجمهورُ على أنَّه عطفٌ على ﴿سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: صدٌّ عن سبيل الله وعن المسجد الحرام[٢]، وقيل: عطفٌ على الهاء، ولا يجوزُ عند البصريِّين العطفُ على ضميرِ المجرورِ إلّا بإعادة الجارِّ[٣].

﴿وَإِخۡرَاجُ أَهۡلِهِۦ﴾ يعني: المسلمين ﴿مِنۡهُ﴾ من المسجد.

وقيل: من الإيمانِ بالتَّعذيبِ وغيرِه[٤].

﴿أَكۡبَرُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ ممّا تقدَّم، وقيل: من القتال.

﴿وَٱلۡفِتۡنَةُ﴾؛ أي: الكفرُ ﴿أَكۡبَرُ مِنَ ٱلۡقَتۡلِ﴾؛ أي: في الشَّهرِ الحرامِ.

﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ﴾؛ يعني: الكفّار ﴿حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ﴾ إلى الكفرِ ﴿إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْ﴾.

ثم أوعدَ فقال: ﴿وَمَن يَرۡتَدِدۡ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتۡ وَهُوَ كَافِرٞ﴾؛ أي: مات على الكفر، ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ﴾، فلم يُثابوا عليها ﴿فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

أجمع المفسِّرون على أنَّ الآيةَ منسوخةٌ بقوله: ﴿فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ﴾ إلَّا عطاءً؛ فإنَّه يقول: الآيةُ محكمةٌ[٥].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ١٤١).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢١٢)، واستبعده، قال: «لأنه لا يُحال بين صلة المصدر وما يعطف عليها، وقد حيل هاهنا بقوله: (وكفر به)».

(٣) انظر: «الإنصاف في مسائل الخلاف» للأنباري (٢/ ٣٧٩).

(٤) أي: إخراج المؤمنين من دينهم وإيمانهم بالتعذيب والإكراه أكبر عند الله.

(٥) رواه أبو عبيد في «الناسخ والمنسوخ» (٣٨٨)، والطبري في «تفسيره» (٣/ ٦٦٣) عن عطاء.

الزَّجّاج: ﴿قُلۡ قِتَالٞ فِيهِ﴾: مبتدأ[١]، وخبره: ﴿كَبِيرٞ﴾، و﴿وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ وما بعده: مبتدأ، و﴿أَكۡبَرُ﴾: خبره[٢].

وقيل: ﴿وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفۡرُۢ بِهِۦ﴾ عطفٌ على ﴿كَبِيرٞ﴾، و﴿وَإِخۡرَاجُ أَهۡلِهِۦ مِنۡهُ﴾ مبتدأ، و﴿أَكۡبَرُ﴾ خبرُه، وهذا على[٣] قولِ مَن جعل به عائدًا إلى الشَّهر أو إلى المسجد، أو على مَن جعلَ ﴿أَكۡبَرُ﴾ من القتال، لا من الكفر؛ لأَنَّه محالٌ أن يكون شيئًا من الكفر أعظمُ من الكفر.

***

(٢١٨) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ﴾ الآية، قال الزُّهريُّ: ولما فرَّجَ الله عن أهل تلك السَّريّة ما كانوا فيه من غمٍّ طمعُوا فيما عند الله من ثوابه، فقالوا: يا نبيَّ الله، أنطمعُ أن تكون غزوةً نُعطى فيها أجرَ المجاهدين؟ فأنزل اللهُ[٤] فيهم الآية[٥].

أي: إنَّ الذين آمنوا بك، والذين هاجروا وتركوا مكّة، وخرجُوا خلفَ رسول الله ﷺ إلى المدينة.

وأصلُ الهجرةِ: قطعُ المواصلةِ عنْ قِلًى.

---

(١) أي: قتالٌ مبتدأ.

(٢) في (و): «سبيل الله مبتدأ، وما بعده خبره». انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٢٨٩ ـ ٢٩٠).

(٣) «على» من (ن).

(٤) اسم الجلالة «الله» من (ن).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٣١٩).

﴿وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: قاتلوا الكفّار.

والجهادُ: القتالُ للإذعانِ بالحقِّ.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ﴾: يطمعون فيها ويأملون، والرَّجاءُ: الأملُ.

﴿وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾.

* * *

(٢١٩ ـ ٢٢٠) ـ ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِۖ قُلۡ فِيهِمَآ إِثۡمٞ كَبِيرٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثۡمُهُمَآ أَكۡبَرُ مِن نَّفۡعِهِمَاۗ وَيَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلۡعَفۡوَۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَتَفَكَّرُونَ ٢١٩ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۗ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡيَتَٰمَىٰۖ قُلۡ إِصۡلَاحٞ لَّهُمۡ خَيۡرٞۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمۡ فَإِخۡوَٰنُكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ ٱلۡمُفۡسِدَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعۡنَتَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾.

﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ﴾ ذكر المفسِّرون أنَّ الآيةَ نزلت في عمرَ بنِ الخطّابِ ومعاذِ بن جبلٍ ونفرٍ من الأنصار أتوا رسولَ الله عليه السَّلام وقالوا: أفْتِنا في الخمر والميسر؛ فإنَّهما مذهبةٌ للعقل مسلبةٌ للمال، فأنزل الله هذه الآية[1].

قال القفّال: أوَّلُ آيةٍ نزلَت في الخمرِ هذه، فامتنعَ عن شُربها جماعةٌ، ولـمّا تقرَّرَ هذا عندهم حرَّمَ عليهم شربَ الخمر إذا أرادوا أن يقربوا الصَّلاة بقوله: ﴿لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ﴾ [النساء: ٤٣]، فتركَها أكثرُهم، ثم نزلَ التَّحريمُ العامُّ بقوله: ﴿فَٱجۡتَنِبُوهُ﴾[2].

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٤٢٧)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٧١).

(٢) ذكر نحوه الرازي في «التفسير الكبير» (٦/ ٣٩٦)، وأبو حيان في «البحر المحيط» (٢/ ٤٠٤).

«الحجّة» عن الحسن: المحرِّمةُ ما في (البقرة)؛ لقوله: ﴿إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾، والإثمُ حرامٌ على كلِّ حالٍ[(١)].

والخمرُ: عصيرُ العنبِ بعدما اشتدَّ.

والميسرُ: القمارُ كلُّه؛ عن ابن عبّاسٍ وابن مسعودٍ وابن سيرين والحسن وقتادة ومجاهدٍ[(٢)].

مشتقٌّ من (اليَسَر)، وهو وجوبُ الشَّيء لصاحبه، ويُقالُ للمقامر: ياسِرٌ ويَسَرٌ، وقيل: اليَسَرُ: جمع الياسِر، والأيسارُ: جمع الجمع[(٣)].

والميسِرُ: الجزور، وكانت العربُ تنحرُ جزورًا وتجعله أقسامًا يتقامرون عليها، وهو ضربُ القداحِ على أجزاءِ الجزورِ قمارًا.

القتبيُّ: الأقداح عشرةٌ؛ سبعةٌ منها عليها حظوظٌ؛ وهو: الفَذُّ وله نصيبٌ، والتَّوْأَمُ وله نصيبان، والرَّقيبُ ـ وقيل: الضَّريب ـ وله ثلاثةُ أنصباء، والحِلْسُ وله أربعة أنصباء، والنّافسُ وله خمسةٌ، والـمُسْبِلُ وله ستّةٌ، وقيل: المصفَّح، والـمُعَلَّى وله سبعةُ أنصباء.

وثلاثةٌ أغفالٌ لا نصيبَ لها؛ وهي الـمَنيحُ والسَّفيحُ والوَغْدُ[(٤)].

---

(١) انظر: «الحجة» لأبي علي الفارسي (٢/ ٣٠٨)، والكلام فيه غير منسوب، وإنما قال: «ومن أهل النظر من قال» وذكر نحوه.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٣٢٢ ـ ٣٢٤) عن ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما وعن ابن سيرين والحسن وقتادة ومجاهد.

(٣) وقيل: الأيسار جمع يَسَر. انظر: «المعاني الكبير» لابن قتيبة (٣/ ١١٤٧).

(٤) انظر: «المعاني الكبير» (٣/ ١١٦٦ ـ ١١٦٧)، و«إصلاح غلط أبي عبيد في غريب الحديث» (ص: ١١٣ ـ ١١٤) كلاهما لابن قتيبة.

وفي كيفيّةِ استعمالهم لها كلامٌ ليس هذا موضعُه.

﴿قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ في تجارتِهم بها، وتقويةِ الضَّعيف، وهضمِ الطَّعام، وتَسلِّي المحزون، وتَشجُّعِ الجبان، وتَسخِّي البخيل[1].

ومنافعُ الميسرِ: التَّوسعةُ على ذوي الحاجة؛ لأنَّ مَنْ قَمَرَ[2] لم يكن يأكلُ من الجزور، بل كان يفرِّقُه في المحتاجين، ولهذا كانوا يسمُّون مَن لا يَيْسِرُ[3] بَرَمًا، ويذمُّونه ويَهجونَه.

﴿وَإِثْمُهُمَآ﴾: ما يحصلُ بسببهما من البغضاءِ والشَّنَآنِ، والحملِ على ارتكابِ الفواحش، وزوالِ العقل، وغيرِهما[4] ممّا يطولُ تَعداده.

﴿أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾؛ أي: فلا تغترُّوا بالنَّفع فيها؛ فالضَّرُّ أكثرُ منه.

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ﴾ نزلت في سؤال عَمرو بن الجَموح؛ وذلك أنَّه[5] لَمّا بيَّنَ له مصرفَه سألَ عن المقدار[6].

---

(١) وهـذه فوائـد مزعومـة للخمـر، والخمـر إنما تُضعـف العقـل، فيتوهَّم شـاربها فيها تقوية وتسـلية، وقـد ذكـر الفخـر الرازي مـن ذلك مـا يشـبه كلام المصنِّـف، والله أعلـم. انظـر: «مفاتيـح الغيب» للـرازي (٦/ ٤٠١).

(٢) أي: غلب في القمار. انظر: «غريب الحديث» لإبراهيم الحربي (٢/ ٣٧٥).

(٣) أي: يأتي بقدحِه للقمار. انظر: «تهذيب اللغة» للأزهري (١٣/ ٤٢).

(٤) كذا في النسخ الخطية، وهو معطوف على (ارتكاب)، والمراد: أن الخمر تحمل على أشياء غير ارتكاب الفواحش وزوال العمل.

(٥) «أنه» من (ن).

(٦) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٣٩٠) بلا نسبة، وذكره الواحدي في «البسيط» (٤/ ١٢٥) من طريق الكلبي عن ابن عباس رضي الله عنهما.

﴿قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾ ابن عبّاسٍ وقتادة: الفَضْلُ عن الغنى[(١)].

الحسن وعطاءٌ: الوسطُ من غير إسرافٍ ولا إقتارٍ[(٢)].

مجاهدٌ: الصَّدقةُ المفروضة[(٣)].

وأصلُه: من الزِّيادة، من قوله: ﴿حَتَّىٰ عَفَوا﴾ [الأعراف: ٩٥] أي: زادوا، وقيل: من التَّرك؛ من قوله: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ﴾ [البقرة: ١٧٨]؛ أي: تُرِكَ.

السُّدِّيُّ: هذه الآية منسوخةٌ بآية الزكاة[(٤)].

مجاهدٌ: فرضٌ ثابتٌ[(٥)].

وقيل: أدبٌ من الله ثابتٌ غيرُ منسوخٍ.

﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ﴾؛ أي: كبيانِ الخمرِ والميسر، وقيل: كبيانِ ما سبقَ في السُّورة يبيِّنُ الله ﴿لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ﴾: الأحكام؛ ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾.

* * *

(٢٢٠) - ﴿فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

﴿فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ الزَّجَّاج: ﴿فِى﴾ متعلِّق بـ﴿تَتَفَكَّرُونَ﴾؛ أي: يتفكَّرون

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١/ ٣٤٠) عن قتادة، ورواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٦٨٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٦٨٨).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٦٩٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٣٩٣).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٦٩٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٣٩٤).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٦٩٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٣٩٣).

فـي أمـر الدُّنيا والآخـرة، ويُحتمَـل أن يكـونَ من صلـةِ ﴿يُبَيِّنُ﴾[١].

ابن جريرٍ: تتفكَّرون في الدُّنيا وفنائها، والآخرةِ وبقائها، فتعلمون فضلَها على الدُّنيا[٢].

وقيل: تتفكَّرون فيما وُسِّع عليكم من نعيم الدُّنيا، وفُرِضَ عليكم[٣] إنفاقُه، وهو السَّهلُ اليسير.

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ عن ابن عبّاسٍ قال: لَمّا نزل قوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ﴾ الآية [الأنعام: ١٥٢]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ الآية [النساء: ١٠]، انطلق مَن كان عندَه مالُ يتيمٍ، فعزلَ طعامَه وشرابَه من طعامه وشرابه، وجعل يفضلُ من طعامِه، فيُحبَسُ له حتى يأكلَه أو يفسد، واشتدَّ ذلك عليهم، فذكروا ذلك لرسولِ الله عليه السّلام، فأنزل الله: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ﴾[٤].

هي جمع يتيمٍ، والفعلُ منه: (يَتُمَ) ككَرُمَ، و(يَتِمَ) كعَلِمَ.

وقيل: كانت العرب في الجاهليّة يشدِّدون في أمرِ اليتيم ولا يُؤاكلونه، وكانوا يتشاءمون بملابسةِ أموالهم، فلمّا جاء الإسلامُ سألوا عن ذلك رسولَ الله عليه السَّلام، فأنزل اللهُ هذه الآية[٥].

﴿قُلْ إِصْلَاحٌ﴾؛ أي: إصلاحُ أموالِهم من غيرِ أُجرةٍ ﴿لَّهُمْ خَيْرٌ﴾ في دنياكم وفي آخرتِكم.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٢٩٤).

(٢) روى الطبري نحوه عن قتادة. انظر: «تفسير الطبري» (٣/ ٦٩٧).

(٣) «فرض عليكم» من (ن).

(٤) رواه أبو داود (٢٨٧١)، والنسائي (٣٦٦٩).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٧٠٣ ـ ٧٠٤) عن السدي والضحاك.

وقيل: إصلاحُكم لأموالِهم خيرٌ لهم من اعتزالِكم إيّاهم.

﴿وَإِن تُخَالِطُوهُمْ﴾: تشاركوهم في أموالهم، فتصيبوا بقدرِ الأُجرة، ﴿فَإِخْوَانُكُمْ﴾؛ أي: فهم إخوانكم، والإخوانُ يعينُ بعضُهم بعضًا، وينالُ بعضُهم من بعضٍ.

والمخالطةُ: جمع يتعذَّرُ فيه[1] التَّمييزُ.

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ﴾ لمالِ اليتيمِ ﴿مِنَ الْمُصْلِحِ﴾ له.

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ﴾ الزَّجّاج: لكلَّفكم ما يشتدُّ عليكم فتتعنَّتون، وأصل العنتِ من (عَنِتَ البعيرُ)؛ إذا حدثَ في رجلِه كسرٌ بعد جَبْرٍ لا يمكنُه التَّصرُّفُ معه[2].

أبو عبيدة: أهلكَكم[3].

ابن جريرٍ: حرَّمَ عليكم مخالَطتَهم[4] فيشتدُّ عليكم[5].

وعَقَبةٌ عَنُوتٌ: شديد[ة]، والإعناتُ: الحملُ على مشقّةٍ لا تُطاقُ.

﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ في نقمتِه ﴿حَكِيمٌ﴾ في تدبيرِه.

***

(٢٢١) ـ ﴿وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ۖ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ ۖ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾.

---

(١) في (ن): «معه».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٢٩٤ ـ ٢٩٥).

(٣) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ٧٣).

(٤) في (و): «مخالطتكم».

(٥) انظر: «تفسير الطبري» (٣/ ٧٠٨).

﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ﴾ عن أبي صالح عن ابن عبّاسٍ، وعن مقاتلٍ: نزلت في أبي مَرْثَدٍ الغَنَويِّ وعَناقَ[١] وكانت مشركةً، وأبو مَرْثَدٍ مسلمٌ، وقال: يا نبيَّ الله، إنَّها تعجبني، وأراد أن ينكحَها، فنزلَتْ[٢] هذه الآية[٣].

وعن أبي مالكٍ عن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما: أنَّها نزلت في عبد الله بن رَواحة، أعتق أَمةً له سوداء مسلمةً وتزوَّجها، فطعنَ عليه ناسٌ من المسلمين وقالوا: نكحَ أَمةً، وكانوا يريدون أن ينكحوا إلى المشركين ويُنكِحوهم رغبةً في أحسابهم، فأنزل الله: ﴿وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ﴾ الآية[٤].

ونَكَحَ: إذا تزوَّج، وأنكَحَ غيرَه: زوَّجَه، قال الأعشى:

ولا تقـرَبَنَّ جـارةً إنَّ سِرَّهـا[٥] عليكَ حـرامٌ فانكِحَـنْ أو تَأَبَّـدا[٦]

وأصله: التَّزويجُ، وقيل: أصلُه الضَّمُّ[٧].

﴿وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾؛ أي: بحسنِها وجمالها.

---

(١) من الأسماء المختصة عند العرب بالنساء، وهي ممنوعة من الصرف للعلمية والتأنيث. انظر: «الكتاب» لسيبويه (٣/ ٢٣٦).

(٢) في (ن): «فأنزل الله».

(٣) رواه الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٧٣ ـ ٧٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما. ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٣٩٨)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٧٣) عن مقاتل بن حيان.

(٤) رواه الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٧٣).

(٥) في (ن): «سيرها»، والسرّ هنا: النكاح.

(٦) انظر: «ديوان الأعشى» (ص: ١٧٣)، و«إصلاح المنطق» لابن السكيت (ص: ٢٣).

(٧) في (ن): «الذم»، وما أُثبتَ هو الصواب، وقد اختاره الفخر الرازي. انظر: «مفاتيح الغيب» (١٠/ ١٧).

والأَمَةُ: المملوكةُ من بناتِ آدم، تقولُ العرب(١): أَقَرَّتْ بالأُمُوَّةِ؛ أي: بالعبوديّة، ووزنُها فَعَةٌ، وجمعُها: إماءٌ وآمٌ(٢).

و﴿ٱلْمُشْرِكَٰتِ﴾ هاهنا عامٌّ، فنُسِخَ بقوله: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [المائدة: ٥] عند ابن عبَّاسٍ والحسن ومجاهدٍ(٣).

قال قتادة وسعيد بن جبير: خاصٌّ(٤) خُصَّ بما في (المائدة)(٥).

﴿وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ﴾ الزَّجّاج: الباء متعلِّقة بـ﴿يدعو﴾؛ أي: بإعلامِه لكم ما يُنجيكم ويُوصلُكم إليها(٦).

الحسن: ﴿بِإِذْنِهِۦ﴾: بأمره(٧).

---

(١) «العرب»: ليس في (ن).

(٢) وتُجمع أيضًا على: إمْوان. انظر: «العين» (٨/ ٤٣١)، و«تهذيب اللغة» للأزهري (١٥/ ٤٦٠) مادة: (أ م ا).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٧١١ ـ ٧١٢).

(٤) في (ن): «عام».

(٥) ذهب الجمهور إلى العموم في قوله: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ﴾، وأنَّ هذا العموم نُسخ، ودخله الخصوص، وذهب سعيد وقتادة إلى أنَّ الظاهر من عموم الآية مرادٌ به الخصوص، وهو: أهل الأوثان، فلا نسخَ، وللإمام الشافعي كلام جليل يبيِّن الفرق بين مثل هذين القولين، فقد عقد باباً قال فيه: «باب بيان ما نزل من الكتاب عامًا يُراد به العام ويدخله الخصوص»، وقال بعده: «باب بيان ما نزل من الكتاب عام الظاهر يراد به كله الخاص». انظر: «الرسالة» للشافعي (ص: ٥٣ و٥٨)، و«تفسير الطبري» (٣/ ٧١٣)، و«تفسير ابن أبي حاتم» (٢/ ٣٩٧)، و«معاني القرآن» للنحاس (١/ ١٧٩ ـ ١٨٠)، و«النكت والعيون» للماوردي (١/ ٢٨١).

(٦) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٢٩٦).

(٧) علماً أن الحسن كان يقرأ: (والمغفرةُ بإذنه) رفعًا، كما ذكره ابن خالويه في «المختصر =

وقيل: بما يأذنُ فيه ويأمرُ به.

﴿وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ﴾: أحكامَه ودلائلَه ﴿لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾: يتَّعظون.

* * *

(٢٢٢) ـ ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾.

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ﴾ ذكر المفسِّرون أنَّ العربَ كانت إذا حاضَتِ المرأةُ لم يُؤاكلوها ولم يُشاربوها ولم يُساكنوا معها في بيتٍ كفعلِ المجوس، فسأل أبو الدَّحداح رسولَ الله عليه السَّلام عن ذلك، وقال: يا رسول الله، كيف نصنعُ بالنِّساء إذا حضْنَ؟ فأنزل الله: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ﴾[١].

مجاهدٌ: كانوا على استجازةِ الإتيانِ في الأدبار أيّامَ الحيض، فلمّا سألوا بيَّنَ لهم تحريمَه[٢].

والقصدُ بالسُّؤالِ أمرُها مع زوجها، ولهذا أُجيبَ بما يتعلَّقُ بالجماع دونَ الصَّوم والصَّلاة.

و(المَحيضُ) يكون مصدرًا كالمَسير والمَقيل، ويكون زمانًا ومكانًا، ويَحتمِلُ

= في شواذ القراءات» (ص: ٢٠)، والنحاس في «إعراب القرآن» (١/ ١١١)، والواحدي في «البسيط» (٤/ ١٧٠).

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢/ ١٥٦)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٧٢٢) عن السدي. وروى نحوه مسلم (٣٠٢) عن أنس رضي الله عنه، إلا أنه ذكر ذلك عن اليهود، ولم يذكر أبا الدحداح.

(٢) رواه الدارمي في «سننه» (١١٨٤)، والطبري في «تفسيره» (٣/ ٧٢٢).

هاهنا أن يكون المصدر، وتقديره: ويسألونك عن حيض المرأة ما حكمُه من المجامعة وغيرها؟ ويَحتمِلُ الزَّمان؛ أي: عن حال المرأة وقتَ حيضها.

والحيض: دمٌ غليظٌ أسودُ منتنُ الرّائحة، يجري للأنثى على عادةٍ(١).

قال المفضَّل: أصله الانفجار، يُقال: حاضت السَّمُرةُ؛ إذا سالَ منها شيءٌ كدمِ الحيض(٢).

﴿قُلۡ هُوَ أَذٗى﴾: قذرٌ ونجسٌ، والمعنى: يَتأذَّى به المجامِعُ بنفورِ طبعِه عمّا يشاهد، وهذا يقوِّي وجهَ المصدر.

﴿فَٱعۡتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِي ٱلۡمَحِيضِ﴾ عن ابن عبّاسٍ وعائشةَ والحسن: يجتنبُ منها موضعَ الدَّم(٣).

و﴿ٱلۡمَحِيضِ﴾ هاهنا يحتمل مكان الحيض وزمان الحيض، ولهذا لم يُكَنِّ عنه(٤).

شريحٌ وابن المسيِّب: يجتنبُ ما بين السُّرّةِ إلى الرُّكبة(٥).

---

(١) في (ن): «العادة».

(٢) في (و): «المحيض». ذكر الثعلبي هذه العبارة في «تفسيره» (٦/ ٢٣)، ولم ينسبها، وذكر نحوها القالي والأزهري والواحدي عن الفراء. انظر: «البارع» للقالي (ص: ٦٩٣)، و«تهذيب اللغة» (٥/ ١٠٤) مادة: (ح ي ض)، و«البسيط» (٤/ ١٧١).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٧٢٥ ـ ٧٢٨).

(٤) أي: لم يعبِّر عنه بالضمير، ولم يقل: فلا تقربوا النساء فيه. والتعبير عن الضمير بالكناية اصطلاح الكوفيين، وقد ظهر في مواضع من «اللباب» أن المصنِّف يستخدم بعض اصطلاحاتهم. انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ١٩و٣٣٥)، و«الموفقي» لابن كيسان (ص: ١١٢)، و«كتاب الحدود» لابن القاسم (ص: ٤٠).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٧٢٩).

عَبيدة السَّلماني: يعتزلُ جميعَ بدنها أن يباشرَه[١].

﴿وَلَا تَقۡرَبُوهُنَّ﴾؛ أي: ولا تقربو مُجامعتَهنَّ في موضعِ الحيض، وله ما سوى ذلك من جسدِها على ما سبق، إلّا الإتيان[٢] في الدُّبر.

﴿حَتَّىٰ يَطۡهُرۡنَ﴾: يَنقَينَ بانقطاعِ الدَّمِ بعد العشرة، وقيل: بعد خمسة عشر.

وقُرئ: ﴿يَطَّهَّرْنَ﴾ بالتَّشديد[٣]؛ فيُحتمَلُ أن يكون بمعنى: يطهرن؛ كقولهم: تكسَّرَ الشَّيءُ وانكسر، وتقطَّعَ وانقطع[٤]، ويُحتمَل أن يكون بمعنى: يغتسلْنَ، فيكون على ما دون العشرة.

﴿فَإِذَا تَطَهَّرۡنَ﴾: اغتسلْنَ، وقيل: توضَّأْنَ، وقيل: غسلْنَ موضعَ الدَّم.

﴿فَأۡتُوهُنَّ﴾؛ أي: جامعوهنَّ.

﴿مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ﴾ اجتنابَه في الحيض، وقيل: ما لم تكن صائمةً أو معتكفةً أو مُحْرِمةً، وقيل: في طهرهنَّ، لا حيضهنَّ.

محمد بن الحنفيّة: في النِّكاح، لا في السِّفاح[٥].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٧٢٤)، وذكره الماوردي في «تفسيره» (٢/ ٢٨٣).

(٢) «أي: ولا تقربو مجامعتهن في موضع الحيض، وله ما سوى ذلك من جسدها على ما سبق، إلا الإتيان» من (ن).

(٣) قرأ بها حمزة والكسائي وعاصم في رواية أبي بكر. انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٨٢)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٠).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢١٣)، واستغربه.

(٥) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٦٦٨١)، والطبري في «تفسيره» (٣/ ٧٤٠)، وقد ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢١٤)، واستغربه.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ﴾ من الذُّنوب، وقيل: من المجامعة في الحيض[١].

﴿وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ بالماء[٢].

مجاهدٌ: من أدبار النِّساء[٣].

وقيل: عن أن يعودوا إلى الذُّنوب.

***

(٢٢٣) ـ ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ﴾ عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: كانت اليهودُ تقول: إذا أتى الرجل أهلَه باركةً كان الولد أحول، فأنزل الله: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾[٤].

وعن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما: أنَّ هذا الحيَّ في قريشٍ كانوا يَشْرَحونَ[٥] النِّساءَ بمكّةَ، ويتلذَّذون بهنَّ مُقبلاتٍ ومُدبراتٍ، فلمّا قدموا المدينة تزوَّجوا من الأنصار، فذهبوا يفعلون بهنَّ كما كانوا يفعلون بمكّة، وأنكرْنَ ذلك وقلْنَ: هذا شيءٌ لم نكنْ نُؤْتَى عليه، فانتشرَ الحديثُ حتى انتهى إلى رسول الله عليه السَّلام، فنزلت[٦].

---

(١) «في الحيض»: ليس في (ن).

(٢) «بالماء» من (ن).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٧٤٣).

(٤) رواه البخاري (٤٥٢٨)، ومسلم (١٤٣٥)، وفي البخاري: «من ورائها»، وفي مسلم: «من دبرها في قبلها» بدل «باركة»، ورواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٧٥٨) بلفظ المصنف.

(٥) يُقال: شرح فلان جاريته؛ إذا وطئها على قفاها، وأصل الشَّرْح: البَسْط، ومنه: انشراح الصدر بالأمر، وهو انفتاحه، وانبساطه. انظر: «جامع الأصول» لابن الأثير (٢/ ٤٢).

(٦) رواه أبو داود (٢١٦٤).

وعـن سـعيد بن جبيـر عن ابن عبّـاسٍ قال: جـاء عمرُ بـنُ الخطّـاب رضي الله عنـه إلى رسـول الله عليه السَّـلام فقـال: هلكْتُ، قال: «ومـا الذي أهلـكَكَ؟» قال: حوَّلْـتُ رَحْلِـي اللَّيلـةَ، قـال[1]: فلـم يَـرُدَّ عليـه شـيئًا، قـال: فأوحى الله هـذه الآية: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾[2].

أبو عبيدة: كنايةٌ وتشبيهٌ[3]؛ أي: شبَّهَ الجماعَ بالزِّراعة، والنُّطفةَ بالبَذْر، والرَّحمَ بالأرض، والولدَ بالنَّبات[4].

ابن عيسى: موضعُ حرثٍ لكم[5].

﴿أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾؛ أي: أينَ شئتم، وكيفَ شئتم ـ وقيل: ومتى شئتم ـ قائمةً وباركةً ومضطجعةً بعد أن يكون المأتى يؤدِّي[6] إلى الولد.

﴿وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمْ﴾ المفعول محذوفٌ، وتقديره: وقدِّموا لأنفسكم خيرًا، كقوله: ﴿وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ﴾ [المزمل: ٢٠].

الزَّجّاج: أي: قدِّموا طاعتَه، واحترزوا من عقابِه[7].

---

(١) «قال» من (ن).

(٢) رواه الترمذي (٢٩٨٠)، وقال: «حسن غريب».

(٣) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ٧٣).

(٤) قال الزجاج: «القول عندي فيه أن معناه: أن نساءكم حرث لكم منهن تحرثون الولد واللذة». انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٢٧٨ و٢٩٨).

(٥) ذكره النحاس في «معاني القرآن» (١/ ١٨٥)، والمصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢١٤) بلا نسبة.

(٦) في (ن): «مؤديًا».

(٧) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٢٩٨).

ابن جريرٍ: هو راجعٌ إلى جميع ما تقدَّم؛ أي: أطيعوه في جميع أوامره؛ لتكونوا قد قدَّمتم خيرًا لأنفسكم(١).

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُۗ﴾: مُعاينوه، وقيل: مُعاينو ثوابِه أو عقابِه(٢)، وقيل: ميِّتون.

﴿وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾؛ أي: بما أُمروا به ونُهوا عنه بالرُّؤيةِ والنَّعيم(٣).

***

(٢٢٤) ـ ﴿وَلَا تَجۡعَلُواْ ٱللَّهَ عُرۡضَةٗ لِّأَيۡمَٰنِكُمۡ أَن تَبَرُّواْ وَتَتَّقُواْ وَتُصۡلِحُواْ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾.

﴿وَلَا تَجۡعَلُواْ ٱللَّهَ عُرۡضَةٗ لِّأَيۡمَٰنِكُمۡ﴾ قال الكلبيُّ: نزلت في عبد الله بن رواحةَ الأنصاريِّ، ينهاه عن قطيعة خَتَنِه بشيرِ بن النُّعمان، وذلك أنَّ ابنَ رواحةَ حلف أن لا يدخلَ عليه أبدًا، ولا يكلِّمَه، ولا يصلحَ بينَه وبينَ أختِه، ويقول: قد حلفْتُ بالله أن لا أفعل، ولا يحلُّ لي إلَّا أن أبرَّ في يميني، فأنزل الله هذه الآية(٤).

ومعناه على هذا الوجه: لا تجعلوا اليمينَ بالله عُذرًا وعلّةً في تركِ البرِّ.

﴿أَن تَبَرُّواْ﴾ متَّصلٌ بالأيمان؛ لأنَّ اليمينَ في معنى الحلف، فيتضمَّنُ معنى الفعل الذي يجوز أن يُوصَلَ به ما بعدَه، كما تقول: يميني أن لا أفعلَ كذا، فيكون

(١) هو معنى قوله وخلاصته. انظر: «تفسير الطبري» (٣/ ٧٦٢ ـ ٧٦٣).

(٢) في (و): «وعقابه».

(٣) هذا دليل واضح مع ما تقدم قريباً من تفسير اللقاء بالمعاينة على مخالفة المصنِّف للمعتزلة في مذهبهم.

(٤) ذكره السمرقندي في «بحر العلوم» (١/ ١٤٨)، والثعلبي في «تفسيره» (٦/ ١٢٢)، والواحدي في «البسيط» (٤/ ١٨٥).

(لا) مقدَّرًا؛ أي: أن[١] لا تبرُّوا، كقوله: ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ﴾ [النساء: ١٧٦][٢]، وهاهنا أحسن؛ لأن (لا) قد تُضمَر مع اليمين؛ نحو: ﴿تَٱللَّهِ تَفْتَؤُاْ﴾ [يوسف: ٨٥].

وعند البصريِّين تقديره: كراهةَ أن تبرُّوا، وكراهةَ أن تضلُّوا، وليس ذلك كاليمينِ؛ لدخولِ (أن)[٣].

ويجوز أن يتعلَّقَ بـ(عرضة)؛ أي: مانعًا من أن تَبَرُّوا، فلا يحتاجُ إلى إضمار (لا)[٤].

الحسن وقتادة: كانوا يقولون: قد حلفنا بالله، ولم يحلفوا به[٥].

وقيل: لا تجعلوا اليمين بالله مُبتذَلًا في كلِّ حقٍّ وباطلٍ لأن تبرُّوا؛ أي: تصيروا أبرارًا أتقياء، واحفظوا أيمانكم.

---

(١) «أن»: ليس في (ن).

(٢) ذهب إلى هذا الفراء وأبو عبيدة والطبري. انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٢٩٧)، و«تفسير الطبري» (٤/ ١١ ـ ١٢) و(٩/ ٥١٢)، و«الوسيط» للواحدي (١/ ٣٣٠)، و«الدر المصون» للسمين الحلبي (٢/ ٤٢٦).

(٣) فهو عندهم مفعول لأجله، وهذا مذهب الجمهور. انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ١٣٧)، و«معاني القرآن» للنحاس (٢/ ٢٤٤)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٢/ ٤٤٠).

(٤) أجاز هذا القول الزمخشري، وردَّه أبو حيان. انظر: «الكشاف» للزمخشري (١/ ٢٦٧)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٢/ ٤٤٢).

(٥) لم أقف على ما ذكره المصنِّف؛ فقد روى عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٦٧)، والطبري في «تفسيره» (٤/ ٦) عن قتادة: «هو الرجل يحلف على الأمر الذي لا يصلح، فإذا كُلِّمَ في ذلك قال: إني قد حلفت، فجعل يمينه عرضة لذلك»، وقال ابن أبي زمنين في «تفسيره» (١/ ٢٢٧): «تفسير الحسن: كان الرجل يقال له: لم لا تبر أباك أو أخاك أو قرابتك أو تفعل كذا لخير؟! فيقول: قد حلفت بالله لا أبره، ولا أصله، ولا أصلح الذي بيني وبينه؛ يعتل بالله؛ فأنزل الله ﴿وَلَا تَجْعَلُواْ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ﴾ يعني: الحلف؛ أي: لا تعتلوا بالله». وانظر: «تفسير ابن أبي حاتم» (٢/ ٤٠٧).

ورُوي عن عائشةَ أنَّها قالت: لا تحلفوا بالله وإن بررتم[١].

وقد ذمَّ اللهُ الحلّاف[٢] بقولِه: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ﴾[٣] [القلم: ١٠].

وقال كُثيِّرُ عزّةَ يمدح ملكًا:

قليلُ الأَلايا حافِظٌ ليمينِه ... وإنْ سَبقَتْ مِنْهُ الأَلِيَّةُ بَرَّتِ[٤]

وقيل: ﴿أَن تَبَرُّواْ﴾ مبتدأ، والخبر محذوفٌ تقديره: أن تبرّوا وتتّقوا وتصلحوا بين النّاس خيرٌ لكم وأولى بكم.

والعُرْضةُ: العُذْرُ والعلَّةُ والمانعُ والبِذْلة، كاللُّعبة لِما يُلْعَبُ به، والعُرْضَةُ لِما يُعتَرَضُ به.

وقيل: العُرْضةُ: القُوّةُ.

واليمينُ: عقدُ الخبرِ بما يُتبرَّكُ بذكرِه للتَّأكيد.

﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لأيمانِكم ﴿عَلِيمٌ﴾ بنيّاتِكم.

* * *

(٢٢٥) ـ ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾.

﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ اللَّغوُ من الكلامِ: ما لا فائدةَ فيه، واللَّغا[٥]: الكلامُ القبيح.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ١٠).

(٢) في (ن): «الحالف».

(٣) «حلاف»: ليس في (و).

(٤) انظر: «ديوان كثير» (ص: ٣٢٥)، و«المقصور والممدود» لأبي علي القالي (ص: ١٥٢).

(٥) في (ن): «اللّغاء».

واللَّغوُ الذي لا يُؤاخَذُ العبدُ به في اليمينِ:

عند ابن عبَّاسٍ وعائشةَ رضي الله عنهم: هو ما يجري على اللِّسانِ عادةً ـ نحو: لا والله، وبلى والله ـ من غير عَقْدٍ على يمينٍ يُقطَعُ بها مالٌ[١] أو يُظلَمُ بها أحدٌ[٢].

الحسن ومجاهدٌ: هو يمينُ الظّانِّ؛ يرى أنَّه كما حلَفَ[٣].

طاوسٌ: هو يمين الغضبان[٤].

مسروقٌ: ما لا يلزمُه الوفاءُ به فهو لغوٌ[٥].

الضَّحاكُ: لغوُ اليمين: ما تجبُ فيه الكفّارة[٦].

إبراهيم النَّخعيُّ: هو حنثُ النِّسيان[٧].

---

(١) «مال» من (ن).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ١٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ: «هي بلا والله، ولا والله». ورواه البخاري (٦٦٦٣) وعبد الرزاق في «تفسيره» (٦٢٨) والطبري في «تفسيره» (٤/ ١٤ ـ ١٦) عن عائشة رضي الله عنها بألفاظ متعددة.

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٧١) عن مجاهد، ورواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٢١) عن الحسن ومجاهد.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٢٦) موقوفاً على طاوس، ورواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٢٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٤١٠) عن طاوس عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٥) ذكره الواحدي في «البسيط» (٤/ ١٩٧)، وروى الطبري في «تفسيره» (٤/ ٢٩) عن مسروق: «كل يمين لا يحل لك أن تفي بها فليس فيها كفارة».

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٣٣)، ولفظه: «اليمين المكفَّرة».

(٧) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٣٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٤٠٩)، ولفظ الطبري: «هو الرجل يحلف على الشيء ثم ينساه».

وقيل: هو دعاءُ الإنسانِ على نفسِه؛ كقوله: أعمى الله بصرَه إن كان كذا، وأخرجَه الله من مالِه إن لم يكن كذا، وهو نصرانيٌّ أو مجوسيٌّ إن كان كذا.

وكلُّ يمينٍ على ماضٍ فلا كفّارةَ فيها، ومنها صدقٌ ومنها غموسٌ، وكلُّ يمينٍ على مستقبلٍ فحنثُها يُوجبُ الكفّارة.

﴿وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم﴾: يعاقبُكم ﴿بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾: تعمَّدَت.

﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾ لمن تابَ عن إثمٍ يلزمُه في اليمين، ﴿حَلِيمٌ﴾ قبلَ التَّوبة؛ إذ لم يُعجِّل بعقوبتِه.

* * *

(٢٢٦) - ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ﴾ ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما: كان إيلاءُ الجاهليّة السَّنةَ والسَّنتين وأكثر، فوقَّتَ الله أربعةَ أشهرٍ[١].

سعيد بن المسيَّب: كان الرَّجلُ لا يريدُ المرأة، ولا يحبُّ أن يتزوَّجَها غيرُه، فيحلفُ أن لا يقربَها أبدًا، وكان يتركُها لا أيِّمًا ولا ذاتَ بَعلٍ، فجعل الله الأجلَ الذي يعلم به ما عند الرَّجل في المرأة أربعة أشهرٍ، وأنزل: ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ﴾[٢]؛ أي: يحلفون بما يلزمُهم فيه غُرمٌ، مثل الصَّدقة والعِتاق والطَّلاق.

وقيل: يحلفون بالله فحسبُ.

---

(١) رواه سعيد بن منصور في «سننه» (١٨٨٤)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١١٣٥٦)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٥٢٣٧).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ١٥٣)، والواحدي في «البسيط» (٤/ ٢٠٠)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ١٩٦).

﴿مِن نِّسَآئِهِمْ﴾؛ أي: يحلفـون علـى تـرك الجمـاع بالإجمـاع، إلّا مـا رُوي عـن سـعيد بـن المسـيِّب فإنَّـه قـال: إنْ حلـفَ لا يكلِّمها فهـو مُـوْلٍ، وكذلـك على كلِّ شيءٍ يَسـوؤها[1].

و﴿مِن﴾ متعلِّقةٌ بالإيلاء عند الفقهاء، والإيلاءُ مستغنًى عن (من)، وهي كقولك: مني الدُّعاء، ولي منه النَّصر[2].

والأَلِيَّةُ: اليمينُ، وجمعُها: أَلِيّاتٌ وأَلايا،كعَشِيّات وعَشايا، وإِلاءٌ كصحيفةٍ وصِحافٍ.

﴿تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ﴾: انتظارُ مضيِّ أربعةِ أشهر.

﴿فَإِن فَآءُو﴾: رجعوا.

والفيءُ: الرُّجوعُ إلى الجماع، وإلى ما امتنعوا منه، وإلّا بانَتْ منه امرأتُه.

عن عليٍّ رضي الله عنه وابن عبّاسٍ والحسن وابن مسعود وفي قول أهل المدينة: يُؤمَرُ بالطَّلاقِ أو المراجعة[3].

---

(١) روى الطبري في «تفسيره» (٤/ ٥٠) عن سعيد بن المسيب: «أنه إن حلف رجل أن لا يكلم امرأته يومًا أو شهرًا، قال: فإنا نرى ذلك يكون إيلاءً، وقال: إلا أن يكون حلف أن لا يكلمها، فكان يمسها فلا نرى ذلك يكون من الإيلاء، والفيء أن يفيء إلى امرأته فيكلمها أو يمسها، فمن فعل ذلك قبل أن تمضي الأربعة الأشهر فقد فاء؛ ومن فاء بعد أربعة أشهر وهي في عدتها فقد فاء وملك امرأته، غير أنه مضت لها تطليقة».

(٢) فهي متعلقة بما في اللام من معنى الاستقرار على رأي المصنِّف خلافاً لرأي الفقهاء الذي عدَّه المصنِّف من العجائب، أما الزمخشري فبيَّن أن تعلقها بالإيلاء على وجه التضمين؛ أي: يبعدون من نسائهم مولين، وأجاز ما اختاره المصنِّف، وأجازه العكبري أيضاً، ولم يجزه أبو حيان. انظر: «غرائب التفسير» (١/ ٢١٤)، و«الكشاف» للزمخشري (١/ ٢٦٩)، و«التبيان» للعكبري (١/ ١٨٠)، و«البحر المحيط» (٢/ ٤٤٧).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٧٦ ـ ٨٤) عن علي وعائشة وابن عباس وابن عمر وأبي الدرداء =

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ للمُولي بإسقاطِ الكفّارة، وقيل: بإسقاطِ العقاب.

﴿رَّحِيمٌ﴾ حيث نظرَ للمرأةِ أن لا يضرَّ بها زوجُها.

وقيل: نظرَ للزَّوجِ أن تكونَ له مُهلةُ أربعةِ أشهرٍ في المراجعة.

* * *

(٢٢٧) ـ ﴿وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَٰقَ﴾؛ أي: بتركِ الفيء، والعَزْمُ: القطعُ.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لكلامِ المولي ﴿عَلِيمٌ﴾ بنيَّتِه.

قال أهل المدينة: هذا دليلٌ على وجوبِ استماعِ الطَّلاقِ أو المراجعة[1].

* * *

(٢٢٨) ـ ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَٰحًا ۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ﴾: المُخلَّيات من حبالِ أزواجِهنَّ.

وأصلُ الكلمة: الفتحُ وإزالةُ العَقْد، تقول: (طَلَقَتِ المرأةُ) بالفتح والضَّم، و(طَالِقٌ) يقوِّي الفتح، وحذف تاء (طالق) للنَّسب؛ كتامرٍ ولابِنٍ، وقولُ مَن قال: «لعدم المشاركة» باطلٌ، بـ(طلقَتْ) و(حاضَتْ)[2].

= رضي الله عنهم وغيرهم، وذكر أنه قول أهل المدينة.

(١) ذكره الزجاج في «معاني القرآن» (١/ ٣٠١) وجهًا، وذكر وجهًا آخر، وهو أن يكون إنما ذكر (سميع) هاهنا من أجل حلفه؛ أي: اللَّه قد سمع حلفه وعلم ما أراده.

(٢) فمعنى طالق: ذات طلاق، كما أنَّ التامر صاحب التمر، واللابن صاحب اللبن، ولذا حُذفت التاء عند =

والمرادُ بهنَّ[١] هاهنا: المطلّقاتُ الحوائلُ المدخولُ بهنَّ اللّاتي يحضْنَ؛ لأنَّ الحاملَ مذكورةٌ في قوله: ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ﴾ [الطلاق: ٤]، وغيرَ المدخولِ بها في قوله: ﴿ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾ [الأحزاب: ٤٩]، والآيسةَ والصَّغيرةَ في قوله: ﴿وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ﴾ [الطلاق: ٤] الآية.

﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ﴾: ينتظرْنَ ولا يُقْدِمْنَ على تزوُّج.

الجمهورُ: خبرٌ في معنى[٢] الأمر، ويُحتمَل على قولِ الكوفيِّين: ليتربَّصْنَ محذوف[٣] اللّام[٤].

وقيل: الخبرُ أليقُ به من الأمر؛ لأنَّ المخبَرَ به لابدَّ من كونه، والأمرُ قد يُمتَثَل وقد لا، ولأنَّها تحتاجُ إلى نيّة وعزمٍ.

﴿ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾ عليٌّ وابن عبّاسٍ وابن مسعود والحسن: ثلاثة حِيَضٍ[٥].

= المصنِّف، وهو مذهب الخليل وسيبويه والبصريين، وهو يرى أن مَن زعم أن حذف التاء بسبب كون كلمة (طالق) مختصة بالمؤنث، فقوله مردود عند المصنِّف بدخول تاء التأنيث على الفعل، وهذا قول للفراء والكوفيين. انظر: «الكتاب» لسيبويه (٣/ ٣٨٣)، و«معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢١٤)، و«المذكر والمؤنث» للأنباري (١/ ١٤٨)، و«الدر المصون» للسمين الحلبي (٨/ ٢٢٤).

(١) «بهن» من (ن).

(٢) في (ن): «تقدير».

(٣) في (و): «بحذف».

(٤) ذكره الواحدي في «البسيط» (٤/ ٢٠٩)، وذكره ابن جني في «المحتسب» (٢/ ٢٠)، والمصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢١٤) دون نسبة، ونسبه للكوفيين أبو حيان في «البحر المحيط» (٢/ ٤٥٣)، والسمين الحلبي في «الدر المصون» (٢/ ٤٣٧).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٨٨-٩٣)، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٤١٥) عن عمر وابن مسعود، وقال: «وروي عن علي وابن عباس وأبي الدرداء وعبادة بن الصامت وأبي موسى...».

تقـول: أقـرأَتِ المـرأةُ؛ إذا حاضَـتْ، رواه الكسـائيُّ والأصمعـيُّ والأخفـشُ والفرّاء(١).

وقال عليه السَّلام في المستحاضة: «دَعِي الصَّلاةَ أيّامَ أقرائِكِ»(٢).

وقالت عائشةُ وزيدُ بنُ ثابت وابنُ عمر: هو الطُّهْر(٣).

وقيل: هو من الأضداد، وأصلُه: الخروج من طُهْرٍ إلى حيضٍ، أو من حيضٍ إلى طهرٍ(٤).

وإنَّما قال: ﴿ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾ والقياسُ (أقراء)؛ لأنَّه لَمّا كانَت كلُّ مطلَّقة يلزمُها هذا دخلَه معنى الكثرة(٥).

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للأخفش (١/ ١٨٧)، وقد ذكره الزجاج في «معاني القرآن» (١/ ٣٠٣) عن الأصمعي والكسائي والفراء والأخفش، وذكره الأنباري في «الأضداد» (ص: ٢٩، ٣٠) عن الأصمعي والفراء وأبي عبيدة.

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٥٦٨١)، والطبراني في «مسند الشاميين» (٢٤٧٧)، والدارقطني في «سننه» (٨٢٢)، والبيهقي في «سننه» (١٦٢٩) من حديث عائشة رضي الله عنها، وروى أصل الحديث البخاري (٢٢٨)، ومسلم (٣٣٣)، ولفظ البخاري: «عن عائشة رضي الله عنها قالت: جاءت فاطمة بنت أبي حُبيش إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله، إني امرأة أستحاض فلا أطهر، أفأدع الصلاة؟ فقال رسول الله ﷺ: «لا، إنما ذلك عرق، وليس بحيض، فإذا أقبلت حيضتك فدعي الصلاة، وإذا أدبرت فاغسلي عنك الدم ثم صلي، ثم توضئي لكل صلاة، حتى يجيء ذلك الوقت»».

(٣) رواه الإمام مالك في «الموطأ» (٢/ ٥٧٦)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (١٨٧٣٧)، والطبري في «تفسيره» (٤/ ٩٥) عن عائشة رضي الله عنها، ورواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٩٦) عن زيد وابن عمر رضي الله عنهم.

(٤) انظر: «الأضداد» لابن الأنباري (ص: ٢٧).

(٥) في (و): «التكثير».

ابن عيسى: لأنَّ القياسَ في جمع (قَرء) في القلَّة: أَفْعُلٌ لا أفعالٌ، فصار (أقراء) بمنزلة ما لا يُعتدُّ به[١].

﴿وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ﴾ إبراهيم النَّخعيُّ: الحيض[٢].

قتادة: الحمل[٣].

ابن عمر والحسن: الحيض والحمل[٤].

لأنَّها تمنعُ الرَّجلَ حقَّ المراجعةِ بالكتمان، عن ابن عبّاسٍ[٥].

وقال قتادة: لأنَّها تنسبُ الولدَ إلى غيرِ والدِه[٦].

﴿إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾؛ أي: مَن كان يؤمنُ باللهِ واليومِ الآخر فهذه صفتُه.

﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ﴾: جمع بَعْلٍ، كالذُّكورةِ والعُمومةِ والخُؤولة، والبَعْلانِ

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢١٥) واستغربه.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٩١٠٦)، والطبري في «تفسيره» (٤/ ١٠٥).

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٧٩)، والطبري في «تفسيره» (٤/ ١١١).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ١٠٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٤١٦) عن ابن عمر رضي الله عنهما، ولم أقف عليه عن الحسن.

(٥) هذا معنى قول ابن عباس رضي الله عنهما، كما في «تفسير الثعلبي» (٦/ ١٨٣)، و«البسيط» للواحدي (٤/ ٢١٦).

وقد رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ١١٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٤١٧)، ولفظ الطبري: «إذا طلق الرجل امرأته تطليقة أو تطليقتين وهي حامل فهو أحق برجعتها ما لم تضع حملها، وهو قوله: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾».

(٦) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٧٩)، والطبري في «تفسيره» (٤/ ١١١)، ولفظ الطبري: «كانت المرأة إذا طلقت كتمت ما في بطنها، وحملها لتذهب بالولد إلى غير أبيه، فكره الله ذلك لهن».

كـ «الزَّوجـانِ»، والبِعـالُ: المجامعـةُ، والتَّبعُّـلُ للمـرأةِ: طاعـةُ الـزَّوجِ وأداءُ حقِّه، وأصلُه[١] السَّـيِّدُ.

والمعنى: أنَّ الأزواجَ أحقُّ بردِّ نسائِهم المطلَّقاتِ إلى أنفسِهم، بل هم مندوبون إلى ذلك بقوله: ﴿فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ [البقرة: ٢٣١] الآية.

ومعنى ﴿أَحَقُّ﴾: تقديم حقِّه من المراجعةِ على حقِّها في مُلْك نفسِها.

وقيل: إذا تزوَّجَتْ قبل انقضاء العدّة فالزَّوجُ الأوَّلُ أحقُّ[٢].

﴿فِي ذَٰلِكَ﴾ قيل: في التَّربُّص، وقيل: في الحمل المكتوم، وقيل: في العدّة.

﴿إِنْ أَرَادُوٓاْ إِصْلَٰحًا﴾ لا إضرارًا.

﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ﴾؛ أي: لهـنَّ مـن النَّفقـةِ والمهـرِ وحُسـنِ العشـرةِ وتركِ الضِّـرار مثـلُ الـذي عليهنَّ مـن الأمـرِ والنَّهي.

﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾؛ أي: لكلِّ واحدٍ منهما على الآخرِ ما لا ينكرُه الشَّرع والعقل.

﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾؛ أي: حقُّه عليها أقوى من حقِّها عليه، ويجوزُ أن يكونَ عامًّا في كلِّ شيءٍ من الميراثِ والجهادِ والصَّلاةِ وغيرِها.

﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ﴾: منيعُ السُّلطانِ لا يُعترَضُ عليه في أمورِه.

﴿حَكِيمٌ﴾: واضعُ الأحكامَ موضعَ الصَّلاحِ والصَّواب.

* * *

(١) الهاء تعود على لفظ (بعل).

(٢) في (و): «فالزوج في ذلك أحق».

(٢٢٩) ـ ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾.

﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ﴾ عن هشامِ بنِ عروةَ عن أبيه عن عائشةَ: أنَّها أتتِ امرأةٌ تسألُها عن شيءٍ من الطَّلاق قالت: فذكرْتُ ذلك لرسول الله عليه السَّلام، فنزلَتْ هذه الآية[1].

وكان طلاقُ أهلِ الجاهليّة غيرَ محصورٍ، فحصرَ اللهُ الطَّلاقَ بقوله: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ﴾؛ أي: عددُ الطَّلاقِ الذي تمكنُ معه الرَّجعةُ مرَّتان؛ إن فرَّقَ فسُنَّة، وإن جمَعَ فواقعٌ.

﴿فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ﴾؛ أي: فإنْ راجعَها فعليه إمساكٌ بمعروفٍ بما ألفَتْه العقولُ وعرفَتْه النُّفوسُ.

﴿أَوۡ تَسۡرِيحُۢ﴾ وهو أنْ لا يراجعَها حتى تنقضيَ عدَّتُها.

﴿بِإِحۡسَٰنٖ﴾ وهو الإعفاءُ بالحقِّ من غير إحواجٍ إلى المطالبة.

---

(١) هذا اللفظ للحديث رواه ابن النجار كما ذكر السيوطي في «الدر المنثور» (١/ ٦٦٣)، وقد رواه الترمذي (١١٩٢) بإسنادين؛ أحدهما عن عائشة رضي الله عنها، والآخر عن عروة لم يذكر فيه عن عائشة رضي الله عنها، وقال: «هذا أصح»، والحديث بتمامه: «كان الناس والرجل يطلق امرأته ما شاء أن يطلقها، وهي امرأته إذا ارتجعها وهي في العدة، وإن طلقها مائة مرة أو أكثر، حتى قال رجل لامرأته: والله لا أطلقك فتبيني مني، ولا آويك أبداً، قالت: وكيف ذاك؟ قال: أطلقك، فكلما همَّت عدتك أن تنقضي راجعتك، فذهبت المرأة حتى دخلت على عائشة فأخبرتها، فسكتت عائشة، حتى جاء النبي ﷺ فأخبرته، فسكت النبي ﷺ، حتى نزل القرآن: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖ﴾، قالت عائشة: فاستأنف الناس الطلاق مستقبلًا؛ مَن كان طلق، ومَن لم يكن طلق».

والإحسانُ: فعلُ الحَسَنِ، والإجمالُ: فعلُ الجَميل، والإفضالُ: فعلُ الفَضْل.

وقيل: الإمساكُ هو المراجعة، والتَّسريحُ هو التَّطليقةُ الثّالثة؛ لِما روى أبو رَزِيْنٍ الأسديُّ قال: قال رجل: يا رسول الله، أرأيت قول الله: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ﴾، فأين الثّالثة؟ قال: «التَّسريحُ بإحسانٍ»[1].

﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا﴾ هذا كقوله: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ﴾ [النساء: ٢٠] الآية.

﴿إِلَّآ أَن يَخَافَآ﴾: يظنّا ويعلما، يعني: الزَّوجين.

﴿أَلَّا يُقِيمَا﴾؛ أي: على النّكاح.

﴿حُدُودَ ٱللَّهِ﴾: أوامرَه ونواهيَه.

﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾ أيُّها الولاةُ ﴿أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ﴾؛ أي: لا جناحَ عليها فيما افتدت، ولا عليه فيما أخذَه؛ يريد: في الخُلْع.

ابن عيسى: نزلَتْ في ثابت بن قيسٍ وزوجته، ردَّتْ عليه حديقَتَه وطلَّقها بإذن النَّبيِّ عليه السَّلام، قال: رواه ابن جريج[2].

---

(١) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (٢٨٣)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٩٢١٦)، وأبو داود (٢٢٠)، والطبري في «تفسيره» (٤/ ١٣٠)، وهو حديث مرسل. ورُوي موصولًا من حديث أنس رضي الله عنه؛ رواه الداقطني في «سننه» (٣٨٨٩)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٤٩٩١)، وصوَّبا المرسل، وقال ابن القطان في «الوهم والإيهام» (٢/ ٣١٦): «وعندي أن هذين الحديثين صحيحان». وانظر: «التلخيص الحبير» لابن حجر (٣/ ٤٤٥).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ١٣٩) عن ابن جريج، وروى أصل الحديث البخاري (٥٢٧٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وليس فيه أن ذلك سبب نزول الآية.

وذهب ابن عبّاسٍ إلى أنَّ الفديةَ فسخٌ[١] مُستدِلًّا بقوله: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾؛ لأنَّ الفديةَ لو كان[٢] طلاقًا لكان هذه تطليقةً رابعةً.

غيرُه: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾: بالفدية أو بالتَّسريح.

أو هو[٣] اعتراضٌ، كما ذكرَ صاحبُ النَّظم[٤].

﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ﴾: ما حَدَّ لكم من الإيلاءِ والطَّلاقِ والنِّكاح.

﴿فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾: لا تجاوزُوها بالمخالفة.

﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ﴾ بمخالفتِه[٥] ذلك، ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾.

وذهب صاحبُ النَّظم إلى أنَّ في الآية اعتراضًا، والتَّقدير: الطَّلاق مرَّتان فإمساكٌ بمعروفٍ أو تسريحٌ بإحسانٍ.

* * *

---

(١) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (١١٧٦٧)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (١٨٤٥١)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٤٨٦٣)، ولفظ عبد الرزاق: «كان ابن عباس لا يرى الفداء طلاقًا حتى يطلق، ثم يقول: ألا ترى أنه ذكر الطلاق من قبله، ثم ذكر الفداء، فلم يجعله طلاقًا، ثم قال في الثانية: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ﴾، ولم يجعل الفداء بينهما طلاقًا». وروى نحوه الإمام الشافعي في «الأم» (٥/ ١٢٢)، ورواه البيهقي من طريقه في «معرفة السنن والآثار» (١٤٥٨٦)، وروى عبد الرزاق في «المصنف» (١١٧٧٠) عن عكرمة ـ أحسبه ـ عن ابن عباس قال: «كل شيء أجازه المال فليس بطلاق؛ يعني: الخلع». وقد ذكر المصنف قول ابن عباس رضي الله عنهما في «غرائب التفسير» (١/ ٢١٦)، واستغربه.

(٢) كذا في النسخ الخطية، وإدخال تاء التأنيث في مثل هذه الحالة هو الشائع المعروف.

(٣) من قوله: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ﴾ إلى آخر الآية.

(٤) هو الحسين بن يحيى الجرجاني، وقد ذكر المصنف قوله هذا في «غرائب التفسير» (١/ ٢١٦)، وعدَّه من العجائب.

(٥) في (ن): «لمخالفته».

(٢٣٠) - ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ ۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۗ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾.

﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾؛ أي: المطلِّقُ اثنتين، وهي التَّطليقةُ الثّالثةُ.

مجاهدٌ: قولُه[1]: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾ تفسيرٌ لقوله: ﴿أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ﴾[2]؛ للخبر[3].

﴿فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ﴾؛ أي: بعدَ الثّالثة.

﴿حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ﴾: غيرَ المطلِّقِ ثلاثًا.

﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾؛ أي: الزَّوجُ الثّاني بعدَ المسيسِ بإجماعٍ، وأجازَ ابن المسيِّبِ بمجرَّدِ النِّكاح[4].

---

(١) «قوله»: ليس في (ن).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ١٦٨) بلفظ: «﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ﴾ قال: عاد إلى قوله: ﴿فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ﴾»، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢١٦)، واستغربه.

(٣) أي: الخبر المتقدم عن أبي رزين، وقول مجاهد هذا صوَّبه الطبري في «تفسيره» (٤/ ١٦٨).

(٤) أكثر المفسِّرون من نقل هذا عن ابن المسيِّب؛ فذكره مكي بن أبي طالب في «الهداية» (١/ ٧٧١)، والماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٢٩٦)، وابن عبد البر في «الاستذكار» (٥/ ٤٤٧)، والمصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢١٦)، وعدَّه من العجائب.

إلا أن ابن كثير شكَّك في صحة هذا القول عن سعيد بن المسيب؛ لأنه روى ما يخالفه، وذكر عدة روايات من طريق سعيد بن المسيب على قول الجمهور، ثم قال: «فهذا من رواية سعيد بن المسيب عن ابن عمرو مرفوعاً على خلاف ما يُحكى عنه، فبعيد أن يخالف ما رواه بغير مستند، والله أعلم».

انظر: «تفسير ابن كثير» (١/ ٤٦٩).

لكن المؤلفين في مذاهب العلماء والإجماع والاختلاف نقلوا ذلك عن سعيد أيضاً، ونقلوا أن الإجماع على خلافه. انظر: «الإشراف على مذاهب العلماء» لابن المنذر (٥/ ٢٣٨)، و«نوادر =

﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ﴾؛ أي: عليها[1] وعلى الزَّوجِ الأوَّل ﴿أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ﴾: أيقنا ﴿أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۗ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾: يفهمون ما يُبيَّنُ لهم.

قال[2]: والفصلُ المعترضُ[3] بينهما هو قوله: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا۟ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا﴾ [البقرة: ٢٢٩]، فبيَّنَ ما يحلُّ للزَّوج أخذُه من المختلعة وما لا يحلُّ.

وجمعَ ﴿لا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا۟﴾، وثنَّى: ﴿إِلَّآ أَن يَخَافَآ﴾، ثم جمعَ: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾ على تلوينِ الخطاب، قال الشّاعر:

أبا واصِلٍ فاكْسُوهُما حُـلَّتَيْهِما   فـإنَّـكُـمـا إنْ تَـفْـعَلا فَتَيانِ[4]

***

= الفقهاء» للجوهري (ص: ٩٤)، و«المحلى» لابن حزم (٩/ ٤١٦)، و«الإقناع في مسائل الإجماع» لابن القطان (٢/ ٣٧).

وقال ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١/ ٣٠٩): «رُوي عن سعيد بن المسيب أن العقد عليها يحلها للأول، وخُطِّئ هذا القول لخلافه الحديث الصحيح، ويُتأوَّل على سعيد ـ رحمه الله ـ أنَّ الحديث لم يبلغه، ولما رأى العقد عاملاً في منع الرجل نكاح امرأة قد عقد عليها أبوه، قاس عليه عمل العقد في تحليل المطلقة». والله أعلم.

(١) في (و): «عليهما».

(٢) «قال» من (ن).

(٣) في (ن): «المفترض».

(٤) لم أقف على مَن نسب هذا البيت، وقد ذكره بلا نسبة أبو بكر الأنباري في «شرح القصائد السبع» (ص: ١٦)، وأبو علي الفارسي في «كتاب الشعر» (ص: ٢٠٦)، والعوتبي في «الإبانة» (١/ ٣٤٢)، والواحدي في «البسيط» (٤/ ٢٣١)، وابن عصفور في «ضرائر الشعر» (ص: ٤٥)، وأبو حيان في «ارتشاف الضرب» (٥/ ٢٣٨٧). ووجه الشاهد: أنه نادى مفردًا «أبا واصل»، ثم جمع فقال: فاكسوهما، ثم ثنَّى فقال: فإنكما.

(٢٣١) ـ ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُواْۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًاۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾: قاربْنَ انقضاءَ عدتِهنَّ.

﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ سبق تفسيرُه.

﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا﴾: لا تراجعوهنَّ لتطوِّلوا عليهنَّ العدّة، و﴿ضِرَارًا﴾ من بابِ (عافاه الله)[٥].

﴿لِّتَعْتَدُواْ﴾؛ أي: لتقصدوا الاعتداء؛ وهو مجاوزةُ الحدِّ، ويُحتمَلُ أن تكونَ اللّامُ لامَ العاقبة.

﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾: الإمساكَ للضِّرار، ﴿فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ﴾: وضعَها في معصيةِ الله.

﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا﴾؛ أي: لا تستخِفُّوا بالقرآن.

وقيل: الإمساكُ والتَّسريحُ بغيرِ حاجةٍ اتِّخاذٌ لآياتِ اللهِ هزوًا.

وقيل: كان الرَّجلُ يطلِّقُ ويقول: إنَّما طلَّقْتُ وأنا لاعبٌ؛ يرجعُ فيها، فنزلَت: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا﴾[٦].

---

(٥) يعني أنَّ (ضراراً) مصدر (ضارَّ) على وزن فَاعَل، وهذا الوزن يقتضي المشاركة من اثنين، لكنَّ هذه الصيغة تأتي مجرَّدةً من معنى المشاركة، مثل: (عافاه الله) فإنها بمعنى جعله ذا عافية، وضرار الرجل للمرأة بمعنى: جعلها ذات ضرّ. انظر: «شرح الشافية» للرضي (١/ ٩٦ و٩٩).

(٦) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٨٤٠٦)، والطبري في «تفسيره» (٤/ ١٨٤) عن الحسن مرسلاً، ولفظ ابن أبي شيبة: «كان الرجل في الجاهلية يطلق ثم يرجع، يقول: كنت لاعباً، ويعتق، ثم يرجع =

﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ بالإيمانِ.

﴿وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ﴾: القرآنِ وأحكامِه.

﴿وَالْحِكْمَةِ﴾: مواعظِ القرآنِ والفقهِ والسُّنَّةِ.

﴿يَعِظُكُم بِهِ﴾: وعظًا لكم وامتحانًا.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ فيما امتحنكم به، ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

* * *

(٢٣٢) ـ ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾؛ أي: انقضَتْ عدَّتُهنَّ.

﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾: لا تمنعوهنَّ. والعَضْلُ: الـمَنْعُ والشِّدَّةُ، ومنه: الدَّاءُ العُضالُ؛ للذي أعيى الطَّبيب، ومنه: عضلَتِ المرأةُ؛ إذا نشبَ ولدُها في بطنِها.

الخطابُ للأولياء.

نزلَتْ في مَعْقلِ بن يسارٍ قال: كنْتُ زوَّجْتُ أختًا لي من رجلٍ فطلَّقها، حتى إذا انقضَتْ عدَّتُها جاء يخطبُها، فقلْتُ له[1]: زوَّجْتُكَ وأفرشْتُكَ وأكرمْتُكَ، فطلَّقْتَها،

= يقول: كنت لاعباً، فأنزل الله: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا﴾، فقال رسول الله ﷺ: «من طلَّق، أو حرَّر، أو أنكح، أو نكح، فقال: إني كنت لاعباً، فهو جائز»».

ورواه الطبراني كما في «مجمع الزوائد» (٤/ ٢٨٨) عن أبي الدرداء رضي الله عنه، وقال الهيثمي: «وفيه عمرو بن عبيد، وهو من أعداء الله»، وللحديث طرق ذكرها الحافظ ابن كثير في «تفسيره» (١/ ٦٣٠).

(١) في (ن): «لقد».

ثم جئْتَ تخطبُها! لا واللهِ لا تعودُ إليها[1] أبدًا، قال: وكان رجلًا لا بأسَ به، وكانت المرأةُ تريدُ أن ترجعَ إليه، فأنزل الله هذه الآية، قال: فقلْتُ: الآن أفعلُ يا رسول الله، فزوَّجْتُها إيّاه[2].

وقيل: الخطابُ للأزواج؛ أي: إذا طلَّقْتُم وانقضَتِ العدّةُ فلا تعضلوهنَّ من النِّكاح، فلم يبقَ لكم عليهنَّ سبيلٌ.

﴿أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ﴾: من أن ينكحْنَ أزواجَهنَّ؛ أي: الرِّجالَ الذين يصيرون لهنَّ أزواجًا، سُمُّوا بما يؤولُ إليه.

وعلى القول الأوَّل: أزواجهنَّ الذين كانوا، وسُمُّوا بما كانوا عليه.

﴿إِذَا تَرَٰضَوْاْ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ﴾؛ أي: إذا كان ذلك تراضيًا بالتَّجديدِ للعقدِ والمهرِ والإشهاد.

﴿ذَٰلِكَ﴾؛ أي: ما مضى ذكرُه، ووُحِّدَ حملًا على القَبيل[3].

وقيل: هو خطابٌ للنَّبيِّ عليه السَّلام.

وقيل: لَمّا كان لمجرَّدِ[4] الخطابِ جازَ توحيدُه.

---

(١) «إليها» من (ن)، وفي «البخاري»: «إليك».

(٢) رواه البخاري (٥١٣٠)، وانظر: «الوسيط» للواحدي (١/ ٣٣٩).

(٣) أي: قال: (ذلكَ) بخطاب المفرد، والمخاطب جماعة؛ لأن المخاطب (قبيل) ـ أي: نوع من الناس ـ ولفظه مفرد، وإن دلَّ على جماعة، وعبارة المصنِّف مستفادة من عبارة الزجاج، فإنه قال: «وإنما حقيقة (ذلك) و(ذلكم) مخاطبة الجميع، فـ(الجميعُ) لفظه لفظ واحد، فالمعنى: ذلكَ أيها القبيل يُوعظ به من كان منكم يؤمن باللَّه، وقوله عزَّ وجلَّ بعد هذا: ﴿ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ﴾ يَدُلُّ على أنَّ (ذلك) و(ذلكم) مخاطبة للجماعة». انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٣١١).

(٤) في (ن): «بمجرد».

﴿يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾؛ أي: ما مضى ذكرُه من الزَّجر عن العَضْلِ والمضارّةِ من الأزواج والأولياء إنَّما يُخَصُّ بالوعظِ به والتَّخويفِ في مخالفة أمرِ الله فيه مَن كان يؤمن بالله؛ يصدِّقُ بوعدِه ووعيدِه ويصدِّق باليوم الآخر؛ لأنَّهم قدَّموا أصلَ الإيمان، فهم يعلمون وقوعَه.

وقيل: لأنَّ المواعظَ إنَّما تنجَعُ فيمن آمنَ بالله واليوم الآخر.

﴿ذَٰلِكُمْ﴾؛ أي: تركُ العَضْلِ والضِّرارِ ﴿أَزْكَىٰ لَكُمْ﴾ من الفُرْقةِ، ﴿وَأَطْهَرُ﴾ من الرِّيبةِ، ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ﴾ مصالحَ دينِكم ودنياكم، ﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ أي: لا تعلمونها.

* * *

(٢٣٣) ـ ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ۚ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۗ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ﴾: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ﴾ خبرٌ في معنى الأمر، وقيل: ليرضعْنَ.

والرَّضْعُ: مَسُّ الثَّديِ لشُرْبِ اللَّبنِ، ومنه[1] تقول: رَضِعَ رَضْعًا، ورَضِعَ رَضاعةً[2]، وأرضعَتْهُ أمُّهُ إرضاعًا.

---

(١) في (و): «منه».

(٢) يُقال: رَضَعَ الصَّبيُّ يَرْضَعُ، ورَضِعَ يَرْضَعُ، رَضْعاً، ورَضَعاً، ورَضِعاً، ورِضَاعاً، ورَضَاعاً، ورِضاعةً، ورَضاعةً. انظر: «المحكم» لابن سيده (١/ ٤٠٦) مادة: (ر ض ع).

﴿حَوْلَيْنِ﴾: سنتين، مشتقٌّ من الانتقال، من قولِك: تحوَّلَ عن المكان، وقيل: من الانقلابِ، من قولك: حالَ الشَّيءُ عمّا كان.

﴿كَامِلَيْنِ﴾: تامَّين، قيَّدَ بالكمالِ لنفيِ المجاز؛ فإنَّك قد تقولُ: (أقمْتُ شهرَيْن) وأنتَ في الثّاني بعدُ.

وليسَ حكمُ الحولَيْن بلازمٍ عندَ ابن عبّاسٍ؛ لقوله: ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف: ١٥]، فإذا ولدَتْ لستّةِ أشهرٍ فحولان، وإن ولدَتْ لتسعةِ أشهرٍ فأحدٌ وعشرون شهرًا تكملةَ الثَّلاثين[١].

﴿لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ﴾؛ أي: لمن أراد من الزَّوجين إتمامَ الرَّضاعةِ فأقصاهُ حولان.

وقيل: فوَّضَ الأمرَ إلى الأبوين، وذكرُ الحولَيْنِ ليس على التَّوقيتِ الواجب، وإنَّما هو لقطعِ المشاجرةِ بينَ الوالدَين، والفقهاءُ على أنَّه تجوزُ الزِّيادةُ والنُّقصان[٢].

﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ﴾: ﴿ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ﴾: الأب، وقيل: إنَّما قال: ﴿ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ﴾، ولم يقل: الوالد؛ لأنَّ الوالدَ قد لا تلزمُه النَّفقةُ في مسائل، والمولودُ له تلزمُه، وذلك إذا كان حرٌّ[٣] تحتَه أَمةٌ، فأَتَتْ بولدٍ، فنفقتُه على مالكِ الأمِّ؛ لأنَّه المولودُ له

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٢٠١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٤٢٨)، ولفظ الطبري: «في التي تضع لستة أشهر أنها ترضع حولين كاملين، وإذا وضعت لسبعة أشهر أرضعت ثلاثة وعشرين لتمام ثلاثين شهرًا، وإذا وضعت لتسعة أشهر أرضعت واحدًا وعشرين شهرًا».

(٢) ذهب إلى هذا أبو حنيفة والشافعي، وذهب المالكية إلى وجوبه إلا على الشريفة، وتمسَّك أبو ثور وابن حزم بوجوب إجبار المرأة على رضاع ولدها؛ أحبَّت أو كرهت، أحبَّ زوجها أو كره، إلا المطلقة. انظر: «أحكام القرآن» لابن العربي (٤/ ٢٨٨)، و«المحلَّى» لابن حزم (٩/ ٢٧٥).

(٣) كذا في الأصول الخطية، وذلك على اعتبار (كان) تامة، و(حرٌّ) فاعل.

دونَ الوالد، وكذلك إذا كان عبدٌ تحتَه حرّةٌ فأتت بولدٍ، فوالدُه لا تلزمُه نفقتُه؛ فإنَّ العبدَ لا ملكَ له.

﴿رِزْقُهُنَّ﴾: رزقُ المرضعةِ وكسوتُها؛ يعني: المطلَّقة إذا أرضعَتْ.

وقيل: هي الأمُّ ذاتُ النِّكاح، لها نفقَتُها.

﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾: أجرةِ المثل.

وقيل: ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾: في مثلِها على مثلِه، من يسارٍ وإعسارٍ.

﴿لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾: التَّكليفُ: إلزامُ ما يظهرُ أثرُه، من (الكَلَفِ)، وهو ظهورُ الأثر.

﴿لَا تُضَآرَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ﴾: مَن فتحَ فهو نهيٌ، ومن رفعَ فخبرٌ في معنى النَّهي[1].

ويحتملُ وزنُه (تُفَاعِل) بالكسر، و(تُفَاعَل) بالفتح، ومعناهما واحدٌ؛ أي: لا يفعلُ الأبُ بالأمِّ ضِرارًا بنزعِ الولدِ عنها، ولا تفعلُ الأمُّ الضِّرارَ بالأبِ بإلقاءِ الولدِ عليه.

﴿وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ﴾ قيل: هو إشارةٌ إلى ترك المضارّة، وقيل: إلى النَّفقة والكسوة، وقيل: إليهما جميعًا.

والوارثُ: وارثُ الولد، وقيل: وارثُ الوالد، وقيل: هو المولودُ إذا ورِثَ مالًا.

وقيل: على الوارث؛ أي: سائر الورثة، والوارثُ مَن كان منهم ذا رحمٍ مُحرّم[2].

---

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو: ﴿لَا تُضَآرَّ﴾ برفع الراء، والباقون بفتحها. انظر: «السبعة» (ص: ١٨٣)، و«التيسير» (ص: ٨١).

(٢) في (و) زيادة: «والميراث تركة الميت».

عمر: هم الرِّجالُ دونَ النِّساء[١].

قتادة: جميعُ ورثتِه من الرِّجال والنِّساء[٢].

وقيل: الأجدادُ ثمَّ الأمَّهات.

﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا﴾: فطامًا، ابن بحرٍ: مفاصلة الوالدين بالفُرقة[٣].

﴿عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ﴾ أي: اتَّفقا على فطامٍ قبل الحولين بعد أن يتشاوروا.

والتَّشاور: من (شُرْتَ العسلَ)؛ إذا استخرجتَه.

﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾: فلا وِزْرَ عليهما فيه، والجُناحُ: الخروجُ والميلُ عن الاستقامة[٤].

﴿وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ﴾ أي: لأولادكم، أراد: غيرَ الأمَّهات؛ أي: الظِّئر.

---

(١) انظر: «الأم» للشافعي (٥/ ١١٣)، و«تفسير الثعلبي» (٦/ ٢٧٤)، وقد رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٨٨)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٩١٥٩)، والطبري في «تفسيره» (٤/ ٢٢٢)، ولفظ عبد الرزاق: «وقفُ بني عمٍّ على منفوسٍ كلالة بالنفقةِ عليه مثل العاقلة»، فقالوا: لا مالَ له، قال: «ولو يوقفهم بالنفقة عليه».

(٢) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (١٢١٨٣)، والطبري في «تفسيره» (٤/ ٢٢٥)، ولفظ الطبري: «على وارث المولود ما كان على الوالد من أجر الرضاع إذا كان الولد لا مال له؛ على الرجال والنساء على قدر ما يرثون».

(٣) ذكره المصنِّف بلا نسبة في «غرائب التفسير» (١/ ٢١٧)، واستغربه، وفي «البحر المحيط» لأبي حيان (٢/ ٥٠٧): «قال ابن بحر: الفصال: أن يفصل كل واحد منهما القول مع صاحبه بتسليم الولد إلى أحدهما، وذلك بعد التراضي والتشاور؛ لئلا يُقدم أحد الوالدين على ما يضر بالولد، فنبَّه تعالى على أن ما كان متهم العاقبة لا يُقدَم عليه إلا بعد اجتماع الآراء».

(٤) انظر: «جمهرة اللغة» لابن دريد (١/ ٤٤٢)، مادة: (ج ن ح).

﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾: فلا بأسَ ولا إثمَ.

﴿إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم﴾؛ أي: إذا أدَّيتم أجرةَ المرضعةِ ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾: على الوجهِ الجميل؛ وهو الإيفاءُ والإعفاء.

وقيل: إذا سلَّمتم للأمِّ ما استحقَّتْه.

﴿مَّآ ءَاتَيْتُم﴾ بالمد: أعطيتم، و﴿أتيتم﴾ بالقصر: «الحجّة»: أتيتم نَقدَه أو سَوقَه(1).

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ في أوامره ونواهيه.

﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾: لا تخفى عليه أعمالُكم فهو يجازيكم عليها.

* * *

(٢٣٤) ـ ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ﴾؛ أي: يموتون، وسُمِّي الموتُ وفاةً؛ لأنَّ اللهَ يأخذُه إلى تدبيره سبحانَه بعدَ أنْ وكَلَه إلى اختياره، تقول: توفَّيْتُ الشَّيءَ واستوفيْتُه؛ إذا أخذْتَه وافيًا تامًّا.

﴿وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا﴾؛ أي: يتركون، ولا يُستعمَلُ من هذا الفعل إلّا المضارعُ والأمرُ والنَّهي.

﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ﴾: خبرٌ معناه أمرٌ؛ أي: ينتظرْنَ ويمكثْنَ.

---

(١) انظر: «الحجة» لأبي علي الفارسي (٢/ ٣٣٥)، و﴿أتيتم﴾ بالقصر هي قراءة ابن كثير. انظر: «السبعة» (ص: ١٨٣)، و«التيسير» (ص: ٨١). و(سَوقه) هنا من (ساق المهر)، كما في هامش «ن».

المبرِّد: العائدُ إلى المبتدأ(١) مضمَرٌ، تقديره: أزواجُهم يتربَّصْنَ(٢).

الأخفش: يتربَّصْنَ بعدَهم(٣).

الزَّجّاج: المضمرُ في ﴿يَتَرَبَّصْنَ﴾ يعود إلى مضافٍ؛ أي: يتربَّصُ أزواجُهم(٤).

الكسائيُّ والفرّاء(٥): عدل إلى الإخبارِ عن الأزواج(٦).

﴿أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾؛ أي: عشر ليالٍ؛ لأنَّ اللَّيلَ مقدَّمٌ على النَّهار، وهذه عدّةُ كلِّ متوفًّى عنها زوجُها إلّا الحاملَ والأَمة.

ابن المسيَّب وأبو العالية: إنَّما زِيدَ على أربعةِ أشهرٍ عشرُ ليالٍ؛ لأنَّ الله ينفخُ في البدن الرُّوحَ في هذه العشر(٧).

﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾: انقضَتْ عدَّتُهنَّ، والأجلُ: غايةُ الوقتِ في الموتِ وغيره.

﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾: معاشـرَ الحكّام وأولياءَ الـزَّوج ﴿فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ﴾؛

---

(١) المبتدأ هو (الذين)، وجملة (يتربصن) هي الخبر، ولكن لا بد من تقدير ضمير عائد على المبتدأ.

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (٤/ ٢٥٩)، والجرجاني في «درج الدرر» (١/ ٤٠٢)، والراغب الأصفهاني في «تفسيره» (١/ ٤٨٦)، وقد ذكر الزجاج أن هذا قول البصريين جميعاً. انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٣١٤).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للأخفش (١/ ١٨٩).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٣١٥ـ٣١٦).

(٥) «والفراء» من (ن).

(٦) أي: أي أخبر عن الأزواج بما أغنى عن الإخبار عن الذين يتوفون. انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ١٥٠)، وقد ذكره الواحدي في «البسيط» (٤/ ٢٥٩) عن الكسائي، والراغب الأصفهاني في «تفسيره» (١/ ٤٨٦) عن الكسائي والفراء، وأنكره الزجاج في «معاني القرآن» (١/ ٣١٥).

(٧) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٢٥٨) عنهما، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٤٣٧) عن أبي العالية، وذكره عن ابن المسيب، وذكره المصنِّف في «غرائب التفسير» (١/ ٢١٧)، واستغربه.

أي: فـي أن تتركوهـنَّ ليتزوجْنَ ويتزيَّـنَّ ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ زينـةً لا يُنكَر مثلُها.

﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾؛ أي: عالمٌ.

ابن عيسى: اشتقاقُه من (الخَبار)؛ وهو الأرضُ السَّهلة[1].

وهذه الآيةُ ناسخةٌ بقولِه: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا﴾ وإنْ تقدَّمَ في التِّلاوة[2].

***

(٢٣٥) ـ ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۚ وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾.

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾؛ أي: ولا وزرَ عليكم.

﴿فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ﴾: ضَمَّنْتُم الكلامَ[3] دلالةً على شيءٍ من الخِطبة.

ابن عيسى: التَّعريضُ: تضمينُ الكلامِ دلالةً على شيءٍ ليسَ فيه ذكرٌ له[4]، نحو: ما أقبح البخل؛ يعرِّضُ بأنَّه بخيلٌ[5].

---

(١) انظر: «العين» (٤/ ٢٥٨)، مادة (خ ب ر)، و«تاج العروس» (١١/ ١٢٧).

(٢) والآية المنسوخة هي قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾، وهي متأخرة في التلاوة، لكنها متقدمة في النزول بإجماع المفسرين، وقد رأى المصنف في هاتين الآيتين دليلاً على إعجاز القرآن الكريم. انظر: «البرهان» للمصنف (ص: ٨٦ ـ ٨٧)، و«تفسير الماتريدي» (٢/ ١٨٥)، و«النكت والعيون» للماوردي (١/ ٣٠٣).

(٣) في (و): «والكلام».

(٤) «له» من (ن).

(٥) «بخيل»: ليس في (و).

قال: والكنايةُ: العدولُ عن[١] الاسمِ المخصوصِ بالشَّيءِ إلى ذكرٍ يدلُّ عليه؛ نحو: زيدٌ ضربتُه[٢].

والخِطبةُ: طلبُ النِّكاحِ[٣] في عقدِ النِّكاح.

والخُطبةُ: خطابٌ بالزَّجرِ والوعظِ على تأليفٍ مخصوصٍ.

ابن عيسى: أصلُ الباب من (الخِطاب)، وهو توجيهُ الكلامِ بالاختصاصِ للإفهام[٤].

﴿أَوۡ أَكۡنَنتُمۡ﴾: أضمرتم ﴿فِيٓ أَنفُسِكُمۡ﴾ من (كننْتَ[٥] الشَّيء): سترتَه وصُنْتَه.

والمعنى: لا جُناحَ عليك أن تضمِرَ في نفسِكَ تزوُّجَها إذا انقضَتْ عدَّتُها، ولا في أنْ تُعرِّضَ لها؛ نحو أن تقول: إن قضى الله أمرًا كان كذا[٦]، وإنَّك لجميلة، ومن عزمي أن أتزوَّج.

﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمۡ سَتَذۡكُرُونَهُنَّ﴾؛ أي: يخطرُ ببالِكم تزوُّجُهنَّ.

﴿وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾ نكاحًا.

الزَّجّاج: هو كنايةٌ عن الجماع[٧].

---

(١) في (ن): «على».

(٢) ذكر الواحدي نحو هذا الكلام في المفارقة بين الكناية والتعريض دون نسبة في «البسيط» (٤/ ٢٦٩ ـ ٢٧٠)، إلا أنه قال في مثال الكناية: «رأيته وضربته، من غير أن تذكر اسمه»، وانظر: «الطراز لأسرار البلاغة» للمؤيد بالله (١/ ٢٠٠).

(٣) في (ن) زيادة: «هي خطاب».

(٤) انظر: «معجم مقاييس اللغة» لابن فارس (٢/ ١٩٨) مادة: (خ ط ب).

(٥) في (ن): «أكننت».

(٦) «كذا» من (ن).

(٧) في (و): «النكاح». انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٣١٨)، وفيه: «قال أبو عبيدة: السر الإفصاح =

ابن جرير: هو الزِّنا[١].

«الحجّة»: لا تصرِّحوا للمعتدّةِ بلفظ النِّكاح والتَّزوُّج، ولكن عرِّضوا به[٢].

الفرّاء: لا يصِفَنَّ أحدُكُم نفسَه للمرأة في عدَّتِها بالإكثار من الجِماع[٣].

وقيل: لا تواعدوهنَّ سرًّا ما نُهيتم عنه جهرًا.

﴿إِلَّآ أَن تَقُولُواْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾: ما يُعرَفُ من فحواه أنَّه ليس بتصريحٍ.

و﴿سِرًّا﴾: حال؛ أي: مُسِرِّين، ويجوزُ أن يكونَ المفعولَ الثّاني لـ(واعد).

﴿وَلَا تَعْزِمُواْ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ﴾ الجمهورُ: ولا تعزموا على عقدة النِّكاح[٤].

ويُحتمَل: ولا تباشروا عقدةَ النِّكاح، ولهذا حذفَ (على)[٥]، أَلا ترى أنَّه رخَّصَ[٦] في الإكنان، والعزمُ إكنانٌ، والإكنانُ عزمٌ، وإنَّما منعَ مباشرةَ العقدة[٧].

= بالنكاح... وقال غيره: كأن السر كناية عن الجماع، كما أن الغائط كناية عن الموضع، وهذا القول عندي صحيح».

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٤/ ٢٧٨)، وفيه: «وأولى الأقوال بالصواب في تأويل ذلك، تأويل مَن قال: السرُّ في هذا الموضع الزنا».

(٢) انظر: «الحجة» لأبي علي الفارسي (٢/ ٦٤).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ١٥٣)، وفيه: «لا يصفن أحدكم نفسه في عدتها بالرغبة في النكاح والإكثار منه».

(٤) في (ن) زيادة: «فحذف».

(٥) «على»: ليس في (ن).

(٦) في (و): «حذف».

(٧) يدلُّ كلامه هنا على ميله لهذا القول، لكنه ذكره في «غرائب التفسير» (١/ ٢١٨)، واستغربه، واستغرابه يرجع إلى مخالفته قول الجمهور، أما ميله إليه هنا فيدلُّ على وجهة نظره الخاصة.

وقال ابن جريرٍ: لا تُصحِّحوا عقدةَ النِّكاح[١].

وقيل: لا تعقدوا عقدةَ النِّكاح.

وعقدةُ كلِّ أمرٍ: إيجابُه، وأصلُه: الشَّدُّ.

﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ﴾ الزَّجّاج: يبلغ فرضُ الكتابِ أجلَه[٢].

ويجوزُ أن يكونَ (الكتابُ) هو الفرض.

ويجوزُ أن يكونَ على التَّشبيهِ بكتابِ الدَّين؛ والمعنى: حتى تنقضيَ عدَّتُها.

﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ﴾ ولا تُضمِروا ما لا يرضاه.

﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾: لا يعجِّلُ[٣] بالعقوبة.

* * *

(٢٣٦) ـ ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ﴾؛ أي: تجامعوهنَّ، من قوله: ﴿وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ﴾، وقُرئ: ﴿تُمَاسُّوهُنَّ﴾[٤]، من قوله: ﴿أَن يَتَمَآسَّا﴾.

﴿أَوْ تَفْرِضُوا۟﴾: تُعيِّنوا ﴿لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾: مهرًا، و﴿أَوْ﴾ بمعنى الواو.

ابن عيسى: فرضتم لهنَّ أو لم تفرضوا[٥].

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٤/ ٢٨٣)، وتتمة كلامه يوضِّح المراد فقد قال: «ولا تصححوا عقدة النكاح في عدة المرأة المعتدة، فتوجبوها بينكم وبينهن، وتعقدوها قبل انقضاء العدة».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٣١٨).

(٣) في (و): «لا تعجلوا».

(٤) هي قراءة حمزة والكسائي. انظر: «السبعة» (ص: ١٨٤)، و«التيسير» (ص: ٨١).

(٥) ذكره دون نسبة الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ٣١٢)، والماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٣٠٥)، =

و(ما) للمدّة.

وقيل: هو للشَّرط[١].

وقيل: هو الموصولة[٢]، والمعنى: النِّساء اللَّواتي لم تمسوهنَّ، والمعنى: لا جُناحَ في طلاقها أيَّ وقتٍ كانَ، بخلافِ المدخول بها.

والمطلَّقاتُ أربعٌ:

ـ مطلَّقةٌ مدخولٌ بها مفروضٌ لها، وقد سبق.

ـ ومطلَّقةٌ غيرُ مدخولٍ بها ولا مفروضٍ لها، وهي هذه.

ـ ومطلَّقةٌ مفروضٌ لها[٣] غيرُ مدخولٍ بها، يأتي ذكرُها عقيبَ هذه الآية: ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ [البقرة: ٢٣٧].

ـ ومطلَّقةٌ مدخولٌ بها غيرُ مفروضٍ لها، ذُكرَتْ في قوله: ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ [النساء: ٢٤].

﴿وَمَتِّعُوهُنَّ﴾ ابن المسيِّب ومجاهدٌ: المتعةُ للتي لم يُسمَّ لها صَداقٌ[٤].

الحسن وأبو العالية: المتعةُ لكلِّ مطلَّقة[٥].

= والواحدي في «البسيط» (٤/ ٢٧٩).

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢١٨)، وعدَّه من العجائب.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢١٨)، واستغربه.

(٣) «غير مدخول بها ولا مفروض لها وهي هذه ومطلقة مفروض لها» من (ن).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» عن سعيد بن المسيب (٤/ ٢٩٦)، وعن مجاهد (٤/ ٣٠٥)، وعن ابن عباس رضي الله عنهما (٤/ ٢٩٠)، وعقد ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٤/ ١٣٩) باباً فيما قالوا في الرجل يطلق ولم يدخل، ورواه عن ابن عباس رضي الله عنهما وشريح وابن مغفل والشعبي وإبراهيم وحماد.

(٥) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٨٧٠٠، ١٨٧٠١)، والطبري في «تفسيره» (٤/ ٢٩٤).

والصَّحيحُ الأوَّلُ؛ لأنَّه يجبُ عليه فحسب.

﴿عَلَى ٱلْمُوسِعِ﴾: الذي في سَعةٍ مِن غناه ﴿قَدَرُهُۥ﴾ ابن عبّاسٍ: خادمٌ أو كسوةٌ أو وَرِقٌ[1].

غيرُه: قدرُ النِّصفِ من صداقِ مثلِ[2] تلك المرأة.

﴿وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ﴾؛ أي: المقلِّ، والإقتارُ: الإقلالُ.

﴿قَدَرُهُۥ﴾ السُّكونُ والحركةُ لغتان[3]؛ ﴿فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا﴾ [الرعد: ١٧]، و﴿أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ [القدر: ١].

﴿مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ حالٌ من (القدر).

﴿حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: المسلمين.

و﴿حَقًّا﴾: نصبٌ على المصدر؛ أي: حُقَّ حقًّا، ويجوزُ أن يكون تأكيدًا لجملةِ الكلام.

ابن عيسى: على الحالِ من[4] (بالمعروف)[5].

* * *

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٢٩٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٤٤٣)، ولفظ الطبري: «إن كان موسرًا متعها بخادم أو شبه ذلك، وإن كان معسرًا متَّعها بثلاثة أثواب أو نحو ذلك».

(٢) «مثل» من (ن).

(٣) قرأ حفص وابن ذكوان وحمزة والكسائي: ﴿قَدَرُهُۥ﴾ في الموضعين بفتح الدال، والباقون بإسكانها. انظر: «السبعة» (ص: ١٨٤)، و«التيسير» (ص: ٨١).

(٤) «من» من (ن).

(٥) أي: عرف ذلك حقاً، وقد ذكر المصنِّف هذا القول بلا نسبة في «غرائب التفسير» (١/ ٢١٨).

(٢٣٧) ـ ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَاْ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾: تجامعوهنَّ، ﴿وَقَدْ فَرَضْتُمْ﴾: عيَّنتم ﴿لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾: مهرًا، ﴿فَنِصْفُ﴾؛ أي: فعليكم نصفُ[1] ﴿مَا فَرَضْتُمْ﴾، والنِّصفُ: الجزءُ من اثنين.

﴿إِلَّآ أَن يَعْفُونَ﴾: إلّا أن تتركَ المرأةُ ما يجبُ لها من نصفِ صَداقها.

﴿أَوْ يَعْفُوَاْ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ﴾ فيُكمِلَ لها المهرَ.

وهو الزَّوج عند الجمهور[2]، وقال علقمة والحسن: هو الوليُّ[3].

﴿وَأَن تَعْفُوٓاْ﴾ ابن عبّاسٍ: الخطابُ للرَّجلِ والمرأة[4].

الشَّعبيُّ: للزَّوجِ وحدَه[5]. وجَمَعَ لأنَّه لكلِّ زوجٍ.

﴿أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾: أدعى إلى اتِّقاء معاصي الله.

وقيل: لاتِّقاء ظلمِ كلِّ واحدٍ صاحبَه.

---

(١) «نصف» من (ن).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٦٩٨٣ ـ ١٦٩٩٥)، والطبري في «تفسيره» (٤/ ٣٢٤ ـ ٣٢٩) عن عدد من المفسرين.

(٣) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٦٩٩٧) عن الحسن، و(١٦٩٩٨) عن علقمة، والطبري في «تفسيره» (٤/ ٣١٨) عن علقمة، و(٤/ ٣٢٠) عن الحسن.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٣٣٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٤٤٥)، ولفظهما: «أقربهما للتقوى الذي يعفو».

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٣٣٧)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٣٠٧).

﴿وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾؛ أي: لا تتركوا الفضلَ تَرْكَ مَنْ قد نسيَه.

والفَضْلُ: هو الإفضالُ، وهو فعلُ ما ليس بواجبٍ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فيجازيكم على إحسانكم.

* * *

(٢٣٨) ـ ﴿حَـٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ﴾.

﴿حَـٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ﴾: دوموا عليها. والحفظُ: خلافُ النِّسيان.

ابن عيسى: أصلُ الباب حفظُ الشَّيء في النَّفس، و(فَاعَلَ) إذا استُعملَ من واحدٍ تضمَّنَ مبالغةً؛ لأنَّ البناءَ لتكرُّر الفعل.

﴿وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾: هي داخلةٌ في الصَّلوات، وأُفردَتْ لفضلِها على سائرها، ولأنَّ المحافظةَ عليها أشدُّ.

ابنُ عبّاسٍ وعليٌّ والحسن: هي صلاةُ العصر؛ لأنَّها بين صلاتَي اللَّيل وصلاتَي النَّهار[١].

ابنُ عمرَ: هي الظُّهرُ[٢]؛ لأنَّها وسطَ النَّهار.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٣٤٣ ـ ٣٤٧). وذكره الإمام مالك في «الموطأ» (١/ ١٣٩) بلاغًا عن علي وابن عباس رضي الله عنهم.
وروى البخاري (٢٩٣١)، ومسلم (٦٢٧) عن علي رضي الله عنه قال: لما كان يوم الأحزاب قال رسول الله ﷺ: «ملأ الله بيوتهم وقبورهم نارًا، شغلونا عن الصلاة الوسطى حتى غابت الشمس»، وفي رواية مسلم: «عن الصلاة الوسطى؛ صلاة العصر».

(٢) في (و): «الظهيرة». رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (٢١٩١)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٨٦١٦). ورواه الإمام مالك في «الموطأ» (١/ ١٣٩) عن زيد بن ثابت رضي الله عنه.

قبيصةُ بنُ ذُؤيبٍ(١): هي المغربُ؛ لأَنَّها الوسطى في الطُّول والقصر، ولأَنَّها بين اللَّيل والنَّهار(٢).

جابر بن عبد الله: هي صلاةُ الفجر(٣)؛ لأَنَّها بين الظَّلام والضِّياء.

وتَحتمِلُ العشاءَ الآخرة؛ لأَنَّها توسَّطَتْ صلاتي طرَفَي اللَّيل(٤).

وأصلُه(٥): التَّعديلُ بين شيئين.

﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ﴾ ابن عبّاسٍ: ساكتين، نُهوا بذلك عن الكلامِ في الصَّلاة(٦).

مجاهدٌ: خاشعين(٧)، نُهوا عن العبثِ واللَّعبِ فيها.

---

(١) «قبيصة بن ذؤيب» من (ن).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٣٦٧) بلفظ: «الصلاة الوسطى صلاة المغرب، ألا ترى أنها ليست بأقلها ولا أكثرها، ولا تُقصَر في السفر، وأن رسول الله ﷺ لم يؤخرها عن وقتها ولم يعجلها».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٣٧٠).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢١٩)، واستغربه.

(٥) أي: أصل الوسط.

(٦) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١١٧٧٦)، والضياء المقدسي في «المختارة» (١٢/ ٨٨)، ولفظ الطبراني: «كانوا يتكلمون في الصلاة؛ يجيء خادم الرجل إليه وهو في الصلاة، فيكلمه في حاجته، فنهوا عن الكلام»، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ٣٢٠): «رواه الطبراني، رجاله رجال الصحيح».

(٧) رواه المروزي في «الصلاة» (١٣٨)، والطبري في «تفسيره» (٤/ ٣٨١ ـ ٣٨٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٤٤٩)، ولفظ المروزي: «فمن القنوت الركود والخشوع، وغض البصر، وخفض الجناح من رهبة الله عز وجل، كان إذا قام أحدهم يصلي يهاب الرحمن أن يشد بصره إلى شيء، أو يلتفت، أو يقلب الحصى، أو يعبث بشيء، أو يحدث نفسه من شأن الدنيا إلا ناسيا، ما دام في صلاته».

وقيل: داعين.

وعن ابن عبّاسٍ أيضًا: أنَّ الصَّلاةَ الوسطى: صلاةُ الفجر، والقانتين: الدّاعين فيها بالقنوت[١].

وقيل: عابدين.

ابن عيسى: أصلُ القُنوتِ: الدَّوامُ على أمرٍ واحدٍ[٢].

***

(٢٣٩) ـ ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ﴾.

﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾؛ أي: فإن كنتم في الحربِ وخفتم الأعداءَ.

﴿فَرِجَالًا﴾؛ أي: فصلُّوا رجالًا، وهي جمعُ (راجلٍ)، ويُحتمَل أن تكونَ جمعَ (رَجِلٍ)، و(رَجْلٌ) جمع (راجلٍ)؛ وهو الذي يمشي على رِجلِه أو يقوم عليها.

﴿أَوْ رُكْبَانًا﴾: جمع راكبٍ، كفارس وفرسان، والرُّكوبُ: علوُّ النَّسمة.

﴿فَإِذَآ أَمِنتُمْ﴾؛ أي: من العدوِّ ﴿فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ﴾؛ أي: صلُّوا له صلاةَ الآمنِ كما علَّمكم؛ أي: اذكروه بالثَّناءِ والحمدِ له.

﴿كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ﴾ من أمر دينكم؛ أي: ذِكرًا يُوازي ذلك.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٣٦٧ـ٣٦٨) بروايات متعددة، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (١٠١١)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢١٩) وعدَّه من العجائب، ولفظ الطحاوي: «عن أبي رجاء قال: صليت خلف ابن عباس رضي الله عنهما الغداة فقنت قبل الركوع، وقال: هذه الصلاة الوسطى».

(٢) ذكره الرازي في «مفاتيح الغيب» (٦/ ٤٨٨).

(٢٤٠) ـ ﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾.

﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم ﴾؛ أي: عليهم وصيّةٌ. وقيل: لهنَّ عليهم وصيةٌ. وقيل: وصيةٌ من الله لأزواجهم. وقيل: كُتِبَ عليهم وصيّةٌ.

ومَن نصب[١]؛ أي: فليوصوا وصيّةً. وقيل: كَتَبَ الله عليهم وصيّةً.

﴿مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ ﴾؛ أي: توصون بأن يمتَّعْنَ متاعًا.

الزَّجّاج: ومتعوهنَّ متاعًا إلى الحول[٢].

﴿غَيْرَ إِخْرَاجٍ ﴾ المعنى: للمتوفَّى عنها وصيّةٌ بالسُّكنى والنَّفقة، متاعٌ لهنَّ إلى الحول، إلّا أن تختارَ الخروجَ، فلا تُكرَهُ على الإقامة.

وهذه الآية منسوخةٌ بالآية التي تقدَّمَتْ، وهي قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ﴾ [البقرة: ٢٣٤][٣]، وبآيةِ المواريث، والتَّقديمُ والتَّأخيرُ وقَعا في التِّلاوةِ لا في النُّزولِ.

وقيل: هي ثابتةٌ رخصةً لمن أُوصِيَ لها بالإقامة حولًا[٤].

---

(١) قرأ نافع وابن كثير والكسائي بالرفع، وباقي السبعة بالنصب. انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٨٤)، و«التيسير» للداني (ص: ٨١).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٣١٩)، وقال: «وهذا منسوخ بإجماع، نسخه ما قبله».

(٣) روى البخاري في «صحيحه» (٤٥٣٠) عن ابن أبي مليكة: «قال ابن الزبير: قلت لعثمان بن عفان: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ ﴾ [البقرة: ٢٤٠] قال: قد نسختها الآية الأخرى، فلم تكتبها؟ أو تدعها؟ قال: يا ابن أخي لا أغيِّر شيئاً منه من مكانه».

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٢٠) عن ابن بحر، وعدَّه من العجائب.

﴿فَإِنْ خَرَجْنَ﴾؛ أي: من عند أنفسهنَّ من غير إخراجٍ، ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ﴾ من النّكاح ﴿مِن مَّعْرُوفٍ﴾ على ما أمرَ(١) الله به من المناكح.

﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ يشرعُ لعبادِه ما يشاء.

***

(٢٤١) ـ ﴿وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾.

﴿وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾ قيل: هي منسوخةٌ كالتي تقدَّمت.

وقيل: المرادُ به المطلَّقةُ غيرُ المدخولِ بها المفروضُ لها.

وقيل: هي المطلَّقةُ التي تملكُ مراجعتها؛ فإنَّ لها عليه نفقةَ العدّة.

عمر رضي الله عنه: هي واجبةٌ لجميع المطلَّقات(٢).

قال ابن زيد: لَمّا نزلَ قولُه: ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ﴾ وختمَ الآية بقوله: ﴿حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٦] قيل: إنْ أحسنْتُ فعلْتُ، وإنْ لم أردْ لم أفعلْ، فأنزل الله: ﴿وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾(٣)؛ يعني: المؤمنين الذين يتَّقون الشِّرك.

***

---

(١) في (ن): «أمره».

(٢) هذا مستفاد من اعتراض عمر رضي الله عنه على رواية فاطمة بنت قيس رضي الله عنها في «صحيح مسلم» (١٤٨٠)، وقد روى الإمام مالك في «الموطأ» (٢/ ٥٧٣)، وعبد الرزاق في «مصنفه» (١٢٢٢٤)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٨٦٩٩)، والطبري في «تفسيره» (٤/ ٢٩٦) عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: «لكل مطلقة متعة إلا التي تطلق قبل أن يدخل بها، وقد فرض لها، فلها نصف الصداق، ولا متعة لها».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٤١١)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ٤٣٧)، والماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٣١١).

(٢٤٢) ـ ﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾.

﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ ﴾ من الإيلاءِ والنِّكاحِ والطَّلاقِ وغيرها.

﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾؛ أي: عن اللهِ أوامرَه.

***

(٢٤٣) ـ ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾.

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ ﴾ الزَّجّاج: ألم ينتهِ علمُكَ إليهم(١)، قال: ولهذا عُدِّيَ بـ(إلى)(٢).

وقيل: تقديره: أما رأيتَ العجائبَ حتى انتهى بك الرُّؤيةُ إلى هذا.

﴿ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ ﴾ كانت قريةً يُقالُ لها: داوَرْدان قِبَلَ واسط، فظهر بها وباء وطاعونٌ، فخرج منها جماعة ﴿وَهُمْ أُلُوفٌ ﴾: جمع (أَلْفٍ)، وقيل: جمع (إِلْفٍ)؛ أي: جدٌّ مُؤتلفين(٣).

ابن عبّاسٍ: كانوا أربعةَ آلاف(٤).

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٣٢٢).

(٢) انظر: «الكشاف» للزمخشري (١/ ٥١٥).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٢٠) واستغربه، وقال الطبري في «تفسيره» (٤/ ٤٢٣): «وأولى القولين في تأويل قوله: ﴿وَهُمْ أُلُوفٌ ﴾ بالصواب، قول من قال: عنى بالألوف كثرة العدد، دون قول من قال: عنى به الائتلاف، بمعنى ائتلاف قلوبهم، وأنهم خرجوا من ديارهم من غير افتراق كان منهم، ولا تباغض، ولكن فراراً؛ إما من الجهاد، وإما من الطاعون؛ لإجماع الحجة على أن ذلك تأويل الآية، ولا يعارض بالقول الشاذ ما استفاض به القول من الصحابة، والتابعين».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٤١٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٤٥٦)، والحاكم في =

عطاءٌ الخراساني: ثلاثةَ آلاف(١).

مقاتلٌ: ثمانيةَ آلاف(٢).

أبو روق: عشرةَ آلافٍ(٣).

أبو مالك: ثلاثين ألفًا(٤).

ابن جريج: أربعين ألفًا(٥).

عطاء بن أبي رباحٍ: سبعين ألفًا(٦).

وقوله: ﴿وَهُمۡ أُلُوفٌ﴾ يدلُّ على الكثير؛ لأنَّه جمع الكثرة، وجمعُ القلّةِ (آلافٌ)، وجاء (آلُفٌ) أيضًا.

﴿حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِ﴾؛ أي: خرجوا خوفًا من أن يموتوا بالطّاعون، فلمّا توسَّطوا بلادَ العراق أماتهم الله، فمكثوا موتى ثمانيةَ أيّام.

= «المستدرك» (٣١١٣)، وصححه الحاكم على شرط الشيخين، وقال الذهبي: «ميسرة النهدي لم يرويا له».

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٤١٨)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ٤٤٥).

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (١/ ٢٠٢).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ٤٤٦)، والجرجاني في «درج الدرر» (١/ ٤١٣).

(٤) رواه الطبري في «تاريخه» (١/ ٤٥٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٤٥٦) من طريق السدي عن أبي مالكٍ بلفظ: «كانوا بضعة وثلاثين ألفًا». ورواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٤١٦) عن السدي.

(٥) ذكره النحاس في «معاني القرآن» (١/ ٢٤٦)، والثعلبي في «تفسيره» (٦/ ٤٤٧)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٤١٨) عن ابن جريج عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٦) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ٤٤٧)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٢١٩)، وفيهما: «تسعين ألفًا». وذكره البغوي في «تفسيره» (١/ ٢٩٣)، والقرطبي في «تفسيره» (٣/ ٢٣١)، وفيهما: «سبعين ألفًا».

وهو قوله: ﴿فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ﴾؛ أي: أماتهم. وقيل: نادى ملكٌ من السَّماء: أنْ موتوا، فماتوا، فخرجَ خلفَهم نبيٌّ لهم.

قتادة: هو يوشعُ بن نونٍ[١].

وقيل: سمعون.

السُّديُّ: سُمِّي سمعون؛ لأنَّ الله سمعَ دعاءَ أمِّه[٢].

وقيل: حزقيل، وهو ابن العجوز.

وهبٌ: اسمه أشمويل[٣].

فلمّا لحقهم وقد ماتوا، تضرَّعَ إلى الله وسألَه إحياءَهم، فأجابه الله سبحانه فأحياهم، وعاشوا حتى أنسلوا[٤]، يعرفون أنَّهم كانوا موتى، سِحْنةُ الموتِ على وجوههم، لا يلبسون ثوبًا إلّا عادَ دَسْمًا مثل الكفن، حتى ماتوا لآجالهم التي كُتبَتْ لهم[٥].

ابن عبّاسٍ: يوجدُ اليومَ في ذلك السِّبط من اليهودِ تلك الرِّيح[٦].

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٠٦)، والطبري في «تفسيره» (٤/ ٤٣٧)، ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٤٦٣).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٤٣٦)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٢١) دون نسبة.

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٢٧) (١/ ٣٦٤)، والطبري في «تفسيره» (٤/ ٤٣٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٤٦٣). وفي (و): «شمويل».

(٤) في (ن): «أنسلوا».

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٤١٧)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ٤٥٣) واللفظ له عن مجاهد.

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٤١٨)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ٤٥٤).

قال الزَّجّاجُ والضَّحّاكُ في جماعة: إنَّهم فروا من الجهاد خوفًا من القتل في الحرب، فأماتهم الله ثمانيةَ أيّام عقوبةً لهم(١).

﴿ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾ بدعاء نبيِّهم معجزةً له، ولهذا رُدُّوا إلى القتال بعد الإحياء.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾: ذو مَنٍّ، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾.

***

(٢٤٤) ـ ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ هذا خطابٌ لأُمَّةِ محمَّدٍ عليه السَّلام.

وقيل: خطابٌ للذين أُحيوا.

***

(٢٤٥) ـ ﴿مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

﴿مَّن ذَا الَّذِي﴾ هذا لفظٌ يدلُّ على المسارعةِ والسَّبق.

﴿يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا﴾ سمَّى ما ينفقونه قرضًا؛ لأنَّ القرضَ بدلُ ما يجبُ فيه من المِثل، فنبَّههم الله بذلك على أنَّه لا يَضيعُ عنده.

﴿حَسَنًا﴾: حلالًا على طيبةٍ من(٢) النَّفسِ غيرَ مُجحفٍ بعيالِه، وهو النَّفقةُ في الجهاد.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٣٢٢ـ٣٢٣)، وروى ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٤٥٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «قوله: ﴿حَذَرَ الْمَوْتِ﴾: فرارًا من عدوهم»، ثم قال: «وروي عن الضحاك ومطر أنهم فروا من الجهاد». وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ٤٤٣) عن الضحاك ومقاتل والكلبي.

(٢) «من» من (ن).

وقيل: هو النّافلةُ.

وقيل: هو عامٌّ، ما لم يكن رياءً ولا سُمعةً.

قال ابن عيسى: أصلُ القرضِ: القطعُ بالنّاب[1].

﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ﴾؛ أي: يَضمُّ إليه مثلَه.

الرَّفعُ على العطفِ على الصِّلة، أو الاستئناف؛ لأنَّ الاستفهامَ وقعَ عن المقرَض، والنَّصبُ على الحملِ على المعنى، وجعلِ الفاءِ جوابَ الاستفهام[2].

و(المضاعفةُ) أكثرُ من (التَّضعيف).

﴿أَضۡعَافٗا كَثِيرَةٗ﴾ قيل: هي سبعمئة.

وقيل: الكثيرُ غيرُ محدودٍ؛ لأنَّ ما لا ينقطعُ لا يدخلُ تحت الحدِّ[3].

﴿وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ﴾: يُضيِّقُ ويُوسِّعُ.

وقيل: يقبضُ الصَّدقات، ويبسطُ بالخُلْفِ في الدُّنيا والثَّوابِ في العُقْبى.

وقيل: يَقبلُ ويجازي.

وقيل: هو من ضيقِ الصَّدرِ وسَعتِه.

﴿وَإِلَيۡهِ﴾: إلى الله ﴿تُرۡجَعُونَ﴾، فيجازيكم على أعمالكم.

وقيل: إلى الثَّواب ترجعون.

* * *

---

(١) وذكره صاحب «العين» (٥/ ٤٩) بلا نسبة.

(٢) قرأ عاصم وابن عامر بنصب الفاء، والباقون برفعها، وقرأ ابن كثير وابن عامر: ﴿فيضعِّفه﴾ بتشديد العين مع حذف الألف. انظر: «السبعة» (ص: ١٨٤)، و«التيسير» (ص: ٨١).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٢١) دون نسبة.

(٢٤٦) - ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ﴾: هم الجماعةُ الأشرافُ الذين ليس على شرفِهم مزيدٌ، واشتقاقه: من (ملأْتُ)؛ أي: يملؤون القلوبَ جلالةً ومَهابةً.

وقيل: مَليؤون بما يُعصَّبُ بهم من عظائمِ الأمور.

﴿مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾: (مِن) للتَّبعيض.

﴿مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ﴾؛ أي: من[1] بعدِ موتِه، و(مِن) لابتداء الغاية.

﴿إِذْ قَالُوا۟﴾: حين قالوا ﴿لِنَبِىٍّ لَّهُمُ﴾ اختلفَ المفسِّرون فيه اختلافَهم في الآية الأولى.

﴿ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: أقِم لنا ملكًا نقاتلْ معه أعداءَنا في إعلاءِ دينِ الله، وسُمِّي ملكًا لأنَّه يملكُ تدبيرَهم وتصريفَهم فيما توجَّهوا له.

﴿قَالَ﴾؛ أي: النَّبيُّ: ﴿هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟﴾ استفهامٌ معناه: أنا بينَ الرَّجاء والخوفِ من قتالكم، فأخبروني عن نيّاتكم؟

﴿قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا﴾؛ أي: أيُّ عذرٍ لنا في أن لا نقاتلَ في طاعةِ[2] الله وإظهارِ دينه، وفي طلبِ التَّشفِّي من الأعداء، ﴿وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا﴾ بالجلاء، وأُفرِدْنا عن أبنائِنا بالقتل والسَّبي.

---

(١) «من»: ليس في (ن).

(٢) في (و): «سبيل».

ابن عيسى: (أن) زيادة، قال: وقيل: إنَّما دخل لتفيد معنى الاستقبال؛ أي: ما يمنعنا، ولهذا يُستعمَلُ مع المستقبل كالمنع دون الماضي[1].

و(ما) للاستفهام.

قال المبرِّد: (ما) للنَّفي، كأنَّهم قالوا: ما لنا نتركُ القتالَ وقد أُخرجنا من ديارنا وأبنائنا[2].

﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ﴾؛ أي: أُجِيْبوا إلى ما التمسوا، وبُعِثَ[3] لهم مِلكٌ، وهو طالوت.

﴿تَوَلَّوْا۟﴾: أعرضوا عن الطّاعة للملِكِ المنصوبِ لهم.

﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ علمَ أنَّهم يكفرون إذا أُمروا، فلم يأمرْهم بالقتالِ حتى سألوه.

وهبٌ والرَّبيع: كان سببُ السُّؤالِ استذلالَ الجبابرةِ لهم من الملوك الذين كانوا في زمانهم[4].

السُّدِّيُّ: قتال العمالقة[5].

***

(١) هذا قول الفراء. انظر: «البسيط» للواحدي (٤/ ٣١٧).

(٢) ذكره الراغب الأصفهاني في «تفسيره» (١/ ٥٠٧)، والرازي في «التفسير الكبير» (٦/ ٥٠٣).

(٣) في (و): «التمسوه بعث».

(٤) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٣١٤).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٤٤١)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٣١٤).

(٢٤٧) ـ ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًاۚ قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ﴾: أنفذ ﴿لَكُمْ طَالُوتَ﴾: كان رجلًا معروفًا عندهم ﴿مَلِكًا﴾ جواب لقولهم: ﴿ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا﴾.

﴿قَالُوٓاْ أَنَّىٰ﴾ كيف ﴿يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا﴾ وهو سقّاءٌ؟ وقيل: دبّاغٌ[1].

﴿وَنَحْنُ أَحَقُّ﴾؛ أي: فينا مَن هو أحقُّ ﴿بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ﴾ فيتشرَّف به؛ إذ[2] كان قد فاته الحسب.

ابن جرير: إنَّما أنكروا ملكَه؛ لأنَّه كان من سبط بنيامين بن يعقوب، ولم يكن فيهم مُلكٌ ولا نبوّة، وكانت النُّبوّةُ في سبط لاوي بن يعقوب، والملكُ في سبط يهوذا بن يعقوب[3].

﴿قَالَ﴾؛ أي: النَّبيُّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ﴾: اختارَه.

والاصطفاءُ: جعلُ الشَّيء أو وجدانُه صافيًا خالصًا من الشَّوائب.

﴿وَزَادَهُۥ بَسْطَةً﴾: زيادةً، والبَسْطةُ في الشَّيء: امتدادُه في جميعِ جهاته.

﴿فِى ٱلْعِلْمِ﴾: علمِ الحربِ وكيدِ الأعداء.

﴿وَٱلْجِسْمِ﴾: وقوّةِ الجسم، ورُواءِ المنظر، وطولِ القامة.

---

(١) في (ن): «سقاء أو دباغ».

(٢) في (و): «إذا».

(٣) انظر: «تفسير الطبري» (٤/ ٤٤٨).

وكان الله سبحانه وتعالى أعطى ذلك النَّبيَّ عصًا، وقال: مَن ساواها فهو الملك، فما ساواها غيرُه، وقيل: أعطاه دِرْعًا.

﴿وَٱللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ﴾: إذا عَلِمَ بالمصلحة، لا بالحَسبِ والنَّسب.

﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾؛ أي: واسعُ الفضلِ والعطاء.

ابن عيسى: موسِّعٌ على مَن يشاءُ مِن نعمِه.

وعنه أيضًا: ذو سَعةٍ، كتامِرٍ ولابِنٍ(١).

﴿عَلِيمٌ﴾: عالمٌ لمن ينبغي أن يؤتيَه الفضل.

* * *

(٢٤٨) - ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ﴾ ذكر المفسِّرون أنَّهم سألوا النَّبيَّ آيةً.

قال القفّال: ويجوزُ أن يكونَ آتاه إيّاها سكينةً لقومِه، وإنْ لم يكونوا سألوه.

﴿أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ﴾ الإتيانُ هاهنا مجازٌ.

والتّابوتُ: شبهُ صندوقٍ(٢)، و(تابوه) بالهاء(٣) لغةُ الأنصار(٤).

---

(١) في هامش (ن): «أي: كثير التمر واللبن». وقد ذكر القولين المصنِّف عنه في «غرائب التفسير» (١/ ٢٢٢)، وذكرهما الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٣١٥) دون نسبة.

(٢) في (ن): «الصندوق».

(٣) «بالهاء» من (ن).

(٤) في «الترمذي» (٣١٠٤): «قال الزهري: فاختلفوا يومئذ في التابوت والتابوه، فقال القرشيون: =

وهبٌ: كان ثلاثةَ أذرعٍ في ذراعين(١)، من خشبِ الشِّمشاذ(٢).

﴿فِيهِ﴾: في التابوتِ ﴿سَكِينَةٌ﴾ هي مصدر، كالضَّريبةِ والعَزيمةِ والقضيّةِ، قيل: السَّكينةُ للنُّفوسِ كالسُّكونِ للأجسام.

ابن جريرٍ عن السُّدِّي: هي طَسْتٌ من ذهبٍ، كان يُغسَلُ فيه قلوبُ الأنبياء عليهم السَّلام(٣).

عليٌّ رضي الله عنه: هي ريحٌ هفّافةٌ لها وجهٌ كوجهِ الإنسان(٤).

مجاهدٌ: لها رأسٌ كرأسِ الهرّةِ وجناحان(٥).

= التابوت، وقال زيد: التابوه، فرفع اختلافهم إلى عثمان، فقال: اكتبوه التابوت؛ فإنه نزل بلسان قريش». وقد قرأ زيد بن ثابت وأبي رضي الله عنهما (تابوه)، وهي قراءة شاذة. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» لابن خالويه (ص: ٢٢).

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣١٢)، والطبري في «تفسيره» (٤/ ٤٦٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٤٦٧).

(٢) في (و): «الشمشاد». ذكره مقاتل في «تفسيره» (١/ ٢٠٦)، وقال: «هو خشب تتخذ منه الأمشاط الصفر مموَّه بالذهب». وذكره الزجاج في «معاني القرآن» (١/ ٣٣٠)، والسمرقندي في «تفسيره» (١/ ١٦٣)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٢٢٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما. وفي «تاج العروس» (٩/ ٤٣١) مادة: (ش م ش ذ): «الشمشاذ: معرب شمشاد، وهو شجر السرو، ويسمى آزاددرخت».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٤٧٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٤٦٩).

(٤) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣١٣)، والطبري في «تفسيره» (٤/ ٤٦٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٤٦٨).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٤٦٩)، ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣١٤) بلفظ: «لها جناحان وذنب مثل ذنب الهرة».

وهبٌ[١]: روحٌ من الله يكلِّمُهم[٢] بالبيانِ عند وقوع الاختلاف[٣].

عطاءٌ: آيةٌ يسكنونَ إليها[٤].

﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾: خالقِكم.

﴿وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ﴾: بقيّةُ كلِّ شيءٍ: خلاصتُه، مشتقّةٌ من (البقاء)، قيل: عصا موسى وعصا هارونَ وثيابهما ونعلهما.

وقيل: رُضاضُ الألواحِ التي ألقاها موسى فتكسَّرت، وكانَت من زبرجدٍ وياقوتٍ.

وقيل: التَّوراة وكتابٌ آخرُ معها[٥].

ويُحتمَل أنَّ الهاءَ في قوله: ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ﴾ تعود إلى الإتيان[٦]، و﴿وَبَقِيَّةٌ﴾: عطفٌ على التّابوت.

﴿ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ﴾ القفّال: إنَّما أُضيفَ ذلك إلى آل موسى وآل هارون لأنَّ ذلك التّابوتَ[٧] قد تداولتْه القرونُ بعدهما إلى وقتِ طالوت[٨].

---

(١) «وهب» من (ن).

(٢) في (ن): «فيكلمهم».

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣١٢)، والطبري في «تفسيره» (٤/ ٤٧٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٤٦٩).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٤٧١) ورجحه.

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٢٣)، واستغربه.

(٦) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٢٣)، واستغربه أيضاً.

(٧) في (ن) زيادة: «كان».

(٨) ذكره الرازي في «التفسير الكبير» (٦/ ٥٠٨)، وتتمة كلامه فيه: «وما في التابوت أشياء توارثها العلماء من أتباع موسى وهارون، فيكون الآل هم الأتباع، قال تعالى: ﴿أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦]».

وقيل: ﴿ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ﴾ شخصُهما[1]، كما قال الشّاعر:

بُثَينةُ مِن آلِ النِّساءِ وإنَّما يَكُنَّ لأدْنَى لا وِصالَ لِغائِبِ[2]

وقيل: كان آدمُ عليه السَّلام هبطَ به من الجنّةِ مع الرُّكنِ، فيها صورُ الأنبياء[3].

وقيل: كان موسى خلَّفَه عند يوشعَ في التِّيه.

﴿تَحۡمِلُهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾؛ أي: في الهواء من حيث يرى التّابوتُ ينزلُ من عُلُوٍّ.

وقيل: كان أصحابُ جالوتَ غلبوا عليه، فأصابَهم داءٌ في العينِ بسبب التّابوت، فوضعوه على ثورَيْن، وأنفذوه إلى ناحية بني إسرائيل، فعلى هذا ساقت الملائكةُ الثَّورين.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾: في التّابوت ﴿لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ قيل: مصدِّقين؛ لأنَّهم صاروا كفرةً بإنكارِهم على النَّبيِّ.

وقيل: تعرَّفوا وجهَ الحكمةِ بقولِهم: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلۡمُلۡكُ عَلَيۡنَا﴾ [البقرة: ٢٤٧]، فيكونُ معنى ﴿إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾: إن كان من همِّكم وشأنِكم الإيمانُ بما تقومُ به الحجّةُ عليكم.

* * *

(١) في (ن): «شخصيهما».

(٢) البيت لجميل في «تفسير الثعلبي» (٦/ ٥١٢)، و«البسيط» للواحدي (٤/ ٣٢٧)، و«الإبانة في اللغة» (٢/ ١٥٥)، وانظر: «ملحق ديوان جميل» (ص: ٣٤٣). ونُسب لكثيِّر في «الخصائص» لابن جني (٣/ ٢٩)، وألحقه الدكتور إحسان عباس بـ«ديوان كثير» (ص ٣٤٣) نقلًا عن ابن جني.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٢٣).

(٢٤٩) ـ ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾.

﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ﴾ الجنودُ: جمعُ (جُنْدٍ)، واشتقاقُه من (الجَنَد)؛ وهو الغليظُ من الأرض؛ أي: بعضُهم يعتصمُ ببعضٍ.

أي: أنهضَ جموعَه للجهاد، والباءُ للتَّعدِّي.

وقيل: انفصلَ من مقرِّه، كقولِه: ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ﴾ [يوسف: ٩٤]، فتكونُ الباءُ للحال.

﴿قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم﴾: معاملُكم معاملةَ المختبِر؛ ليُظهرَ لطالوتَ مَن له عزمُ الجهاد من المتعلِّل.

﴿بِنَهَرٍ﴾ ابن عبَّاسٍ وقتادةَ: هو نهرٌ بين أُرْدُنٍّ(١) وفلسطينَ(٢).

وقيل: هو نهرُ فلسطينَ(٣).

---

(١) كذا في (ن)، وصرفُ (أردنّ) ومنعُه محتمل، أما الصرف فباعتباره عربياً، أو مسمى بالفعل والفاعل، وأما المنع فباعتباره معرَّباً، أو مسمى بالفعل بلا فاعل، وقد سكت عن ذلك معظم علماء اللغة؛ لأن اسم البلد معرَّف بـ(الـ)، وفي كلام أبي علي ما يشير إلى أنه معرب. انظر: «الحلبيات» لأبي علي (ص: ٣٥٧ و٣٦٣ و٣٧٦)، و«تاج العروس» (٣٥/ ٨٥).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٤٨٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما، ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣١٦)، والطبري في «تفسيره» (٤/ ٤٨٤) عن قتادة.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٤٨٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٤٧٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وهبٌ: شكَوا إلى طالوتَ في الطَّريقِ قلّةَ المياهِ وخوفَ التَّلف، فابتُلُوا بالنَّهر[١].

﴿فَمَن شَرِبَ مِنْهُ﴾: من ماء النَّهر.

وقيل: ﴿مِنْهُ﴾؛ أي: احتسى منه بفيه[٢].

﴿فَلَيْسَ مِنِّي﴾: من أوليائي.

﴿وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ﴾؛ أي: لم يذقْه، وهو من (الطُّعْم)، وهو[٣] يقعُ على الطَّعامِ والشَّراب، قال الشّاعرُ:

فإنْ شئْتِ حَرَّمْتُ النِّساءَ سِواكُمُ[٤] وإنْ شِئْتِ لم أَطْعَمْ نُقاخًا ولا بَرْدا[٥]

أي: لم أذق ماءً عذبًا.

﴿فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ﴾؛ أي: مَن شرب منه فليس منِّي إلَّا مَنِ اغترفَ؛ أي: رفع الماء من النَّهر بيده.

﴿غُرْفَةًۢ﴾ بالضَّمِّ[٦]: قَدْرَ ما يسعُه الكفُّ، وأصلُ الغَرْفِ: إخراجُ المَرَقِ

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٣١٧)، وروى الطبري نحوه في «تفسيره» (٤/ ٤٨٣).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٢٣)، واستغربه.

(٣) في (و): «وهو الطعم» بدل «وهو من الطعم وهو».

(٤) في (ن): «عليكم».

(٥) البيت مختلف في نسبته؛ فهو للعرجي في «ديوانه» تحقيق: الجبيلي (ص: ٢٠٦)، و«الحيوان» للجاحظ (٥/ ١٦)، و«الأضداد» للأنباري (ص: ٦٤)، و«الزاهر» له أيضاً (١/ ١٩٧)، و«الصحاح» للجوهري (١/ ٤٣٤) مادة: (ن ق خ)، وهو لعمر بن أبي ربيعة في «ديوانه» علق عليه: فائز محمد (ص: ١٠٣)، والنقاخ: الشَّراب العذب، والبرد: النوم في لغة هذيل.

(٦) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو بفتح الغين، وباقي السبعة بالضم. انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٨٧)، و«التيسير» للداني (ص: ٨١).

من القِدْرِ بالمغرفةِ، و﴿غَرْفَةً﴾ بالفتح: مرّةً واحدةً بإناءٍ وغيره، و(غرفة) بالضَّمِّ: مفعول، وبالفتح: مصدرٌ[(١)].

﴿فَشَرِبُواْ مِنْهُ﴾؛ أي: خالفوا وأكثروا، وكانوا ثلاثينَ ألفًا.

﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ وهم ألفٌ؛ عن السُّدِّيِّ[(٢)].

وقيل: ثلاث مئة وبضعـ[ـةَ][(٣)] عشرَ، على عدد أصحاب بدر[(٤)].

﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ﴾؛ أي: النَّهر.

﴿هُوَ﴾؛ أي: طالوت.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ﴾ ابن عبّاسٍ والسّدِّي: جاوز الكافرُ والمؤمنُ، إلَّا أنَّ

---

(١) أي: تُعرب كلمة (غُرفةً) على قراءة مَن ضمَّ الغين مفعولًا به للفعل (طعم)، وتُعرب كلمة (غَرفةً) على قراءة مَن فتح الغين مفعولاً مطلقاً. ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٤/ ٤٨٤)، واستغربه.

(٢) كذا في النسخ الخطية، وقد روى الطبري في «تفسيره» (٤/ ٤٨٧) وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٤٧٥)، وذكر الثعلبي في «تفسيره» (٢/ ٢١٦) وابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٢٢٦) عن السدي أنهم أربعة آلاف، والله أعلم.

(٣) بلا تاء في النسخ الخطية، وهو موافق لرواية ابن أبي حاتم عن السدي في «تفسيره» (٢/ ٤٧٧)، والإشكال أنَّ كلمة (بضع) تُخالف المعدود في العربية، والمعدود هنا الرجال. انظر: «الكتاب» لسيبويه (٣/ ٥٦١).

(٤) روى الطبري في «تفسيره» (٤/ ٤٩١) عن السدي قال: «عبر مع طالوت النهر من بني إسرائيل أربعة آلاف، فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه فنظروا إلى جالوت رجعوا أيضًا، وقالوا: لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده، فرجع عنه أيضاً ثلاثة آلاف وستمائة وبضعة وثمانون، وخلص في ثلثمائة وبضعة عشر عدة أهل بدر». وروى البخاري (٣٩٥٨) عن البراء رضي الله عنه قال: «كنا أصحاب محمد ﷺ نتحدث أن عدة أصحاب بدر على عدة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر، ولم يجاوز معه إلا مؤمن؛ بضعة عشر وثلاث مئة».

الكافرين اعتزلوا عنهم عند اللِّقاء، قالوا: لا طاقةَ لنا اليوم... وبقيَ المؤمنون على عددِ أهل بدرٍ[١].

وقيل: جاوزَ المؤمنون فحسب، ثم جَبُنَ بعضُهم عن اللِّقاء، فقالوا: ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ﴾[٢].

الطّاقةُ: اسمٌ من (أطاقَ)؛ إذا قويَ على الشَّيء، ومثلُه: أطاعَ طاعةً، وأجابَ جابةً، وأغارَ غارةً[٣].

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ﴾ قتادةُ في جماعةٍ: أنَّهم وطَّنوا أنفسَهم على الموت، وأنَّهم لا ينجون[٤].

وقيل: ﴿يَظُنُّونَ﴾: يرجون، والظَّنُّ: يقع موقعَ الرَّجاء[٥].

وقيل: ﴿يَظُنُّونَ﴾: يعلمون ويتيقَّنون، وقد سبق[٦].

---

(١) انظر: «النكت والعيون» للماوردي (١/ ٣١٧).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٢٣)، واستغربه.

(٣) قال ابن عادل الحنبلي في «اللباب» (٤/ ٥٤٠): «الطاقة: وهي في الأصل مصدرٌ، جاءت على حذف الزوائد، وكان من حقِّها (إطاقة)؛ لأنها من (أطاق)، ولكن شذَّت كما شذَّت أُلْفاظٌ؛ نحو: أَغارَ غارةً، وأجاب جابةً.

(٤) لم أقف على هذا الكلام عن قتادة، وقد روى ابن أبي حاتم في تفسيره عن سعيد قال: «الذين شروا أنفسهم لله، ووطنوها على الموت»، ثم قال عقب ذلك: «وروي عن مجاهد والسدي والربيع بن أنس وقتادة نحو ما روينا عن أبي العالية»، والمروي عن أبي العالية أن الظن بمعنى اليقين، والله أعلم. انظر: «تفسير ابن أبي حاتم» (١/ ١٠٣)، و«تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٢/ ٢٢٨).

(٥) انظر: «معجم الفروق اللغوية» (ص: ٢٤٨).

(٦) في تفسير قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ﴾.

﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً﴾ شجَّعُوا أنفسَهم ومَن جبنَ عن اللِّقاء طبعًا.

والفئةُ: القطعةُ من النّاس، من (فأَوْتُ رأسَه بالسَّيف)؛ قطعته، و(فأَيْتُ) أيضًا، ويُجمَعُ (فِئاتٍ) و(فِئين)[1].

﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ الحسنُ: بنصرِ الله[2].

وقيل: بتغليبِ الله.

وقيل: بأمرِه[3]؛ لأنَّه أمرَهم به.

﴿وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ بالنَّصرِ والثَّوابِ والإظفار.

يجوزُ أن يكونَ من تمامِ كلامِهم، ويجوزُ أن يكونَ استئنافًا.

قال القفّال: وقد قيل: إنَّ كلَّ جنودِ طالوتَ كانوا مؤمنين إلَّا أنَّ الذين شربوا منه عصَوا ولم يكفروا[4].

* * *

(٢٥٠) - ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾.

﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾: خرجوا للمبارزة، والبُروزُ: الظُّهور، والبَرازُ: الصَّحراء.

---

(١) في النسخ الخطيّة: «فائن»، وهذا من اختلاف الإملاء. انظر: «العين» (٨/ ٤٠٧)، و«الصحاح» للجوهري (٦/ ٢٤٥١)، و«القاموس المحيط» للفيروزآبادي (١٣٢٠) مادة: (ف ي أ).

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٣١٨)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٢٢٦).

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٤٧٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) روي عن الكلبي ما يشير إلى هذا. انظر: «تفسير القرآن العزيز» لابن أبي زمنين (١/ ٢٤٧).

﴿قَالُواْ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا﴾: اصبُبْ علينا، والإفراغُ: صبُّ الماءِ الكثيرِ دفعةً، والفَرْغُ: مصبُّ الماءِ من الدَّلو؛ أي: ألقِ في قلوبِنا الجرأةَ، وفي قلوبِهم الفَزَعَ.

﴿صَبۡرٗا﴾ وهو حبسُ النَّفسِ للقتال.

﴿وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا﴾: شجِّعْ قلوبَنا وقَوِّنا[1]؛ حتى لا نفارقَ مواطنَ القتالِ منهزمين.

﴿وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾: أعنّا عليهم بالإظفارِ بهم.

* * *

(٢٥١) ـ ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّفَسَدَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾.

﴿فَهَزَمُوهُم﴾؛ أي: فأجابَ الله دعاءَهم وحقَّقَ ظنونهم، فهزم طالوتُ والمؤمنون جالوتَ وجنودَه؛ أي: كسروهم.

وهَزْمُ الشَّيء: كسرُه وثنيُ بعضِه على بعض.

﴿بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾ فإنَّ القتال كان بإذن الله وأمره.

وقيل: بإذن الله بالطّاعة.

﴿وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ﴾ وكان في جنودِ طالوتَ، وذُكِرَ في القصصِ أنَّ النَّبيَّ عليه السَّلام دفعَ إلى طالوتَ درعًا، فقال: مَن لبسَها ولم تفضل عنه ولم تنقص فهو قاتلُ جالوتَ، فجرَّب بها جميع عسكره، فلم تساوِ أحدًا منهم إلّا داود[2].

---

(١) في (ن): «وقوها».

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (١/ ٢٠٧)، وروى نحوه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٥١٣) عن ابن جريج.

وذُكِرَ فيها أيضًا: أنَّ داودَ مرَّ بحجرٍ فناداه بأنَّه الذي قَتلَ به موسى عدوَّه، وناداه آخر بأنَّه الذي قَتلَ به هارونُ عدوَّه فأخذَهما، وناداه آخر بأنَّه الذي يقتلُ به داودُ جالوتَ فأخذه، فتلاصقت الأحجارُ الثَّلاثةُ فصارت حجرًا واحدًا، فرمى به جالوتَ فقتله(١).

﴿وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾: النُّبوّةَ، فجمعَ الله له بين النُّبوّة والمملكة.

القفّال: آتاه الله ملكَ طالوتَ ونبوّةَ النَّبيِّ الذي كان مبعوثًا فيهم(٢).

﴿وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ﴾ قيل: ما يشاءُ داودُ من صنعةِ الحديدِ وغيرِه.

وقيل: ممّا يشاءُ الله أن يعلِّمَ أنبياءَه.

﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ الزَّجّاج: يدفعُ الكافرين بالمسلمين حتى لا يكثرَ الكفرُ، فتنزلَ السَّخطةُ، ويُستأصَلَ أهلُ الأرض(٣).

الحسن: يَزَعُ بالسُّلطانِ ـ وإن كان فاسقًا(٤) ـ أهلَ الفساد(٥).

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (١/ ٢٠٧)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٥١٢) عن ابن جريج.

(٢) ورواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٥١٤) عن السدي بلفظ: «ملك داود بعدما قتل طالوت، وجعله الله نبيًّا، وذلك قوله: ﴿وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾، قال: الحكمة: هي النبوة، آتاه نبوة شمعون، وملك طالوت».

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٣٣٣)، وفيه: «أي: لولا ما أمر الله به المسلمين من حرب الكافرين لفسدت الأرض. وقيل أيضًا: لولا دفع الله الكافرين بالمسلمين لكثر الكفر فنزلت بالناس السخطة واستؤصل أهل الأرض».

(٤) في (و): «كافرًا».

(٥) ذكر نحوه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٥٧٩ ـ ٥٨٠)، ولفظه: «ومنه كفه ببعضهم التظالم، كالسلطان الذي كف به رعيته عن التظالم بينهم».

وقيل: ولولا دفعُ الله بداودَ عن طالوتَ والمؤمنين لغلبَتِ العمالقةُ على بني إسرائيل، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾.

* * *

(٢٥٢) ـ ﴿ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ بِٱلۡحَقِّۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾.

﴿ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ﴾: القرآنُ.

وقيل: آياتُ الله التي تقدَّمَت من قولِه: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ ﴾ [البقرة: ٢٤٣]... ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلۡمَلَإِ ﴾ [البقرة: ٢٤٦] الآيات.

﴿نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ ﴾: نُنزِّلها عليك ﴿بِٱلۡحَقِّ﴾: بالصِّدق، لا كذبَ فيه، ولا تحريفَ، ولا من كلامِ الكَهنة، ولا من تنزيلِ الشَّيطان.

﴿وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾: الذين أقرَّ بهم أهلُ الكتاب.

* * *

(٢٥٣) ـ ﴿تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۘ مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ وَرَفَعَ بَعۡضَهُمۡ دَرَجَٰتٖۚ وَءَاتَيۡنَا عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدۡنَٰهُ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِۗ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقۡتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخۡتَلَفُواْ فَمِنۡهُم مَّنۡ ءَامَنَ وَمِنۡهُم مَّن كَفَرَۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقۡتَتَلُواْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾.

﴿تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ ﴾؛ أي: الرُّسلُ الذين تقدَّمَ ذكرُهم.

﴿فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ﴾؛ أي: جعلنا رتبةَ بعضهم(١) فوقَ رتبةِ بعضٍ، ثم صرَّحَ، فقال: ﴿مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾ أي: كلَّمه؛ وهو موسى عليه السَّلام.

---

(١) في (و): «بعض».

﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾ يعني: محمَّدًا عليه السَّلام، بأن أرسلَه إلى الخلقِ كافّةً، وأُوتِيَ المعجزاتِ الكبيرة التي لم يُؤتها غيرُه، وجعلَه خاتمَ الأنبياء.

وقيل: هو إبراهيمُ عليه السَّلام؛ اتَّخذه خليلًا.

وقيل: إدريسُ رُفعَ إلى السَّماء.

﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾؛ أي: التي بانَت بها نبوَّتُه.

والبيِّنةُ: ما تُوضِّحُ صدقَ المدَّعي.

﴿وَأَيَّدْنَٰهُ﴾: قوَّيناه ﴿بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ سبق تفسيره.

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾؛ أي: ثم اقتتل مَن بعدَهم.

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟﴾ الزَّجّاج: لو شاء أن لا يأمرَ بالقتال بعد وضوحِ الحقِّ، وقيل: ولو شاء أن يضطرَّهم إلى الإيمانِ لفعل(١).

﴿وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟﴾ بالكفر والإيمان، وهو قوله: ﴿فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟﴾ التكرارُ للتأكيد.

وقيل: أراد بالأوَّل: الجماعة، وبالثّاني: المؤمنين(٢).

وقيل: كرَّرَ تكذيبًا لمَن زعمَ أنَّ ذلك لم يكن بمشيئة الله تعالى(٣).

﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ من التَّوفيقِ والخذلان.

* * *

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٣٣٥).

(٢) ذكره المصنِّف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٢٤)، واستغربه.

(٣) انظر: «البرهان» للمصنِّف (ص: ٨٧).

(٢٥٤) ـ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم ﴾ يريد: الزَّكاةَ وسائرَ الواجبات.

﴿مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ﴾ يعني: يومَ القيامة.

﴿لَّا بَيۡعٞ فِيهِ﴾؛ أي: ليسَ فيه معاوضةٌ.

﴿وَلَا خُلَّةٞ﴾؛ أي: لا صداقةٌ تنفعُ.

أبو عبيدة: لا خليلٌ[1].

﴿وَلَا شَفَٰعَةٞ﴾ يريد: الكافرينَ دون المؤمنين.

﴿وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ الزَّجّاج: هم الذين وضعوا أمرَ اللهِ غيرَ موضعه[2].

ويُحتمَلُ: والكافرون بهذا اليومِ هم الظّالمون.

* * *

(٢٥٥) ـ ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴾.

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾؛ أي: لا معبودَ للخلقِ إلّا هو.

﴿ٱلۡحَيُّ﴾: الدَّائمُ البقاء، وقيل: ﴿ٱلۡحَيُّ﴾: الذي يصحُّ منه الإدراكُ.

---

(١) انظر: «مجاز القرآن» (ص: ٧٨)، وعبارته: «﴿خُلَّةٞ﴾: مصدر الخليل، وتقول: فلان خلَّتي؛ أي: خليلي».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٣٣٦)، وقال فيه: «وهذا أصل الظلم في اللغة».

﴿ٱلْقَيُّومُ﴾ أبو عبيدة: القائمُ الدّائمُ الذي لا يَزولُ[١].

الزّجّاج: ﴿ٱلْقَيُّومُ﴾: القائمُ بأمر الخلق[٢].

وقيل: العالمُ بالأشياء، كما تقول: هو يقومُ بهذا الكتاب؛ أي: هو[٣] عالمٌ به، وزنه: (فيعول) مِن (قام)[٤].

﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ﴾ السِّنةُ: ابتداءُ النَّوم، وهو أن يدخلَ في العينِ ولَمّا يدخلْ في القلب.

الزّجّاج: السِّنةُ: النُّعاسُ[٥].

﴿وَلَا نَوْمٌ﴾: هو غفلةُ العينِ والقلب، والمعنى: لا يغفلُ عن دقيقٍ ولا جليلٍ.

ابن جريرٍ: لا تحلُّه الآفاتُ والعاهاتُ المذهلةُ عن حفظِ المخلوقات[٦].

---

(١) انظر: «مجاز القرآن» (١/ ٧٨).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٣٣٦).

(٣) في (و): «وهو» بدل «أي هو».

(٤) انظر: «الأسماء والصفات» للبيهقي (١/ ١٣١).

(٥) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٣٣٧).

(٦) انظر: «تفسير الطبري» (٤/ ٥٣٢ ـ ٥٣٣)، ولفظه: «لا تحله الآفات ولا تناله العاهات، وذلك أن السنة والنوم معنيان يغمران فهمَ ذي الفهم، ويزيلان مَن أصاباه عن الحال التي كان عليها قبل أن يصيباه. فتأويل الكلام إذ كان الأمر على ما وصفنا: الله لا إله إلا هو الحي الذي لا يموت، القيوم على كل ما هو دونه بالرزق والكلاءة والتدبير والتصريف من حال إلى حال، لا تأخذه سنة ولا نوم، لا يغيره ما يغير غيره، ولا يزيله عما لم يزل عليه تنقل الأحوال وتصريف الليالي والأيام، بل هو الدائم على حال، والقيوم على جميع الأنام، لو نام كان مغلوباً مقهورًا؛ لأن النوم غالب النائم قاهره، ولو وسن لكانت السماوات والأرض وما فيهما دكّاً؛ لأن قيام جميع ذلك بتدبيره وقدرته، والنومُ شاغلُ المدبِّرِ عن التدبير، والنعاس مانع المقدِّر عن التقدير».

وبدأ بالسِّنةِ بموجب الارتقاءِ من القليلِ إلى الكثير[١].

﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ ملكًا ليسَ لأحدٍ معه شِركةٌ، ولا لغيرِه فيه سلطانٌ.

﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾؛ أي: لا يشفعُ أحدٌ إلّا بعدَ[٢] أن يأذنَ اللهُ له فيه؛ لأنَّ الأنبياءَ والأولياءَ والملائكةَ لا يسألون اللهَ إلَّا ما يعلمونَ أنَّه فاعلُه، وهم لا يعلمونَ مَن الذي يجوز أن يُشفَع فيه، ومثله: ﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ﴾ [يونس: ٣].

وقيل: ﴿بِإِذْنِهِۦ﴾: بإباحتِه له[٣].

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾: ما مضى ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾: ما سيكونُ.

وقيل: ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾: ما سيكون، ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾: ما مضى.

وقيل: ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾: من السَّماءِ إلى الأرضِ، ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾: ما في السَّماواتِ.

﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ﴾: ولا يشتملُ عليهم.

والإحاطةُ: الاشتمالُ على الشَّيءِ من جميعِ جِهاته، ومنها (الحائطُ).

والهاء في ﴿عِلْمِهِۦٓ﴾: تعود إلى (ما) في قوله: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾[٤].

وقيل: تعود إلى (الله).

﴿إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ ابن عبّاسٍ: إلّا ما[٥] أطلعَهم عليه[٦].

---

(١) ذكره المصنِّف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٢٥).

(٢) «بعد» من (ن).

(٣) في (ن): «بإباحة ذلك».

(٤) ذكره المصنِّف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٢٥)، واستغربه.

(٥) في (و): «من».

(٦) ذكره الواحدي في «البسيط» (٤/ ٣٥١)، وروى نحوه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٧٥٧) =

والمرادُ بـ﴿عِلْمِهِۦٓ﴾: معلوماتُه؛ بدليل دخول (مِنْ)؛ لأنَّ علمَه ـ سبحانه ـ لا يتبعَّض.

﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ في التَّفسير: الكرسيُّ: السَّريرُ، وهو أصغرُ من العرش، يسعُ السَّماواتِ والأرضين[1].

عطاءٌ: ما السَّماواتُ والأرضين[2] في الكرسيِّ إلّا كحلقةٍ في فَلاةٍ[3].

والكرسيُّ والكرّاسةُ في اللُّغة: ما ثبَتَ وتلبَّدَ بعضُه على بعض.

ابن عبّاسٍ: ﴿كُرْسِيُّهُ﴾: علمُه[4].

ومنه يُقالُ للكتاب: كرّاسةٌ، وللعالمِ: كرسيٌّ[5]، وجمعُه: كراسِيّ، قال:

= عن ابن عباس وابن مسعود وناس من أصحاب النبي ﷺ ولفظه: «أن النبي ﷺ تلا: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] إلى قوله: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] أما قوله: ﴿ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] هو القائم، وأما ﴿سِنَةٌ﴾ [البقرة: ٩٦] فهو ريح النوم التي تأخذ في الوجه فينعس الإنسان، وأما ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ فالدنيا، وأما ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ فالآخرة، وأما ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ يقول: لا يعلمون شيئاً من علمه إلا بما شاء، هو يعلمهم...».

(١) في (و): «والأرض».

(٢) في (و): «والأرض».

(٣) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٢٣٠) قولاً لابن عباس رضي الله عنهما في رواية عطاء. ورواه في أبو الشيخ في «العظمة» (٢/ ٦٣٢)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٨٦٣) عن مجاهد. وروي مرفوعًا؛ رواه ابن حبان في «صحيحه» (٣٦١) في حديث طويل عن أبي ذر رضي الله عنه، وروى أوله الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٦٥٢) وسكت عنه، وقال الذهبي: «السعدي ليس بثقة». وانظر: «التلخيص الحبير» (٢/ ٥٥).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٥٣٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٤٩٠ ـ ٤٩١)، و اللالكائي في «الاعتقاد» (٦٧٩)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٢٣٣).

(٥) في (و): «كراسة».

يَحُـفُّ بهـم بِيْـضُ الوُجُـوهِ وَعُصْبـةٌ كَراسِـيٌّ بالأحـداثِ حيـنَ تَنـوبُ[١]

الحسن: ﴿كُرۡسِيُّهُ﴾: عرشُه[٢].

وقيل: ﴿كُرۡسِيُّهُ﴾: ملكُه، وقيل: قدرتُه.

﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَا﴾ الجمهور: لا يُثقِلُه.

ابن عيسى: (آدَ): أثقلَ حتى أمالَ[٣].

والهاءُ تعودُ إلى الله تعالى.

وقيل: تعودُ إلى الكرسيِّ؛ فيمن جعلَه العلمَ[٤].

﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ﴾ بالقدرة.

وقيل: ﴿ٱلۡعَلِيُّ﴾: عن الأشباهِ والأندادِ؛ أي: تعالى عنها.

﴿ٱلۡعَظِيمُ﴾: عظيمُ الشَّأن.

---

(١) البيت بلا نسبة في «تفسير الطبري» (٤/ ٥٤٠)، و«تفسير الثعلبي» (٧/ ١٠٣)، و«البسيط» للواحدي (٤/ ٣٥٦)، و«أساس البلاغة» للزمخشري (٢/ ١٣٠) مادة: (ك ر س).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٥٣٩)، وذكره النحاس في «معاني القرآن» (١/ ٢٦٥)، والثعلبي في «تفسيره» (٧/ ١١٢)، قال القرطبي في «تفسيره» (٣/ ٢٧٨): «وهذا ليس بمرضي، والذي تقتضيه الأحاديث أن الكرسي مخلوق بين يدي العرش، والعرش أعظم منه». وقال ابن كثير في «البداية والنهاية» (١/ ١٣): «رواه ابن جرير من طريق جويبر، وهو ضعيف... وهذا لا يصح عن الحسن، بل الصحيح عنه وعن غيره من الصحابة والتابعين أنه غيره»، وقد ذكره المصنِّف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٢٥)، واستغربه.

(٣) لم أقف على مَن نسبه لابن عيسى، وقد ذكر ابن القطاع في «الأفعال» (١/ ٦١) أنَّ (آد) يأتي بمعنى أثقل، وبمعنى مال.

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٢٥)، واستغربه.

(٢٥٦) ـ ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾ عن ابن عبّاسٍ قال: كانت المرأةُ من نساء الأنصار تكونُ مِقلاةً، فتجعلُ على نفسِها إنْ عاش لها ولدٌ أنْ تهوِّدَه، فلمّا أُجلِيَتِ النَّضيرُ كان فيهم من أبناءِ الأنصار، فقالوا: لا نَدَعُ أبناءنا، فأنزل اللهُ هذه الآية(١): ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾(٢).

مجاهدٌ: نزلت في رجلٍ من الأنصار كان له غلامٌ يُقالُ له: صُبيحٌ، وكان يكرهُه على الإسلام(٣).

السُّدِّيُّ: نزلت في رجلٍ من الأنصار يُكنى: أبا الحُصين، وكان له ابنان تنصَّرا وخرجا مع التُّجَّارِ إلى الشّام، فأخبر أبو الحصينِ رسولَ الله ﷺ بذلك(٤)، فقال له: اطلبْهُما. فأنزل الله: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾، فقال عليه السَّلام: «أبعدَهما اللهُ، هما أوَّلُ مَن كفرَ»، وهذا قبلَ أنْ أُمِرَ بالقتالِ، نُسِخَتْ بآيةِ السَّيف(٥).

الحسن وقتادة والضَّحّاك: هي في أهلِ الكتابِ الذين تُؤخَذُ منهم الجزية(٦).

---

(١) «هذه الآية» من (ن).

(٢) رواه أبو داود (٢٦٨٢)، وقال: «المقلاة: التي لا يعيش لها ولد».

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ١١٤)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٨٤)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٢٣١).

(٤) «بذلك» من (ن).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٥٤٨ ـ ٥٤٩)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ١١٥)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٨٤).

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٥٥١) عن قتادة والضحاك، ورواه سعيد بن منصور في «سننه ـ التفسير» (٣/ ٩٦١) عن الحسن، ولفظه: «لا يكره أهل الكتاب على الإسلام».

وقيل: معناه: لا تقولوا لمن دخلَ في الدِّين بعد الحرب: مُكرَهٌ؛ لأنَّه إذا رضيَ وصحَّ إسلامُه فليس بمكرَهٍ.

وقيل: لـمّا وضعَ اللهُ القتلَ عن أهل الكتاب بالجزية زالَ الإكراهُ على الدِّين؛ إذ يجدون محيدًا بالمصيرِ ذمّةً.

وقيل: لأنَّ الإكراهَ في حقيقةِ الدِّينِ غيرُ متصوَّر؛ لأنَّه من عملِ القلب.

﴿قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ﴾: الإيمانُ ﴿مِنَ ٱلۡغَيِّ﴾: الكفر.

والرُّشدُ: سلوكُ طريقِ الصَّواب، والغيُّ: سلوكُ طريقِ الهلاك.

والمعنى: ظهرَ بكثرةِ الحُججِ والآياتِ الدّالة.

﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ﴾ عمر ومجاهدٌ وقتادة رضي الله عنهم: الشَّيطان[1].

ابن جُبير: الكاهن[2].

أبو العالية: السّاحر[3].

وقيل: الأصنام.

وقيل: مَرَدَة الإنسِ والجنِّ.

واشتقاقُه من (الطُّغيان)؛ وهو مجاوزةُ الحدِّ، ووزنُه: فَلَعُوت[4].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٥٥٦ ـ ٥٥٧)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٧٤٧، ٧٩٣)، وذكره البخاري بعد حديث (٤٥٨٣) تعليقًا عن عمر رضي الله عنه.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٥٥٧)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٧٤٨).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٥٥٧).

(٤) في هامش (و): «أي: الشياطين، وكلُّ ما يُعبد دون الله يسمَّى طاغوتًا، ويستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث، وهو مصدر، وأصله: طغيوت؛ على فعلوت، كالرغبوت والرهبوت، من طغى يطغى، وهو يعني الطغيان، إلا أنه مقلوبٌ؛ لأن الياء قُدِّمت على الغين، فأبدلت ألفًا، فصار طاغوت، =

﴿وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ﴾؛ أي: تمسَّكَ.

﴿بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ مجاهدٌ: هي[1] الإيمانُ بالله[2].

واستُعيرَ لفظُ العُروة؛ لأنَّ الشَّيءَ يُؤخَذُ بها أحْكَمَ الأخْذِ.

و﴿ٱلْوُثْقَىٰ﴾: تأنيث الأوثق؛ وهو الأشدُّ، مأخوذٌ من (الوثاقة)؛ وهي الصَّلابة.

﴿لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾: لا انقطاعَ لها دونَ رضى اللهِ ودخولِه الجنّة.

﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لدعائكَ إيّاهم ﴿عَلِيمٌ﴾ بضمائرِهم.

* * *

(٢٥٧) ـ ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾: نَصيرُهم ومُعينُهم.

﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾: ظلماتِ الكفرِ والضَّلالة، والكفرُ كالظُّلمةِ يمنعُ إدراكَ الحقِّ.

﴿إِلَى ٱلنُّورِ﴾: نور الإسلام.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ﴾: الإسلامِ، وجمعَ[3] لأنَّ (الطّاغوتَ) اسمُ الجنس.

= من تعسر حل العقد».

(١) «هي» من (ن).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٥٦٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٤٩٦).

(٣) فقال: الطاغوت يخرجونهم، ولم يقل: يخرجهم؛ لأنَّ (الطّاغوتَ) اسمُ الجنس، فيصدق على الكثير والقليل، وهذا مذهب سيبويه، واختيار المصنِّف، ومذهب أبي عليٍّ أنه مصدر، كما ذكر في حاشية (و). انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (١/ ٣٤٤).

﴿إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾: ظلماتِ الكفر.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ مجاهدٌ: نزلَت في قومٍ ارتدُّوا[1].

وإنَّما قال: ﴿يُخْرِجُهُم﴾ ولم يكونوا داخلين فيها؛ لأنَّه لو لم يعمل سبحانه ما عملَ لدخلوا فيها[2].

***

(٢٥٨) - ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾: هو نمروذُ بنُ كنعان.

مجاهدٌ وقتادة: هو أوَّلُ مَن تجبَّر وادَّعى الإلهيّة[3].

﴿حَآجَّ﴾: أظهرَ المغالبةَ[4] لإبراهيمَ عليه السَّلام.

تقول: حاجَجْتُه في كذا؛ أي: غالبتَه في إيرادِ الحُجّة، فحَجَجْتُه؛ فغلبتَه.

﴿فِى رَبِّهِۦٓ﴾: في إثباتِه وتصحيحِ رُبوبيَّتِه.

---

(١) روى الطبري في «تفسيره» (٤/ ٥٦٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٤٩٧) عن مجاهد أو مقسم في الآية قال: «كان قوم آمنوا بعيسى، وقوم كفروا به، فلما بعث الله محمدًا ﷺ آمن به الذين كفروا بعيسى، وكفر به الذين آمنوا بعيسى؛ أي: يخرج الذين آمنوا إلى الإيمان بمحمد ﷺ». وروى نحوه الطبراني في «المعجم الكبير» (١١١١٤) من طريق مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) أي: لولا عصمته لدخلوا فيه. ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٢٥).

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٢٦)، والطبري في «تفسيره» (٤/ ٥٦٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٤٩٨) عن قتادة.

(٤) في (و): «وأظهر المجادلة» بدل «حاج أظهر المغالبة».

والهاءُ تعود إلى (إبراهيم)، ويُحتمَل أن تعود إلى الكافر.

﴿أَنْ ءَاتَـٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ﴾ القفّال: الهاءُ تُحمَلُ على وجهين(١):

أحدهما: أن تعودَ إلى (إبراهيمَ)، والملكُ النبوَّةُ، كقولِه: ﴿فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَـٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٥٤]؛ أي: سلطانًا بالنُّبوّة؛ أي: من أجْل أن آتاه اللهُ النُّبوَّةَ حاجَّهُ الكافر.

والثّاني: إلى الكافر، ويكون المعنى: بسببِ أن آتاه الله الملكَ طغى(٢).

﴿إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾: هذا جوابٌ، كأنَّه قالَ له: من ربُّك؟ قال: ﴿رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾.

﴿قَالَ﴾ الكافر: ﴿أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ﴾: مَوَّهَ على الضَّعفةِ، فأحضرَ ـ على ما قالَه المفسِّرون ـ رجلين، فقتلَ أحدَهما واستبقى الآخر، وجعل ذلك إحياءً، كقوله: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢]، وكذلك ﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾.

وقيل: ﴿أُحْىِۦ﴾: بالمباشرةِ وإلقاءِ النُّطفة، و﴿وَأُمِيتُ﴾: بالقتلِ والسَّخطة(٣).

فصارَ الكافرُ بهذا مُنْقطعًا عند الخاصّةِ ممَّن شهدَ ذلك المَحْفِلَ، ثم زادَه إبراهيمُ ما لم يتهيَّأ(٤) له فيه التَّلبيسُ على الضَّعفةِ والتَّمويهُ، وهو قولُه:

---

(١) في (ن): «تحتمل وجهين».

(٢) نسب الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٣٢٩) الأول لأبي حذيفة، والثاني للحسن، وذكر القولين الزجاج في «معاني القرآن» (١/ ٣٤١) بلا نسبة، وأطال الرازي في «التفسير الكبير» (٧/ ٢١) بالاستدلال عليهما، وذكر أن قول جمهور المفسرين أن الهاء تعود إلى النمروذ، وقد اختار المصنف جواز الوجهين في «غرائب التفسير» (١/ ٢٢٦).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٢٦)، واستغربه.

(٤) في (ن): «لا يتهيأ».

﴿قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِي بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ﴾، فانقطعَ الكافرُ في هذا عند سائرِ طبقاتِ شاهدي المَحْفِل.

قوله: ﴿فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ﴾: انقطعَ وصارَ مبهوتًا محجوجًا؛ فيُحتمَلُ: فبُهِتَ بالحجَّتين، ويُحتمَلُ: فبُهِتَ بالثّانية، ولا يكونُ انتقالًا من دليلٍ إلى دليل، بل هو ذِكرُ دليلٍ بعد دليل[1].

قال جمهورُ المفسِّرين: وإنما لم يقل نمروذ: فليأتِ ربُّك بالشَّمس من المغرب؛ لأنَّ الله صرفَه عنه.

والآيةُ تحتملُ تأويلًا آخرَ حسنًا، وذلك أنَّ نمروذ كان يدَّعي الرُّبوبيّة ـ على ما رواه مجاهدٌ وقتادة والرَّبيع وابن زيد وغيرهم[2] ـ فلمّا قال له إبراهيم عليه السَّلام: ﴿رَبِّيَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ﴾؛ أي: الذي يفعل ذلك أنا، لا مَن نسبْتَ إليه، والإحياءُ والإماتةُ بيدي، فلمّا سمع إبراهيمُ افتراءَه العظيمَ وادِّعاءَه الباطلَ تمويهًا وتلبيسًا اقترحَ عليه فقال: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِي بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ﴾، فعلِمَ الكافرُ عجزَه عن إتيانه بالشَّمس من المغرب، فأُفحِم عليه، وبانَ عجزُه للكافّة، وظهرَ كذبُه، ولم يقلْ: قُلْ لربِّكَ أن يفعلَ ذلك؛ لأنَّه لم يكن يسلِّمُ الرُّبوبيّةَ لغيرِه، والله أعلم[3].

والبَهْتُ: الحيرةُ عندَ استيلاءِ الحُجّة، والبَهْتُ أيضًا: مواجهةُ الرَّجلِ بالكَذبِ عليه.

---

(١) «بل هو ذكر دليل بعد دليل» من (ن).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٥٧١ ـ ٥٧٥) عن قتادة ومجاهد وابن زيد والربيع، لكنَّ التَّصريحَ بادعاء الربوبية جاء فقط في رواية ابن زيد، ففيها: «كان بالموصل والناس يأتونه، فإذا دخلوا عليه قال: من ربكم؟ فيقولون: أنت، فيقول: ميروهم».

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٢٦)، وعدَّه من العجيب، واستحسنه.

﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ عقوبةً لهم، وقيل: لا يرشدُهم إلى الحجّة.

* * *

(٢٥٩) - ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ﴾: ﴿أَوْ﴾: للتَّخييرِ كما سبق، والكاف: محمولٌ على المعنى عند النُّحاة، وتقديره: أرأيت كالذي حاجَّ إبراهيم، أو كالذي مرَّ على قريةٍ(١).

واستدلَّ الفرّاءُ بقوله: ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ في جواب ﴿قُلْ مَن﴾(٢).

---

(١) انظر: «الحلبيات» لأبي علي الفارسي (ص: ١٥٢)، و«الخصائص» لابن جني (٢/ ٤٢٥)، و«سر صناعة الإعراب» لابن جني أيضاً (١/ ٣٠٥)، و«الكشاف» للزمخشري (١/ ٣٠٦).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ١٧٠)، وفيه: «وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ﴾ وإدخال العرب (إلى) في هذا الموضع على جهة التعجب كما تقول للرجل: أما ترى إلى هذا! والمعنى والله أعلم: هل رأيت مثل هذا أو رأيت هكذا! والدليل على ذلك أنه قال: أو كالذي مر على قرية فكأنه قال: هل رأيت كمثل الذي حاج إبراهيم في ربه أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها، وهذا في جهته بمنزلة ما أخبرتك به في (ما لك؟) و(ما منعك؟)، ومثله قول الله تبارك وتعالى: ﴿قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ... سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾، ثم قال تبارك وتعالى: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (٨٦) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ فجعل اللام جوابًا، وليست في أول الكلام. وذلك أنك إذا قلتَ: من صاحب هذه الدار؟ فقال لك القائل: هي لزيد، فقد أجابك بما تريد. فقوله: (زيدٌ) و(لزيدٍ) سواء في المعنى».

قال المبرِّدُ: هو محمولٌ على لفظ الاستفهام، تقديره: ألم تر إلى الذي حاجَّ؟ ألم تر مَن كالذي مرَّ[١]؟

وقيل: الكاف زائدة[٢].

قال صاحب النَّظم: هو عطفٌ على قوله: ﴿كَذَٰلِكَ يُحۡيِ ٱللَّهُ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ [البقرة: ٧٣][٣]، وقد سبق.

﴿أَوۡ كَٱلَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرۡيَةٖ﴾ قتادة: هو عُزَيرٌ النَّبيُّ عليه السَّلام[٤].

وهبٌ: إرْمِيا[٥].

وقيل: الخضر[٦].

وقيل: إرْمِيا هو الخضرُ عليهم السَّلام.

الحسن: كان عِلْجًا كافرًا مرَّ على قريةٍ، وكان على حمارِه، ومعه سلّةُ تينٍ[٧].

وقيل: تينٌ وعنبٌ وركوةُ عصيرٍ، وقيل: ماء.

---

(١) ذكره الرازي في «التفسير الكبير» (٧/ ٢٦)، والقرطبي في «تفسيره» (٣/ ٢٨٨).

(٢) في (ن): «زيادة»، وهذا القول منسوب للأخفش. انظر: «غرائب التفسير» للمصنف (١/ ٢٢٧)، و«التفسير الكبير» للرازي (٧/ ٢٦).

(٣) أي: كذلك أو كالذي مرَّ. ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٢٧).

(٤) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٢٩)، والطبري في «تفسيره» (٤/ ٥٧٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٥٠٠).

(٥) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٥٠٠)، والماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٣٣١).

(٦) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٢٧)، واستغربه.

(٧) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٢٧)، وذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٢/ ٦٣٢)، وذكر ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٥٠٠) عن الحسن أنه عزير.

واختلفوا في القرية؛ قال قتادةُ والرَّبيعُ ووهبٌ: هي بيتُ المقدس لَمّا خرَّبَه بختنصَّر[١].

ابن زيد: هي القريةُ التي خرجَ منها الألوف[٢].

الكلبيُّ: دير سابِراباذ[٣].

السُّدِّيُّ: سَلْماباذ[٤].

وقيل: دير هِزْقِل[٥].

وقيل: قريةٌ على فرسخينِ من بيتِ المقدس.

﴿وَهِىَ خَاوِيَةٌ﴾ قيل: خاليةٌ، وأصلُ الخواءِ[٦]: الخلاءُ.

وقيل: متهدِّمةٌ؛ لأنْ بتهدُّمِها تخلو من أهلها.

﴿عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾: أبنيتِها وسقوفِها، من قولِه: ﴿وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٧]؛ أي: يبنون.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٥٨٢ ـ ٥٨٣)، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٥٠٠) عن قتادة.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٥٨٤).

(٣) في (ن): «سابراباذا». ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ١٥١). ويكثر مجيء (اباذ) في أسماء البلدان، وهو اسم العمارة بالفارسية. انظر: «معجم البلدان» (١/ ٣٨)، وفيه أيضًا (٣/ ١٦٧): «سابُراباذ:كأنَّه مخفَّف من (سابور) مضاف إلى (اباذ) على عادتهم: بلد».

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ١٥١).

(٥) في النسخ الخطيّة: «هرقل» وكذا في بعض المصادر، والمثبت من «معجم البلدان» (٢/ ٥٤٠)، وفيه: «دير هِزْقِل: بكسر أوله، وزاي معجمة ساكنة، وقاف مكسورة، وأصله حزقيل، ثم نقل إلى هزقل، ويقال: إنه المراد بقوله تعالى: ﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ﴾».

(٦) في (و): «الخوات».

وقيل: على عروشِ كَرْمِها[١].

وقيـل: ﴿عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾؛ أي: علـى سُـرُرِها[٢]، والمعنـى: سـقطَت أعاليها، ثم سـقطَت عليها الجـدُ والحيطانُ.

وقيل: سقطَت أعاليها[٣] على سُرُرِها[٤].

وقيل: على عروشِ الكرومِ فيها.

وقيل: معنى ﴿خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾؛ أي: خاليةٌ باقيةٌ على حالِها، فيكونُ ﴿عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ خبرًا بعد خبرٍ.

وقيل: ﴿عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ بدلٌ من ﴿عَلَىٰ قَرْيَةٍ﴾.

﴿قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ﴾؛ أي: أهـلَ هـذهِ ﴿ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ أي: كيـف؟ ومـن أيـن يُحيـي؟ أرادَ أن يعلَـمَ كيفيّـةَ إحيـاءِ الأمـواتِ؛ ليـزدادَ بصيرةً.

وعلى قولِ الحسنِ قال إنكارًا للبعثِ واستبعادًا.

﴿فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ﴾ العامُ: الحَولُ يأتي[٥] على الفصولِ الأربعة، مشتقٌّ من (العَوْم)؛ وهو جريٌ في اتِّساعٍ.

﴿ثُمَّ بَعَثَهُۥ﴾: أحياه.

﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتَ﴾: سؤالٌ عن عددِ الأيّامِ واللّيالي؛ أي: نُودِيَ من السَّماء.

---

(١) في (ن): «كرومها».

(٢) في (ن): «سرورها».

(٣) «ثم سقطت عليها الجدد والحيطان وقيل سقطت أعاليها» من (ن).

(٤) في (ن): «سرورها».

(٥) في (و): «أي».

قال القفّال: كان في ذلك الزَّمانِ نبيٌّ لا محالةَ، وهو الذي خاطبَه به.

وقيل: خاطبَه مَن هو أكبرُ سنًّا منه(١).

﴿قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا﴾ لأنَّ اللهَ أماتَه أوَّلَ النَّهار، وأحياه بعدَ مئةِ عامٍ آخرَ نهارٍ قبلَ غيبوبةِ الشَّمس، فقال: لبثت يومًا، وهو يرى أنَّ الشَّمس قد غابت، ثم التفت فرأى بقيّةً من الشَّمس، فقال: ﴿أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾.

وقيل: معناه يومًا أو يومًا وبعضَ يومٍ(٢).

﴿قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ﴾؛ أي: التِّينِ والعنبِ.

﴿وَشَرَابِكَ﴾؛ أي: العصيرِ والماء.

﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾: مَن أثبتَ الهاءَ(٣) جعلَه من (سَنِهَ الطَّعامُ)؛ إذا تغيَّرَ.

وقيل: لم تأتِ عليه السَّنةُ، فيمَن جعلَ أصلها (السَّنهةَ)، و(المسانهةُ) منها(٤).

ومَن حذفَ الهاءَ جعلَه من (السِّنةِ) فيمن قال: أصلُها (سَنوةٌ)(٥).

---

(١) ذكر الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٣٣٣) هذه الأقوال دون نسبة، فقال: «واختلفوا في القائل له: ﴿كَمْ لَبِثْتَ﴾ على ثلاثة أقاويل؛ أحدها: أنه ملك. والثاني: نبي. والثالث: أنه بعض المؤمنين المعمرين ممن شاهده عند موته وإحيائه».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٢٧)، واستغربه.

(٣) لم يختلف القُرّاء في إثباتها وقفًا، واختلفوا في إثباتها وصلاً؛ فحذفها حمزة والكسائي، وأثبتها باقي السبعة. انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٨٩)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٢).

(٤) ذكر هذا الوجه الفراء في «معاني القرآن» (١/ ١٧٢)، والمبرد في «المقتضب» (٢/ ٢٤١)، والمسانهة: المُعاملةُ سنةً بسنة. انظر: «العين» (٤/ ٨)، مادة: (س ن ه).

(٥) ذكر هذا الوجه المبرد في «المقتضب» (٢/ ٢٤١)، والمصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٢٨).

وقيل: هو من لفظِ (مسنون)، قُلِبَ لامُه ياءً[١]، كقولِه[٢]:

تَقَضِّيَ البازي[٣]............

﴿وَٱنظُرۡ إِلَىٰ حِمَارِكَ﴾ قيل: إنَّه كان حيًّا[٤].

وقيل: كان مَيْتًا؛ أي: انظر إلى حمارك لم يتغيَّر، كما لم يتغيَّر طعامُك وشرابُك، وذلك خارجٌ عن العادة.

وقيل: انظر إلى حمارك قد بَلِيَ، وتفرَّقَتْ أوصالُه وعظامُه.

﴿وَلِنَجۡعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ﴾ لأنَّه بُعِثَ شابًّا وبنو بَنيهِ شِيْبٌ.

والواوُ للعطف على مُضمَرٍ؛ أي: أحييناك لترى كيفيَّةَ الإحياءِ، ولنجعلَكَ آيةً.

وقيل: تقديره: ولنجعلَكَ آيةً أحييناك.

﴿وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ﴾: عظام حمارك فيمن جعلَه ميتًا، فإذا هو بعظامٍ باليةٍ بِيْضٍ، فاستوى عجبُ الذَّنبِ منَ الحمار، ثم الفخذانِ والسّاقان[٥]، ثم عظامُ

---

(١) ذكر هذا الوجه ابن سيده في «المخصص» (٤/ ١٩٣)، والمصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٢٨)، وعدَّه ضعيفاً.

(٢) في (ن): «كقولهم».

(٣) من رجز للعجاج، وتمامه:

دانَى جَناحَيْهِ مِنَ الطُّورِ فَمَرّ

تَقَضِّيَ البازي إذا البازي كَسَرْ

انظر: «ديوان العجاج» تحقيق: السطلي (١/ ٤٢)، و«مجاز القرآن» (٢/ ٣٠٠)، و«غريب الحديث» لأبي عبيد (١/ ٢٨٠)، و«إصلاح المنطق» (ص: ٢١٦)، و«أدب الكاتب» (ص: ٤٨٧).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٢٨)، واستغربه.

(٥) في (و): «والبنان».

الظَّهـرِ والجنبَيْـن، ثـم صار منـه الكتفان والعضـدان واليدان والفم والوجه واللِّسـان، ثم كُسِـي لحمًا.

وقيل: إلى عظام نفسك، وأوَّل ما خُلِقَ منه عيناه؛ لينظر إلى خَلْقِ سائرِ بدنِه[١].

والأحسنُ أن يُقال: عيناه وقلبه؛ لأنَّ العينَ حسُّها بالقلب[٢].

والقولُ الأوَّلُ أولى؛ لأنَّه بُعِثَ ثمَّ خُوطِبَ بقوله: ﴿كَمْ لَبِثْتَ﴾، وأجابَ بقوله: ﴿لَبِثْتَ﴾، وكيف يُخاطَب ويجيبُ وهو رميمٌ بعدُ!

﴿كيف نُنْشِرُها﴾: نُحييها، و﴿نُنشِزُهَا﴾ بالزّاي[٣]: نضمُّ بعضَها إلى بعضٍ.

﴿ثُمَّ نَكْسُوهَا﴾؛ أي: العظامَ ﴿لَحْمًا﴾؛ أي: لحمًا وجلدًا.

﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ﴾: ظهرَ له كلَّ الظُّهور.

﴿قَالَ أَعْلَمُ﴾ وأُوقِـنُ ﴿أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ﴾ مـن الإماتـةِ والإحيـاءِ وغيـره ﴿قَدِيرٌ﴾: لا يُعجزُه شيءٌ.

ومن قرأ: ﴿قالَ اعْلَمْ﴾[٤] فهو من كلام الملَكَ أو النَّبيِّ على ما سبق.

وقيل: خاطبَ نفسَه بذلك.

وجاء في القصصِ أنَّ عُزيرًا لَمّا أحياه الله ركبَ حماره فأتى أهلَه فأنكروه،

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٢٩)، وضعَّفه.

(٢) هذا القول تفريع على القول الضعيف.

(٣) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو بالراء، وباقي السبعة بالزاي. انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٨٩)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٢).

(٤) قرأ حمزة والكسائي: ﴿قال اعلم﴾ موصولةَ الألف ساكنةَ الميم، وباقي السبعة بقطع الألف وضم الميم. انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٨٩)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٢).

فأملى عليهم التَّوراةَ من حفظِه، فقالوا: ما جعلَ الله التَّوراةَ في قلبِه إلّا وهو ابنُه، فعندها قالوا: عزيرٌ ابنُ الله(١).

***

(٢٦٠) - ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِيۖ قَالَ فَخُذۡ أَرۡبَعَةٗ مِّنَ ٱلطَّيۡرِ فَصُرۡهُنَّ إِلَيۡكَ ثُمَّ ٱجۡعَلۡ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٖ مِّنۡهُنَّ جُزۡءٗا ثُمَّ ٱدۡعُهُنَّ يَأۡتِينَكَ سَعۡيٗاۚ وَٱعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾.

﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ للمفسِّرين في سببِ سؤالِ إبراهيمَ عليه السَّلام ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدُها: ما رُويَ عن ابن عبّاسٍ وسعيد بن جبير والسُّدِّيِّ، قالوا: لَمّا اتَّخذ الله إبراهيمَ خليلًا استأذن ملكُ الموت ربَّه أن يأتي إبراهيمَ فيبشِّره بذلك، فأتاه وقال: جئْتُكَ أبشِّرك بأنَّ اللهَ اتَّخذَك خليلًا، فحمد الله، وقال: ما علامةُ ذلك؟ قال: أن يُجيبَ الله دعاءَك ويُحيي الموتى بسؤالك، ثم انطلق فقال: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾(٢).

﴿قَالَ أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِي﴾ بعلمي بأنَّك تُجيبُني إذا دعوتُك وتُعطيني إذا سألتُك، واتَّخذتَني خليلًا(٣).

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٤٣٢)، و«تفسير الثعلبي» (٧/ ١٨٥)، وقد روى ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٠/ ٣٢٦) عن ابن عباس ما يُشير إليه في خبر طويل.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ١٩٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما وسعيد بن جبير والسدي. ورواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٦٢٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٥٠٨) عن السدي.

(٣) روى الطبري في «تفسيره» (٤/ ٦٣٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما: «قوله: ﴿لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِي﴾ قال: أعلم أنك تجيبني إذا دعوتك، وتعطيني إذا سألتك». وروى الطبري في «تفسيره» (٤/ ٦٢٨) عن سعيد بن جبير: «﴿وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِي﴾: بالخلة».

والثّاني: ما رُويَ عن الحسنِ وقتادةَ وعطاءٍ الخراسانيِّ والضَّحّاك وابن جريجٍ، قالوا: إنَّ إبراهيم عليه السَّلام مرَّ على دابّةٍ ميتةٍ قد توزَّعتها دوابُّ[١] البحرِ والبرِّ ـ قال ابن جرير[٢]: كانت جيفةَ حمارٍ بساحل[٣] البحر[٤]، قال عطاءٌ: بحيرة الطَّبرية[٥] ـ وكان إذا مدَّ البحرُ جاءت الحيتانُ ودوابُّ البحرِ فأكلَت منها، فما وقعَ منها يصيرُ في الماء، وإذا جزَرَ البحرُ جاءت السِّباعُ فأكلَت منها، فما وقع منها يصيرُ ترابًا، فإذا ذهبَ السِّباعُ جاءت الطَّيرُ فأكلت منها، فما سقطَ قطعته[٦] الرِّيحُ في الهواء، فلمّا رأى ذلك تعجَّبَ منها وقال: يا ربِّ قد علمتُ لتجمعنَّها، فأرني كيف تُحييها لأعاينَ ذلك[٧].

وزاد ابنُ زيدٍ فقال: كان حوتًا ميتًا نصفُه في البرِّ ونصفُه في البحر، فقال له الخبيثُ إبليسُ: متى يجمعُ الله هذه الأجزاءَ من بطونِ هؤلاء؟ فقال: ربِّ أرني كيفَ تُحيي الموتى؟ قال: أولم تؤمن؟ قال: بلى، ولكن ليطمئنَّ قلبي بذهاب وسوسةِ إبليسَ منه[٨].

---

(١) في (و): «دابة».

(٢) كذا في النسخ الخطية، ولعل الصواب: «ابن جريج» كما في «تفسير الثعلبي» (٧/ ١٨٩)؛ فالظاهر أنَّ المصنف نقل عنه.

(٣) في (و): «بآخر».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٦٢٥) عن ابن جريج، بلفظ: «بلغني أن إبراهيم بينا هو يسير على الطريق إذا هو بجيفة حمار عليها السباع والطير قد تمزعت لحمها وبقي عظامها...».

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ١٨٩)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٨٥).

(٦) في (ن): «سقطت قطعته أخذته».

(٧) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ١٨٩)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٨٥ ـ ٨٦) عن الحسن وعطاء والضحاك وابن جريج، ورواه الطبري بنحوه في «تفسيره» (٤/ ٦٢٤ ـ ٦٢٥) عن قتادة والضحاك وابن جريج وابن زيد.

(٨) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٦٢٥).

والثّالث: ما رُويَ عن محمّد بن إسحاق بن يسار، قال: إنَّ إبراهيمَ لَمّا احتجَّ على نمروذٍ، فقال: ربِّي الذي يُحيي ويُميت، وقال نمروذ: أنا أُحيي وأُميت؛ ثم قتلَ رجلًا وأطلقَ رجلًا، فقال: قد أمَتُّ ذلك وأحييْتُ هذا، قال له إبراهيم: فإنَّ الله يُحيي بأن يردَّ الرُّوحَ إلى جسدِ الميت، فقال له نمروذ: وهل عاينْتَ هذا الذي تقولُه؟ فلم يقدر أن يقول: نعم رأيته[1]، فانتقلَ إلى حجّةٍ أخرى، ثم سأل ربَّه أن يريَه إحياءَ الميت؛ لكي يطمئنَّ قلبُه عند الاحتجاجِ بأن يكونَ مُخبِرًا عن مشاهدةٍ وعيانٍ[2].

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ﴾؛ أي: واذكر إذ قال إبراهيم، ويُحتمَلُ أنَّه ظرفٌ لما بعدَه.

﴿رَبِّ أَرِنِي﴾؛ أي: عيانًا ﴿كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن﴾ استفهامُ تقريرٍ.

﴿قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾: ليزدادَ بصيرةً ويقينًا.

﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ﴾ قال المفسِّرون: هي الدِّيكُ والطّاوسُ والغرابُ والحمامُ[3].

وجعل ابن عبّاسٍ الرّابعَ نسرًا[4].

---

(١) «رأيته»: ليس في (ن).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ١٩٢ ـ ١٩٣) وقال: هذا معنى ما رواه محمد بن إسحاق، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٨٦)، وروى نحوه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٦٢٦).

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٥١٠) عن مجاهد وعكرمة.

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٢٠١)، والواحدي في «البسيط» (٤/ ٤٠٠)، والمصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٢٩). وروى ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٥١١) عن ابن عباس رضي الله عنه قال: «والطير الذي أخذ: وز ورال وديك وطاووس».

أبو هريرة[١]: الغُرْنُوقَ[٢] بدلَ الغراب.

عطاءٌ الخراساني: بطّةً خضراء، وغرابًا أسود، وحمامةً بيضاء، وديكًا أحمر[٣].

﴿فَصُرْهُنَّ﴾: قَطِّعْهُنَّ، فتصير.

﴿إِلَيْكَ﴾ مِن صلةِ (خُذ)؛ أي: خذ إليك.

وقيل معناه: أَمِلْهُنَّ إليك، فيكونُ (فقَطِّعْهُنَّ) مضمرًا.

والكسرُ والضَّمُّ لغتان فيهما[٤].

﴿ثُمَّ ٱجۡعَلۡ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٖ مِّنۡهُنَّ جُزۡءٗا﴾؛ أي: خلِّطْ لحمَها وريشَها وعظمَها، واجعل مِن كلِّ واحدٍ منهنَّ جزءًا، بيدِك لا بيدِ غيرِك.

والجُزء: البعضُ.

---

(١) كذا في النسخ الخطية، وكذا في «تفسير الثعلبي» تحقيق: ابن عاشور (٢/ ٢٥٣)، وزيد في (ن): «رضي الله عنه»، ولعل هذا كله تصحيف، والصواب: أبو هبيرة، كما في «تفسير الثعلبي» دار التفسير (٧/ ٢٠٤)، وهو الذي روى الغرنوق عن ابن عباس، كما في «تفسير ابن أبي حاتم» (٢/ ٥١١)، وهو أبو هبيرة عبد الله بن هبيرة بن أسعد بن كهلان السبئي الحضرمي المصري (ت: ١٢٦هـ)، وثَّقه أحمد. انظر: «تهذيب الكمال» (١٦/ ٢٤٢)، و«تاريخ الإسلام» (٣/ ٤٤٨).

(٢) الغُرنُوق: طائر مائيٌّ أبيض طويل السّاق، جميل المنظر له قُنْزُعة ذهبيّة اللون. انظر: «أدب الكاتب» لابن قتيبة (ص: ١٠٧)، و«معجم اللغة العربية المعاصرة» لأحمد مختار عمر مادة: (غ ر ن ق).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٢٠٥)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٢٣٦)، ويلاحظ أن الأقوال في تعيين هذه الطيور مختلفة، وقد قال ابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٤٠٠): «لا طائل تحت تعيينها؛ إذ لو كان في ذلك مهمٌّ لنصَّ عليه القرآن».

(٤) قرأ حمزة بكسر الصاد في ﴿فصِرهن﴾، وقرأ باقي السبعة بضمها. انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٩٠)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٢).

﴿عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ﴾ مجاهدٌ: عامٌّ؛ أي: كل جبلٍ يمكنُك(١).

ابن عبّاسٍ والحسن وقتادة: كانت أربعةَ أَجْبلٍ(٢).

السُّدِّيُّ وابن جريج: سبعةَ أجبلٍ(٣).

القفّال: إنَّما(٤) خصَّ أربعةَ أجبلٍ إشارةً إلى نواحي الدُّنيا؛ مهابِّ الرِّيحِ من الجنوب والشَّمال والدَّبور والصَّبا(٥).

﴿ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ﴾؛ أي: الطُّيورَ الأربعةَ بأسمائِها.

وقيل: لم يكن ذلك دعاءً على الحقيقة، وإنَّما كان إرادةً، أي: أَرِدْ إتيانهنَّ(٦).

﴿يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾ ينضمُّ كلُّ جزءٍ إلى ما كان متَّصلًا به، فيسرعْنَ المشيَ إليك، فإذا شاهدتَه علمْتَ كيفيّةَ الإحياء.

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٣٣٥)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٦٤٧) بلفظ: «ثم بددهن على كل جبل يأتينك سعيًا». وقال الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٢١٤): «لفظه عام، ومعناه خاص؛ لأن أربعة من الطير لا تبلغ الجبال كلها، ولا كان إبراهيم يصل إلى ذلك».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٦٤٤) بألفاظ مختلفة عن ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة والربيع وابن إسحاق وابن زيد، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٥١٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما. وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٢١٥) عن ابن عباس وقتادة والربيع وابن إسحاق.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٦٤٥ ـ ٦٤٦)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٢١٦) عن ابن جريج والسدي، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٥١٣) من طريق ابن جريج عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) «إنما» من (ن).

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٣٠) دون نسبة، وذكر الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٣٣٥) عن ابن بحر قال: «أراد جهات الدنيا الأربع؛ وهي المشرق والمغرب والشمال والجنوب، فمثلها بالجبال».

(٦) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٣٠)، واستغربه.

﴿وَٱعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ﴾؛ أي: دُمْ على العلمِ بأنَّ الله ﴿عَزِيزٌ﴾: لا يمتنعُ عليه إحياءُ الموتى وغيرُه، ﴿حَكِيمٌ﴾ في تدبيرِه.

ففعلَ إبراهيمُ عليه السَّلام ما أُمِرَ ودعاهُنَّ: (فتَعالَيْنَ بإذنِ الله)، فرأى بعضَها يسعى إلى بعضٍ، ثم أقبلْنَ نحوَه.

وقيل: أمسكَ رؤوسَهُنَّ، فأقبلْنَ نحو الرُّؤوس، فسبحانَ الذي لا يعجزُه شيءٌ!

قال مقاتل بن سليمان: كان ذلك بالشّام قبل مولدِ إسماعيلَ وإسحاقَ، وقبل أن تُنزلَ عليه الصُّحف(١).

ابن عبّاسٍ وقتادة والرَّبيع: جعلَ كلَّ طائرٍ أربعةَ أجزاء، فجعلَ على كلِّ جبلٍ ربعًا(٢).

وقال أبو مسلم: ما قطعَ إبراهيمُ الطَّيرَ أجزاءً ولا أُمِرَ به، وإنَّما هذا مَثلٌ لإحياء الله الموتى(٣).

وقولُ المفسِّرين أولى بالاتِّباع.

* * *

(٢٦١) ـ ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (١/ ٢١٩).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٦٤٣ ـ ٦٤٤).

(٣) ذكره الرازي في «التفسير الكبير» (٧/ ٣٨)، وأبو حيان في «البحر المحيط» (٢/ ٦٤٨)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٣٠)، وعدَّه من العجائب، وأبو مسلم هذا هو ابن بحر، وهو من أئمة المعتزلة، وقد تقدَّمت ترجمته.

﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ﴾ تقديرُه: مثلُ نفقةِ الذين... والمرادُ بها: الزَّكاةُ والصَّدقةُ وغيرُهما، والحبَّةُ التي نبتَتْ سبعَ سنابلَ مَثَلٌ لا يُشترَطُ وجودُه، والمعنى: لو عُلِمَ إنسانٌ يطلبُ الزِّيادةَ أنَّه إذا بذر حبَّةً واحدةً أخرجَتْ له سبعَ مئةِ حبَّةٍ؛ ما كان ينبغي له تركُ ذلك ولا التَّقصيرُ فيه، وكذلك ينبغي لمن طلبَ الأجرَ في الآخرة.

قال أبو مسلمٍ: قيل: وُجِدَ ذلك في الدُّخْنِ(١).

﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾ هذهِ المضاعفةَ، ويجوزُ: يضاعفُ لمن يشاءُ(٢) الزِّيادةَ على ذلك.

وليس بينَ قولِه: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ وبينَ هذه الآيةِ تناقضٌ؛ لأنَّه لم يبيِّن المِثلَ؛ هل هو في القَدْرِ أو غيرِه؟

﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

* * *

(٢٦٢) - ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنًّا وَلَآ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

---

(١) ذكره بلا نسبة الواحدي في «البسيط» (٤/ ٤٠٨)، والبغوي في «تفسيره» (١/ ٣٥٩)، والجرجاني في «درج الدرر» (١/ ٨٠٢)، والمصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٣٠)، والزمخشري في «الكشاف» (١/ ٣١٠). وذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٢/ ٦٥٤) عن ابن عيسى.
والدُّخنُ: جنسٌ من النباتات العشبيّة، حَبُّه صغير أملس كحبِّ السمسم، ومنه نوع يصلح حَبُّه طعامًا للعصافير. انظر: «معجم اللغة العربية المعاصرة» (١/ ٧٣١) مادة: (د خ ن).

(٢) «هذه» ليس في (ن).

﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ الكلبيُّ: نزلت في عثمانَ بنِ عفّانَ وعبدِ الرَّحمن بن عوفٍ رضي الله عنهما.

أمّا عثمانُ رضي الله عنه فقال: عليَّ جهازُ مَن لا جهازَ له في غزوةِ تبوك، فجهَّزَ المسلمين بألف بعيرٍ بأقتابها وأحلاسِها، وتصدَّقَ برُومةَ ـ ركيّةٍ كانَت له ـ على المسلمين، فنزلَت فيه هذه الآية[١].

وقال أبو سعيدٍ الخدريُّ رضي الله عنه: رأيْتُ رسولَ الله ﷺ رافعًا يدَه يدعو لعثمانَ ويقول: «يا ربِّ، عثمان بن عفّان، رضيْتُ عنه فارضَ عنه»، فما زال رافعًا يدَه حتى طلعَ الفجر[٢].

(١) ذكره مقاتل بن سليمان في «تفسيره» (١/ ٢١٩)، والثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٢٢٦)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٨٧)، وخبر عثمان رضي الله عنه في تجهيز جيش العسرة رواه الترمذي (٣٧٠٠) عن عبد الرحمن بن حباب رضي الله عنه، وقال: «حديث غريب». وخبر التصدق ببئر رومة علقه البخاري (٢٧٧٨)، ورواه الترمذي (٣٦٩٩) من حديث أبي عبد الرحمن السلمي عن عثمان رضي الله عنه.
والأقتاب: جمع قَتَب، وهو رحل صغير على قدر السَّنام. انظر: «الصحاح» (١/ ١٩٨) مادة: (ق ت ب).
والأحلاس: جمع حِلْس، وهو كل شيء وَلِيَ ظهر البعير والدّابّة تحتَ الرحل والقتب والسرج. انظر: «المحكم والمحيط الأعظم» (٣/ ١٩٠) مادة: (ح ل س).

(٢) رواه ابن سمعون في «أماليه» (١/ ١٠٧)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٩/ ٥٤)، وذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٨٧).
وقد ورد دعاء النبي ﷺ لعثمان رضي الله عنه في أكثر من حديث، منها ما رواه البزار في «مسنده» (٢٢٩) عن عائشة رضي الله عنها، وما رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٧/ ٢٤٩) عن أبي مسعود رضي الله عنه. وقد روى الإمام أحمد في «فضائل الصحابة» (٨٣٢) عن عائشة رضي الله عنها قالت: «ما رأيت رسول الله ﷺ يدعو لفرد إلا لعثمان بن عفان، فإني رأيته ـ يعني: يدعو ـ حتى رأيت ضبعيه».

وأمّا عبد الرَّحمن بن عوفٍ رضي الله عنه فإنَّه جاء إلى رسول الله ﷺ بأربعةِ آلافِ درهمٍ صدقة، فقال: كان عندي ثمانيةُ آلاف، فأمسكْتُ منها لنفسي وعيالي أربعةَ آلافٍ، وأربعةَ آلافٍ أقرضتُها ربِّي، فقال له رسولُ الله عليه السلام: «باركَ الله لك[١] فيما أمسكْتَ وفيما أعطيْتَ»[٢].

وقوله[٣]: ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ قيل: هو الجهادُ، وقيل: أبوابُ البرِّ كلُّها.

﴿ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنًّا﴾؛ أي: على المُعطَى له.

قال المفسِّرون: هو أن يقولَ: أحسنْتُ إلى فلانٍ وأعنْتُه ونعشْتُه.

﴿وَلَآ أَذًى﴾ هـو أن يقولَ على سبيل التَّبرُّم: أنت أبدًا فقيرٌ، خلَّصني اللهُ منك، وإنَّما تجيئني عند الحاجة.

قال القفّال: ﴿ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنًّا﴾ على اللهِ ﴿وَلَآ أَذًى﴾ لصاحبِها[٤].

ابن عيسى: الأذى[٥] ضررٌ يُتعجَّلُ وصولُه إلى المضرور.

---

(١) «لك» من (ن).

(٢) سبق تخريج قول الكلبي في سبب نزول الآية، وأما خبر عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه فرواه البزار في «مسنده» (٨٦٧٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه وعمر بن أبي سلمة عن أبيه، ورواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٥٨٩ ـ ٥٩٢) عن ابن عباس وعمر بن أبي سلمة عن أبيه وغيرهما، ولكن هذه الروايات إنما وردت في سبب نزول قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ [التوبة: ٧٩].

(٣) في (و): «وقيل».

(٤) ذكر الثعلبي ذلك في «تفسيره» (٧/ ٢٤٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وذكر الواحدي في «البسيط» (٤/ ٤١٢) بعضه. ونقل الرازي في «التفسير الكبير» (٧/ ٤٠) عن القفال ما يدلُّ على أنَّ المنَّ على النبي ﷺ والمؤمنين.

(٥) «الأذى» من (ن).

﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾: ثوابُهم ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾ في القيامةِ.

﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ الخوفُ: توقُّع الضَّرر الذي لا يُؤمَنُ وقوعُه.

﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ الحزنُ: الغَمُّ الذي يغلظُ على النَّفْس، مشتقٌّ من (الحَزْن)، وهو الأرضُ الغليظـ[ـة][1].

* * *

(٢٦٣) ـ ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى ۗ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾.

﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾؛ أي: في حقِّ السَّائل، نحو: سيكون إن شاء الله، وأغنانا الله وإيّاك، ولطفَ الله[2] لنا ولك.

﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾: سترُ الخَلَّةِ[3] على السّائل.

الحسن: هو أن يعفوَ عن ظُلمِه[4].

وقيل: التَّجاوزُ عن السّائل إذا استطالَ عليه بردِّه[5].

﴿خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى ۗ وَاللَّهُ غَنِيٌّ﴾ عن صدقات العباد ﴿حَلِيمٌ﴾ حيث لم يعجِّلْ عقوبةَ المنّانِ والمؤذي.

* * *

(١) انظر: «المخصص» لابن سيده (٣/ ٥٥).

(٢) اسم الجلالة «الله» من (ن).

(٣) الخلة: الحاجة والفقر. انظر: «الصحاح» (٤/ ١٦٨٧) مادة: (خ ل ل).

(٤) ذكره الواحدي في «البسيط» (٤/ ٤١١) عن عطاء والحسن.

(٥) قال الواحدي في «البسيط» (٤/ ٤١١): «علم الله تعالى أن الفقير إذا رُدَّ بغير نوال شقَّ عليه ذلك، فربما يدعوه ذلك إلى بذاءة اللسان، فأمر بالصفح والعفو عنه، وبين أن ذلك خير من صدقة يتبعها أذى».

(٢٦٤) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ عَلَيۡهِ تُرَابٞ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٞ فَتَرَكَهُۥ صَلۡدٗاۖ لَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّمَّا كَسَبُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم﴾ بأن تعدموا ثوابها ﴿بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾؛ أي: إبطالًا كإبطالِ المنافقِ الذي ينفقُ مالَه رياءً وسمعةً يبتغي بذلك الثَّناءَ والذِّكرَ الجميلَ عند النّاس.

﴿وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾: ولا يرجو لنفقتِه أجرًا وثوابًا في القيامةِ؛ لكفرِه بالله واليوم الآخر.

﴿فَمَثَلُهُۥ﴾؛ أي: مثلُ عملِه ﴿كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ﴾: حجرٍ، واحدُها: صفوانةٌ.

﴿عَلَيۡهِ تُرَابٞ﴾ فلا ينبتُ شيئًا.

﴿فَأَصَابَهُۥ وَابِلٞ﴾: مطرٌ شديدٌ.

﴿فَتَرَكَهُۥ﴾: فترك الوابلُ الصَّفوانَ ﴿صَلۡدٗا﴾: حجرًا أملسَ برّاقًا؛ أي: أزالَ ما به من التّراب.

﴿لَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّمَّا كَسَبُواْ﴾: لا يجدونَ يومَ القيامةِ ثوابَ ما عملوا في الدُّنيا.

ويُحتمَل: لا يجدُ المبطِلُ صدقتَه بالمنِّ والأذى ثوابَ شيءٍ[1] مِن كسبِه؛ عدلَ من الخطابِ إلى الغيبة.

﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾: لا يرشدُهم ولا يوفِّقُهم.

* * *

---

(١) في (و): «كل شيء».

(٢٦٥) - ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾: طلبَ رضاه.

﴿وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ ابن زيدٍ والسُّدِّيُّ: بقوّةِ النَّفسِ والبصيرةِ في الدِّين[1].

الحسن ومجاهدٌ: يتثبَّتون أينَ يضعون صدقاتهم[2].

وقيل: توطينًا لأنفسِهم على الثُّبوتِ[3] على طاعة الله.

﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ﴾: بستانٍ ذات أشجارٍ.

﴿بِرَبْوَةٍ﴾: بنشزٍ من الأرض، وهو أحمدُ مواضعِ الجنانِ في النُّزهةِ وكثرةِ النَّباتِ والرَّيع.

﴿أَصَابَهَا وَابِلٌ﴾: المطرُ العظيمُ الشَّديدُ الوَقْع.

﴿فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا﴾: ثمرَها؛ أي: ما يُؤكَلُ منها.

﴿ضِعْفَيْنِ﴾: مِثْلَي غيرِها من الجنان.

وقيل: أربعةَ أمثالها، والضِّعْفُ: المِثْلان.

قال أبو مسلمٍ: ثلاثة أمثالها[4]. وليس لهذا في العربيَّة وجهٌ، وقولُ أبي

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (٤/ ٤١٥).

(٢) رواه ابن زنجويه في «الأموال» (٢٣١٥)، والطبري في «تفسيره» (٤/ ٦٦٩) عن مجاهد، ورواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٦٧٠) عن الحسن.

(٣) «على الثبوت» من (ن).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٣١) بلا نسبة، واستغربه، ونقله أبو حيان في «البحر =

عبيدة: ﴿يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِ﴾ يأتي في موضعه(١).

﴿فَإِن لَّمۡ يُصِبۡهَا وَابِلٞ﴾؛ أي: فإن لم يكن يصيبُها مطرٌ شديدٌ ﴿فَطَلّٞ﴾ والطَّلُّ: المطرُ الصِّغارُ القَطْر.

قال القفّال: فثمرتُها بحالها(٢) في الحالين، لا تنقصُ بنقصانِ المطر.

وقال: قال بعضهم: فإن لم يصبْها وابلٌ فتتضاعفُ ثمرتُها أصابَها طلٌّ فأخرجَت ثمرًا دونَ ما تخرجُه بالوابل، فهو على كلِّ حالٍ لا يخلو من أن يُثمرَ.

﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾: لا تخفى عليه أعمالُكم ومقاصدُكم من رياءٍ وإخلاصٍ.

* * *

= المحيط» (٢/ ٦٦٩)، ونقل إنكار الكرماني له، لكن نقل الرازي في «التفسير الكبير» (٧/ ٥٠) عن أبي مسلم في تفسير الضعفين قوله: «وقال أبو مسلم: مثلي ما كان يعهد منها».

(١) في «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (٢/ ١٣٦): «﴿يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِ﴾ أي: يجعل لها العذاب ثلاثة أعذبة؛ لأن ضعف الشيء مثله، وضعفي الشيء مِثلا الشيء، ومجاز (يضاعف) أي: يجعل الشيء شيئين حتى يكون ثلاثة، فأما قوله: (يضعِّف) أي: يجعل الشيء شيئين»، وقد عدَّ المصنِّف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٣١) قول أبي مسلم غريباً، واستدلاله بكلام أبي عبيدة عجيباً، وقد بيَّن ابن القيم وجه هذا الوجه فقال: «وقيل: ضعفه مثلاه، وضعفاه ثلاثة أمثاله، وثلاثة أضعافه أربعة أمثاله، كلما زاد ضعفاً زاد مثلاً، والذي حمل هذا القائل على ذلك فراره من استواء دلالة المفرد والتثنية؛ فإنه رأى ضعف الشيء هو مثله الزائد عليه، فإذا زاد إلى المثل صار مثلين، وهما الضعف، فلو قيل لها: ضعفان، لم يكن فرق بين المفرد والمثنى، فالضعفان عنده مثلان مضافان إلى الأصل، ويلزم من هذا أن يكون ثلاثة أضعافه ثلاثة أمثاله مضافة إلى الأصل، وهكذا أبدًا، والصواب: أن الضعفين هما مثلان فقط، الأصل ومثله». انظر: «التفسير القيم» (ص: ١٦٤).

(٢) في (ن): «لحالها».

(٢٦٦) ـ ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾.

﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ﴾: استفهامُ تنبيهٍ، والمعنى: أيتمنَّى ويحبُّ؟

والفرقُ بينَ الودِّ والحبِّ أنَّ الودَّ يُستعمَلُ للماضي والمستقبل كالتَّمنِّي، والحبُّ خاصٌّ في الاستقبال(١).

﴿أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ﴾: بستانٌ ﴿مِّن نَّخِيلٍ﴾: جمع نخلٍ، والنَّخلُ: ما ثمرُه التَّمرُ.

﴿وَأَعْنَابٍ﴾: ثمرِ الكرمِ.

﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ تطَّردُ فيها مياه، ويجوزُ أن يكونَ المعنى: منابعُها من تحتِها.

﴿لَهُۥ﴾: لصاحب البستان ﴿فِيهَا﴾: في الجنّة ﴿مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ مع الرُّطب والعنب، فهو النِّهايةُ في الكمال.

﴿وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ﴾ أصاب صاحبَها كبرُ السِّنِّ.

أكثرَ المفسِّرونَ في عطفِ الماضي على المستقبلِ في قولِه: ﴿فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ﴾ هاهنا، فقال الفرّاء: يجوزُ ذلك في (يودُّ)؛ لأنَّها تُتلقَّى(٢) مرّةً بـ(أن) ومرّةً بـ(لو)، فجاز أن يُقدَّر أحدُهما مكانَ الآخر(٣).

---

(١) لم أقف على مَن ذكر هذا الفرق قبل المصنِّف، وقد ذكر العسكري وجهاً آخر. انظر: «معجم الفروق اللغوية» (ص: ١٧٤)، و«غرائب التفسير» (١/ ٢٣٢).

(٢) في (و): «تتلقى ذلك».

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ١٧٥).

عليُّ بن عيسى: دلَّ (أن) على الاستقبال، ويُضمَّنُ الكلامُ معنى (لو) على التَّمنِّي.

ويحتمل أنَّ التَّقدير: وقد أصابَه الكبرُ.

﴿وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ﴾: أولادٌ ﴿ضُعَفَآءُ﴾: صغارٌ.

﴿فَأَصَابَهَآ﴾: فيصيبُها ﴿إِعْصَارٌ﴾: ريحٌ شديدةٌ.

والإعصارُ في اللُّغة: ريحٌ شديدةٌ تهبُّ من الأرضِ إلى السَّماء كالعمود، يُسمِّيها العامّةُ الزَّوبعةَ، قال:

إنْ كنْتَ ريحًا فقد لاقيْتَ إعصارًا[1]

﴿فِيهِ﴾: في الإعصارِ ﴿نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ﴾؛ أي[2]: الجنَّة.

والاحتراقُ: افتراقُ الأجزاءِ بالنّار.

والمعنى: أيودُّ أحدُكم أن يكونَ له بستانٌ بهذه الصِّفة، ثم فقدَها[3] أحوجَ ما يكونُ إليه، وهو حالةُ الكِبَرِ المقعِدِ عن الكسبِ مع طفولةِ الأولادِ وعجزِهم عن الكسبِ[4]؛ أي: فليس يودُّ هذا أحدٌ[5]، فكذلك ينبغي أن لا تُبطلوا صدقاتِكم بالمنِّ والأذى والرِّياء.

---

(١) هو شطر بيت جرى مثلًا، لم أقف على قائله أو تتمته، وهو يضرب للرجل يكون جلدًا فيصادف مَن هو أجلدُ منه. انظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة (ص:٩٧)، و«الأمثال» لأبي عبيد (ص: ٩٦)، و«الكامل» للمبرد (١/ ٢٥٣).

(٢) «أي» من (ن).

(٣) كذا في النسخ الخطية، والمراد: فقدَ تلك الصفة في البستان عندما احتاجه.

(٤) «عن الكسب» من (ن).

(٥) في (و): «أحدكم».

السُّدِّيُّ: هذا المثلُ للمرائي[١].

ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما: مثلُ الذي يختمُ عملَه بفساد[٢].

مجاهدٌ: مثل المفرِّطِ في طاعةِ الله في الدُّنيا يحصلُ في الآخرةِ على الحسرة العظمى[٣].

﴿كَذَٰلِكَ﴾: كبيانِ هذهِ بضربِ الأمثالِ ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ﴾: أوامرَه ونواهيَه ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾؛ أي[٤]: لكي تتفكَّروا في أمثالِه فتنتهوا.

والفكرُ: طلبُ الإدراكِ بالقلب.

* * *

(٢٦٧) - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾.

---

(١) في (ن): «هذا مثل المرائي». رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٦٨١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٥٢٣).

(٢) «بفساد» من (ن). رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٦٨٢)، وروى البخاري (٤٥٣٨) عن عبيد بن عمير، قال: «قال عمر رضي الله عنه يومًا لأصحاب النَّبي ﷺ: فيم ترونَ هذه الآية نزلت: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ﴾؟ قالوا: الله أعلم، فغضب عمر فقال: قولوا: نعلم أو لا نعلم، فقال ابن عباس: في نفسي منها شيء يا أمير المؤمنين، قال عمر: يا ابن أخي قل ولا تحقر نفسك، قال ابن عباس: ضربت مثلًا لعمل، قال عمر: أيُّ عمل؟ قال ابن عباس: لعمل، قال عمر: لرجل غني يعمل بطاعة الله عز وجل، ثم بعث الله له الشيطان، فعمل بالمعاصي حتى أغرق أعماله».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٦٨٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٥٢٢).

(٤) «أي» من (ن).

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ ﴾؛ أي: ليكنْ إنفاقُكم في سبيلِ الله من حلالٍ تكسبونه، وعن النَّبيِّ ﷺ: «هو عملُ الرَّجلِ بيدِه، وكلُّ عملٍ مبرورٍ»(١).

وقيل: المرادُ بالطَّيِّب هاهنا: الجيِّدُ، وبالخبيثِ: الرَّديءُ.

الحسنُ: هو الزَّكاة(٢).

وقيل: التَّطوُّع.

﴿وَمِمَّآ أَخۡرَجۡنَا لَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾ يريد: ما فيه العُشْرُ من الزُّروعِ والنَّباتِ والأشجار، ويُحتمَلُ المعادن.

﴿وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلۡخَبِيثَ﴾: لا تقصدوا الرَّديءَ ﴿مِنۡهُ﴾: من المال ﴿تُنفِقُونَ﴾؛ أي: ذلك الخبيثَ.

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١٧٢٦٥)، والحاكم في «المستدرك» (٢١٦٠) من حديث رافع بن خديج رضي الله عنه، ولفظ أحمد: قيل: يا رسول الله، أي الكسب أطيب؟ قال: «عمل الرجل بيده، وكل بيع مبرور». قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/ ٦٠): «رواه أحمد، والبزار، والطبراني في الكبير والأوسط، وفيه المسعودي، وهو ثقة، ولكنه اختلط، وبقية رجال أحمد رجال الصحيح»، وروى نحوه الإمام أحمد في «المسند» (١٥٨٣٦)، والحاكم في «المستدرك» (٢١٥٨) من حديث أبي بردة بن نيار رضي الله عنه.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٧٠٢) بلفظ: «كان الرجل يتصدق برذالة ماله، فنزلت: ﴿وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلۡخَبِيثَ مِنۡهُ تُنفِقُونَ﴾».

وروى الطبري في «تفسيره» (٤/ ٧٠٠) عن علي رضي الله عنه، ولفظه: «نزلت هذه الآية في الزكاة المفروضة». وروى الحاكم في «المستدرك» (٣١٢٢) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: «أمر النبي ﷺ بزكاة الفطر بصاع من تمر، فجاء رجل بتمر رديء، فقال النبي ﷺ لعبد الله بن رواحة: «لا تخرص هذا التمر» فنزل القرآن: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ ﴾»، وصحَّحه الحاكم على شرط مسلم، ووافقه الذهبي. وانظر: «الدر المنثور» (٢/ ٥٩).

﴿وَلَسۡتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغۡمِضُواْ فِيهِ﴾؛ أي: ولستم بآخذي ذلك الخبيثِ لو دُفِعَ إليكم في حقٍّ ﴿إِلَّآ أَن تُغۡمِضُواْ فِيهِ﴾؛ أي: بالإغماض؛ أي: مساهلةً ومسامحةً.

وقيل: على استحياءٍ من ردِّه.

ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما: إلّا أن تحطُّوا من الثَّمنِ فيه[١].

الزجّاج: إلّا بوكسٍ[٢].

وقيل: الهاء في ﴿مِنۡهُ﴾ تعود إلى ﴿ٱلۡخَبِيثَ﴾؛ أي: من الخبيث تنفقون ولستم بآخذيه.

﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ﴾ عن صدقاتِكم.

﴿حَمِيدٌ﴾: مُستحقٌّ للحمدِ على ما يتعبَّدكم.

وقيل: ﴿حَمِيدٌ﴾: محمودٌ.

عن البراء رضي الله عنه قال: نزلَت هذه الآيةُ في الأنصار، كانت تُخْرِجُ إذا كان جِدادُ النَّخل من حيطانها[٣] أقناءً من التَّمرِ والبُسْر، فيعلِّقونها على حبلٍ بين أسطوانَتَين في مسجدِ رسولِ اللهِ ﷺ، فيأكلُ منه فقراءُ المهاجرين، وكان الرَّجلُ يعمِدُ فيُدخِلُ قِنْوَ الحَشَفِ[٤] فيه، وهو يظنُّ أنَّه جائزٌ عنه في كثرة ما يُوضَعُ من الأقْناءِ، فنزلَ فيمن فعلَ ذلك هذه الآية[٥].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٧٠٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٥٢٨).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٣٥٠).

(٣) في (ن): «إذا كانت جدادًا من حيطانها».

(٤) في (و): «الحشفة».

(٥) رواه الترمذي (٢٩٨٧)، وابن ماجه (١٨٢٢)، واللفظ أقرب إليه، وقال الترمذي: «حسن غريب صحيح». والقنوُ: العذقُ بما فيه من الرُّطب، والحشفُ: رديءُ التَّمر. انظر: «تاج العروس» (٢٣/ ١٤١) مادة: (ح ش ف)، و(٣٩/ ٣٥٠) مادة: (ق ن و).

(٢٦٨) ـ ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ﴾.

﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾: إبليس ﴿يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ﴾: الحاجةَ، والفقرُ: الضَّعفُ بقلّةِ الملك.

﴿وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِ﴾: بالبخلِ وسائرِ معاصي[1] الله، والفاحشُ: البخيلُ.

﴿وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ﴾ على الإنفاقِ، ﴿وَفَضۡلٗا﴾: وخَلَفًا مما تُنفقون.

﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾؛ أي: واسع الفضل، وقيل: واسعٌ يوسِّعُ على مَن يشاء.

﴿عَلِيمٞ﴾ بأفعالِكم ونيّاتِكم.

* * *

(٢٦٩) ـ ﴿يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾.

﴿يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُ﴾ ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما: علمَ القرآن[2].

السُّدِّيُّ: النُّبوّة[3].

مجاهدٌ: الكتابةَ[4].

وقيل: الفهمَ والخشيةَ، والإصابةَ في القولِ، والعلمَ في الدِّين.

﴿وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾: وما يتّعظُ بمواعظِ الله إلا ذوو العقولِ السَّليمة.

* * *

(١) في (ن): «المعاصي».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٥٣١).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٥١٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٩٨٠).

(٤) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٣٤٤).

(٢٧٠) - ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾.

﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ﴾ صغيرةٍ أو كبيرةٍ.

وقيل: المرادُ به الزَّكاةُ، ﴿أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ﴾: التَّطوُّع؛ فالنَّذرُ ما أوجبَه الإنسانُ على نفسِه من البرِّ.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ﴾ فيجازي عليه من غيرِ تضييعِ شيءٍ منه.

﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ﴾ في إنفاقِهم رياءً وسمعةً من غيرِ حلِّه.

﴿مِنْ أَنصَارٍ﴾: أعوانٍ يمنعونَه[1] من عذابِ الله، جمع (نصيرٍ) كـ(شريفٍ وأشرافٍ).

* * *

(٢٧١) - ﴿إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

﴿إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ الكلبيُّ: لمّا نزلَ: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ﴾ الآية قالَت الصَّحابةُ: يا رسولَ الله، صدقةُ السِّرِّ أفضلُ أم صدقةُ العلانيةِ؟ فأنزلَ الله: ﴿إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ﴾[2]؛ أي: إن تظهروا إيتاءَها للفقراءِ ﴿فَنِعِمَّا هِىَ﴾؛ أي: فَنِعْمَ شيئًا إيتاؤُها، فحذفَ المضافَ.

---

(١) في (و): «يمنعون».

(٢) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٨٩)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٢٤٣) عن الكلبي، والثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٣١٦) بلا نسبة.

﴿وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ﴾؛ أي: الإخفاءُ، وقيل: الإيتاءُ ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾؛ أي: من الإبداءِ.

والإجماعُ أنَّ[1] الإبداءَ في الفرضِ أولى، وأنَّ الإخفاءَ في التَّطوُّعِ أحسنُ.

ويُحتمَلُ أنَّ المعنيَّ بالخير: الثَّوابُ والحسنة، لا التَّفضيلُ.

﴿وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾؛ أي: في كلتا الحالتين يُكفِّرُ بالصَّدقةِ سيِّئاتِكم.

﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ من الإبداءِ والإخفاءِ ﴿خَبِيرٌ﴾: عالمٌ.

وقيل: هذا[2] إشارةٌ إلى أنَّ الإخفاءَ أولى؛ إذ كان الله يعلمُ ذلك، فما معنى الإبداءِ؟!

* * *

(٢٧٢) ـ ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾.

﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ﴾ سعيدُ بنُ جُبيرٍ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا تصدَّقوا إلَّا على أهلِ دينِكم»، فنزلَت هذه الآيةُ، فقالَ رسولُ الله ﷺ: «تصدَّقوا على أهلِ الأديانِ»[3].

---

(١) «أن» من (ن).

(٢) في (و): «هذه».

(٣) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٠٣٩٨)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٨٩) هكذا مرسلًا، ووصله النسائي في «السنن الكبرى» (١٠٩٨٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٥٣٩)،

ابن الحنفيّة: نزلَت في أسماءَ بنتِ أبي بكرٍ، أتتها أمُّها قتيلةُ وجدَّتُها يَسألانها وهما مشركتان، فقالت: لا أعطيكما شيئًا حتى أستأمرَ رسولَ الله ﷺ؛ فإنَّكما لستما على ديني، فاستأمرتْه في ذلك، فنزلَت[1] هذه الآية، فأمرَها أن تتصدَّقَ عليهما، فأعطتهُما ووصلتهُما[2].

ومعنى ﴿هُدَىٰهُمْ﴾: اهتداؤُهم.

﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾ بلطفِه.

صاحب النَّظم: هو متَّصلٌ بقوله: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ﴾.

وقوله: ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ﴾؛ أي: من نفقةِ خيرٍ.

وقيل: ﴿مِنْ خَيْرٍ﴾: من مالٍ.

﴿فَلِأَنفُسِكُمْ﴾؛ أي: فلأنفسِكم[3] ثوابُه لا يُجاوزُها.

﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ﴾ الزَّجّاج: هذا خاصٌّ للمؤمنين، علم منهم أنَّهم بالإنفاقِ يريدون وجهَ الله لا غيرَه[4].

والحاكم في «المستدرك» (٣١٢٨)، والضياء المقدسي في «المختارة» (١٠/ ١١٥) عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

(١) في (ن): «فأنزل الله».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٣٣٣)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٩٠) عن الكلبي.
وروى البخاري (٥٩٧٨) واللفظ له، ومسلم (١٠٠٣) عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: أتتني أمي راغبة في عهد النبي ﷺ، فسألت النبي ﷺ: آصلها؟ قال: «نعم»، قال ابن عيينة: فأنزل الله تعالى فيها: ﴿لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ﴾ [الممتحنة: ٨].

(٣) «أي فلأنفسكم» من (ن).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٣٥٥).

القفّال: فيه تقديمٌ وتأخيرٌ، تقديرُه: وما تنفقوا من خيرٍ ـ وما تنفقون إلّا ابتغاءَ وجهِ الله ـ فلأنفسكم، فيكون حالًا[1].

وقيل: تقديرُه النَّهيُ؛ أي: لا تنفقوا إلّا ابتغاءَ وجهِ الله.

وعن القفّال أيضًا: ﴿وَمَا تُنفِقُونَ﴾؛ أي: ولا تكونوا مُنفقينَ مستحقِّينَ لهذا الاسمِ حتَّى تبتغوا بذلك وجهَ الله[2].

﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾: يُوفَّر عليكم جزاؤُه.

﴿وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾: لا تُنقَصون من استحقاقِكم، سواء أنفقتم على مسلمٍ أو كافرٍ إذا أردتم وجهَ اللهِ سبحانه.

* * *

(٢٧٣) ـ ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾.

﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ﴾ في هذا اللّام[3] كلامٌ؛ فذهبَ بعضُهم إلى أنَّ التَّقدير: الصَّدقاتُ التي تقدَّمَت والنَّفقاتُ التي ذُكرَت للفقراء، فتكون خبرَ مبتدأٍ محذوفٍ.

---

(١) ذكر نحوه الواحدي في «البسيط» (٤/ ٤٤٦)، ونسبه لصاحب النظم، وفيه: «وقال صاحب النظم: قوله تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ﴾ حال متوسط بين الجزاء والشرط، تأويله: وما تنفقوا من خير، وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله، أي: إذا أنفقتم على هذه الحال فلأنفسكم، كما تقول في الكلام: ما تفعل من خير، ولا تفعله إلا لله، فهو مقبول منك».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٣٣)، واستغربه، وذكره الرازي في «التفسير الكبير» (٧/ ٦٦) بلا نسبة.

(٣) في (و): «الكلام».

وقيل: هو جوابٌ، كأنَّه قيل: مَن أصحابُ الصَّدقاتِ؟ فأجيب: للفقراء، كقوله: ﴿فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ﴾.

القفّالُ: تقديرُه: إن تبدوا الصَّدقاتِ للفقراءِ فنِعمَّا هي(١).

وقيل أيضًا: وما تنفقوا من خيرٍ للفقراء.

وقيل(٢): هو للتَّعجيبِ، كقوله: يا لزيدٍ لهذه الزُّمرة! ويا لعمروٍ لهذه الخصلةِ الحميدة!

وقيل: بدلٌ مِن لامِ ﴿فَلِأَنفُسِكُمْ﴾(٣)، وزيَّفه عليُّ بنُ عيسى فقال: لأنَّ بدلَ الشَّيءِ من الشَّيء إنَّما يكونُ إذا اشتملَ عليه المعنى.

قلت: ولعلَّ هذا القائلَ جعلَ الأنفسَ هاهنا للفقراء(٤)؛ لأنَّ المؤمنين كلَّهم كنفسٍ واحدة، كما في قوله: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾؛ أي: على إخوانِكم من أهلِ بيتِكم.

وقيل: معناه: اجعلوا صدقاتِكم للفقراء.

والمفسِّرون على أنَّها نزلَت في أهلِ الصُّفّة(٥).

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٣٤) بلا نسبة، واستغربه، وذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٢/ ٦٩٧) منسوباً للقفال، واستبعده.

(٢) «قيل» من (ن).

(٣) ذكره الطبري في «تفسيره» (٥/ ٢٢)، وذكره الواحدي في «البسيط» (٤/ ٤٤٨) دون نسبة، وغلَّطه بمثل ما ذهب إليه علي بن عيسى.

(٤) في (ن): «الفقراء».

(٥) رواه ابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٤٢) من طريق محمد بن السائب عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما، وابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١/ ٢٥٥) عن ابن كعب القرظي.

وقيل: نزلَت في المهاجرينَ من مكّةَ إلى المدينة(١).

ورُويَ عن سعيد بن جُبيرٍ: أنَّ الآية نزلَت في فقراء كانت قد أصابتهم جراحاتٌ(٢).

ومعنى: ﴿أُحْصِرُواْ﴾ في قول قتادةَ وابن زيدٍ: مُنِعوا؛ أي: مَنعوا أنفسَهم من التَّصرُّفِ والتِّجارةِ(٣) للمعاش(٤).

السُّدِّيُّ: منعَهم الكفّارُ بالخوفِ منهم(٥). وهذا يقتضي (حُصِروا)(٦).

﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: الجهادِ، وقيل: جميع الطّاعات.

﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ لأنَّهم ألزموا أنفسَهم المقامَ مع النَّبيِّ ﷺ لقتالِ أعدائِه.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٢٣) عن مجاهد والسدي وأبي جعفر.

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٥٤٠)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٢/ ٨٩) إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

(٣) في (ن): «في التجارة».

(٤) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٣٤٦) عن قتادة وابن زيد، ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٥٠)، والطبري في «تفسيره» (٥/ ٢٤)، وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٤٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٥٤٠) عن قتادة. ورواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٢٤) عن ابن زيد.

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٢٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٥٤٠).

(٦) هذا مستفاد من كلام الطبري، فقد فرَّق بين (حصره) و(أحصره) فقال: «ولو كان تأويل الآية على ما تأوله السدي لكان الكلام: للفقراء الذين حصروا في سبيل الله، ولكنه ﴿أُحْصِرُواْ﴾ [البقرة: ٢٧٣]، فدلَّ ذلك على أن خوفهم من العدو الذي صيَّر هؤلاء الفقراء إلى الحال التي حبسوا وهم في سبيل الله أنفسهم، لا أن العدو هم كانوا الحابسيهم، وإنما يقال لمن حبسه العدو: حصره العدو، وإذا كان الرجل المحبس من خوف العدو قيل: أحصره خوف العدو». انظر: «تفسير الطبري» (٥/ ٢٥).

وقيل: ألزمُوا أنفسَهم الإقامةَ في مسجدِ رسولِ الله[١] ﷺ وفي بلدِه، فمنعَهم ذلك عن الضَّربِ في الأرضِ خارجًا عن البلد.

والضَّرْبُ: التَّباعدُ في السَّير.

﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ﴾؛ أي: الجاهلُ بباطنِ حالِهم ﴿أَغْنِيَآءَ﴾ لتصوُّنِهم عن التَّعرُّضِ للنَّاسِ ومسألتِهم.

﴿مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ﴾؛ أي: من أجلِ التَّعفُّفِ، وهو القَناعةُ.

﴿تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ﴾ مجاهدٌ: هو التَّخشُّع[٢].

السُّدِّيُّ: هو علامةُ الفقرِ[٣].

والسِّيماءُ: العلامةُ.

﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾؛ أي: ليس لهم إلحافٌ، وهو إلحاحُ[٤] الذي لا يُفارِقُ صاحِبُه المسؤولَ.

والمِلحَفُ[٥]: اللُّبسُ الأعلى، والمِلحَفةُ: المُلاءةُ يُتلحَّفُ بها، واللِّحافُ كذلك.

الفرّاءُ والزَّجّاجُ في جماعةٍ: ليسَ لهم سؤالٌ، فيكونُ لهم إلحافٌ[٦].

---

(١) في (ن): «مسجد النبي».

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٥١)، والطبري في «تفسيره» (٥/ ٢٧)، وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٤٤).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٢٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٥٤١).

(٤) في (و): «الإلحاح».

(٥) في (ن): «واللحف».

(٦) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ١٨١)، و«معاني القرآن» للزجاج (١/ ٣٥٧). قال الفراء: «ومثله قولك في الكلام: قلما رأيت مثل هذا الرجل، ولعلك لم تر قليلاً ولا كثيراً من أشباهه».

﴿وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ لا يضيعُ عندَه.

قيل: إنَّما كرَّر؛ لأنَّ الأوَّل إخبارٌ بالحُكمِ، والثّاني إخبارٌ بمعنى الحُكم.

* * *

(٢٧٤) - ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِالَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِالَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ عن يزيد بن عبد الله بن عَرِيْبٍ عن أبيه عن جدِّه[(١)] عن النَّبيِّ عليه السَّلام قال: نزلَت هذه الآيةُ في أصحابِ الخيل[(٢)].

وقال عليه السَّلام: «إنَّ الشَّيطانَ لا يخبلُ أحدًا في بيتِه فرسٌ عَتيقٌ من الخيلِ»[(٣)].

وهذا قولُ أبي أمامةَ وأبي الدَّرداءِ ومكحولٍ والأوزاعيِّ ورباحِ بنِ يزيدَ[(٤)].

---

(١) عَريبٌ: هو أبو عبد الله المليكي، عداده في أهل الشام، قيل: له صحبة، وقيل: إنه كان راعيًا لرسول الله ﷺ. انظر: «الاستيعاب» (٣/ ١٢٣٩)، و«أسد الغابة» (٤/ ٣٨)، و«الإصابة» (٤/ ٤٩٦).

(٢) رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٢/ ١٠٠)، وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٤٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٥٤٢)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٧/ ١٨٨). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ٣٢٤): «رواه الطبراني في الكبير والأوسط، ويزيد بن عبد الله وأبوه لا يعرفان»، وفيه علة أخرى، فقد قال ابن القيسراني في «ذخيرة الحفاظ» (٧/ ٣٢): «فيه سعيد بن سنان الحمصي، متروك الحديث».

(٣) رواه الحارث بن أبي أسامة كما في «زوائد مسند الحارث» للهيثمي (٢/ ٦٧٦)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٧/ ١٨٩). وقال ابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٧٣): «هذا الحديث منكر لا يصح إسناده ولا متنه».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٣٥) عن أبي الدرداء رضي الله عنه، ورواه ابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٤٦) عن أبي أمامة رضي الله عنه، وذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٥٤٣) عن أبي أمامة =

وعن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما أيضًا: نزلَت في علفِ الخيل[١].

وعن عبد الوهّاب بن مجاهد عن أبيه عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهم: نزلت في عليِّ بنِ أبي طالبٍ رضي الله عنه، وكانت[٢] عنده أربعة دراهم، فأنفق باللَّيل واحدًا، وبالنَّهار واحدًا، وفي السِّرِّ واحدًا، وفي العلانية واحدًا[٣]. وهذا قول الكلبيِّ[٤].

وقيل: هي في كلِّ من أنفق مالَه في طاعةِ اللهِ على هذه الصِّفة، وتقديرُه: ينفقون في سبيلِ الله.

وقيل: هي عامّةٌ في نفقةِ الزَّوجاتِ والأقارب.

والباء في قوله: ﴿بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ هي التي تدخلُ ظروفَ الزَّمان والمكان معاقبةً لـ(في)[٥].

والسِّرُّ: إخفاءُ[٦] الشَّيءِ في النَّفسِ، وهو و(العلانية) منصوبانِ على الحال.

***

= وسعيد بن المسيب ومكحول، وذكر هذه الأقوال الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٣٧٩ و٣٨٠).

(١) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٩٣٦٢)، وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٤٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٥٤٣)، والثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٣٨٥).

(٢) في (ن): «وكان».

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٤٤)، وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٤٨)، قال ابن كثير في «تفسيره» (١/ ٥٤٥): «عبد الوهاب بن مجاهد ضعيف، ولكن رواه ابن مردويه من وجه آخر عن ابن عباس رضي الله عنهما».

(٤) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٩٢).

(٥) انظر: «الأصول» لابن السراج (١/ ٤١٤)، و«شرح التسهيل» لابن مالك (٣/ ١٥١)، و«الجنى الداني» للمرادي (ص: ٤٠).

(٦) في (و): «خفاء».

(٢٧٥) ـ ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾؛ أي: في الدُّنيا.

يجوزُ أن يكونَ المرادُ[1]: مأكلَهم من الرِّبا، ويجوزُ أن يكونَ المرادُ: جميعَ[2] وجوهِ المنافع، كقولِه: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ [النساء: ١٠].

والرِّبا: الزِّيادةُ من غيرِ بدلٍ للتَّأخيرِ في الأجلِ، أو زيادةٌ منَ الجنسِ.

﴿لَا يَقُومُونَ﴾؛ أي: من قبورِهم يومَ القيامة.

﴿إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾؛ أي: مثل ما يقومُ الذي يعتريه الصَّرعُ من مسِّ الشَّيطان، فهو يقومُ ويسقطُ يومَ القيامة، ليسَ كغيرِه ممَّن يخرجونَ من الأجداثِ سِراعًا.

القفَّالُ: أضافَ الصَّرعَ إلى الشَّيطانِ تقبيحًا له[3]، كعادةِ العربِ في إضافةِ القبائحِ إليه، كقوله: ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾[4].

والخَبْطُ: الضَّرْبُ على غيرِ استواءٍ، ومنه: خَبْطُ العشواء.

والمسُّ: الجنونُ، تقول: مُسَّ الرَّجلُ، كما تقول: جُنَّ.

﴿ذَٰلِكَ﴾؛ أي: ذلك العذابُ ﴿بِأَنَّهُمْ﴾: بسببِ أنَّهم ﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾

---

(١) «المراد» من (ن).

(٢) في (و): «في جميع».

(٣) «له» من (ن).

(٤) ذكره الرازي في «التفسير الكبير» (٧/ ٧٦)، والطيبي في «حاشيته على الكشاف» (٣/ ٥٤٣).

فسوَّوا بين البيعِ وبين الرِّبا، واستحلُّوا الرِّبا، ففرَّقَ اللهُ بينهما، فقال: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾.

ويُحتمَلُ أن يكونَ قولُه: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ من كلامِهم، وكانوا[1] قد عرفوا تحريمَ اللهِ الرِّبا، فعارضُوه بآرائِهم، فكان ذلك كفرًا منهم[2].

﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾؛ أي: وَعْظٌ، وهو قولُه: ﴿كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ [البقرة: ٢٧٥].

﴿فَٱنتَهَىٰ﴾ عن[3] العَوْدِ إلى أكلِ الرِّبا.

﴿فَلَهُۥ مَا سَلَفَ﴾؛ أي: فلا تَبِعةَ عليه في الآخرةِ بما[4] سلفَ.

﴿وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ إن شاءَ عذَّبَه بسائرِ الذُّنوبِ، وإن شاءَ غفرَ له.

الحسنُ: فأجرُه على[5] اللهِ؛ لقَبولِه الموعظةَ[6].

وقيل: أمرُه إلى اللهِ، وفارقَ أمرَ الشَّيطان.

القفَّال: يُحتمَلُ ﴿فَلَهُۥ مَا سَلَفَ﴾ من الرِّبا لا يلزمُه ردُّه، ﴿وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ لا إلى الذين عاملَهم به[7].

---

(١) في (ن): «فكانوا».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٣٤) بلا نسبة، واستغربه.

(٣) في (و): «إلى».

(٤) في (ن): «مما».

(٥) «على» من (ن).

(٦) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٢/ ٧٠٩).

(٧) مال الزمخشري إلى هذا في «الكشاف» (١/ ٣٢١)، وذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٢/ ٧٠٩) بلا نسبة.

﴿وَمَنْ عَادَ﴾ بعدَ ورودِ[1] الموعظةِ، واستحلَّ الرِّبا، ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾؛ إذ هم كفّار.

***

(٢٧٦) ـ ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾.

﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ حتَّى يصيرَ عديمَ النَّفعِ والبركةِ، ﴿وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ بمضاعفةِ الثَّوابِ والأجرِ عليه.

وقيل: مَن تصدَّقَ من مالٍ اكتسبَه من الرِّبا، فالله يمحقُه ويبطلُه[2] ولا يُثيبُ عليه، ويُربي الصّدقاتِ إذا كانت من المكاسبِ الطَّيِّبة، وجاء في الخبر: «كَما يُرَبِّي أحدُكُمْ فَلُوَّهُ»[3].

والمَحْقُ: النُّقصانُ للشَّيء[4] حالًا بعد حالٍ.

﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ﴾: كلَّ[5] مبالِغٍ في كُفرِه.

﴿أَثِيمٍ﴾: مُتمادٍ في إثمِه.

***

---

(١) في (ن): «وروده».

(٢) «ويبطله» من (ن).

(٣) رواه البخاري (٧٤٣٠)، ومسلم (١٠١٤)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وتمام الحديث عند مسلم: «ما تصدق أحد بصدقة من طيب، ولا يقبل الله إلا الطيب، إلا أخذها الرحمن بيمينه، وإن كانت تمرة، فتربو في كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل، كما يربي أحدكم فلوه أو فصيله».
والفَلُوُّ: الـمُهرُ أوّل ما يُولد. والفصيلُ: ولد الناقة إلى أن يُفصَل عن أمِّه.

(٤) في (ن): «والمحق نقصان الشيء».

(٥) «كل»: ليس في (ن).

(٢٧٧) - ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ أراد: إن[١] الذين آمنوا بتحريمِ الرِّبا.

***

(٢٧٨) - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ﴾ ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما: نزلَت في بني عَمرو بنِ[٢] عُميرِ بن عوف بن ثقيفٍ، وفي بني المغيرةِ من[٣] بني مخزومٍ[٤].

عطاءٌ وعكرمةُ: نزلَت في العبَّاسِ بنِ عبدِ المطَّلب وعثمانَ بنِ عفَّان، طلَبا ربًا لهما كانا قد أسلفا قبلَ نزولِ التَّحريم، فلمّا نزلَت الآية سمِعا وأطاعا، وأخذا رؤوسَ أموالِهما[٥].

السُّدِّيُّ: نزلت في العبّاس وخالد بن الوليد، وكانا شريكين في الجاهليّة، يسلفان في الرِّبا، فجاء الإسلام ولهما أموالٌ عظيمةٌ في الرِّبا، فأنزل الله هذه الآية[٦]،

---

(١) «إن»: ليس في (ن).

(٢) في (و): «بني عم».

(٣) في (ن): «ومن».

(٤) رواه أبو يعلى في «مسنده» (٢٦٦٨)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٩٣)، من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٤٢٤)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٩٣).

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٤٩)، وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٥٩)، وابن أبي حاتم في =

فقال النَّبيُّ عليه السَّلام: «أَلا إنَّ كُلَّ رِبًا من رِبا الجاهليّةِ موضوعٌ، وأوَّلُ رِبًا أضعُهُ رِبا العبّاسِ بنِ عبدِ المطَّلب»[1].

معنى الآية[2]: دعوا ما بقيَ منه على مَن عاملتمُوه به.

﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾؛ أي: إن كنتم تريدونَ استدامةَ الحُكمِ له بالإيمان.

وقيل: إذ كنتم مؤمنين.

وقيل: وذروا ما كنتم تريدونَ أن تربوا فيه.

***

(٢٧٩) ـ ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾.

﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ﴾؛ أي: فإن لم تذروا ما بقيَ وجريتُم على ما كنتُم عليه من حُكمِ الجاهليّةِ في مُطالبةِ الرِّبا، ﴿فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾؛ أي: فكونوا على عِلمٍ من أنَّ الله قد أذِنَ بمحاربتِكم.

و﴿آذِنُوا﴾[3]؛ أي: وأعْلِموا غيرَكم ذلك.

= «تفسيره» (٢/ ٥٤٨) عن السدي.

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢/ ٢٨٤)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٩٤)، والمرفوعُ منه ورد في خطبة حجة الوداع، رواه أبو داود (١٩٠٥) وابن ماجه (٣٠٧٤) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، ورواه أبو داود (٣٣٣٤) والترمذي (٣٠٨٧) وابن ماجه (٣٠٥٥) من حديث عمرو بن الأحوص رضي الله عنه، وقال الترمذي: «حسن صحيح».

(٢) في (ن): «ومعنى الآية أي».

(٣) بالمد وكسر الذال، وهي قراءة حمزة وأبي بكر عن عاصم. انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٩٢)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٤).

﴿وَإِن تُبْتُمْ﴾: رجعتُم عن التَّعاملِ بالرِّبا والمطالبةِ بما بقيَ منه على النَّاس، ﴿فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ﴾ دونَ الرِّبحِ الحرامِ، ﴿لَا تَظْلِمُونَ﴾ بطَلَبِ الرِّبحِ، ﴿وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ بمنعِ رأسِ المال.

***

(٢٨٠) ـ ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ﴾ قال الكلبيُّ: قالت بنو عمرو بن عميرٍ لبني المغيرة: هاتوا[١] رؤوس أموالِنا ولكم الرِّبا ندعه لكم، فقال بنو المغيرة: نحن اليومَ أهلُ عُسرةٍ فأخِّرونا إلى أن ندركَ الثَّمرة، فأبوا أن يؤخِّروهم، فأنزل الله: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ﴾ الآية[٢].

أي: وإن وقعَ ذو عُسرةٍ[٣] ﴿فَنَظِرَةٌ﴾: فعليكم نَظِرةٌ، أي: إنظارٌ ﴿إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾: غنى ووجود المال.

قيل[٤]: وإن كان ذو عسرةٍ غريمًا لكم[٥].

قال شُريحٌ وإبراهيمُ: هذا في دين الرِّبا خاصّة[٦].

---

(١) في (و): «هاتم».

(٢) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٩٤).

(٣) و(كان) على هذا التقدير تامة.

(٤) في (و): «قال».

(٥) و(كان) على هذا التقدير ناقصة، وخبرها محذوف.

(٦) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٦٤) عن شريح، ورواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٥٧ ـ ٦٠) عن =

ابن عبّاسٍ والضَّحاك: عامٌّ في كل دينٍ(١).

وقُرِئ في الشَّواذِّ: (وإنْ كانَ ذا عُسرة)(٢)؛ أي: وإن كان الغريمُ ذا عسرةٍ، هذا يُقوِّي قولَ مَن ذهبَ إلى أنَّه في الرِّبا فحسب.

﴿وَأَن تَصَدَّقُوا﴾؛ أي: تتصدَّقوا على المعسرينَ شيئًا من رأسِ المالِ ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾: أرجى للثَّوابِ في الآخرة(٣).

﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي: تعملونَ بعلمِكم.

* * *

(٢٨١) ـ ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.

﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾: هو يومُ القيامةِ، وقيل: يومُ الموت.

﴿ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾؛ أي: جزاءَ ما كسبَتْ.

﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾؛ أي: بنقصانِ الحسناتِ وزيادةِ السَّيِّئات.

= ابن عباس رضي الله عنهما وشريح وإبراهيم وغيرهم، وقد ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٣٤) عن شريح وإبراهيم، واستغربه.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٦١) عن ابن عباس رضي الله عنهما والضحاك، ورواه ابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٦٤) عن الضحاك.

(٢) نسبت إلى أبي بن كعب رضي الله عنه وغيره. انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ١٨٦)، و«تفسير الطبري» (٥/ ٥٦)، و«المختصر في شواذ القراءات» لابن خالويه (ص: ٢٤).

(٣) في (ن): «القيامة».

ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما: آخرُ آيةٍ نزلَت: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ﴾[١].

عطيّة العوفيُّ: إنَّها آخرُ آيةٍ نزلت[٢].

وعن عليٍّ بنِ الحسينِ: أنَّها آخر آية نزلت، قال: وعاشَ النَّبيُّ عليه السَّلام بعدها تسعَ ليالٍ[٣].

السُّدِّيُّ: إنَّها آخرُ آيةٍ نزلت[٤].

وإنَّ جبريلَ عليه السَّلام قالَ للنَّبيِّ ﷺ: ضعْها في رأسِ الثَّمانين والمئتين[٥].

الدِّمْياطيُّ[٦]: إنَّها نزلت قبلَ وفاتِه بثلاثِ ساعاتٍ، فقال: «اجعلها بين آيتي الرِّبا والدَّين»[٧].

* * *

(١) رواه البخاري (٤٥٤٤).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٠٢١٥)، والطبري في «تفسيره» (٥/ ٦٨).

(٣) رواه الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٣).

(٤) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٠٢١٤)، والطبري في «تفسيره» (٥/ ٦٨).

(٥) رواه الفراء في «معاني القرآن» (١/ ١٨٣)، والثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٤٧٨)، من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٦) هو بكر بن سهل الدمياطي، مفسِّر مقرئ، ضعَّفه النسائي، مات بدمياط سنة ٢٨٩. انظر: «ميزان الاعتدال» للذهبي (١/ ٣٤٥)، و«سير أعلام النبلاء» (١٣/ ٤٢٥).

(٧) ذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١/ ٣٧٨)، والقرطبي في «تفسيره» (٣/ ٣٧٥)، وذكره المصنف في «البرهان» (ص: ٦٨) دون نسبة أو سند.

(٢٨٢) - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَلَا يَأۡبَ كَاتِبٌ أَن يَكۡتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ فَلۡيَكۡتُبۡ وَلۡيُمۡلِلِ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبۡخَسۡ مِنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ سَفِيهًا أَوۡ ضَعِيفًا أَوۡ لَا يَسۡتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلۡيُمۡلِلۡ وَلِيُّهُۥ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡۖ فَإِن لَّمۡ يَكُونَا رَجُلَيۡنِ فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰۚ وَلَا يَأۡبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْۚ وَلَا تَسۡـَٔمُوٓاْ أَن تَكۡتُبُوهُ صَغِيرًا أَوۡ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقۡوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَرۡتَابُوٓاْ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةٗ تُدِيرُونَهَا بَيۡنَكُمۡ فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَلَّا تَكۡتُبُوهَاۗ وَأَشۡهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعۡتُمۡۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٞ وَلَا شَهِيدٞۚ وَإِن تَفۡعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ بِكُمۡۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم﴾: تعاملتُم بالدَّينِ أخذًا وإعطاءً[1] ﴿بِدَيۡنٍ﴾ تأكيدٌ وقطعٌ للمجاز؛ لأنَّه يقال: تَداينّا بمعنى: تجازينا وتعاطينا الأخذَ بيننا[2].

ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما: المرادُ به: السَّلمُ[3].

والظّاهرُ العمومُ من السَّلمِ والقرضِ وتأخيرِ ثمنِ المبيع.

﴿إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى﴾: وقتٍ مؤخَّرٍ معلومٍ معيَّنٍ.

﴿فَٱكۡتُبُوهُ﴾؛ أي: اكتبوا الدَّينَ أو الثَّمنَ أو الأجلَ.

---

(١) في (ن): «وعطاء».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٣٥).

(٣) رواه الشافعي في «الأم» (٣/ ٩٣)، وعبد الرزاق في «مصنفه» (١٤٠٦٤)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٢٣١٩)، والطبري في «تفسيره» (٥/ ٧٠)، وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٦٦)، والحاكم في «المستدرك» (٣١٣٠).

وللعلماءِ فيه ثلاثةُ أقوالٍ:

فابن عمر وأبو موسى الأشعريُّ وابن سيرين والضَّحّاك ومجاهدٌ وعطاء ومحمد بن جرير قالوا: لا يسع المؤمن إذا باع إلى أجلٍ أو اشترى إلّا أن يَكتبَ أو يُشهدَ[١] إذا وجد كاتبًا، واحتجُّوا بظاهر القرآن[٢].

وأبو سعيد الخدريُّ والحسن وعبد الرَّحمن بن زيد قالوا: هي منسوخةٌ بقوله: ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ﴾ [البقرة: ٢٨٣][٣].

الشَّعبيُّ: إنَّها على النَّدبِ والإرشاد، لا على الحتمِ[٤]. وهذا مذهبُ الفقهاء[٥].

﴿وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ﴾؛ أي: بين المتداينَينِ أو البائعِ والمشتري منكم ﴿كَاتِبُۢ بِٱلْعَدْلِ﴾ من غيرِ زيادةٍ في المالِ والوصفِ والأجلِ[٦]، ولا نُقصانٍ.

القفّال: معنى ﴿بِٱلْعَدْلِ﴾: أن يكونَ ما يكتبُه مُتَّفَقًا عليه بين أهل العلم، لا يُرفَعُ إلى

---

(١) في (ن): «يكتب ويشهد».

(٢) هذا معنى ما رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢٠٣٦٦ _ ٢٠٣٦٩) عن أبي موسى الأشعري ومجاهد وابن سيرين والضحاك، وما رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٧٢، ٧٣) عن الضحاك وابن جريج والربيع وكعب، ورجَّحه الطبري، وذهب إليه ابن حزم. انظر: «المحلى» (٦/ ٣٥١).

(٣) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢٠٣٦٢)، وابن ماجه (٢٣٦٥) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، ورواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٧٤ ـ ٧٥) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه والحسن وابن زيد وغيرهم.

(٤) هذا معنى ما رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٧٤).

(٥) انظر: «الأصل» لمحمد بن الحسن الشيباني (٤/ ٤٢٧)، و«الأم» للشافعي (٣/ ٨٨)، و«الإشراف» لابن المنذر (٦/ ١٢٧).

(٦) «والوصف والأجل» من (ن).

قاضٍ فيجدُ سبيلًا إلى إبطالِه بألفاظٍ[١] لا يتَّسِع فيها التَّأويل، فيحتاجُ الحاكمُ إلى التَّوقُّف[٢].

﴿وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ﴾ القفّال: لا يمتنعنَّ كاتبٌ[٣] أن يكتبَ بالعدلِ الذي علَّمه الله، فيكتبَ بخلافِ ما أُمِرَ[٤].

غيرُه: ولا يمتنعنَّ كاتبٌ إذا استُكْتبَ من أن يكتبَ[٥].

السُّدِّيُّ: فرضٌ على الكفاية[٦].

وقيل: واجبٌ في حالِ فراغِه.

عطاءٌ: واجبٌ[٧].

الضَّحّاكُ: كان هذا عزيمةً، ثم نُسخَت بقوله: ﴿وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾[٨]؛ بدليلِ استحقاقِه الأجرةَ عليه.

---

(١) «بألفاظ»: من (ن).

(٢) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٢/ ٧٢٤)، وذكره الرازي في «التفسير الكبير» (٧/ ٩٢، ٩٣) بلا نسبة، واستغربه المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٣٥).

(٣) في (ن) زيادة: «من».

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٣٥) بلا نسبة.

(٥) في (و): «أن يكتب كما استكتب».

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٧٨)، وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٧٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٥٥٧) عن السدي، لكنه شرط فراغه، ولفظ الطبري: «لا يأب كاتب أن يكتب إن كان فارغًا». وروى الطبري في «تفسيره» (٥/ ٧٧)، وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٧٠)، عن عامر وعطاء قالا: «إذا لم يجدوا كاتباً فدُعيتَ فلا تأبَ أن تكتب لهم». وذهب الشافعي إلى أنه فرض على الكفاية في «الأم» (١/ ٤٤٣).

(٧) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٨/ ٣٦٥)، والطبري في «تفسيره» (٥/ ٧٧).

(٨) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٧٨)، وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٨٨).

ثم قال: كما علَّمَه الله ﴿فَلْيَكْتُبْ﴾؛ أي: فليكتب كما علَّمَه الله؛ أي: بالعدل، وقيل: كما فضَّلَه الله بالكتابةِ فليكتبْ؛ أي: فليجعل ذلك جزاءً وشكرًا.

﴿وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ﴾؛ أي: فليملل المشهودُ عليه؛ ليكونَ ذلك إقرارًا على نفسِه بلسانِه.

﴿وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـًٔا﴾: ولا يُنقِصْ من الحقِّ الذي عليه شيئًا.

ويُحتمَلُ أنَّ الضَّميرَ في ﴿وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ﴾ يعودُ إلى الكاتب؛ لأنَّ المدينَ إنْ رامَ بخسًا منعَه الدّائنُ عن ذلك(١).

والبَخسُ(٢): النَّقصُ ظلمًا.

﴿فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا﴾ مجاهدٌ: جاهلًا(٣).

السُّدِّيُّ: صغيرًا(٤).

الزَّجّاجُ: السَّفيهُ: الخفيفُ العقلِ، والصِّبيانُ والنِّساءُ سُفهاء(٥).

﴿أَوْ ضَعِيفًا﴾: عاجزًا، وقيل: ضعيفًا في عقلِه، وقيل: أحمقُ.

﴿أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ﴾ لخرسٍ أو عيٍّ.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٣٥)، واستغربه.

(٢) في (و): «فالبخس».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٨٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٥٥٩).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٨٢)، وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٧٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٥٥٩).

(٥) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٣٦٣)، لكنه قيَّد فقال: «فالنساء والصبيان اللاتي لا يميزن تميزاً صحيحاً سفهاء».

﴿فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِ﴾ الضَّحّاكُ: مَن يقومُ مقامَه[١].

الرَّبيعُ: وليُّ الحقِّ[٢].

﴿وَٱسْتَشْهِدُوا۟ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ﴾؛ أي: من رجالِكم المسلمينَ الأحرارِ.

﴿فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ﴾؛ أي: الشّاهدينِ[٣] رجلين، وهذا شرطٌ لا عبرةَ له، كما في قوله: ﴿فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾، وقوله: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَـٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾ [النور: ٣٣]، وقوله: ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ﴾ [النساء: ١٠١]، ولم أرَ أحدًا من المفسِّرين تكلَّم فيه[٤].

﴿فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ﴾ الأخفش: فليكن رجلٌ وامرأتان[٥].

وقيل: فليشهدْ رجلٌ وامرأتان.

وقيل: فالشّاهدُ رجلٌ وامرأتان.

وقيل: فرجلٌ وامرأتانِ يشهدون.

---

(١) انظر: «البسيط» للواحدي (٤/ ٤٩٠): «قال الضحاك وابن زيد: أي: ولي السفيه والعاجز والطفل، يعنى: قيمه أو وارثه أو من يقوم مقامه في حقه. وقال ابن عباس والربيع ومقاتل: يعني: ولي الحق، وهو صاحب الدين؛ لأنه أعلم بدينه».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٨٤)، واستبعده الزجاج في «معاني القرآن» (١/ ٣٦٣) فقال: «وقال قوم: ولي الدَّين. وهذا بعيد؛ كيف يقبل قول المدعي؟ وما حاجتنا إلى الكتاب والإشهاد والقولُ قوله؟»، وهو منسوب لابن عباس ومقاتل أيضاً. انظر: «البسيط» للواحدي (٤/ ٤٩٠).

(٣) في (و): «الشاهدان».

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٣٥) أيضاً، ولم أقف على مَن ذكر ذلك قبله.

(٥) انظر: «معاني القرآن» للأخفش (١/ ٣٥٠)، وعبارته: «فالذي يستشهد رجل وامرأتان»، وذكره أبو علي الفارسي في «الحجة» (٢/ ٤١٩) بلفظ المصنف.

وقال أبو مسلم بن مِهْرابزد[١] في قوله: ﴿فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ﴾: هذا كقوله: ﴿فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ﴾، قال: والعربُ ربَّما ثنَّت الفعلَ وجمعَتْه متقدِّمًا، فيجوزُ أن يكونَ هذا على ذلك.

وهـذا منه سـهوٌ فـي الآيتين؛ لأنَّ هـذا إنَّمـا[٢] يَسُـوغُ لـو كان قولُه: ﴿رَجُلَيْنِ﴾ و﴿ٱثْنَتَيْنِ﴾ بالرَّفـع[٣].

﴿مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ﴾؛ أي: من أهلِ[٤] الدِّينِ والعدالةِ والفضلِ.

«الحجّـة»: ممَّـن وُصِـفَ؛ لقولـه: ﴿فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ﴾ دون ﴿شَهِيدَيْنِ﴾؛ لاختـلافِ إعرابهمـا[٥].

﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ﴾؛ أي: لأن نسيَتْ إحداهُمـا الشَّـهادةَ ذكَّرتهـا الشَّـهادةَ الأخـرى.

---

(١) في (و): «مهرابزود»، وفي أكثر المصادر: «مهربزد». وأبو مسلم هذا: هو محمد بن علي بـن محمدبن الحسين بن مهرابزد الأصبهاني، النحوي الأديب المفسر، من أئمة الاعتزال، صنف «التفسير»، وهو آخر من حدث عن ابن المقرئ، توفي سنة (٤٥٩هـ). انظر: «تاريخ أربل» لابن المستوفي (٢/ ٦٣٣)، و«العبر» للذهبي (٢/ ٣١٠)، و«سلم الوصول» لحاجي خليفة (٣/ ٢٠٠).

(٢) «إنما» من (ن).

(٣) «بالرفع» من (ن).

(٤) «أهل» من (ن).

(٥) انظر: «الحجة» لأبي علي الفارسي (٢/ ٤٢٦)، وتمام كلامه: «وقوله: ﴿مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ﴾ فيه ذكرٌ يعود إلى الموصوفين الذين هم: ﴿فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ﴾، ولا يجوز أن يكون فيه ذكر لشهيدين المتقدم ذكرهما؛ لاختلاف إعراب الموصوفين، ألا ترى أن (شهيدين) منصوبان، و(رجل وامرأتان) إعرابهما الرفع».

وذكـرَ الضَّـلالَ لأنَّه سـببٌ لـلإذكار، قـال الزجّاج: ومثـلُ ذلك: أعـددْتُ هذا [الجـذعَ][١] أن يميلَ الحائـطُ فأدعمَه به[٢].

ومَن كسرَ ﴿إنْ﴾ ورفعَ ﴿فتذكِّرُ﴾[٣] جعله شرطًا وجزاءً.

ابنُ عُيَينةَ: معنى ﴿فَتُذْكِرَ﴾[٤]: تصيرَ معها مذكَّرًا[٥]؛ أي: يُلحقها بالرِّجالِ في الشَّهادة، فتَبعُدا من النِّسيانِ بعدَ الذِّكْر.

﴿وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ﴾ الحسنُ: للتَّحمُّلِ[٦]؛ كـي لا تَتْوَى[٧] حُقـوقُهم، وسمّاه شهيدًا، كقوله: ﴿وَٱسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ﴾[٨].

---

(١) ما بين معكوفتين من «معاني القرآن» للزجاج.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٣٦٤).

(٣) هي قراءة حمزة. انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٩٣)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٥).

(٤) هـذا علـى قـراءة التخفيـف، وهـي قـراءة ابـن كثيـر وأبـي عمـرو. انظـر: «السـبعة» لابـن مجاهد (ص: ١٩٣)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٥).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٨٩)، وردَّه من وجوه عدّة، وذكره المصنِّف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٣٦)، واستغربه.

(٦) روي عن الحسن أن ذلك لتحمل الشهادة، وأنه لأدائها بعد التحمل، وأنه لهما معاً، والأول هو ما ذكره المصنف عن الحسن هنا، وقد تبع فيه الزجاج في «معاني القرآن» (١/ ٣٦٥)، وذكره بلا نسبة في «غرائب التفسير» (١/ ٢٣٦)، واستغربه، وروى الطبري (٥/ ٩٩) عن قتادة: «كان الحسن يتأولها إذا كانت عنده شهادة فدعي ليقيمها»، وروى الطبري (٥/ ٩٥) وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٧٩) عن الحسن وجهاً آخر، وذلك قوله: «جمعت أمرين؛ لا تأب إذا كانت عندك شهادة أن تشهد، ولا تأب إذا دعيت إلى شهادة»، وهذا هو المشهور عن الحسن، وفي كلام الزجاج ما يشير إلى ذلك.

(٧) تَوِيَ يَتْوَى: هلك يهلك. انظر: «القاموس المحيط» للفيروزآبادي مادة: (ت وي)، و«تاج العروس» (٣٧/ ٢٥٨).

(٨) يعني: سُمِّي شهيداً باعتبار ما سيكون، مع أنه لم يشهد بعدُ.

غيرُه: للأداءِ[١].

﴿وَلَا تَسْـَٔمُوٓاْ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ﴾: لا يمنعْكم الملَلُ من الكتابةِ استحقارًا للقليل؛ فإنَّ القليلَ والكثيرَ سواءٌ فيما يقعُ التَّظالمُ، وسواءٌ في حقِّ الكاتب.

وقيل: هذا يعودُ إلى قوله: ﴿تَدَايَنتُم﴾ بدينٍ صغيرٍ أو كبيرٍ[٢].

﴿ذَٰلِكُمْ﴾؛ أي: الكتابةُ والاستشهادُ ﴿أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾: أعدلُ، من (القِسْطِ) بالكسر، وهو العدلُ، مصدرٌ وإن لم يُشتَقَّ منه فعلٌ[٣]، وليسَ من (الإقساط)؛ فإنَّ (أفعلَ) التَّفضيلِ لا يُبنى من (الإفعال)[٤].

والقِسْطُ: النَّصيبُ أيضًا.

والقَسْطُ بالفتح: الجَورُ، ﴿وَأَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ﴾ [الجن: ١٥] منه.

﴿وَأَقْوَمُ لِلشَّهَـٰدَةِ﴾: أثبَتُ، من قولهم: حقِّي عليك قائمٌ؛ أي: ثابتٌ.

وقيل: أشدُّ استقامةً وأبعدُ من الاعوجاج.

﴿وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓاْ﴾: وأقربُ لنفي الشَّكِّ للشّاهدِ والحاكمِ، وكذلك صاحب الحقِّ.

---

(١) هذا مروي عن مجاهد وأبي مجلز وعامر وعكرمة وعطاء وسعيد بن جبير وابن زيد والحسن أيضاً. انظر: «تفسير الطبري» (٥/ ٩٦ ـ ٩٩).

(٢) ذكره المصنِّف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٣٦)، واستغربه.

(٣) للاستغناء عنه بالفعل (أقسط)؛ إذا عدل، وحتى لا يلتبس بالفعل (قَسَطَ)؛ إذا جار، وهذا مذهب متقدمي اللغويين، وقد ذكر ابن القطاع أن (قسط) مستخدم بمعنى عدل وجار. انظر: «الأفعال» لابن القطاع (٣/ ٢٥).

(٤) في (ن): «فإن أفعل لا يبنى من الإفعال للتفضيل». وقد نقل أبو حيان كلام المصنف في «البحر المحيط» (٢/ ٧٣٧)، ومال إلى صحته، لكنه أشار إلى أن الفعل منه مستخدم.

﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا﴾؛ أي: إلّا أن تكون المعاملةُ تجارةً حاضرةً[1]، أو إلَّا أن تقع تجارةٌ حاضرةٌ[2] في شيءٍ يُتملَّكُ بعوضٍ حاضرٍ، ثمَّ يفترقانِ عن[3] تقابضٍ، فلا إثمَ عليكم في تركِ كتابتِها.

﴿وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ أمرَهم بالإشهادِ على التَّبايُعِ في الأحوالِ كلِّها.

الحسنُ والشَّعبيُّ: هذا ندبٌ[4].

الضَّحّاكُ: فرضٌ[5].

﴿وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾ الحسنُ وقتادةُ وابنُ زيدٍ وعطاءٌ: وزنُه (لا يضارِر) بالكسرِ؛ أي: لا يمتنعْ عن الكتابةِ كاتبٌ، ولا عن تحمُّلِ الشَّهادةِ شهيدٌ[6].

ويُحتمَلُ أنَّه نهيٌ عن التَّحريفِ في الكتابةِ والزَّيغِ في الشَّهادة.

ابنُ مسعودٍ ومجاهدٌ: وزنُه (لا يُضارَر) بالفتح؛ أي: لا يُجبَرُ على الكتابةِ، ولا

---

(١) هذا التقدير على قراءة عاصم الذي نصب (تجارة). انظر: «الحجة» لأبي علي (٢/ ٤٣٦)، و«تفسير الثعلبي» (٧/ ٥١٩).

(٢) هذا التقدير على قراءة عامة القراء غير عاصم؛ فقد رفعوا (تجارة). انظر: «الحجة» لأبي علي (٢/ ٤٣٦)، و«تفسير الثعلبي» (٧/ ٥٢٠).

(٣) في (و): «على».

(٤) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٠٣٦٠، ٢٠٣٦١)، والطبري في «تفسيره» (٥/ ١٠٩، ١١٠).

(٥) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٠٣٦٩)، والطبري في «تفسيره» (٥/ ١١٠).

(٦) هذا معنى ما رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ١١٣ ـ ١١٤) عن ابن عباس وعطاء ومجاهد، وأما ما رواه الطبري أيضاً في «تفسيره» (٥/ ١١٢) عن الحسن وقتادة وابن زيد وعطاء فهو بمعنى القول الذي ذكره المصنف احتمالاً، وهو الإضرار بالشهادة والكتابة بأن يكتب هذا ما لم يملله المملي، ويشهد هذا بما لم يستشهده الشهيد.

على تحمُّلِ الشَّهادةِ[١]. وعلى هذا الوجهِ يكونُ الناسخَ[٢] دونَ الوجهِ الأوَّل[٣].

﴿وَإِن تَفْعَلُوا﴾؛ أي: التَّحريفَ في الكتابةِ والشَّهادةِ، ﴿فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ﴾؛ أي: خروجٌ عن أمرِ الله، ولزومُ هذا اللَّقبِ لكم.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في مخالفةِ أوامرِه.

﴿وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ شرائعَ دينِه.

﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ لا يلحقُه سهوٌ، ولا قصورٌ.

***

(٢٨٣) ـ ﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾.

﴿وَإِن كُنتُمْ﴾ أيُّها[٤] المتداينونَ ﴿عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا﴾ وفي عدمِ الكاتبِ عدمُ الشّاهدِ في أكثرِ الأحوالِ.

---

(١) روى الطبري في «تفسيره» (٥/ ١١٤) عن الضحاك قال: «كان ابن مسعود يقرأ: (ولا يضارَر)»، وعن عبد الله بن كثير عن مجاهد: «أنه كان يقرأ: (ولا يضارَر كاتب ولا شهيد)، وأنه كان يقول في تأويلها: ينطلق الذي له الحق فيدعو كاتبه وشاهده إلى أن يشهد، ولعله أن يكون في شغل أو حاجة ليؤثمه إن ترك ذلك حينئذ لشغله وحاجته». وانظر: «تفسير ابن المنذر» (١/ ٨٦ ـ ٨٧).

(٢) «الناسخ» من (ن).

(٣) وذلك على قول الضحاك الذي رأى أن هذه الآية ناسخة لوجوب الشهادة والكتابة. انظر: «تفسير الطبري» (٥/ ٧٨)، و«تفسير ابن المنذر» (١/ ٨٨).

(٤) في (ن): «أي».

﴿فَرِهَٰنٞ مَّقۡبُوضَةٞ﴾؛ أي: فالوثيقةُ رهانٌ مقبوضةٌ تكونُ في يدِ صاحبِ الحقِّ حُكمًا.

وأصلُ الرَّهنِ: الإثباتُ والإدامةُ، ويُجمَعُ (رَهْنٌ) على (رُهُنٍ) و(رِهانٍ)(١).

﴿فَإِنۡ أَمِنَ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا﴾؛ أي: وثِقَ به من غير رَهْنٍ وكتابةٍ وإشهادٍ، ﴿فَلۡيُؤَدِّ ٱلَّذِي ٱؤۡتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ﴾ أمرَ مَن اعتُمِدَ عليه أن يجزيَ(٢) بالإحسانِ في أداءِ الأمانةِ وإعفاءِ الحقِّ عند وجوبِه.

والأمانةُ: اسمٌ لِما اؤتُمن عليه، كـ(العِلْمِ) بمعنى المعلوم، و(القُدرةِ) بمعنى المقدور.

﴿وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ﴾؛ أي: وليتَّقِ عذابَ ربِّه في ظُلمِه في إنكارِ حقِّه.

﴿وَلَا تَكۡتُمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ﴾ إذا استُشْهدتُم، ويجوزُ أن يكونَ عامًّا في الشَّهادات(٣) كلِّها.

﴿وَمَن يَكۡتُمۡهَا﴾ عند الاستشهادِ، ﴿فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٞ قَلۡبُهُۥ﴾؛ أي: هو آثمٌ، و(قَلْبَه) بالفتح، وهو شاذٌّ(٤).

---

(١) انظر: «القاموس المحيط» (ص: ١٢٠٢) مادة (ر ه ن).

(٢) في (و): «يجازى».

(٣) في (و): «الشهادة».

(٤) نُسبت القراءة بالنصب إلى ابن أبي عبلة، وقراءته (أَثَّمَ قلبَه). انظر: «المختصر في شواذ القراءات» لابن خالويه (ص: ٢٥)، و«الكامل في القراءات» لليشكري (ص: ٥١٣)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٢/ ٧٤٦)، وأشار الفراء إلى وجه نصب (قلبَه) مع اسم الفاعل. انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ١٨٨).

و﴿ءَاثِمٌ﴾[١] فاجرٌ، وإضافتُه إلى القلبِ توسعةٌ ومجاز[٢].

﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ من كتمانِ الشَّهادةِ وإظهارِها ﴿عَلِيمٌ﴾: عالمٌ مُجازٍ عليه.

* * *

(٢٨٤) ـ ﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾.

﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ مُلكًا وخَلقًا[٣]، لا شريكَ له في ذلك.

﴿وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ فيها خمسة أقوال؛ ثلاثةٌ عن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما:

أحدها: أنَّها منسوخةٌ بقوله: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَا﴾[٤].

والثّاني: أنَّها غير منسوخةٍ، وأنَّها عامّةٌ؛ يُحاسِبُ المؤمنَ والكافرَ بما أبدى وأخفى، فيَغْفِرُ للمؤمنين، ويعاقِبُ الكافرين والمنافقين[٥].

---

(١) «وقلبه بالفتح وهو شاذ وآثم» من (ن).

(٢) في (و): «فأجروا إضافته إلى القلب توسعةً ومجازًا».

(٣) في (و): «وحقًّا».

(٤) رواه مسلم (١٢٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ: «لما نزلت هذه الآية: ﴿وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾، قال: دخل قلوبهم منها شيء لم يدخل قلوبهم من شيء، فقال النبي ﷺ: «قولوا: سمعنا وأطعنا وسلمنا» قال: فألقى الله الإيمان في قلوبهم، فأنزل الله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَا﴾، قال: قد فعلت، ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَا﴾، قال: قد فعلت، ﴿وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا﴾، قال: قد فعلت».

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ١٣٩ ـ ١٤١)، وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٩٤)، وابن أبي حاتم =

والثّالث: أنَّها مخصوصةٌ في كتمانِ الشَّهادةِ وإظهارِها[1].

والرّابع: عن عائشة رضي الله عنها أنَّها قالت: ما همَّ به العبدُ من خطيئةٍ عُوقِبَ على ذلك بما يلحقُه من الهمِّ والحزنِ في الدُّنيا[2].

والخامس: عن مجاهدٍ قال: هذا في الشَّكِّ واليقين[3].

قولُه: ﴿يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ﴾؛ أي: يُكافِيكم ويُجازِيكم؛ إنْ خيرًا فخيرٌ، وإنْ شرًّا فشرٌّ.

﴿فَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾: المؤمنين.

﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾: الكافرين.

﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ ممّا[4] يريدُ ﴿قَدِيرٌ﴾: قادرٌ أتمَّ القُدرةِ.

الزَّجّاج: إنْ تُظهِروا العملَ أو تُسِرُّوا يحاسبْكُم به الله[5].

وقيل: ما كسبَت أيديكم، وحدَّثتكم أنفسُكم[6].

= في «تفسيره» (٢/ ٥٧٢).

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ١٢٩ – ١٣٠)، وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٩٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٥٧٢)، واستغربه المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٣٧).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ١٤٢) عن عائشة رضي الله عنها موقوفًا، ورواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٥٨٣٥) والترمذي (٢٩٩١) عن عائشة رضي الله عنها مرفوعًا، وقال: «حديث حسن غريب»، وقد ضعَّفه الحافظ ابن كثير في «تفسيره» (١/ ٥٦٩).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ١٤١)، وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٩٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٥٧٣). واستغربه المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٣٧).

(٤) في (و): «ما».

(٥) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٣٦٨).

(٦) في (ن): «وحدثت أنفسهم».

(٢٨٥) ـ ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾.

﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ﴾ عن أبي هُريرةَ رضي الله عنه قال: لَـمّا أنزلَ الله: ﴿وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ﴾ اشتدَّ ذلك على أصحابِ رسولِ الله عليه السَّلام فقالوا: واللهِ ما نزلَتْ آيةٌ أشدُّ علينا من هذه الآية، إنَّ أحدَنا ليُحدِّثُ نفسَه بما لا يحبُّ أن يثبتَ في قلبِه وإنَّ له الدُّنيا وما فيها، وإنّا لمآخوذونَ بما تحدِّثُ به نفوسُنا! هَلَكْنا والله، فقال النَّبيُّ عليه السَّلام: «هكذا أُنزلَتْ»، فقلْنا: هَلَكْنا وكُلِّفنا من العمل ما لا نُطيقُ، قال: «فلعلَّكم تقولونَ كما قالَت بنو إسرائيلَ لموسى: سمعنا وعصينا؟! فقولوا: سمعنا وأطعنا»، فقالوا: سمعنا وأطعنا[1] وسلَّمنا، فألقى الله[2] الإيمانَ في قلوبهم، فأنزلَ الله: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ﴾ الآية[3].

وعن طلحةَ بنِ مصرِّفٍ عن مرّةَ عن عبد الله قال: أُنزِل: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ﴾ على النَّبيِّ ﷺ حين بلغَ سِدرةَ المنتهى[4].

وهذا ثناءٌ على النَّبيِّ عليه السَّلام.

﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾؛ أي: وآمنَ المؤمنون.

﴿كُلٌّ﴾ يُحتمَلُ أنَّه للنَّبيِّ والمؤمنين، ويُحتمَلُ أنَّه للمؤمنين وحدَهم.

---

(١) «فقالوا سمعنا وأطعنا» من (ن).

(٢) في (ن): «فألقى الله».

(٣) رواه مسلم (١٢٥).

(٤) رواه مسلم (١٧٣).

﴿ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾ أنَّه أحدٌ[١] لا شريكَ له، وبجميعِ صفاتِه.

﴿وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ﴾ أنَّهم عبيدُه، وليسوا بإناثٍ، ولا ببناتٍ لله[٢].

﴿وَكُتُبِهِۦ﴾ أنَّها كلَّها من الله ووحيِه وتنزيلِه، وأنَّها غيرُ مخلوقةٍ.

﴿وَرُسُلِهِۦ﴾ بأنَّهم صادقون.

﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ﴾؛ أي: يقولون: لا نفرِّقُ بين أحدٍ وآخرَ ﴿مِّن رُّسُلِهِۦ﴾.

وقيل: ﴿أَحَدٍ﴾ للعموم.

﴿وَقَالُواْ سَمِعْنَا﴾ قولَك، ﴿وَأَطَعْنَا﴾ أمرَك، ﴿غُفْرَانَكَ رَبَّنَا﴾؛ أي: نسألُك غفرانَك، واغفرْ غفرانَك.

﴿وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾: المرجعُ.

* * *

(٢٨٦) ـ ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ هي النّاسخةُ، كما سبق.

وقيل: معناه الدُّعاء؛ أي: لا تكلِّفنا إلَّا ما يسعُنا[٣].

ومعنى: ﴿وُسْعَهَا﴾: ما تتَّسعُ لفعلِه.

---

(١) في (ن): «أنه واحد».

(٢) في (ن): «بنات الله».

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٣٧)، واستغربه.

﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ يعني: الخيرَ والطّاعةَ، ﴿وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ من الشَّرِّ والعِصيان.

المفضِّلُ: (كسب) و(اكتسب) واحدٌ[١].

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا﴾؛ أي: تركنا أمرًا من أوامرِك، وليس من النِّسيانِ الذي هو السَّهو؛ لأنَّ ذلك مغفورٌ من غيرِ مسألةٍ.

﴿أَوْ أَخْطَأْنَا﴾؛ أي: تعمَّدنا الخطأ جهلًا، وليسَ بالخطأ الذي هو موضوعٌ عن العبدِ.

تقول: خَطِئَ؛ أي: أثِمَ، و(أخطأ) تأتي بمعنى: خَطِئ، وتأتي بمعنى: أغفلَ وسَهَا.

وقيل: تُعُبِّدوا بالدُّعاء بهذا، وإن كانا مَوضوعَيْن عنهم.

﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا﴾: ثِقلًا ﴿كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾ ابن عبّاسٍ ومجاهدٌ: عَهْدًا نعجزُ عن القيامِ به[٢]. وهو ما كُلِّفوا من قتلِ النَّفسِ وغيرِه.

---

(١) ذهب إلى هذا جمعٌ من اللغويين، فلم يفرِّقوا بين (كسب) و(اكتسب)، منهم: الجوهري في «الصحاح» (١/ ٢١٢) مادة: (ك س ب)، والثعالبي في «فقه اللغة» (ص: ٢٥٩).

وفرَّق بينهما سيبويه في «الكتاب» (٤/ ٧٤)، وابن قتيبة في «أدب الكاتب» (ص: ٤٦٩) فقال سيبويه: «أما كسب فإنه يقول أصاب، وأما اكتسب فهو التصرف والطلب»، وقال السيرافي في «شرح الكتاب» (٤/ ٤٥٢): «فرّق سيبويه بين كسب واكتسب، وقال غيره: لا فرقَ بينهما، قال الله عز وجل: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾، والمعنى واحد». ورأى ابن جني في «الخصائص» (٣/ ٢٦٨) أنَّ لفظ (كسب) أقلُّ من (اكتسب)، فلما كان فعل السيئة عظيماً مقارنة بجزائها ناسب تعظيم لفظ فعل السيئة، ولما كان فعل الحسنة قليلاً أمام جزائها ناسب أن يُنتقص من لفظ فعل الحسنة.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ١٥٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد، ورواه ابن المنذر في «تفسيره» (١/ ١٠٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٥٨٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

قال القفّال: ومَن نظرَ في السِّفرِ الخامسِ من التَّوراة التي يدَّعيها[١] هؤلاء اليهودُ وقفَ على ما أُخِذَ عليهم من غليظِ العهودِ والمواثيق، ورأى الأعاجيبَ الكثيرة[٢].

﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ القفّال: ما يشقُّ علينا فعلُه على الدَّوام[٣].

وقيل: لا تحمِّلنا من عقوبةِ ذنوبِنا ما لا طاقةَ لنا به[٤].

وقيل: ولا تكلِّفنا ما لا نُطيقُ، وهذا أظهرُ.

وقيل: حديثَ النَّفسِ والوسوسة[٥]، وقيل: الحبَّ والعِشق[٦]، وفيهنَّ بُعدٌ.

﴿وَٱعْفُ عَنَّا﴾: امحُ سيِّئاتِنا.

﴿وَٱغْفِرْ لَنَا﴾: استرْ ذنوبَنا.

﴿وَٱرْحَمْنَآ﴾: واعطفْ علينا بالمسامحة.

﴿أَنتَ مَوْلَىٰنَا﴾: وليُّنا وناصرُنا ومتولِّي أمورِنا ومدبِّرنا.

﴿فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ بالحجّةِ والغلبةِ والقهرِ حتى يظهرَ دينُنا على الأديانِ كلِّها، والله أعلم.

* * *

(١) في (و): «التي لا يدعيها».

(٢) ذكره الرازي في «التفسير الكبير» (٧/ ١٢١).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٣٧) دون نسبة.

(٤) «به» من (ن).

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٣٧)، واستغربه.

(٦) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٣٧)، وعدَّه من العجائب.